

المذكر المشتمل

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن عيسى بن الجوزي

بإشراف
عبد الكريم محمد منير ثنائ
خلدون عبد العزيز مخلوطه

المجلد الثاني

دار الفقه
دمشق



المجلد الثاني

أسسه
محمد علي قولة
سنة ١٩٦٧ م

دار القلم
دمشق

الطبعة الثانية

١٤٢٥ هـ - ٢٠١٤ م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٢٨ ص.ب: ٤٥٢٢

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

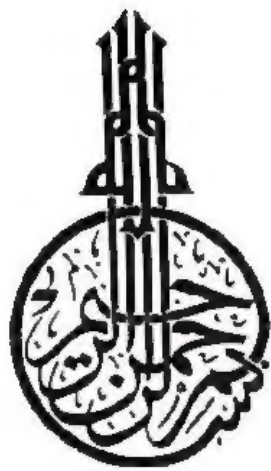
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



الفَصِيلُ الْخَامِسُ وَالْإِنْشَاءُ

ما هذا الحب للدنيا والصَّابَةِ ١٩ وإنما يكفي منها صُبابَةٌ^(١)، فقل للنفس الحريصة: قد بَغَتْ الأخرى رَحِيصَةً.

يا نفسُ ما الذَّهْرُ إلا ما عَلِمْتَ فكم
إِيَّاكَ إِيَّاكَ مِنْ (سَوْفَ) فكم خَدَعْتَ
توبي يكنُ لكَ عِنْدَ اللَّهِ نُزُلٌ^(٢) تُقَى
يا راقِدَ اللَّيْلِ قد نادى المشيبُ بِهِ
أليسَ^(٣) حَدَّثَنِي أَنِّي أَتَوْتُ فَلَمْ
وأهلكْتُ أُمَمًا مِنْ قَبْلِهَا وَأُمَمٍ
وقَدُمِي مِنْ فَعَالِ الصَّالِحِينَ قَدَمُ
الآن كُنْ خَائِفًا لَا تَقْعُدَنَّ وَقُمْ

يا مَنْ قَدْ أَخَذَ الْهَوَى بِأَرْمَتِهِ^(٤)، وأمسك الردى بِلَمَّتِهِ^(٥)، يا رهينَ ديونٍ
تعلقت في ذمته، هذا أوان جَدِّكَ إِنْ كُنْتَ مُجَدًّا، هذا زمانُ استعدادك إِنْ كُنْتَ
مُسْتَعَدًّا.

(للشريف الرضي)^(٦):

يا نفسُ قد عَنَّ المرادُ فخذي
نُهْرَةً مَجِيدٍ كُنْتُ فِي طِلَابِهَا
عُمُرُ الْفَتَى شَبَابُهُ وَإِنَّمَا
إِنْ كُنْتَ يَوْمًا تَأْخِذِينَ أَوْ ذَرِي
لمثلها يَكْصِفُ سَاقِي مِزْرِي
أَوْنَةُ الشَّيْبِ انْقِضَاءُ الْعُمُرِ
رُضْ مُهَرَّ النَّفْسِ، يَهِنُ^(٧) رُكُوبُهُ، أَمِثْ زَنْبَقَ الطَّبَعِ يُمَكِّنُ اسْتِعْمَالَهُ، تَلَمَّخْ

(١) صِبابَةٌ: بقية الماء في الإناء.

(٢) فِي (ب): أَلَسْتُ.

(٣) فِي (ب): جَاءَ.

(٤) أَرْمَتُهُ: جمع زِمَامٍ: وهو مِقْوَد الدابة.

(٥) لِمَتِهِ: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذنين، فإذا بلغ المنكين فهي جُمَّة.

(٦) قاله مفتخرًا. انظر: ديوان شعره: ١/ ٤٧٥.

(٧) فِي (ب): يَتَأَت.

فَجَرَ الْأَجْرَ يَهْنُ ظِلَامُ التَّكْلِيفِ، احْذَرِ حَيَّةَ الْفَمِ^(١) فَإِنَّهَا بَتْرَاءُ^(٢)، إِذَا خَرَجْتَ مِنْ شَفَةِ غَدْرِكَ لَفْظَةً سَفِيهَةً، فَلَا تُلَحِّقْهَا بِمِثْلِهَا تُلَحِّقْهَا، وَنَسِلُ الْخِصَامِ مَذْمُومٌ، أَوْثِقِ سَبْعَ غَضَبِكَ بِسُلْسَلَةِ جِلْمِكَ، فَإِنَّهُ إِنْ أَقْلَيْتَ أَتْلَفَ، مَتَى قَمَتَ بِحُدَّةِ الْغَضَبِ انْطَفَأَ مَصْبَاحُ الْحِلْمِ، بَحْرُ الْهَوَى إِذَا مَا مَدَّ أَغْرَقَ، وَأَخَوْفُ الْمَنَافِذِ مِنَ الْغَرَقِ فَتْحَةُ الْبَصْرِ، فَلَا تَشْتَغَلْ زَمَانَ الزِّيَادَةِ إِلَّا بِأَحْكَامِ الْقُرْدَحِ^(٣).

وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يَقْلُبُهَا فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ^(٤) مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ لَا مَرْحِباً بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

لو حضرت مع الأحباب الباب، لسامح الناقد بيهزجك، رحلت رفقة ﴿نَجَافِي﴾ [السجدة: ١٦]، ومطروذ النوم في حبس الرقاد، فما فك عنه السجان قيد الكرى حتى استقر بالقوم المنزل، فقام يتلمح الآثار بباب الكوفة، والأحباب قد وصلوا إلى الكعبة.

(لَصُرْدُورٌ)^(٥):

مَنْ يَطْلُعُ شَرْفًا فَيَعْلَمَ لِي هَلْ رَوْحَ الرُّغْيَانِ بِالْإِبْلِ؟
أَمْ قَعَقَعَتْ عُمْدُ الْخِيَامِ أَمْ ارْتَفَعَتْ قِيَابُهُمْ عَلَى الْبُرْلِ؟
أَمْ غَرَدَ الْحَادِي بِقَافِيَةٍ مِنْهَا غَرَابُ الْبَيْنِ يَسْتَمْلِي؟
فَضَلْتُ دُمُوعِي عَلَى مَدَى حَزَنِي فَبَكَيْتُ مَنْ قَتَلَ الْهَوَى قَبْلِي
مَا مَرَّ ذُو شَجَنِ يَكْتُمُهُ إِلَّا أَقُولُ: مَتَيْتُ مِثْلِي

من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فليُنظر ماذا يُؤليه.

(١) حية الفم: كناية عن اللسان.

(٢) بتراء: يقال: الأبر من الحيات قصير الذنب لا يراه أحد إلا قر منه، ولا تبصره حامل إلا أسقطت، يقال له: الشيطان، وسمي أبر لقصر ذنبه كأنه بتر منه.

(٣) القُرْدَح: ضرب من البرد؛ أي الثياب، والقُرْدَحَة: الإقرار على الضيم والصبر على الذل، وقد أوصى عبد الله بن خازم بنه عند موته فقال: يا بني إذا أصابتكم خُطَّةٌ لَا تُطِيقُونَ وَقَعَهَا فَقَرِّدُوا لَهَا.

(٤) العين: جمع عيناء؛ وهي واسعة العين.

(٥) قاله لبعض الرؤساء. انظر: الديوان، ص ١٥٤-١٥٥.

الزهادُ عَيْنُ العارفين . الأرواح في الأشباح كالأطياف في الأبراج ، وليس ما أُعِدَّ للاستفراخ كما هُمْنُ للسَّباق . مَنْ حَدَّقَ بعَيْنِ الفكر إلى مطلع الهدى لآخ له الهلال . كم أداوي بصرَ بصيرتك وما يَنْجَلِي . ما أَظُنُّ الضَّعْفَ إِلَّا في الوضع . ضَعْفُ عَيْنِ الحُفَّاشِ ليس برمد ، وَحِدَّةُ ناظِرِ الهدهدِ خِلْقَةٌ . مصابيحُ القلوب الطاهرة في أصلِ الفطرة منيرة قبل الشرائع ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ [النور: ٣٥] . وَحَدَّ قُسٌّ^(١) وما رأى الرسول ﷺ ، وكفر ابنُ أَبِي^(٢) وقد صلى معه .

مع الضَّبِّ رِيٌّ يكفيه ، ولا ماء ، وكم مِنْ عطشانٍ في اللُّجَّةِ .

إذا سبق الإنعام في القِدَمِ فذلك غِنَى الأبد . لَمَّا تَقَدَّمَ اختيارُ الطينِ المنهبطِ صعدَ على النارِ المرتفعة ، وكانت الغلبةُ لآدمَ في حربِ إبليسَ ، فاكتفت جهنمُ بما جرى فسَلِمَتْ يومَ «جُزْ يا مؤمن»^(٣) . سبق العلمُ بنبوة موسى ، وإيمانُ آسيةَ فسبق تابوتُهُ إلى بيتها ، فجاء طفلٌ منفرد عن أم ، إلى امرأةٍ خالية من ولدٍ «قرينان مرتعنا واحد» .

دخل الرسول ﷺ إلى بيت يهودي يعوده فقال له : «أَسْلِمَ» ، فنظر المريضُ إلى أبيه فقال له : أجب أبا القاسم ، فأسلم^(٤) ، فكان ذلك قريباً من نسبِ «سلمانُ منا»^(٥) ، فصاحت السنة المخالفين : ما لمحمد ولنا؟ والقدْرُ يقول : مريضنا عندكم (كيف انصرفي ولي في داركم شُغْلُ) .

لَمَّا عَمَّ نور النبوة آفاق الهدى ، رآه سلمانٌ دونَ العمِّ^(٦) ، قَوِيَتْ ظلماتُ

-
- (١) قُس بن ساعدة الإيادي : أسقف نجران ، وكان أحد حكماء العرب .
 - (٢) عبد الله بن أبي ابن سلول : رأس المنافقين ، حالف اليهود في المدينة ، وناصب النبي ﷺ العدا ، وكاد للدعوة ما استطاع ، ومن أفاعيله : رجوعه بثلاثمئة من أتباعه تخذيلاً للمسلمين يوم خرج بهم الرسول ﷺ إلى أحد .
 - (٣) جزء من حديث : «تقول النار للمؤمن يوم القيامة : جُزْ يا مؤمنٌ فقد أطفأ نورُك لهي» رواه الطبراني في (الكبير) ، وأبو نعيم في (الحلية) .
 - (٤) وتعامه : فخرج النبي ﷺ وهو يقول : «الحمد لله الذي أنقذه من النار» رواه البخاري عن أنس .
 - (٥) رواه الطبراني والحاكم بلفظ : «سلمانُ منا أهل البيت» .
 - (٦) أي : أبو لهب .

الشرك بمكة، فتخبّطت قريش في الضلال، فلاح مصباح الفلاح من سُجُفِ دار الخيزران^(١)، فلماذا عمر على الباب، ولقد أنارت لإبليس شمس البيان يوم ﴿أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٣]، غير أن النهار ليل عند الأعشى.

رجع الخُفَّاشُ إلى عُشِّه، فقال: أوقدوا المصباح فقد جُنَّ الليل، فقالوا: الآن طلعت الشمس، فقال: ارحموا مَنْ طلوع الشمس عنده ليل، فسبحان من أعطى ومنع، ولا يقال: لم صنع؟

سَلِّمُ التوفيق قريب المراقبي، ويثر الخُذْلان بلا قعر، ربما أدرك الوقفة أهل مصر، وفات سكان نخلة^(٢)، لا بدّ والله من نفوذ القضاء فاجئح للسلم.

يَبْنِي الحَظِيمِ وَزَمْزَمِ	وَالْحَجَرِ وَالْحَجَرِ الْمُقْبَلِ
لِلْعَاشِقِينَ مِنَ الْهَوَى	أَبْدَأْ مِصَارِعُ لَيْسَ تُجْهَلِ
كَمْ بِالْمُخَضَّبِ مِنْ عَلِي	لِهُوَ طَرِيحٌ لَا يُعْلَلِ
وَقَتِيلِ يَبْنِي بَيْنَ خَيْدِ	فِي مَنَى وَجَمْعِ لَيْسَ يُعْقِلِ

كيف تتقي نبال القدر والقلب بين أصبعين؟! ^(٣).

لَا تَغْضَبَنَّ عَلَى قَوْمٍ تُجِبُهُمْ فَلَيْسَ يُتَجَبَّحُ مِنْ أَحْبَابِكَ الْغَضَبُ
وَلَا تَخَاصِمُهُمْ يَوْمًا إِذَا حَكَمُوا إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا مَا خُوصِمُوا غَلَبُوا

كان إبليس كالبلدة العامرة، فوقعت فيها صاعقة الطرد، فهلك أهلها ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ [النمل: ٥٢].

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوَصَالِ أَهْلًا فَكُلُّ إِحْسَانٍ ذَنْبٌ
أَخَذَ كِسَاءَ تَرَهُبِهِ^(٤)، فَجُعِلَ جَلًّا لِكَلْبِ أَهْلِ الْكَهْفِ، فَأَخَذَ الْمُسْكِينُ فِي

(١) دار بمكة بنتها الخيزران أم هارون الرشيد، ويشير بها إلى دار فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها.

(٢) نخلة: بطن نخلة موضع بين مكة والطائف.

(٣) إشارة إلى قوله ﷺ: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف شاء».

(٤) إشارة إلى تعبد إبليس مع الملائكة قبل الطرد.

عداوة آدمَ فكم بالغَ واجتهدا وأبى الله أن يقعَ في البئرِ إلا مَنْ حَفَرَ، ويحك ما ذنبُ آدمَ؟! أنتَ الجاني على نفسك، ولكنه غيظَ الأسير على القيد^(١).

لقي إبليسُ عمرَ بن الخطابَ فصارعه فصرعه عمر، فقال بلسان الحال: أنا مقتولٌ بلسانِ الخذلانِ قبل لقائك «فإياكَ عني لا يكن بك ما بيا»، يا عمرُ أنتَ الذي كنتَ في زمانِ الخطابِ لا تعرفُ البابَ، وأنا الذي كنتُ في سُدَّةِ السيادةِ وأتباعي الملائكة، فوصل منشور ﴿لَا يُسْتَلُّ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فعزلني وولّاك، فكن على حذرٍ من تحوّل الحال.

فإنَّ الحُسامَ الصقيّلَ الذي قُتِلْتُ به في يدِ القاتلِ

لَمَّا تمكّنت معرفةُ عمرَ بتقليبِ القلوب، لعبَ القلقُ بقلبه، خوفاً من قلبه^(٢) فبادرَ بطرق بابِ البريدِ بالعزل والولاية، يا حذيفةُ! يا حذيفةُ! (٣) المحنة العظمى ارتباطُ أمركَ بمن لا يُبالي بهلاكِكَ، فكم قد أهلكَ قبلكَ مثلكَ، كم مُشارفٍ بسفينةٍ عمله على شاطئِ النجاةِ ضربها خرقُ الخذلانِ فغرقت! وما بقي للسلامةِ إلا باع أو ذراع، أي تصرفِ بقيّ لك في قلبك وهو بين إصبعين!؟

يا قلبُ إلامَ تطالبُني	يلقا الأحيابَ وقد رَحَلوا
أرسلتُكَ في طلبِ لَهْمٍ	لتعودَ فَضِعتَ وما حَصَلوا
سَلَمٌ واضْبِرْ واخضَغْ لَهُمُ	كَمْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ قد قَتَلوا
ما أَحسنَ ما عَلَّقْتَ بِهِمُ	أمالَكَ مِنْهُمْ لو فَعَلوا

(١) القيد: السير الذي يقيد به المحبوس.

(٢) قلبه: انقلابه.

(٣) يشير إلى تعرضه إلى حذيفة بن اليمان أمين سرِّ الرسول ﷺ ليسأله عن حاله.

الفصل الثاني والأربعون

يا مَنْ قد أسره الهوى فما يستطيع فكاكاً، أفق قبل الوهى^(١)، وما [هو]^(٢)
قد أدركك إدراكاً، قبل أن لا ينفع البكاء الباكي، ولا التباكي مَنْ تباكى.

(لأبي العتاهية)^(٣):

كفاك نذيرُ الشيب ^(٤) فيك كفاكا	بليت وما تبلى ثيابُ صباكا
مقامَ الشبابِ الغضُّ ثم نعاكا	ألم ترَ أنَّ الشيبَ قد قام ناعياً
بإهلاكه للهاكين عناكا ^(٥)	ولم ترَ يوماً مرّاً إلا كانه
أتطمعُ أن تبقى فلست هناكا	ألا أيُّها الفاني وقد حان حيثه ^(٦)
كأنني بداع قد أتى فدعاكا	تسمع ودغ من أفد الغي سماعه
المنية فيما بينهن شراكا ^(٧)	وربّ أمانٍ للفتى نصبت له
ويوشك أن تهدى كذاك لذاكا	أراك وما تنفك تهدي جنازة
وينساك من خلفته هو ذاكا	ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى
وهت ^(٨) وإذا الكربُ الشديدُ علاكا	ألا ليت شعري كيف أنت إذا القوى
وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا ^(٩)	تموت كما مات الذين نسيهم

(١) الوهى: الضعف.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) لا توجد هذه القصيدة بكاملها في الديوان. انظر: ديوان شعره، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) في الديوان: (كفاك من اللهو المضّر كفاكا).

(٥) عناك: قصدك.

(٦) حيثه: هلاكه.

(٧) شراك: ما ينصب للصيد.

(٨) وهت: ضعفت.

(٩) في الديوان: (وتنسى وتهوى العرس بعد سواكا).

كَأَنَّ خُطُوبَ الدَّهْرِ لَمْ تَجِرْ سَاعَةً عَلَيْكَ إِذَا الْخُطْبُ الْجَلِيلُ أَنَاكَ
تَرَى الْأَرْضَ كَمَ فِيهَا رُهُونٌ دَفِينَةٌ غَلِقْنَ فَلَمْ يَقْبَلْ لَهْرٌ فَكَأَكَ

كَمْ سَكَنَ قَبْلَكَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَحَامَ الْمَوْتُ حَوْلَ جَمَاهُمْ وَدَارَ، ثُمَّ
نَاهَضَهُمْ^(١) سَرِيعاً وَثَارَ، كَأَنَّهُ وَلِيٌّ يَطْلُبُ الثَّارَ، وَقَدْ خَوَّفَكَ بِأَخِيذِ الصَّدِيقِ وَسَلَبِ
الْجَارِ، وَمَنْ أُنْذِرَ قَبْلَ هُجُومِهِ فَمَا جَارَ^(٢).

يَا هَذَا! الْعَمُرُ عَمْرٌ قَلِيلٌ، وَقَدْ مَضَى أَكْثَرُهُ بِالتَّعْلِيلِ، وَأَنْتَ تُعَرِّضُ الْبَقِيَّةَ
لِلنَّوِيلِ، وَقَدْ آتَى أَنْ يَرْحَلَ النَزِيلُ، مَا أَرْخَصَ مَا يَبَاغُ عَمْرُكَ، وَمَا أَغْفَلَكَ عَنِ
الشُّرَا^(٣)، وَاللَّهُ مَا يَبِيعُ أَخَوَةَ يَوْسُفَ يَوْسُفَ بِثَمَنِ بَخْسٍ^(٤)، أَعْجَبُ مَنْ يَبِيعُ
نَفْسَكَ بِمَعْصِيَةِ سَاعَةٍ.

مَتَى يَنْتَهِي الْفَسَادُ؟ مَتَى يَزْعُورِي الْفَوَادُ؟!

يَا مُسَافِرًا بَلَا زَادَ، لَا رَاحِلَةً وَلَا جَوَادَ، يَا زَارِعًا وَقَدْ آتَى الْحَصَادَ، يَا طَائِرًا
بِالْمَوْتِ يُصَادَ، يَا بَهْرَجَ^(٥) الْبُضَاعَةِ أَيْنَ الْجِيَادُ؟ يَا مُصَابَ الذُّنُوبِ أَيْنَ الْحِدَادُ؟ لَوْ
عَرَفْتَ الْمُصَابَ فَرَشْتَ الرَّمَادَ، لَوْ رَأَيْتَ سَوَادَ السَّرِّ لَبَسْتَ السَّوَادَ، جَسْمُكَ فِي
وَادٍ وَقَلْبُكَ فِي وَادٍ، نُثِرَ الدُّرُّ لَدَيْكَ وَمَا تَنْتَقِي، وَقُرُبَتِ الْمَرَاقِي إِلَيْكَ وَمَا تَرْتَقِي،
لَقَدْ ضَيَّعْتَ مَا مَضَى، وَشَرَعْتَ فِيمَا بَقِيَ، يَا وَاقِفًا فِي الْمَاءِ الْغَمْرِ^(٦) وَمَا يَسْتَقِي.

إِنْ قُلْتُ: قُمْ قَالَ: رَجُلِي مَا تَطَاوَعَنِي أَوْ قُلْتُ: خُذْ قَالَ: كَفَى مَا تَوَاتَيْنِي

وَاعْجَبًا لِنَفَاسَةِ نَفْسٍ رُفِعَتْ بِسُجُودِ الْمَلَكِ لَهَا^(٧)، كَيْفَ نَزَلَتْ بِالْخِسَّةِ حَتَّى
زَاحَمَتْ كِلَابَ الشَّرِّ عَلَى مَزَابِلِ الدُّلِّ، هِيَهَاتَ! لَنْ تُفْلَحَ الْأَسَدُ إِذَا أُتْفِقَتْ عَلَيْهَا
الْمَيْتَاتُ الْفُسْدُ.

(١) نَاهَضَهُمْ: قَاوَمَهُمْ وَنَاصَبَهُم الْعِدَاءَ.

(٢) جَارَ: ظَلَمَ.

(٣) الشُّرَا: أَيِ الشُّرَاءِ، أَيِ شِرَاءِ الْعَمْرِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

(٤) بَخْسٌ: نَاقِصٌ.

(٥) يَهْرَجٌ: مَزِيفٌ.

(٦) الْغَمْرُ: الْكَثِيرُ.

(٧) يُشِيرُ إِلَى سُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لِأَيَّتَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

يا هذا! جسدك كالناقة يحملُ راكبَ القلبِ، فلا تجعلِ القلبَ مستخدماً في علفِ الراحلة، تالله إنَّ جوهرَ معنك يتظلمُ من سوءِ فعلِكَ، لأنَّك قد ألقَيْته في مزابِلِ الدُّلِّ، ماءُ حياتِكَ في ساقيةِ عمرِكَ قد اغدودق^(١)، فهو يسيلُ ضائعاً إلى مهاوي الهوى، ويتسربُ في أسرابِ البطالة، فقد امتلأت به خِزبات^(٢) الجهل، ومزابِلُ التفريط، وشربته أدغال^(٣) الغفلات.

ويحك! ارددْهُ إلى مزارعِ التقوى، لعله يحرق^(٤) نَوْرَ حديقة، إلى متى يمتدُّ ليلُ الغفلة؟! متى تأتي تباشيرُ الصُّباح؟!.

هل الدهرُ يوماً بوضلي يجرُّ وأيامنا باللوى هل تعودُ
زمانٌ تقضى وعيشٌ مضى ينقسي - والله - تلك العهودُ
ألا قل لسكانِ وادي العقيق هنيئاً لكم في الجنان الخلودُ
أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاشى وأنتم وُرودُ

لَمَّا سَبَقَ الاختيارُ لأقوامٍ في القدم، جُذِبوا بعد الزلْقِ في هوةِ الهوى إلى نَجوة^(٥) النجاة.

يا (عمر)! كيف كانت حالكَ؟ قال: كنتُ مشغولاً بهُبلٍ، فسمعتُ هتافَ ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فخرجتُ على المنادي، فإذا أنا في دارِ الخَيْرِ ران.

يا (فضيل)! مَنْ أنت؟ قال: أُخِذْتُ مِنْ قَطْعِ الطريقِ^(٦)، فَأَخَذْتُ فِي قَطْعِ الطريقِ^(٧).

(١) اغدودق: من الغدق: الكثرة.

(٢) خِزبات: جمع خِزبة: المكان الخرب.

(٣) أدغال: جمع دغل: وهو الشجر الكثيف الملتف الذي يُتوارى فيه للختل والغيلة.

(٤) يحرق: يحيط.

(٥) النجوة: المرتفع من الأرض، يقال: هو بنجوة من هذا الأمر، أي: بعيد عنه، بريء سالم.

(٦) قطع الطريق: يشير إلى حاله قبل التوبة حيث كان ممن يقطعون الطريق ويغيرون على الناس.

(٧) الطريق: طريق السير إلى الله سبحانه وتعالى، وقطعه بالسير فيه يطويه ويحقق مقاماته فيه.

يا (عتبة الغلام)^(١) مَنْ أَنْتِ؟ قال: كُنْتُ عَبْدَ الْهُوَى، فحَضَرْتُ مَجْلِسَ
عَبْدِ الْوَاحِدِ، فَصَرْتُ عَبْدًا لِلْوَاحِدِ.

يا (سَبْتِي)^(٢) مَنْ أَنْتِ؟ قال: كُنْتُ ابْنَ الرَّشِيدِ، فَعَرَضَ لِي رَأْيُ رَشِيدٍ،
فَإِذَا عَزَمِي قَدْ أَخَذَ الْمُرَّ وَمَرَّ.

يا (ابن أدهم) مَنْ أَنْتِ؟ قال: أَخَذَنِي حُبُّهُ مِنْ مَنَظَرَتِي^(٣)، فَصَيَّرَنِي نَاطُورَ
الْبَسَاتِينِ.

يا (رابعة) مَنْ أَنْتِ؟ قالت: كُنْتُ أَضْرِبُ بِالْعُودِ فَمَا سَمِعَ غَيْرِي^(٤).

بِاللهِ يَا رِيحَ الصَّبَا مُرِّي عَلَى تِلْكَ الرُّبَا
وَبَلِّغِي رَسُولِي بِنَصِّهَا أَهْلَ قُبَا
وَاحْرَبِي أَهْلَ يُرْدُ فَاتِّبَا وَاحْرَبِي

يا طفلاً في حِجْرِ الْعَادَةِ مُحْصُوراً بِقِمَاطٍ^(٥) الْهُوَى! مَا لَكَ وَمَزَاحِمَةُ الرِّجَالِ؟
تَمَسَّكَتْ بِالذَّنْبَارِ تَمَسَّكَتْ الْمُرْضِعُ بِالظَّنْرِ^(٦)، وَالْقَوْمُ مَا أَعَارَوْهَا الطَّرْفَ^(٧)، مَا لَكَ
وَالْمَحَبَّةَ وَأَنْتِ أَسِيرُ حَبَّةٍ؟ كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؟ وَهَلْ تَدْرِي أَيْنَ هُمْ؟

سَلامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا شَرِيعَةٌ وَزِدِي أَوْ مَهَبْتُ شِمَالِي
لِيَالِي لَمْ نَحْذَرْ حَزُونَ قَطِيعَةٍ وَلَمْ نَمشِ إِلَّا فِي سُهُولٍ وَصَالٍ

(١) عتبة الغلام: هو عتبة بن أبان بن صَنْعَةَ، وإنما سمي بالغلام لِجِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ، لَا لِصُغُرِ
سِنِّهِ كَمَا جَاءَ فِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ: ٣/ ٣٧٠.

(٢) سبتي: أحد العباد. وستأتي له ترجمة في آخر الكتاب.

(٣) منظرتي: المكان من البيت الذي يعدُّ لاستقبال الزائرين؛ إشارة إلى إمارته وملكه.

(٤) كان هناك جملة، بها يتضح المعنى، وهي: «كنت أضرب بالعود، فنوديت أن إلينا عودي،
فما سمع غيري، أو فما سمع غيري أن إلينا عودي: أي ارجعي» واستجابت تائبة.

(٥) القمط: قمطه: شدَّ يديه ورجليه، كما يفعل بالصبي في المهد، والقمط: الخرقَة تلف
على الصبي.

(٦) الظنر: المرضعة لولد غيرها.

(٧) ما أعاروها الطرف: العين، وما أعاروها: ما التفتوا ولا اهتموا.

فقد صِرْتُ أَرْضِي مِنْ سَوَاكِنِ أَرْضِهَا بِخُلْبٍ^(١) بَرْقٍ أَوْ بَطِيفِ خَيَالِ
سَارِ الْقَوْمِ وَرَجَعْتُ، وَوَصَلُوا وَانْقَطَعَتْ، وَذَهَبُوا وَبَقِيَتْ، فَإِنْ لَمْ
تَلْحَقْهُمْ شَقِيَتْ.

لَبَسَ الْبَيَاضَ بِذَاتِ عِرْقٍ مَعْشُرٍ وَلَبَسْتُ مِنْ حُزْنٍ ثِيَابَ سَوَادِ
وَصَلُوا إِلَى عِرْفَاتٍ يَبْغُونَ الرِّضَا وَبَقِيْتُ مَنْقُطَعًا يَبْطُنُ الْوَادِي
رَفَعُوا أَكْفَهُمْ وَضَجَّوْا بِالْذُّعَا وَضَمَمْتُ مِنْ كَمَدِ يَدِي بِفَوَادِي
يَا مَنْ كَلِمَا اسْتِقَامَ عَثْرَا يَا مَنْ كَلِمَا تَقَرَّبَ أَبْعَدَا، اسْتَغْلَمَ مَعَ التَّوْبَةِ،
وَاسْتَرَوْحَ إِلَى دَوَامِ الْبُكَاءِ، وَصِخَ بِصَوْتِ الْقَلْقِ عَلَى بَابِ دَارِ الْأَسْفِ.

لَيْسَ لِي فِيكَ حِيلَةٌ غَيْرَ صَبْرِي عَلَى الْقَضَا
وَبِكَائِي عَلَى الْوِصَالِ الَّذِي كَانَ وَانْقُضَى
لَيْتَنِي تُبْتُ تَوْبَةً وَقَضَى اللَّهُ مَا قَضَى

* * *

(١) خَلْبٌ بَرَقَ: الْبَرَقُ الْخَلْبُ: الْمَطْمَعُ الْمَخْلِفُ، وَفِي حَدِيثِ الْأَسْتِسْقَاءِ: «اللَّهُمَّ مَقْبِيَا غَيْرِ
خَلْبٍ بَرَقُهَا» أَي: خَالَ مِنَ الْمَطَرِ، وَالْخَلْبُ: السَّحَابُ يَوْمُضُ بَرَقَهُ حَتَّى يُرْجَى مَطَرُهُ،
ثُمَّ يُخْلَفُ وَيَنْقَشِعُ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْخَلَابَةِ: وَهِيَ الْخَدَاعُ بِالْقَوْلِ اللَّطِيفِ.

الفصل الثالث والأربعون

يا هذا! من اجتهد وجدَّ وجدَّ، ليس من سهرَ كمن رَقَدَ، والفضائل تحتاجُ إلى وثبةٍ أَسَدَ.

(لمهيار)^(١):

خَاطِرٌ فَلَمَّا عَيْشَةُ حُرَّةٌ يُرْغِذُهَا الْعُرُّ وَإِمَا الْحِمَامُ^(٢)
زَاحِمٌ عَلَى بَابِ الْعُلَى وَاجْتَهَدُ لَا بَدَأُ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ الزَّحَامِ
رَامَ بِهَا اللَّيْلَ فَمَا يُسْفِرُ الصَّبَاحُ إِلَّا عَنْ نَقَابِ الظُّلَامِ
مُؤَارِقاً عَنْ عُقْلِ أَشْطَانِهَا مَرُوقٌ فَوْقَ السَّهْمِ عَنْ قَوْسِ رَامِ
مَيِّزٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى ظَهَرِهَا نَفْسُكَ لَا مِيزَةَ تَحْتَ الرَّجَامِ^(٣)
مَنْ طَلَبَ الْغَايَةَ خَطُوءاً عَلَى ظَهَرَ الْهُوَيْنَا رَامٌ صَعَبَ الْمَرَامِ

لقد رَضِيتَ الْغَبْنَ الْغَبْنَ^(٤)، وَبَعْتَ عُمُرَكَ بِأَقْلٍ ثَمَنٍ، وَأَنْفَقْتَ فِيمَا يُرْدِيكَ
الزَّمْنَ، وَفَتَرْتَ فِي الصَّحَةِ وَلَا فَتُورَ الزَّمَنِ^(٥)، يَا مَغْرُوراً بِخَضِرَاءِ الدَّمَنِ^(٦)
يَا جَامِعاً مَانِعاً قُلَّ لِي لِمَنْ؟ كَيْفَ يَنَالُ الْفَضَائِلَ مُسْتَرِيحُ الْبَدَنِ، سِلْعُ الْمَعَالِي
غَالِيَاتُ الثَّمَنِ، وَإِنْ سَاوَمْتَهَا فَيَرْهُدُ أَوْيسٍ وَفَقِهَ الْحَسَنَ.

يا هذا! أَوْقَدْ مُصْبَاحَ الْفِكْرِ فِي بَيْتِ الْعِلْمِ تَلْخُ لَكَ الْأَعْلَامُ. مَنْ سَدَّ ثُغُورَ
الْهُوَى بِجُنْدِ الْجَدِّ مَلَأَ عَيْنَ رَاحَتِهِ مِنْ نَوْمِ الطَّمَأْنِينَةِ. مَنْ دَقَّ صِرَاطُ وَرَعِهِ عَنْ

(١) من قصيدة يمدح بها وزير الوزراء زعيم الدين. انظر: ديوان شعره: ٣١٨-٣٢٢.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) في الديوان: «احتشام»، وفي (أ): «بيننا ترى المرء على ظهرها * حياً تراه في بطون
الرجام». والرجام: جمع رجم، وهو القبر.

(٤) الغبن: من غبنه غبناً: غلبه ونقصه. الغبن: من غبن غبناً نقص وضعف.

(٥) الزمن: من أقعده المرض، أو هو المبتلى بأفة بيئة.

(٦) الدمن: جمع دمنة، وهي آثار الدار وما اختلط من البعر والطين. ويريد هنا ما يبدو من زينة
الدنيا ولذاتها.

الشبهات، عَرَض الصراطُ له يوم الجواز. لله دَرُّ أقوام تأملوا الوجود ففهموا المقصود، فالتَّاسُّ في رقادهم وهم في جَمْعٍ زادهم، والخلائق في غرورهم، وعبودهم إلى قبورهم.

قال (الإمام أحمد): لقد رأيتُ قوماً صالحين، رأيت (عبد الله بن إدريس) وعليه جبةٌ من لُبود^(١) قد أتت عليها سنون، رأيت (أبا داود الحفري) وعليه جبةٌ مخرقةٌ قد خرجَ منها القطنُ وهو يصلي فيترنَّح من الجوع، ورأيت (أيوب النجار) وقد خرجَ مِنْ كُلِّ ما يملكه. وكان في المسجد شابٌ مُصَفَّرٌ يقال له: (العوفي)، يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي.

إذا ما الخيامُ البيضُ لاحت لدى منى
ترانا لدى الأطنابِ صرعى من الهوى
وكم أنو أردفتها بتنفسٍ
قفوا وانظروا ذلّي وعزّ معذبي
فعرَّج فلانا بعدها بقليل
نكفكف دمعاً لافتقاد خليل
وكم عبرةً أتبعثها بعويل
تروا عجباً من قاتلٍ وقتيل

عَمِلْتُ في قلوبهم معاولُ الحزنِ مِعى^(٢)، وَأَنْبَطْتُ^(٣) من كل رَكِيَّةٍ^(٤) رَكِيَّةَ ماءٍ أَسَى، فجرى من طَرْفٍ طَرْفَيْنِ^(٥) ماءً، فجرى وَسَخاً^(٦)، فغسل وَسَخاً.

قد كنتُ أطوي على الوجْدِ الضلوعَ ولا
فخائنِي الصبرُ إذ ناديتُه وَوَفَّتْ
أُكْتِمُ الْوَجْدَ وَالْعَيْنَانِ تَظْهِرُهُ
أبدي الهوى وأسوم^(٧) القلبَ كِثْمَانَا
لِي الشُّوونُ^(٨) فعادَ السرُّ إعلانَا
لِلْحُبِّ أعظمُ مما رُمِّته شَانَا

قال (أبو عمران الجوني): أرثني أُمي موضعاً من الدار قد انحفر، فقالت:

- (١) لُبود: جمع لُبْد: كِسَاء من شعر أو صوف.
- (٢) مِعى: مسيل الماء بين الحرار، والحرار: جمع حَرَّة، وهي أرض ذات حجارة سود.
- (٢) أَنْبَطْتُ: أَنْبَعْتُ وأَخْرَجْتُ.
- (٤) الرَكِيَّة: البئر لم تطو.
- (٥) طَرْف: جانب. طَرْفَيْن: مثنى طَرْف وهي العين.
- (٦) سَخا يسخو وسخي يسخي سخاء: جاد.
- (٧) أسوم: مضارع سام: أي كلفه إياه والزمه به.
- (٨) الشُّوون: منابع الدموع في الرأس.

هذا موضعُ دموعِ أبيك .

وكان (حسانُ بن أبي سنان) يحضر مجلسَ مالك بن دينار، فيبكي حتى يبلّ ما بين يديه، ولا يُسمَعُ له صوتٌ .
(للمتنبي) ^(١) :

أجابَ دُمعي وما الداعي سوى طَلَلٍ دعاةُ فلبّاهُ قبلَ الركبِ والإبلِ
ظَلَلْتُ بينَ أَصِيحابي أَكْفِكُفُهُ فظلَّ يسفحُ بينَ العُذْرِ والعَذَلِ
وما صَبابةُ مشتاقٍ على أَمَلٍ من اللقاءِ كمشتاقٍ بلا أَمَلٍ

دموعُ المحبين عُدران في صحارى الشوق، من عادة القوم إلفُ البراري،
والجلوس إلى الشجر، فإن سمعوا هتاف الحمام استغنوا عن نائح .

شوقي إليك مُجاوِزٌ وصفي وظهورٌ وجديّ دونَ ما أخفي
ما دارَ ذكْرُ منك في خَلدي إلا طَرَفْتُ ^(٢) بِمَدْمَعِي طَرْفِي

إذا تمكّنتِ المحبةُ استحالة السُّلُو ^(٣)، تعلقْتُ يدُ المحبة بتلاييبِ القلبِ فلا
يمكنه التخلُّصُ، فيدور معها في دارِ المُداراة .

لِيَكْفِكُمْ ما فيكمُ من جوى نلقى فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقاً
وحرمةِ وَجدي لا سلَوْتُ هواكمُ ولا رُمْتُ منه لا فِكَاكاً ولا عِتْقاً

وهل للمحبِّ قلبٌ، هيهات! مزقته المحبة، برائن أسودٍ في شِلْوٍ ^(٤) ضعيفٍ
على شدة جذب مع دوام التقليل .

إن تَرَحَّلْتَ أو أَقَمْتَ فَعِندي فيضُ دمعٍ يجزي وَوَجْدُ مقيمٍ
وفؤادي ذاك الفؤادُ الْمُعْتَسَى وغرامي ذاك الغرامُ القديمُ

انكشفَ اليومَ السُّرُّ، افتضحَ العاصي والعارف .

(١) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عام (٣٤٢هـ) . انظر : الديوان ، ص ٣٢٨ .

(٢) طرفت : أصبت عيني بشيء فدمعت .

(٣) السُّلُو : النسيان .

(٤) شلو : عضو .

(لتوبة):

خليلِيَّ قد عمَّ الأسى وتقاسمتُ فنونُ اليلَى عشاقَ ليلَى ودورها
وكنْتُ إذا ما جئتُ ليلَى تَبَرَّقَعْتُ فقد رابني منها الغداةُ سفورها

وقع الحريقُ في زوايا المجلس ، رُشُّوا عليه من مَزَادٍ^(١) الدمع .

يا كثيفَ الطبع ، بَيضُ الحَمَامِ يَفَرِّقُ من صوتِ الرعدِ ولا حسَّ له ، أُنمِيتُ
أنت وهذه الصواعق حولك ١٢ .

لو رأيتَ المحبينَ في مَأْتَمِ الذلِّ وقد شَقَّقَتْ جيوبُ الوصالِ
لعذرتَ الذي يُلِيَّ يَفراقِ وَرَجِمْتَ المُحِبَّ في كُلِّ حالِ

هبتِ اليومَ نسمةٌ من أرضِ كنعانَ إلى مصر ، غَثَّتْ حماماتُ اللوى في أرضِ
نجد ، تنفَّسَ المشتاقُ ، فانقشَعَ غيمُ الهجر ، سعى سمسارُ المواعظ في الصلح .

(للغزّي):

هبتَ لنا وبرودُ الليلِ أَسْمالُ مرَّت بسفحِ اللوى والشيحُ مُتَشَحِّ
مريضةٌ في حواشي مُرْطَها بَلَلُ مريضةٌ في حواشي مُرْطَها بَلَلُ
دغ جَمْرَةٌ لسويدا القلبِ محرِقةٌ دغ جَمْرَةٌ لسويدا القلبِ محرِقةٌ
حَدَّثْتُ عن منحني الوادي وساكنه حَدَّثْتُ عن منحني الوادي وساكنه
وامزُجْ بماءِ المُنَى ما قلتَ من خيرٍ وامزُجْ بماءِ المُنَى ما قلتَ من خيرٍ

* * *

(١) مزاد : جمع مزادة : الراوية يُحمل فيها الماء .

(٢) الجرباء : الأرض المقحوظة لا شيء فيها .

(٣) معطال : المرأة اعتادت ترك الحلي ، ويشير إلى خلو الأرض من حلية النبات .

(٤) إبلال : الخروج من المرض .

(٥) جريال : خمر دون السُلاف في الجودة .

الفَصِيلَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

إخواني! شحمُ المنى هزال، وشراب الآمال سرابٌ [وآل] ^(١)، ولذاتُ الدنيا منامٌ وخيال، وحربها قتل بلا قتال.

والمرءُ يَبْلِيهِ في الدنيا وَيُخْلِقُهُ جِرْصٌ طَوِيلٌ وَعُمْرٌ فِيهِ تَقْصِيرٌ
يَطْوِقُ النَحْرَ بِالْأَمَالِ كَاذِبَةٌ وَلَهْذَمٌ ^(٢) الْمَوْتِ دُونَ الطَّوْقِ مَطْرُورٌ ^(٣)
جَذْلَانُ يَسُومُ فِي أَشْرَاكِ مِيتِهِ إِنْ أَفَلَتَ النَّابُ أَرْدَتُهُ ^(٤) الْأَظَافِيرُ

تَيَقَّظْ لِنَفْسِكَ، وَاذْكُرْ زَوَالَكَ، وَدَعْ الْأَمَلَ وَلَوْ طَوَى الدُّنْيَا وَزَوَى لَكَ،
فَكَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ قَدْ حَتَرَكَ وَأَبْدَى كَلَالَكَ ^(٥)، وَنَسِيكَ الْحَبِيبَ، لِأَنَّهُ أَرَادَكَ لَهُ لَا
لَكَ، وَخَلَوْتَ تَبْكِي خِلَالَكَ ^(٦) فِي زَمَانٍ خَلَا لَكَ، وَشَاهَدْتَ أَمْرًا فَظِيْعًا أَفْطَعَكَ
وَهَالَكَ، تَوَدُّ أَنْ تَفْتَدِيَهُ بِالْأُنْيَا لَوْ أَنَّهَا لَكَ، فَتَنْبَهُ مِنْ رُقَادِ الْهَوَى لِمَا هُوَ أَوْلَى لَكَ،
وَاحْذَرِ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُكَ أَعْمَى لَكَ، وَأَفْعَالُكَ كَالْأَفْعَى لَكَ.

لو كان لك باعثٌ من نفسك، ما احتججتَ إلى محرِّكِ من خارج، هذا الديك
يصيحُ في أوقاتٍ معلومةٍ من الليل لا تختلفُ، يؤدِّي وظائفها ببيعِ الطبع وإن لم
يكن في القرية ديكٌ غيره، وأنتَ تؤخِّرُ وظائفَ صلواتك، وتنقص من واجباتك
عباداتك، فإن بكيتَ في المجلس فليبكاءِ الجماعة، فإذا خَلَوْتَ خَلَوْتَ ^(٧) من
محرِّكِ.

(١) الآل: السراب. ما بين معقوفتين زيادة.

(٢) لهزم: من الأسنة القالع.

(٣) مطرور: من طرَّ الشيء: شقه وقطعه؛ أي: مقطوع بمعنى قاطع.

(٤) أزدتته: أهلكته.

(٥) كلالك: ضعفك.

(٦) خِلَالَكَ: صفاتك.

(٧) خلوت الأولى: انفردت. وخلوت الثانية: فرغت.

هيهات! من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ، إذا لم يكن
للدجاجة همّة للحضن لم تنفع تغطيتها بمنخل الحاضن، تصائر الشقاء لما تأمل
من العواقب، والرّعناء^(١) تكسر البيض قصداً.

الخصائص أوضاع، والسوابق خواص «هؤلاء في الجنة ولا أبالي،
وهؤلاء في النار ولا أبالي»^(٢). المغناطيس يجذب الحديد بخاصية فيه. الظليم^(٣)
يبتلع الحصى والحجارة فيذيبها حرّ قانصته^(٤) حتى يجعلها كالماء الجاري، ولو
طبخ ذلك بالنار لم يتحلّ، ذنب الجرادة يشقّ الصخرة وليس بالقوي، إبرة
العقرب تنفذ في الطست^(٥). خرطوم البعوضة يغوص في جلد الجاموس. من
تعلّق عليه برادة الحديد لم يغطّ في نومه. إذا ترك الرصاص أو الزئبق في تنور
سقط الخبر كله، فإن ترك الرصاص في قدر لم ينضج اللحم. إذا كان الزعفران في
دار لم يدخلها ورغة^(٦). إذا دُفِن الحديد في الدقيق زال عنه الصدأ. إذا ترك سراج
على شيء في نهر سكنت ضفادعه. إذا دُفنت ذبّة في قرية لم تدخلها الذئاب. إذا
نظر صاحب الثآليل إلى كوكب ينقصر فمسح بيده حينئذ على ثآليله ذهب^(٧). إذا
عسرت الولادة فصاحت المرأة بكراً: يا فلانة! أنا جارية عذراء وقد ولدت وأنت
لم تلدي، ولدت في الحال، للنملة فضل جس في الشم تدرك الأرياح البعيدة.

لما شقّ ختام نافجة^(٨) النبوة ملأ ريحها الأرض، فاستنشقها أهل العافية،
فوصل إلي خياشيم سلمان في فارس، وصهيب في الروم، وبلال في الحبشة،
وكان ابن أبي مزكوماً فما نفعه قرب الدار.

كم من نفس دخلت مجلسي، وهي حامل جنين الإصرار، فلما استنشقت
ريح المواعظ أسقطت.

(١) الرّعناء: مؤنث أرعن، وهي الهوجاء في المنطق.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٢٣٩/٥.

(٣) الظليم: ذكر النعام.

(٤) القانصة: كالمعدة للإنسان.

(٥) الطست: إناء كبير مستدير من نحاس.

(٦) ورغة: سام أبرص (للذكر والأنثى).

(٧) لعل هذا من المجربات عندهم، وإن لم يثبت علمياً.

(٨) النافجة: وعاء المسك في جسم الطي.

أيها التائب مَنْ حَرَّكَكَ؟ وقد كان تحريك الجبلِ دونَ إزعاجك! ﴿صَنَعَ اللَّهُ
الَّذِي أَنْقَذَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] ، أتدرون هذا التائب لِمَ انزعج؟ أما تجدون في
نَفْسِهِ حَزَّ وَهَجَّ؟

صبا ^(١) لنسيم الصِّبَا إِذْ نَفَحَ	وَأَرْقَهُ لِمَخْ بَرْقٍ لَمَخَ
وَأَذْكَرَهُ عَيْشَةً بِالْحَمَى	وَعَهْدًا تَقَادَمَ سِرْبٌ سَنَحَ ^(٢)
فَحَنَّ إِلَى السَّفْحِ سَفْحَ الْعَقِي	فَسَحَّ لَهُ دَمْعُهُ وَانْسَفَحَ
وَكُنْ كَتُومًا لَسِرِّ الْهَوَى	وَلَكِنْ جَرَى دَمْعُهُ فَانْتَضَخَ
فَدَعَا يُنَادِي طُلُوعَ الْجَمَى	وَيَسْأَلُ رَامَةً عَمَّنْ نَزَخَ

يا غائبا عنا وهو حاضر! أما لك ناظرٌ ناظرٌ^(٣)؟! أما دموعُ الوجدِ قد ملأت
المحاجر؟! أف لبُدوي لا يطربه ذكر حاجر^(٤)، أقل أحوال الزَّمنِ^(٥) أن يبكي إذا
رأى المُشاة، انظر إلى التائبين وحُرِّقهم، والتفت إلى العارفين وقلِّقهم.

اسْمَعْ أَنِينَ الْعَاشِقِينَ	إِنْ اسْتَطَعْتَ لَهُ سَمَاعَا
رَاحَ الْحَبِيبُ فَشَيَّعَتْهُ ^(٦)	مَدَامْعُ تَجْرِي سِرَاعَا
لَوْ كَلَّفَ الْجَبَلُ الْأَصْمُ	فِرَاقَ الْإِفِّ مَا اسْتَطَاعَا

كلما بكى الخائفون أزعجونني، وكلما استغاث الواجدون ألففوني.

وَأَنِّي لِمَجْلُوبٌ لِي الشَّوْقُ كُلَّمَا	تَنَفَّسَ بِأَكٍ أَوْ تَأَلَّمَ ذُو وَجْدٍ
تَعَرَّضَ رُسُلُ الشَّوْقِ وَالرَّكْبُ هَاجِدٌ ^(٧)	فَأَيْقُظُنِي مِنْ بَيْنِ نَوَامِهِمْ وَجْدِي

(١) صبا: مال.

(٢) سرب: قطع من الغطاء. سنح: عرض.

(٣) ناظر الأولى: العين. وناظر الثانية: بمعنى ترى.

(٤) الحاجر: واد بين بلاد عذرة وغطقان لبني سليم، ويقال كذلك عن منبت الزَّمن، وهو كذلك منزل للحاج في البادية.

(٥) الزَّمن: الذي أفعده المرض.

(٦) فشيعته: شيع فلاناً: خرج معه ليوذعه ويبلغه منزله.

(٧) هاجد: نائم.

يا صبيان التوبة! أَرْفُقُوا بِمَطَايَا أَبْدَانِكُمْ فَقَدْ أَلْفَتِ التَّرَفَ ﴿ وَلَا تُضَاوِرُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ [الطلاق: ٦] .

هَبَّ لَهَا مِنَ النِّسِيمِ رَائِدُ	فَعَادَهَا مِنَ الْغَرَامِ عَائِدُ
نُوقَ نَفَى عَنْهَا الْجَحْمَى طَيْبَ الْكَرَى	فَهِيَ كَمَا شَاءَ الشُّرَى سَوَاهِدُ ^(١)
أَنْحَلَهَا تَحْتَ الدَّوُوبِ أَيْنُهَا	فَمَارَتِ الْأَنْسَاعُ ^(٢) وَالْقَلَائِدُ
فَلَا تَخَالِفُهَا إِذَا مَا التَّفَكَّتْ	شَوْقاً إِلَى بَانَ الْحَمَى يَا قَائِدُ
وَقُلْ لَهَا لَعَا ^(٣) إِذَا مَا عَثَرَتْ	فَهِيَ لِحِمْلٍ وَجَدَهَا تُكَابِدُ
مَذْ حَكَمَ الْيَنُّ عَلَيْهَا لَمْ تَزَلْ	تَبْكِي عَلَيْهَا الْيَدُ وَالْفِدَا فِدُ ^(٤)

يا صبيان التوبة! للنفسِ حظٌّ وعليها حقٌ ﴿ فَلَا تَعْمِلُوا كُلَّ الْعَمَلِ ﴾ [النساء: ١٢٩] ، خذوا ما لها ، واستوفوا ما عليها ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الإسراء: ٣٥] ، فإن رأيتم من النفوس فتوراً ، فاضربوهن بصوت الهجر ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٣٤] ، عَلَى أَنِّي أَوْصِي صَبِيانَ التَّوْبَةِ بِالرَّفْقِ ، وَبَعِيدٌ أَنْ يَقَرَّ خَائِفٌ أَوْ يَسْمَعَ الْعَذْلَ مُحِبٌّ .

لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَرَى فِي طَرِيقِي	سَعَةً تُفْسِحُ كَرْبَ الْمَضِيقِ
قَدْ رَمَانِي الْحُبُّ فِي لُجٍّ بِحَرِّ	فَخُذُوا يَا قَوْمَ كَفِّ الْغَرِيقِ
حَلٌّ عِنْدِي حُبُّكُمْ فِي شِغَافِي ^(٥)	حَلٌّ مِنِّي كُلُّ عَقْدٍ وَثِيقِ
عَفْتُ دُنْيَايَ اشْتِيَاقاً إِلَيْكُمْ	وَتَسَاوَى خَامُهَا وَالْدَبِيقِي ^(٦)
وَرَفَضْتُ الْكُلَّ شَغْلاً بِوَجْدِي	فَانْجَلَى لِي كُلُّ مَعْنَى دَقِيقِ

(١) سواهد: جمع ساهدة: قلقة أرقه .

(٢) الأنساع: جمع نسع ، وهو سير عريض طويل تشد به الحقائق ونحوها . ومارت: تحركت وتدافعت .

(٣) لعا: من لَعَّ ، كلمة تقال للعائر مرة أو مرتين : أقالك الله من عثرتك .

(٤) الفدائد: جمع فدند ، وهي الصحراء الواسعة .

(٥) شغافي: الشغاف: سويداء القلب وحبته .

(٦) دبيقي: ثياب تنسب إلى (دبيق) قرية في مصر .

يا صديقي! عندي اليوم شغلٌ فآلهُ عني واشتغلُ يا صديقي
بيدَ إنْ تذكُرْ لي حبَّ قلبي فأعِدْ ذِكرهمُ يا رفيقي
غصَّني الشوقُ إليهم بِريقي وأحريقني في الهوى وأحريقني

* * *

الفصل الخامس والأربعون

إخواني! البدار البدار، فما دار الدنيا بدار، إنما هي حلبة لجريان الأعمار، وكم تبقى الفريسة بين النيوب والأظفار.

ما دار دُنْيا للنعيم بدار
ما بينَ ليلٍ عاكفٍ ونهاره
طولُ الحياة إذا مضى كقصيرها
والعيش يُعقِبُ بالمرارة حُلوه
وكانما تقضي بنيات الردى
ويروقنا زهرُ الأمانى نضرة
والمرء كالطيفِ المُطيفِ وعُمُرُه
خطبٌ تضاءلت الخطوبُ لهولِه
تلقى الصوارمُ والرماحُ لهولِه
إنَّ الذينَ بنَوْا مَشِيداً وانثنَوْا
سُلبُوا النضارة والنعيمَ فأصبحوا
تركوا ديارهم على أعدائهم
خلطَ الجِمامُ قوِيَّتهم بضعيفهم
والدهرُ يُعجلنا على آثارهم
وتعاقبُ المَلَوِين^(١) فينا نائِرُ

وبها النفوسُ فريسةُ الأقدارِ
نفسانِ مُرتشفانِ للأعمارِ
والْيُسْرُ للإنسانِ كالإعصارِ
والصفو فيه مخالِفُ الأكدارِ
لفنائنا وطراً من الأوطارِ
هدمُ الأمانى عادةُ المِقْدارِ
كالنومِ بينَ الفجرِ والأشجارِ
أخطاره تعلو على الأخطارِ
ونلوذُ من حربٍ إلى استشعارِ
يسعونَ سعيَ الفاتِكِ الجبارِ
مُتوسِّدينَ وسائدَ الأحجارِ
وتوسَّدُوا مَدَراً بغيرِ دثارِ
وغنيَّهم ساوى بذى الإقتارِ
لا بدَّ من صبحِ المُجدِّ الساري
بالكرِّ ما نظَّما من الأعمارِ

تالله ما صَحَّ مَنْ يطلُبُه مرضُه، ولا سُرَّ مَنْ بمسيره حُلَّ غرضُه، ولا استقامَ غصنٌ يُلويه كاسرُه، ولا طابَ عيشُ الموتِ آخره، إنَّ الطمعَ لعذابٌ، وحديثُ الأملِ كذَّابٌ، وفي طريقِ الهوى عقابٌ^(٢)، وآخر المعاصي عقابٌ، فلا يخذعَنَّكَ

(١) المَلَوِين: الليل والنهار.

(٢) عقاب: جمع عقبة، مرقى صعب في الجبال.

ضياءُ ضباب، لا يطمَعَنَّكَ شرابُ سَراب، فمجيءُ الدنيا على الحقيقة ذهابٌ،
وعمارَةُ الفاني إن فهمت خراب، وفرحُ الغرورِ ثبورٌ واكتئاب، ودنوُّ الشيبِ
ينسخُ صبا الشباب، وكلما نادى الأمل ﴿أَتَلَقُّهُ مَأْمَتٌ﴾ [التوبة: ٦]، صاح الأجل
﴿فَقَرَّبَ الرِّقَابَ﴾ [محمد: ٤] .

يا تائهاً في ظلمةِ ظلمه، يا موعلاً في مفازة تيهه، يا باحثاً عن مُذِيَّةِ حَتفه،
يا حافراً رُيَّة^(١) هُلِكِه، يا مُعمِّقاً مَهوأةَ مصرعه، بشس ما اخترت لأحبِّ الأنفسِ
إليك .

ويحك ! تطلب الجادة ولست على الطريق، كم فغر الزمانُ بوعظه قماً، فما
سمعت ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] .

كيف تطيبُ الدنيا لمن لا يأمن الموتَ ساعةً، ولا يتمُّ له سرورُ يومٍ؟! .
إذا كان عمرُكَ في إِدبار، والموتُ في إقبال، فما أسرعَ الملتقى ! لقد نُصِبَتْ
لك أشراكُ الهلاك، والأنفاسُ أدقُّ الحبال .

يا ماشياً في ظُلمة ليل الهوى لو استضأت بمصباح الفكر فما تأمنُ من بثر
بوار، الشهوات مبثوثة في طريق المتقين، وما يسلمُ من شرِّها شريرة .

الأولياء في حرم التقوى ﴿وَيَخْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] .
الدنيا مثلُ مَنَام، والعيشُ فيها كالأحلام .

قيل لنوح عليه السلام: يا أطولَ النبيينَ عُمرًا ! كيف وجدتَ الدنيا؟ .

قال: كدارٍ ذاتِ بابَين، دخلتُ من بابٍ وخرجتُ من بابٍ .

فلما تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَثْ لَيْلَةً مَعَا

يا ثَقِيلَ النومِ أَمَا تُنَبِّهُكَ المزعجاتُ؟ الجنةُ فوقك تُزَخَرُفُ، والنارُ تحتك
تُوقَدُ، والقبرُ إلى جانبك يُحْفَرُ، وربما يكونُ الكفنُ قد عُزِلَ .

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم؟!

(١) الرِيَّة: حفرة تحفر للأسد، كانوا يحفرونها في موضع عال .

يا حاضراً يرى التائبين وهو في عِداد الغائبين ، واقفٌ في الماء عطشانٌ ، ولكن ليس يُسقى ، عاتِبٌ نفسك على هواها فقد وَهاها^(١) ، قل لها : أَدْرَجِي دَرَجَ المدرج وقد لاحت منى ، لا يوقفنَّك في الطريق طاقةٌ من أم غيلان^(٢) ، فالخَبْطُ^(٣) في المنزل مهَيُّو لك ، تَلَمَّحْ عواقِبَ الهوى يهنُ عليك التَّزُكُّ ، تَفَكَّرْ في حالِ (يوسف) لو كان زَلَّ مَنْ كان يكون؟ هل كانت إلا لذة لحظوة وحسرة الأبد؟ عَبَرْتُ والله أجمال^(٤) الصبرِ سليمةً من مَكْسٍ^(٥) ، وبقيت مديحة ﴿ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] .

يا هذا ! احسب صبرَ يومك ساعة نومك ، تحظّ في غدك برغدك ، البدارُ إلى الشهوات والندامة فَرَساً رهان ، والتواني عن التوبة والخيبة رضيعاً لبان^(٦) ، وا عجباً ! غَرَّتْكَ حَبَّةُ فُحْ فحصلت وما حَوَّصَلَتْ^(٧) ، اليومُ وا طرباً للكاس ، وغداً واحرباً للإفلاس . آه من حلاوة لُقْمٍ أورتت مرارة نَقَم .

تأملُ العاقبة لا يحصلُ إلا لناقِدٍ بصير ، مَنْ تَلَمَّحَ إذا تلا ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، وعرف قدر مدح ﴿ فَأَتَتْهُنَّ ﴾ ، علم أنه لم يُبْنَى في فيه شيئاً من مرارة البلى مرارة ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَى ﴾ .

صَبَّجَتِ الملائكةُ حين همُّوا بإلقائه في النار ، فقالوا : ائذن لنا حتى نُطْفِئَ عنه ، فقال تعالى : إن استغاثَ بكم فأغيثوه ، وإلا فدعوه ، فلما ألقى عرضَ له جبريل عليه السلام ، وهو يهوي في الهواء ، فأراد أن ينظرَ هل للهوى فيه أثر؟ فقال : أَلَيْكَ حاجة؟ قال : أمّا إليك فلا ، فأقبلَ بمنشور ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم : ٣٧] .

-
- (١) وهاها : أضعفها .
 - (٢) أم غيلان : شجر الشَّوْر .
 - (٣) الخبط : ما يسقط من الشجر بالضرب .
 - (٤) أجمال : جمعُ قَلوةٍ لجمل .
 - (٥) مكس : ما يأخذ العشار ضريبة ممن يدخل البلد من التجار .
 - (٦) رضيعاً لبان : تريان وقرينان .
 - (٧) فحصلت : الحاصل : سف القرمس التراب من البقل فيجتمع منه تراب في بطنه فيقتله ، وهو من أدواء الخيل . وحوصلت : حوصل : ملأ بطنه .

قَالَتْ لِطَيْفٍ خَيَالٍ زَارَهَا وَمَضَى :
فَقَالَ : خَلَّفْتُهُ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمًا
قَالَتْ : صَدَقْتَ ، الْوَفَافِي الْحُبُّ عَادَتُهُ
بِاللَّهِ صِفُهُ وَلَا تُنْقِصَنَّ وَلَا تَزِدِ
وَقُلْتُ : قَفْ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدْ
يَا بَرْدَ ذَاكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كَبْدِي

* * *

الفصل السادس والأربعون

يا مجتنباً من الهدى طريقاً واضحاً، افتح عين الفكر تر العلم لائحاً، احذر الغفلة فكم غال ماتحاً^(١)، وتوق بحر الجهل فكم أغرق سابحاً.

يا غادياً في غفلة ورائحاً إلى متى تستخسِنُ القبائح
وكم إلى: كم لا تخاف موقفاً يستنطقُ الله به الجوارح
يا عجباً منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ في غد صحيفة قد حوت الفضائح
وكيف ترضى أن تكون خاسراً يوم يفوز من يكون رابحاً

يا معدوماً في الأمس، فانياً في الغد، عاجزاً في الحال! من أنت حتى تغتر
بسلامتك، وتنسى حثفك؟ وأملك بين يديك، وأجلك خلفك، وكتابك قد حوى
تفريطك، كم نهيت عن أمر؟ فما كفك النهي أن تبسط كفك.

يا من قد طال زلله وتعثيره، تفكر في عمر قد مضى كثيره، يا قلباً مشتتاً قد
قل نظيره، كم هذا الهوى؟ ولكم هوى أسيره؟.

أيها القاعد عن أعالي المعالي، سبق الأبطال، والبطل ما يبالي، ستعرف
خبرك يوم عتابي وسؤالي، وستقول عند الحساب: ما لي وما لي، أعمالك إذا
تصفح لهُواك لآلي، لو أثر فيك وعظي ومقالي، لكنت لحر الحشرات على حر
المقالي.

(للمتنبى):

إلى أي حين أنت في زيٍ محرم وحتى متى في شقوة وإلى كم

(١) غال: أهلك. ماتحاً: اسم فاعل من متح، والمتح: جذب ورشاء الدلو، واستخراج الماء.

فإِلَّا تَمُتْ تَحْتَ السِّوْفِ مَكْرَمًا تَمُتْ وَتَقَاسِي الدُّلَ غَيْرَ مَكْرَمٍ
فَتَبْ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَثَبَةً مَا جِدَ يَرَى الْمَدَّ سَوَتْ فِي الْهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الْفَمِ
ويحك! إنما يكونُ الجهادُ بين الأمثالِ، ولذلك مُنِعَ مِنْ قَتْلِ النِّسَاءِ
وَالصِّبْيَانِ، فَأَيُّ قَدَرٍ لِلدُّنْيَا حَتَّى يَحْتَاجَ قَلْبُكَ إِلَى مُحَارِبَةٍ لَهَا؟!

أما عَلِمْتَ أَنَّ شَهَوَاتِهَا جَيْفٌ مَلَقَاءٌ، أَفَتِيَحْسُنُ بِيَاشِقِ^(١) الْمَلِكِ أَنْ يَطْبِرَ عَنْ
كَفِّهِ إِلَى مَيْتَةٍ؟ مَهَلًا ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨].

لو عَلِمْتَ أَنَّ لَذَّةَ قَهْرِ الْهَوَى أَطْيَبُ مِنْ نَيْلِهِ لَمَا غَلَبَتْكَ، أَمَا تَرَى الْهَرَّةَ
تَتَلَاعَبُ بِالْفَأْرَةِ وَلَا تَقْتُلُهَا لِيَسِينَ أَثَرُ اقْتِدَارِهَا؟! وَرَبِّمَا تَغَافَلْتَ عَنْهَا، فَتَمْنَعُ الْفَأْرَةُ
فِي الْهَرَبِ فَتُثْبِتُ فَتُدْرِكُهَا وَلَا تَقْتُلُهَا إِثَارًا لِلذَّةِ الْقَهْرِ عَلَى لَذَّةِ الْأَكْلِ.

مَنْ ذَبَحَ حَنْجَرَةَ الطَّمَعِ بِخَنْجَرِ الْيَأْسِ أَعْتَقَ الْقَلْبَ مِنْ أَسْرِ الرَّقِّ.

مَنْ رَدَّمَ خَنْدَقَ الْحِزْصِ بِسِكْرِ^(٢) الْقَنَاعَةِ ظَفَرَ بِكَيْمِيَاءِ السَّعَادَةِ.

مَنْ تَدَرَّعَ بِدَرَعِ الصَّدْقِ عَلَى بَدَنِ الصَّبْرِ هَزَمَ عَسْكَرَ الْبَاطِلِ.

مَنْ حَصَدَ عُشْبَ الذُّنُوبِ بِمَنْجَلِ الْوَرَعِ طَابَتْ لَهُ رَوْضَةُ الْإِسْتِقَامَةِ.

مَنْ قَطَعَ فُضُولَ الْكَلَامِ بِشَفْرَةِ الصَّمْتِ وَجَدَ عَذُوبَةَ الرَّاحَةِ فِي الْقَلْبِ.

مَنْ رَكِبَ مَرْكَبَ الْخَوْفِ مَرَّتْ بِهِ رِخَاءُ الْهَدْيِ إِلَى أَرْجَاءِ النِّجَاةِ.

مَنْ أَرَسَى عَلَى سَاحِلِ الْخَوْفِ لَاحَتْ بِهِ بِلَادُ الْأَمْنِ.

أَلَا عَزِيمَةٌ عُمْرِيَّةٌ، أَلَا هَجْرَةٌ سَلْمَانِيَّةٌ، جَاءَتْ بِمَرْكَبِ عَمْرِ جَنُوبُ الْمَجَانِبَةِ
لِلْحَقِّ إِلَى دَارِ الْخَيْرَانِ، فَلَمَّا فُتِحَ لَهُ الْبَابُ انْقَلَبَ شِمَالًا، مَدَّ يَدَهُ لَتَنَاوُلِ خَمْرِ
الْفَتَنِ، فَاسْتَحَالَتْ فِي الْحَالِ خَلًّا، جَاءَ وَكَلَهُ كَدْرًا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصِّفَا صَفَا، كَانَ
مَاءُ قَلْبِهِ لِمَا جَنَى مِلْحًا أَجَاجًا فَلَمَّا تَلَقَّاهُ النَّذِيرُ بِالْعَذَابِ عَذَّبَ.

يَكُونُ أَجَاجًا دُونَكُمْ فِيمَاذَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلْقَى طَيْبِكُمْ فَيَطِيبُ

(١) يَاشِقُ: الْجَارِحُ مِنَ الطَّيْرِ يَصَادُ بِهِ.

(٢) سِكْرُ: السُّكْرُ مَا يَسُدُّ بِهِ.

سَقِمَ قَلْبُ سَلْمَانَ مِنْ مَعَانَاةِ أَمْرَاضِ الْمَجُوسِ ، فَخَرَجَ إِلَى أَوْدِيَةِ الْأَدْوِيَةِ ،
فَالْتَقَطَتْهُ يَدُ ظَالِمٍ وَمَا عَرَفَتْ ، فَهَانَ عَلَى يَوْسُفَ الْبَيْعِ لِيَلْقَى الْعَزِيزَ ، فَبَيْنَا سَلْمَانُ
عَلَى نَخْلَةٍ يَخْتَرِفُهَا^(١) ، قَدِمَ مَخْبِرٌ بِقُدُومِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَتَزَلَّ
لِيَصْعَدَ ، وَصَاحَ بِهِ : حَدِّثْنِي .

نَزَلُوا جِبَالَ تِهَامَةٍ فِالْأَجْلِهِمْ يَهْرَى الْفَوَاذُ تِهَامَةً وَجِبَالَهَا
يَا صَاحِبِي قِفَا عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا أَسْقِي بِوَاكِفٍ عَبَّرْتَنِي أَطْلَالَهَا

وَاعْجَبَا ! أَطْلُبُ الشَّجَاعَةَ مِنْ حَسَّانٍ^(٢) ، وَأَسْأَلُ عَنِ الْهَلَالِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ،
وَأَتْلُو سُورَةَ يَوْسُفَ عَلَى رُوَيْبِلٍ ، وَأَسْتَمْلِي الْفَصَاحَةَ مِنْ بَاقِلٍ ، وَأَنْتَظِرُ الْوَفَاءَ مِنْ
عُرْقُوبٍ^(٣) ، لَقَدْ رَجَعْتُ إِذْنُ بِخُفِّي حُنَيْنٍ .

يَا مِنْ نَقْذِهِ مَرْدُودٍ ، وَعَقْلُهُ مَحْلُولٌ ، نَيْتُكَ فِي الْخَيْرِ نَيْتٌ^(٤) ، لَوْ أَنْضَجْتَهَا
نِيرَانُ خَوْفٍ أَوْ شَوْقٍ لَانْتَفَعَتْ بِهَا .

وَلِي قَوَادِمُ لَوْ أَنِّي جُذِبْتُ بِهَا لِأَنْهَضْتَنِي وَلَكِنْ أَفْرُخِي زُغْبُ
عَمَضَ عَيْنَيْكَ عَلَى الدَّوَاءِ يَعْمَلُ ، وَافْتَحَهَا لِرُؤْيَا الْهَدْيِ تُبْصِرُ ، حَجَرُ
الْمَعْصِيَةِ يُطْحَطُ^(٥) إِنْاءَ الْقَلْبِ ، وَضَبَّةُ التَّوْبَةِ شِعَابٌ^(٦) .

يَا مِنْ عَزْمِهِ فِي الْإِنَابَةِ جَزْرٌ بِلَا مَدٍّ ، وَقَفَتْ سَفِينَةُ نَجَاتِكَ ، لَيْلٌ كَسَلِكَ قَدْ
طَبَّقَ آفَاقَ التَّرَدُّدِ ، وَقَدْ طَلَبْتُ فِيهِ أَطْيَارَ الْهَمَةِ أَوْكَارَ الدَّعَاةِ ، فَلَوْ قَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ

(١) يَخْتَرِفُهَا : يَجْنِي ثَمَارَهَا .

(٢) مَا يَنْسَبُ إِلَى سَيِّدِنَا حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَاعِرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَبِينٍ لَا يَثْبِتُ عِنْدَ
الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَبِنَظَرَةٍ عَامَةٍ فِي دِيْوَانِ شِعْرِهِ يَجِدُ الْقَارِئُ الدَّلَائِلَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي
تَدُلُّ عَلَى شَجَاعَتِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِهِ .

(٣) عُرْقُوبٌ : رَجُلٌ مِنَ الْعَمَالِقَةِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي خَلْفِ الرُّعْدِ ، يُقَالُ : «مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ» .

(٤) نَيْتٌ : أَيُّ نَيْتَةٍ : كُلُّ شَيْءٍ شَأْنُهُ أَنْ يَمَالَجَ بِطَبِخٍ ، أَوْ شَيْءٌ فَلَمْ يَنْضَجْ .

(٥) تَطْحَطُ : تَطْحَطُ الشَّيْءُ : كَسَرُهُ وَبَدَدُهُ إِهْلَاكًا .

(٦) الضَّبَّةُ : حَدِيدَةٌ عَرِيضَةٌ تَضْرِبُ بِهَا الْكُسُورُ . شِعَابٌ : مِنْ : شَعَبَ الْمَكْسُورَ ؛ أَيُّ : لَمْ
وَإِصْلَاحِهِ .

العزيمة في نهارِ اليقظة لا تَبُثَّ عالمُ النشاط في صحراءِ المجاهدة.

يا صبيانَ التوبة! تزودوا للبادية، تأهبوا للحاجر^(١)، أنجلوا الإبلَ قبل زُرود،
ولا تَنَسُوا وقتَ تناول الزادِ جمالكم.

علاقةٌ لي من هوى وودي	بين العقيقِ والكثيبِ الفردِ
يومَ النوى عن قلقي ووجدي	سلْ هضباتِ الرَّمْلِ مِنْ جِزْعِ اللُّوى
بَسَاكُنِي نَجْدٌ وأَرْضُ نَجْدِ	واستخبرِ الأنجمَ عن صَبَابَتِي
وليسَ عندَ علَلِذلي ها عُنْدِي	فَمَنْ مُجِيرِي وبِمَنْ أَسْتَعْدِي

* * *

(١) حاجر: واد بين بلاد عنزة وغطفان لبني سليم، ويقال كذلك عن منبت الرُّمُث، وهو كذلك منزل للحاج في البادية.

الفصل السابع والأربعون

وا عجباً لنفس تُدعى إلى الهدى فتأبى ! ثم ترى خطأها بعين الهوى صواباً،
كم أذهبتَ زَمَناً وكم أفنتَ شباباً ! وكم سوّدتَ في تبييض أغراضها كتاباً ! .

أَبَتْ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا فَمَا أَتَابَتْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ نَفْسٍ طَغَتْ وَأَبَتْ
أَجَابَتْ النَّصِيحَ لَكِنْ سَيئاً جَلَبَتْ جَابَتْ لِي الشَّيْبَ أَوْقَاتَ الشَّبَابِ فَمَا
وَكَمْ أَرَابَتْ^(١) وَرَابَتْ ثُمَّ مَا رَابَتْ^(٢) خَانَتْ فَخَابَتْ وَمَا طَابَتْ وَلَا سَعَدَتْ
وَلَوْ تَوَفَّقْتُ أَمْسْتُ لِلتَّقَى دَابَتْ^(٣) ودَابَّهَا فِي أُمُورٍ غَيْرِ نَافِعَةٍ
خَطْبٌ إِذَا هِيَ فِي غَيْرِ التَّقَى وَثَبَتْ^(٤) هَمَّتْ بِخَيْرٍ فَلَمْ تَعِزْ وَرِيئَتْهَا^(٥)
لِكُلِّ طَرَفٍ سَرَى عَنْهُ الْكَرَى لَحِبَتْ^(٦) أَمَا طَرِيقَ الْمَعَالِي فَهِيَ وَاضِحَةٌ
عَلَى رِكَائِبَ عَنْ مَعْرُوفِهَا نَكِبَتْ^(٧) وَالْعَالَمُونَ جَمِيعاً عَالَمُونَ بِهَا
عِلَامَ جُمُعَتِ الْأَجْنَادُ وَاحْتَرِبَتْ أَلَا يَسْأَلُ أَمْلَاكُ^(٨) الْوَرَى فَطَرْتُ
وَلَا مَسْرَّةَ إِنْ فَازَتْ بِمَا طَلَبَتْ إِنَّ الَّذِي طَلَبْتُهُ لَا يَدُومُ لَهَا
كَانُوا بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا بِهَا ذَهَبَتْ أَلَمْ يَرَوْا دَوْلَ الْمَاضِينَ قَبْلَهُمْ
سَتَسْتَرِدُّ اللَّيَالِي كُلَّ مَا وَهَبَتْ لَا تَفْرَحُوا بِبَهَاتٍ مِنْ زَمَانِهِمْ

(١) أَرَابَتْ : أَوْقَعَتْ فِي الشَّكِّ .

(٢) رَابَ : أَصْلَحَ .

(٣) دَابَ : جَدَّ وَاجْتَهَدَ .

(٤) رِيَتْ : بَطَأَ .

(٥) وَثَبَتْ : قَفَزَتْ .

(٦) لَحِبَتْ : وَضَحَتْ .

(٧) نَكَبَ عَنْ مَعْرُوفِهَا : عَدَلَ .

(٨) أَمْلَاكُ : جَمْعُ مَلِكٍ ، وَيَجْمَعُ جَمْعَ قَلَةٍ : أَمْلَاكُ ، وَجَمْعُ كَثْرَةٍ : مَلُوكُ .

لو علمت علمنا الغبراء^(١) ما ركذت^(٢) تحت الأنام أو الخضراء^(٣) ما ثقيبت^(٤)
وأم دفر^(٥) إذا ميزت حالتها كأم صبل^(٦) إذا ما عضت انقلب
وكيف ترجو صلاحاً من خلائقها فكل ما الناس فيه من أدنى جلبت

لله در أقوام تأملوا غيها، وما زالوا حتى رأوا عيها، نزلوا من الدنيا منزلة
الأضياف، أخذوا الزاد وقالوا: ما زاد إسراف، وقفوا عند الهموم، والمؤمن
وقاف، رموا فضول الدنيا من وراء قاف^(٧).

لو رأيتهم في الدجى يراعون النجوم، وخيل الفكر قد قطعت حلبات
الهموم، يشكون جرح الذنوب ويكلمون الكلوم^(٨)، أحرقت أحزانهم أجسامهم
وبقيت الرسوم، بلغتهم البلغ^(٩)، ورميت التخم في التخوم^(١٠)، سكروا من
مناجاة الكريم لا من بنات الكروم^(١١)، أصبحت عليهم آثار الحبيب، والطيب
نموم^(١٢)، هذه سلع الأسحار من يشتري، من يسوم؟ أين قلبك الغائب عنا، قل
لي لمن تلوم؟ جسمك في أرض العراق وقلبك في أرض الروم.

مهر الطبع ما رضى، إهاب البشرية ما دُبغ، في عين البصيرة عشا، عرائس

-
- (١) الغبراء: الأرض.
(٢) ركذت: سكنت.
(٣) الخضراء: السماء.
(٤) ثقيبت: أضاءت، أي: نجومها، وذلك أن النجوم لا تزال ثواقب ما لم يفرط عقدها
وتتكسر إيداناً بيوم القيامة.
(٥) أم دفر: الداهية، والمقصود بها هنا الدنيا.
(٦) أم صبل: الحية، وقد شبه الدنيا لمن عرفها بالأنعى التي تفرغ سمها في معوضها
بالانقلاب بعد العض.
(٧) قاف: يشير إلى جبل يحيط بالأرض.
(٨) الكلوم: جمع كلم، وهو الجرح.
(٩) البلغ: جمع بلغة: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.
(١٠) التخوم: جمع تخمة، وهو داء يصيب الإنسان من امتلاء المعدة. والتخوم: جمع تخم:
متهى كل أرض.
(١١) كناية عن الخمر المعصورة من العنب.
(١٢) نموم: صيغة مبالغة من النَم: وهو الظهور وانتشار الرائحة.

الموجودات ترفل في حُللٍ مختلفة الصَّنعة والصُّبغة، والصيغة تعبرُ إلى المعنى في معبرِ الاعتبار، فهل حظُّك حظُّها من النَّصارة أن تحظى من النَّظَر بحظ.

واعجباً لك! لو دخلت بيتَ مَلِكٍ لم تزل تتعجبُ من رُقوش نقوشه، فأرفعُ بصرَ التفكير، واخفضُ عينَ البصيرة، فهل ترى أحسنَ من هذا الكون؟!

تَلَمَّحْ مخيمَ السقفِ كيف مُدَّ بلا أطناب! ثم زُخِرِفَ نقشُه برَقَمِ النجوم، والهلال دُمْلُوجٌ^(١) في عضد السماء، فإذا جَنَّ الليلُ كُجِلَتِ العيونُ بإثمدِ النوم، واجتلاها^(٢) أهلُ ﴿نَتَجَأِي﴾ [السجدة: ١٦]، فإذا جَلَى ركبُ الدُّجَى، جلا ضوء الشمس عن الأبصار رمَدَ الظلام^(٣).

انظر إلى الأرض إذا تَأَيَّمَت^(٤) من زوج القطر، وَجَدَتَ لَفَقْدِ إنفاقه مَسَّ الجَدْبِ، كيف تُحَدُّ^(٥) في ثياب ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَنِيْعَةً﴾ [فصلت: ٣٩]، طالما لازمتَ حبسَ الصبر، وسكنتَ مَسْكَنَ المسكنة، لولا ضجيجُ أطفالِ البذر.

فإذا قَوِيَ فَقْرُ القَفْرِ، امتدتْ أكفُّ الطلبِ، تستعطي زكاةَ السحاب، فهبت الجنوب من جَنابِ اللُّطف، فسَحَبَتْ ذيلَ النَّسيمِ على صَحْصَحِ^(٦) الصحارى، فتحرَّكت جوامدُ الجلاميد، وانتَبَهَ وُسْنانُ العيدانِ لقبولِ تلقيحِ اللواقيح، فإذا لبس الجوُّ مَطرَفه^(٧) الأدكن^(٨)، أرسلَ خَيْالَ القَطْرِ شاهرةَ أسيافِ البرق، وأندَرَ بالإقدام صوتُ الرَّعد، فقام فراشُ الهواءِ يرشُ خَيْشَ النسيم، فاستعار السحابُ جفونَ العشاق وأكفَ الأجواد، فامتلات الأدويةُ أنهاراً، كلَّما لمستها كفٌّ حكى سِلْسالها سلاسلَ الفِضة، فالشمسُ تسفِرُ وتتقب، والغمامُ يرشُ وينسكب،

(١) دملوج: حلية تحيط بالعضد.

(٢) اجتلاها: نظر إليها.

(٣) جلى الأولى: رحل. وجلا الثانية: أزال ومحى.

(٤) تأيمت: من الأيم: المرأة التي مات عنها زوجها.

(٥) من الجداد.

(٦) صحصح: الأرض المستوية الواسعة.

(٧) المطرف: رداء من خز مربع ذو أعلام، وأشار به إلى السحاب.

(٨) الأدكن: لون يضرب إلى السواد.

فانعقد بين الزوجين عقدُ حَبِّ الحُبِّ .

فلا يزال السحابُ يسقي دَرَّ البذرِ بثدي الندى، وكلّما احتاجَ إلى فضلِ
قوتِ كَرِّ الرِّكِّ^(١)، وشطَّ الطَّشُّ^(٢)، ودقَّ الودَقُ^(٣)، فَطَمَ إلى أنْ فُطِمَ الطفلُ، فإذا
وقتُ شمسِ الشتاءِ في الطَّفْلِ^(٤) ونشأَ أطفالُ الزرعِ، فارتبَعَ الربيعُ أوسطَ بلادِ
الزمانِ، فأعَارَ الأرضَ أثوابَ الصُّبا، ورَوَّحَ كَرَبِها بنسيمِ الصُّبا، فانتبَهت عيونُ
الثَّورِ من سَنَةِ الكرى، فكم نهضت من الغُروسِ عروس، بين يديها الأوراقُ
كالوصائفِ، فصافحت رِيحُها الخياشيمَ، ومنظرُها الحَدَقَ، فكأنَّ عينَ التُّرْجِسِ
عينٌ، ووَرَقَهُ وَرَقٌ، فالشقائقُ تحكي لونَ الخَجَلِ، والبهارُ^(٥) يصف حالَ الوجَلِ،
والنَّيلُوفَرُ^(٦) يغفَى وينتبه، والأغصانُ تعتق وتفترق، وقد ضربَ الربيعُ جُلَّ نارِهِ
في جُلُنارِهِ^(٧)، بَثَّتِ الأرايحُ أسرارها إلى النسيمِ فَنَمَ، فاجتمعَ في عُرسِ التواصلِ
فنونُ اليَقِيانِ، فعلا كلُّ ذي فنٍّ على فنٍّ، فتطارحتِ الأطيَّارُ مناظراتِ السجوعِ،
فأعربَ كلُّ بلغته عن شوقه إلى إلفه، فالحمامُ يهدُرُ، والبلبلُ يخطُبُ، والقُمُريُّ
يرجعُ، والمُكَّاءُ^(٨) يُغَرِّدُ، والأغصانُ تتمايلُ، كلُّها تشكُرُ ﴿الَّذِي يَبْدِيهِ عُقْدَةً
الْيَكَّاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فحينئذٍ تجدُ خياشيمَ المشوقِ ضالَّةً وجِدَّةً .

لي بذاتِ البانِ أشجانُ	حَبَّذا مِنْ أَجْلِها البانُ
حَبَّذا رِئاءُ يوقظُ	من نسيمِ الفجرِ رِئعان
حَبَّذا وُزْقُ الحمامِ إذا	رَنَحَتْها مِنْهُ أغصانُ

(١) الرِّكُّ: المطر الضعيف .

(٢) الطَّشُّ: الرشاش من المطر دون الوايل وفوق الرذاذ .

(٣) الودَقُ: المطر شديد وهيته إذا كان مستمراً .

(٤) الطَّفْلُ: غروب الشمس .

(٥) البهار: جنس زهر من المركبات الأنثوية الزهر، طيب الريح، ينبت أيام الربيع يقال له:
العرار .

(٦) النبلوفر: جنس نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية، يزرعُ في الأحواض، وينبت على
ضفاف الأنهار .

(٧) الجُلُنار: زهر الرمان .

(٨) المُكَّاء: طائر صغير يألف الريف، جمعه مكائي .

فِيهِ أَسْجَاعٌ وَالْحَنَانُ
لَيْسَ إِلَّا الشُّوقُ تَبَيَّنَ
هَاجِنِي لِلذِّكْرِ أَحْزَانُ
طَرِبِي فَالْكَلُّ نَشْوَانُ
وَجَدْنَا إِذْ نَحْنُ جِيرَانُ
بَيْنَ أَهْلِ الْحُبِّ كَيْثَمَانُ
وَاحِدًا وَالْوَجْدُ أَلْوَانُ
نُحْنُ أَزْوَاجٌ وَأَقْرَانُ
شَاقَّةُ اللَّبَانِ أَوْطَانُ
وَالْهُوَى سِرٌّ وَإِعْلَانُ
أَنَا بِالْأَشْوَاقِ سَكْرَانُ

دَاعِيَاتٍ بِالْهَدِيلِ^(١) لَهَا
أَعْجِمِيَاتٌ إِذَا نَطَقَتْ
كَلَّمَا غَنَيْتَنِي هَزَجًا
مَا لِي بِي مِيلُ الْغَصُونِ بِهَا
يَا حَمَامَ الْبَانِ يَجْمَعُنَا
يَحْنُ بِالشُّكْوَى إِلَيَّ فَمَا
يَتَشَاكَى الْوَاجِدُونَ جَوَى^(٢)
أَنَا مَخْلُوسٌ^(٣) الْقَرِينِ وَأَنْدُ
وَبَعِيدُ الدَّارِ عَنْ وَطْنِي
أَهْ مِنْ دَاءٍ أَكْبَاتِمُهُ
لَا تَزِدْنِي يَا عَذُولُ جَوَى

* * *

(١) الهديل: صوت الحمام أو خاص برحيتها.

(٢) الجوى: الهوى الباطن، وشدة الوجد.

(٣) مخلوس: مملوك ومحروم من قرينه وحبيه.

الفصل الثامن والأربعون

مَنْ عَلِمَ أَنَّ هَبَاتِ الدُّنْيَا هَبَاً^(١)، حُلَّ مِنْ غُلٍّ^(٢) ذُلٌّ.

الدَّهْرُ مُسْتَعِجِلٌ يَحُبُّ^(٣) فَاخْتَمَ وَطِينَ الْكِتَابِ رَطْبُ
إِنَّ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ حُلُمٌ وَسُوفَ تَنْسَاهُ إِذْ تَهَبُّ
تَوَقُّ مَكْرَ الزَّمَانِ وَاحِدُزْ وَلَا تَثِقْ فَالزَّمَانُ خَبٌ^(٤)
جَمِيعُ أَفْعَالِهِ غُرُورٌ وَكُلُّ مَا نَحْنُ فِيهِ لُغْبُ
وَلَيْسَ يَبْقَى عَلَيْهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ الْمَرْءُ أَوْ يُحِبُّ
إِسْمِعْ أَحَادِيثَ مَنْ تَقَضَّى يَا مَنْ لَهُ نَاطِرٌ وَقَلْبُ

الدُّنْيَا تَعْطِي تَفَارِيقَ، وَتَسْتَرْجِعُ جُمَلًا، وَتُزْضِعُ أَفَاوِيقَ^(٥)، وَتَقْطَعُ عَجَلًا،
يُونَانِي^(٦) خَيْرُهَا وَإِنْ وَاتَى لَمَعًا، ثُمَّ يَأْتِي شَرُّهَا حِينَ يَأْتِي دُفْعًا، فَتَرَى الْعِبْرَاتِ عِنْدَ
فَقْدِهَا تُرَاقُ وَلَا تَرَقَا^(٧)، وَالزَّفَرَاتُ عِنْدَ سَلْبِهَا تَهْدُ وَلَا تَهْدَأُ، وَيُخْكَمُ أَنَّ الْمَفْرُوحَ
بِهِ مِنَ الدُّنْيَا هُوَ الْمَحْزُونُ عَلَيْهِ.

إِخْوَانِي! ذُودُوا^(٨) هَمَمَكُمْ عَنْ مَرَعَى الْمُنَى، فَإِنَّهُ يَزِيدُهَا عَجْفًا^(٩)، وَلَا

(١) هَبَا: أَي هَبَاءَ، وَهُوَ الشَّيْءُ الْمُنْبَثُ الَّذِي تَرَاهُ فِي الْبَيْتِ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَدَقَاقِ التَّرَابِ.

(٢) حُلٌّ: الْقَيْدُ يُوضَعُ فِي الرِّقْبَةِ.

(٣) يَحُبُّ: الْخُبُّ: ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ، وَقِيلَ: هُوَ مِثْلُ الزَّمَلِ.

(٤) خَبٌ: خَدَاعٌ.

(٥) أَفَاوِيقُ: جَمْعُ فَيْقَةٍ: مَا يَجْتَمِعُ مِنْ لَبَنِ فِي الضَّرْعِ بَيْنَ الْحَلَبَتَيْنِ.

(٦) يُونَانِي: مِنْ وَنَى: وَالْوَنَاءُ: الْفَتْرَةُ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأُمُورِ، وَالنَّسِيمُ الْيُونَانِي: الضَّعِيفُ

الْهَبُوبُ، وَالْوَنَاءُ: الضَّعْفُ وَالْفَتُورُ وَالْكَلالُ وَالْإِعْيَاءُ.

(٧) لَا تَرَقَا: لَا تَنْقَطِعْ.

(٨) ذُودُوا: ادْفَعُوا عَنْهَا، وَاحْمَوْهَا مِنْهَا.

(٩) عَجْفًا: هَذَا أَلَا.

تَوَلُّوا الْهَوَى عَلَى مُدُنِ الْأَبْدَانِ ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] .

الهوى وثَنٌ يُنْصَبُ في جاهلية الشباب ، فإنَّ صَحَّ إسلامُ العزمِ جعلَ أصنامَ
الشهواتِ جُذاذاً .

يا معاشرَ الشبابِ زيدوا في سلاسلِ الهوى ، فإنَّ شيطانَ الصُّبا ماردٌ ، زِنُوا
حَلَوَى المَشْتَهَى بِمُرِّ الْعِقَابِ بَيْنَ لَكُمْ التَّفَاوُتُ ، إلى متى يَقودُكم الهوى ؟! إلى كم
تستعبدكم الدنيا ؟!

(للشريف الرضي) (١) :

كَمْ اصْطَبَارٌ عَلَى ضَيْمٍ وَمَنْقَصَةٍ وَكَمْ عَلَى الذَّلِّ إِقْرَارٌ وَإِذْعَانٌ
ثَوَرُوا لَهَا وَلَتُّهُنَّ فِيهَا نَفُوسُكُمْ إِنَّ الْمُنَاقِبَ لِلْأَرْوَاحِ أَثْمَانٌ
إلى متى جمودُ الإناث ؟! أين حركة الرجولية ؟!

(لمهيار) (٢) :

قُمْ فَاثْنِشْطُهَا حَسْبُهَا أَنْ تُعْقَلَا وَدَغْ لَهَا أَيْدِيهَا وَالْأَرْجُلَا
لَا يَطْرَحُ الذَّلَّ وَرَاءَ ظَهْرِهِ إِلَّا قَتَى يُنْضِي الْمَطَايَا الذُّلَا
الجدُّ الجدُّ فالطريقُ طويلةٌ ، دارِ الناقةَ بِذِكْرِ الدَّارِ ، عَلَّلَهَا بِصَوْتِ الحُدَاةِ ،
فإذا لَاحَ لها المنزلُ فَشَوْقُهَا يَسوقُهَا .

(لمهيار) :

إِرْخْ لَهَا زِمَامَهَا وَالْأَنْسَعَا (٣) وَارْمِ لَهَا مِنَ الْعُلَى مِنْ شَسَعَا
وَارْحَلْ بِهَا مَغْتَرِباً عَنِ الْعِدَى تَوَطَّكَ (٤) مِنْ أَرْضِ الْعِدَى مُتَّسَعَا

(١) من قصيدة قالها يصف الأسد . انظر : الديوان : ٤٤٨/٢ - ٤٥٣ .

(٢) مطلع قصيدة يمدح بها شهاب الدولة بن ديس . انظر : ديوان شعره : ٢٠٠ - ٢٠٦ .

(٣) الأنسعا : جمع نسع ، وهو سير ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال ،
وتجمع على نسوع .

(٤) توطك : تنزلك .

يا رائدَ الظُّفْنِ بأَكْنافِ اللُّوى بلغْ سلامي إنْ وصلتَ لَغَلما
ماذا عليهم لو رَثُوا لساھرٍ لولا انتظارُ طيفهم ما هَجَما

إخواني! انبعثُ الجوارح في العملِ دليلٌ على قوَّةِ العلمِ بالأجرِ، فإذا حصلَ تسليمُ النفوسِ في الجهادِ إلى القتلِ كانَ النِّهايةُ في كمالِ اليقينِ، فإذا وَقَعَ الفرعُ بأسبابِ التلفِ دلٌّ على كمالِ المحبةِ، كما قال عبد الله بن جحش^(١):
«اللهم سلِّطْ عليَّ غداً عدواً يقرُّ بطني، ويجدعُ أنفي، فإذا لقيتُك قلتُ: هذا فيك ومن أجلك».

وطعنَ حَرَامُ بن ملحان^(٢)، فنُفذَ فيه الرمح فقال: «فزتُ وربَّ الكعبة».

لو رأيتهم والمعتزك قد اعتكرك، وقد تقدّموا في القدموس^(٣)،
فانبجج الأمرُ، وجاشَ جاشُ الجيشِ في أُفْرَةٍ^(٤)، فلم يَتميِزِ الهَلْقَامُ^(٥)
السَّرْعَرَعُ^(٦)، من القلْهَزَمِ^(٧) الحنزقرة^(٨)، وإذا الغَضَنْفَرُ^(٩) الدَّمَكَمُكُ^(١٠)

(١) أسلم عبد الله قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وهاجرَ إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، بُعثَ على سرية إلى نخلة، وفيها تسمّى أمير المؤمنين، فهو أولُ من دُعِيَ بذلك، وقد قال قبل أحدِ بيوم: «اللهم أقمِمْ عليك أن ألقى العدوَّ غداً فيقتلونني ثم...» كما في (الحلية: ١٠٩/١)؛ وفي (الاستيعاب: ٦٣/٣) في القسم الأول من البدرين: «اللهم إذا لاقوا هؤلاء غداً فأني أقسمُ عليك لما يقتلونني و...» وترجمته في صفة الصفوة، لابن الجوزي: ٣٨٥/١.

(٢) كان مع من أرسلهم الرسول ﷺ إلى بئر معونة، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل، وانتدب حرام ليبلغ رسالة الرسول ﷺ أهل ذلك الماء، فأتى الأخبية، ونادى بالشهادتين، فخرجَ إليه رجل من كسر البيت برمح قطعته به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: «الله أكبر، فزتُ وربَّ الكعبة...» أخرج قصتهم ابن جرير وابن المنذر وغيرهما.

(٣) القدموس: الملك الضخم.

(٤) أُفْرَة: بضم الهمزة والفاء وتشديد الراء: الاختلاط.

(٥) الهلقام: الضخم الطويل.

(٦) السرعرع: الطويل.

(٧) القلْهَزَم: كسفرجل، الرجل المربع.

(٨) الحنزقرة: بكسر الحاء، الرجل الدميم من الناس.

(٩) الغضنفَر: الأمد الشديد.

(١٠) الدمكمك: الشديد القوي.

وَالْقَنْخَرُ^(١) الْعَلْنَدِيُّ^(٢)، وَالضَّبَاضِبُ^(٣) الدُّلَامِزُ^(٤)، كُلُّهُمْ فِي مَقَامِ إِجْفِيلِ^(٥).

فَلَمَّا انْزَعَجَتِ الطَّبَائِعُ تَذَكَّرُوا قَبِيحَ الْجَنَايَةِ، فَمَدُّوا أَيْدِيَ التَّسْلِيمِ لِلدَّوَائِعِ،
فَخَضِبَتِ الدِّمَاءُ مُحَاسِنَ وَجْهِ طَالِمَا صَبَرَتْ عَلَى بَرْدِ الْمَاءِ وَقَتِ الْإِسْبَاحِ،
وَحَصَدَتِ مَنَاجِلُ السِّیُوفِ زُرُوعَ رُؤُوسِ طَالِمَا أَطْرَقَتْ فِي الْأَسْحَارِ، وَعَادَتِ
خِيُولُهُمْ خَلِيَّةَ عَنْهُمْ، فَوَطَّطْتُهُمْ بَعْدَ السَّنَا تَحْتَ السَّنَابِكِ، وَاقْتَسَمَ لِحُومَهُمْ عُقْبَانُ
السَّمَاءِ وَسِبَاحُ الْأَرْضِ، فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ رَجُلٍ طَالِمَا قَامَتْ فَصَلَّتْ فَصَلَّتْ، وَكَمْ مِنْ
يَدٍ بِالْدَّعَاءِ رُفِعَتْ وَقَعَتْ، وَكَمْ مِنْ بَطْنٍ حَمَلَ بِالصِّيَامِ مَا شَقَّ شَقٌّ^(٦)، وَكَمْ مِنْ
عَيْنٍ كَانَتْ تَعِينُ الْحَزِينَ بِالْفَيْضِ وَقَعَتْ فِي مَنْقَارِ طَائِرٍ.

هَذَا حَدِيثُ الْأَجْسَامِ، فَأَمَّا الْأَرْوَاحُ فَفِي دَارِ السَّلَامِ، وَاللَّهُ مَا كَانَتْ إِلَّا غَفْوَةً
حَتَّى أَعْطَاهُمُ الْعَفْوَ عَفْوًا^(٧) عَفْوَهُ، وَكَأَنَّكُمْ بِأَجْسَادِهِمُ الَّتِي تَفَرَّقَتْ قَدْ تَلَفَقَتْ^(٨)،
وَبِالْقُبُورِ الَّتِي جَمَعْتُهُمْ قَدْ تَشَقَّقَتْ، وَقَدْ قَامُوا بِالسَّلَاحِ حَوْلَ الْعَرْشِ، يَنَادُونَ
بِلِسَانِ الْحَالِ: عَنْ صَاحِبِهِ حَارِبِنَا، وَلَأَجْلِهِ قُتِلْنَا، وَكُلُّوهُمْ^(٩) يَوْمَئِذٍ قَدْ انْفَجَرَتْ
فَجَّرَتْ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ، فَيَعْلَمُ الْأَشْهَادُ حِينَئِذٍ أَنَّهُمْ
الشَّهَدَاءُ.

اسْمَعْ يَا مَنْ لَا يَحَارِبُ الْهَوَى وَلَا سَاعَةً، فَلَوْ فَاتَتْكَ الْغَنَائِمُ وَحَدَّهَا قُرْبُ
الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا لَقَبُ جَبَانٍ قَبِيحٌ، أَيْنَ أَرْبَابُ الْعَزَائِمِ الْقَوِيَّةِ؟! اِمْتَلَأَتْ بِالْأَبْرَارِ
الْبَرِّيَّةُ^(١٠)، رَحَلُوا عَنَا وَفَاتُوا، وَنَحْنُ مِثْنَاوَهُمْ مَاتُوا.

(١) القنخر: الصلب الضخم والعظيم الجثة.

(٢) العلندي: الغليظ من كل شيء.

(٣) الضباضب: الرجل القوي القصير.

(٤) الدلامز: القوي الضخم.

(٥) إجفيل: الجبان.

(٦) شق: مزق. ما شق: ما صعب، يريد مكابدة الجوع بالصيام.

(٧) عفواً: فضلاً منه ومئة.

(٨) تلفقت: تجمعت وتآلفت يوم البعث.

(٩) كلوهم: جمع كلّم، وهو الجرح.

(١٠) البرية: المقبرة.

فالجُمى أَفقرَ من جارٍ وأهلٍ
أنا عن لومِكَ في أَشغلٍ شغلٍ
واعتراضاتِ الهوى باباً لِعَذلٍ^(٣)
للتأسّي، أو تسلى للتسلي
أم قلوبٌ بين حصباءٍ ورمْلِ
والتجاني عن بلى الأطلالِ يُبلى^(٦)
في فزادِي أَهلَه لا في المَحَلِّ
مستهامٌ^(٨) والمُنَى جَهْدُ المُقِلِّ
مَنْ لعيني أن تَرى النومَ وَمَنْ لي؟
بسفاهي فاشترُوا عِزِّي بِذُلِّي
جفوةً منكم فَرُقُوا لالأقلِّ
وازحَمُوا مَنْ مَالَهُ طَاقَةُ ثَقُلِ
ضاعَ عني بين باناتٍ وأَنلِ
تاءَ قلبي في حماها ضَلَّ عَقْلِي
غَيْرَ أَنْ ما شَكَلُها في الحُزْنِ شَكْلِي
وهي في غيرِ اضطرارٍ فيه مثلي

خَلَّ طرفي والبكا إن كنتَ خِلِّي^(١)
والحِ مَنْ لم يَذُرْ ما طعمُ الأسي
لم يدغَ وَقَرَّ النوى^(٢) في مسمعي
غيرَ قلبي إن تَأَسَّى عاشقاً
أَثافي^(٤) ما ترى تشكو الصُّلا^(٥)
هذه مِنْ بَعْدِهِم أَثارُهُم
ما وقوفي في محلٍّ ساكنٍ
يَتَمَنَّى طيفُكُم صَبٌّ^(٧) لكم
والذي يستجلبُ الطيفَ الكَرى
يَعْتُ حِلْمِي طائِعاً لا كارهاً
وانقضى أَكثَرُ عمري في القَلَى
حَمَلُونِي الخِفَةَ من هَجْرِكُم
عجباً لي ولقلبٍ ضائعٍ
سل بقلبي عن خيامٍ في اللّوى
ذاتٌ^(٩) طَوْقٍ مثلُ شَجْوِي^(١٠) شجوها
أنا في النُّوحِ اضطراراً مثلها

(١) الخِلُّ: الصديق المختص، وهو بالكسر والضم، ولا يضم إلا مع الود، والخليل: من أصفى المودة.

(٢) النوى: البعاد.

(٣) عذل: لوم.

(٤) أثاف: جمع أثفية، وهي أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.

(٥) الصُّلا: النار.

(٦) يلبى: يتلف.

(٧) الصَّبُّ: من الصباية، وهو الشوق، أورقته، أورقة الهوى، والصب: العاشق.

(٨) مستهام: شديد الحب، هَيِّمان.

(٩) ذات طوق: كناية عن الحماسة.

(١٠) شجوي: حزني.

حَرَّمَ اللهُ عَلَى الْبَانِ الصَّبَا
 مَا عَلَى السَائِقِ لَوْ حَلَّ النَّقَا
 وَحَمَاهُ الْغَيْثُ مِنْ طَلٍّ^(١) وَوَبَلٍ^(٢)
 وَأَرَاخَ الْعَيْسِ^(٣) مِنْ شَدٍّ وَحَلٍّ
 وَلَعَلِّي أَنْ أَرَى الْخَيْفَ لَعَلِّي
 فَعَسَى تُذْنِي الْمُنَى مِنِّْي مِنِّْي

* * *

(١) طَلٌّ: مطر خفيف أو أخف المطر وأضعفه، أو الندى، أو فوقه ودون المطر، والجمع: طلال.

(٢) وبِل: المطر الشديد الضخم القطر.

(٣) العيس: الإبل البيض مع شُقرة يسيرة، واحدها: أعيس وعيساء.

البَصِيَّةُ الثَّاسِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

عجباً لراحلي عن قليل، غافلٍ عن زاد الرحيل، لا يعتبر بأخذ الجيل^(١)،
ولأنما هو تأخيرٌ وتعجيل، أين النزول؟ أزيل. أين القويم؟ أميل. أين المطمئن؟
أغتيل.

إنَّ الليالي لا تبقى على حال والنَّاسُ ما بينَ آمالي وآجال
كيفَ السرورُ بإقبالٍ وآخره إذا تأملتَه مقلوبٌ إقبال^(٢)

تيقظوا فالأيامُ دائبة، وتحفظوا فالسَّهامُ صائبة، واخذروا دنياكم فما هي
مواتية، واذكروا أخراكم فما هي آتية.

أما رأيتم الدنيا فقد أبانت خُدعها ومكرها، إذ أبانت مَنْ جَمَعَهَا مكرها^(٣)،
أين الارتياذُ للسلامة غداً؟ أين الاستعدادُ قبل الندامة أبداً؟

كأنكم بالمسيرِ عن الرُّبْعِ قد أَرَفَ، وبالكثيرِ من الدمعِ قد نَزَفَ، وبالمقيمِ
قد أبينَ مما أَلِفَ، وبالكريمِ قد أهينَ لما تَلَفَ.

يا طالبَ الدُّنيا دنا فراقها تزويجها أسرعُ أم طلاقها
ودينٌ مَنْ يخطبُها صدأها

عبادَ الله! من تعلق قلبه بالجنة لم يصلح لنا، فكيف بمن يهوى الدنيا؟!
أَرَدْنَاكُمْ صِرْفاً فَلَمَّا مُرِجْتُمْ بَعَدْتُمْ بِمَقْدَارِ التَّفَاتِكُمْ عَنَّا
وَقَلْنَا لَكُمْ: لَا تُسْكِنُوا الْقَلْبَ غَيْرَنَا فَأَسْكَنْتُمُ الْأَغْيَارَ، مَا أَنْتُمْ مِنَّا
السلطانُ لا يزاحمُ في داره «لا يسعني شيء»، ويسعني قلبُ عبدي المؤمن^(٤)

(١) أخذ الجيل: أي بإهلاك أمة بعد أمة.

(٢) مقلوب إقبال: إدبار.

(٣) أي: إن الدنيا تفصل من جمعها عما جمعه من الدنيا مجبراً.

(٤) تقدم تخريجه.

غَبِثُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةَ فِيكُمْ وَسَكَنَتْهُمْ فِي الْقَلْبِ دَارَ مُقَامِ
وَسَلَبْتُمْ جِلْدِي التَّصَبُّرَ عَنْكُمْ فَالضَّبْرُ أَوَّلُ رَاحِلٍ بِسَلامِ

خَرَجَ الْمَرِيدُ الصَّادِقُ مِنْ دِيَارِ الْهَوَى إِلَى بَادِيَةِ الطَّلَبِ، فَجَنَّ عَلَيْهِ لَيْلُ
التَّحْيِيرِ فَجُنَّ، فَإِذَا نَارُ الْقَرَى تَلَوَحَ إِنْ حَمَلْتُ رَجُلُ الرَّجُلِ.

(لمهيار) (١):

قَدْ أَبْصَرْتُ حَقًّا مُنَاهَا فِي الْحِمَى وَظَنُّهَا بِحَاجِرٍ يَقِينَا
فَبَلَّغْتُ أَدْعَاؤَهَا وَبَلَّغْتُ وَخَانَنِي مَنْ لَمْ يَقُلْ: آمِينَا

كَرَبُ الْمُحِبِّ بِالنَّهَارِ يَشْتَدُّ لِمَزَاحِمَةِ رُقْبَاءِ الْمُخَالَطَةِ، فَيُبْلِلُ بِلِبَالِهِ يَتَقَلَّقُ
فِي قَفْصِ الْكُثْمِ، فَإِذَا هَبَّتْ نَسِيمُ السَّحَرِ، وَجَدَ رَوْحَهُ رَوْحاً يَصِلُ فِي قَصْرِ مَصْرِ
الْمَنَى إِلَى أَرْضِ كِنَعَانَ الْأَمَلِ، فَيَقْدِمُ رَكْبُ الشَّوْقِ يَتَحَسَّسُ النَّسِيمَ مِنْ فُرْجِ الْفَرَجِ
وَلَهُ وَلَهُ، فَنَهَضَ تَوَقُّ الشَّوْقِ، فَتَكَلَّمَ قَلَمُ الشَّكْوَى، وَرَقَمَ وَصْفَ الْقَوْمِ، وَحَكَى
مَا حَاكَى، وَكَتَبَ عَنْ مَا كَتَى.

عَاوَدَ الْقَلْبَ غَرَامُهُ وَجَفَا الْجَفْنَ مَنَامُهُ
كَلَّمَا قَلْتُ جَوَى الشَّوْقِ خَبَا زَادَ اضْطِرَامُهُ
أَنَا فِي أَشْرِكٍ وَالْمَأْسُورُ قَدْ يُرَعَى ذِمَامُهُ
أَهْ مِنْ عَتِيكَ فِي اللَّيْلِ إِذَا جُرْنَ ظِلَامُهُ
سَيَدِي هَانُوكَ الْحَيْرَانُ قَدْ زَادَ هَيْبَامُهُ
هُوَ مَيِّتٌ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَبْلُ فِي الثَّرَابِ عِظَامُهُ
كُنْهَارِي مِنْذُ فَارَقْتُكَ لَيْلِي لَا أُنَامُهُ

إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ اعْتَرَكَ الْهَمُّ، طَالَ الدُّجَى عَلَى الْأَبْدَانِ، وَقَصُرَ عَلَى الْقُلُوبِ.

شَكَّوْنَا إِلَى أَحِبَابِنَا طَوَلَ لَيْلُنَا فَقَالُوا لَنَا: مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا

لَوْ رَأَيْتَ رَوَاجِلَ الْأَبْدَانِ قَدْ أَنْصَاهَا طَوَلَ السَّهْرِ وَأَضْنَاهَا، فَلَمَّا هَبَّتْ نَجْدِيَّةُ

(١) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة بن المزرع. انظر: ديوان شعره: ٩٣-٩٧.

السحر مدّت أعناقَ الشوقِ فزال كلُّ الكلال .

(لُصْرَدُر)^(١) :

تزاوَزَنَ عَنْ «أَذْرِعَاتٍ» يَمِينَا نَوَاشِرَ لَيْسَ يُطْقِنَ الْبُرِينَا^(٢)
كَلَّفَنَ بِنَجْدٍ كَأَنَّ الرِّيَاضَ أَخَذَنَ لِنَجْدٍ عَلَيْهَا يَمِينَا
وَأَقْسَمَنَ يَحْمِلُنَ إِلَّا نَحِيلًا إِلَيْهِ وَيُبْلَغُنَ إِلَّا حَزِينَا
وَلَمَّا اسْتَمَعَنَ زَفِيرَ الْمَشُوقِ وَنُوحَ الْحَمَامِ تَرَكَّنَ الْحَنِينَا
إِذَا جِئْتُمَا بَانَةَ الْوَادِيَيْنِ فَأَزْخُوا النَّسُوعَ، وَحُلُّوا الْوُضِينَا^(٣)
فَتَمَّ عَلَانِقُ مَنْ أَجْلَهَا مُلَاءُ الدُّجَى وَالضُّحَى قَدْ طَوَيْنَا
وَقَدْ أَنْبَأَتْهُمْ مِاءُ الْجَفُونِ بِأَنَّ بَقْلِيكَ دَاءٌ دَفِينَا

دموع الخائفين يَحْبِسُهَا بالنهار مراقبة الخلق، فإذا جُنَّ الليل انفتح سِكْرُ
الدموع ﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا﴾ [الرعد: ١٧] .

أرواح الأسحار أقوات الأرواح، رَقَّتْ فَرَقَّتْ^(٤) حَرَّ جَدِّ الْوَجْدِ، وَبَلَّغَتْ
رسائلَ الحُبِّ، ومكروبُ الشوق يرتاح للرياح .

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ هَلْ مِنْ وَفْقَةٍ تُطْفِئُ الْغُلَّةَ^(٥) أَوْ تَشْفِي الْأَوَامَا^(٦)
كُنْ رَسُولًا بِسَلَامٍ عَائِدًا نَحْوَمَنْ أَنْفَذَ لِي فِيكَ السَّلَامَا
لَمْ تُثِرْ شَجْوِي حَمَامَاتُ اللَّوَى بَلْ غَرَامِي عَلَّمَ الشَّجْوَ الْحَمَامَا

كانت (بُرْدَةُ الْعَابِدَةِ) تنادي في جَوْفِ اللَّيْلِ : غَارَتِ النُّجُومُ، وَنَامَتِ الْعَيُونُ،
وَحَلَا كُلُّ حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ، وَقَدْ خَلَوْتُ بِكَ يَا خَيْرَ مُحَبِّبٍ، أَفْتَرَاكَ تَعَذَّبَنِي وَحُبُّكَ
فِي قَلْبِي؟ لَا تَفْعَلْ يَا حَبِيبَاهُ .

(١) مطلع قصيدة يمدح بها رئيس الرؤساء ابن المسلمة عام (٤٤٨هـ) . انظر : ديوان شعره ،
ص ١٥ .

(٢) أذْرِعَات : بلد في أطراف الشام . البرة : حلقة تجعل في أنف البعير يكون فيها زمامه .

(٣) النسوع : جبل يشد به الرجل . الوضين : بطن عريض منسوج يكون للهودج .

(٤) رَقَّتْ الْأُولَى : أي لطف . فَرَقَّتْ : من الترقية والسمو .

(٥) الْغُلَّة : العطش أو شدته أو حرارة الجوف .

(٦) الْأَوَام : كالثَّراب : العطش ، أو حَرَّة .

إن شئت سألت دمعَ عينيَ عني يخبرك بأنني أسيرُ الحُزنِ
منك العفوُ والخطايا مني ظني حسن فيك فحقق ظني

يا غافل القلب! ما هذا الكلام لك، ليس على الخرابِ خراجٌ، لا يعرفُ البرُّ
إلا سائحٌ، ولا البحرُ إلا سابعٌ، ولا الزنادُ إلا قاذحٌ.

ضَمْنَا يَوْمَ تَنَادَوْا لِلْقَا مَوْفَ يَعْرِفُهُ مَنْ عَشَقَا

لما عَشَقَتِ اللَّبْلَابَةُ^(١) الشَّجَرَ، تَقَلَّقْتُ طلباً لاعتناقِ الرؤوسِ، ولثمِ
الخدودِ، فقليلٌ لها: مع الكثافة لا يمكن، فرضيت بالنحولِ، فالتفتُ فالتفتُ.

حُبِّي والوجدُ أَوْرَثَانِي سَقَمَا هَذَا جِسْمِي يُعَدُّ عَظْماً عَظْماً
دَعْنِي والشوقُ قَدْ كَفَانِي خَضَمَا يَا سَهْمَ الْبَيْنِ قَدْ أَصَبْتَ الْمَرْمَى

* * *

(١) اللَّبْلَابُ: نبات عشبي معترش يلتف على المزروعات والشجر.

البَطْلَانُ الْخَمْسُونَ

إخواني ! مَنْ تَفَكَّرَ فِي ذُنُوبِهِ بِكَيٍّ ، وَمَنْ تَلَمَّحَ سِيرَ السَّابِقِينَ وَانْقِطَاعَهُ شُكَا ،
وَلَا أَقْلَقَ الْقَلْبَ مِثْلَ الْحَزْنِ وَلَا نَكَ^(١) .

عِنْدَ قَلْبِي عِلَاقَةٌ مَا تُقْضَى وَجَوَى كُلَّمَا ذَوَى عَادَ غَضَا
وَيَكَاءٌ عَلَى الْمَنَازِلِ أَبْلَتْهُنَّ أَيْدِي الْأَيَّامِ بَسْطًا وَقَبْضَا
مَنْ مَعِيدُ أَيَّامِ ذِي الْأَثَلِ أَوْ مَا قَلَّ مِنْهَا دِينًا عَلَيَّ وَقَرَضَا
سَامِحًا بِالْقَلِيلِ مِنْ عَهْدِ نَجْدٍ رُبَّمَا أَقْنَعَ الْقَلِيلُ وَأَرْضَى
مَهْدِيًا لِي مِنْ طَيِّبِ أَرْوَاحِ نَجْدٍ مَا يُدَاوِي نَفْسَ الْعَلِيلِ الْمُنْضَى

إخواني ! تَفَكَّرُوا فِي ذَنْبِ أَيْكُمْ وَنَزُولِهِ بِالزَّلَلِ ، وَيَكْفِيكُمْ رَمَزٌ إِلَى آدَمَ بِأَنَّكَ
عَبْدٌ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ [طه : ١١٨] ، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ لَهُ إِلَّا
مَا سَدَّ الْجُوعَ وَسَتَرَ الْعُرَّةَ ، فَجَاءَ إِبْلِيسُ يُطِيعُهُ فِي الْمَلِكِ ، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الطَّمْعِ
خَرَجَ .

نَامَ فِي الْجَنَّةِ فَانْتَبَهَ ، وَقَدْ خَلَقَتْ لَهُ حَوَاءٌ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قِيلَ : مَنْ يَرِيدُ
النَّوْمَ يُخْلَقُ لَهُ ضَجِيجٌ ، كَفَى بِالشَّوْقِ مُسْهِرًا ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الزَّلَلِ طَارَ النَّوْمُ .

مَتَى شَقَّ جَنْبُ الْجُنْحِ بِالْبَارِقِ الْوَمُضِ وَهَبَتْ قَبُولٌ فَالسَّلَامُ عَلَى الْعُنْصِ
بِالْأَمْسِ جَبْرِيلُ يَسْجُدُ لَهُ ، وَالْيَوْمَ يُجْرُ بِنَاصِيَتِهِ لِلْإِخْرَاجِ ، وَلِسَانُ حَالِهِ
يَسْتَغِيثُ :

خُدَاةَ الْعَيْسِ رَفَقًا بِالْأَسِيرِ لِيَغْنَمَ نَظْرَةً قَبْلَ الْمَسِيرِ
وَيَا بَانَ الْجِمَى هَلْ فِيكَ ظِلٌّ فَعِنْدَ حَشَايَ مَزْدَجِمُ الزَّفِيرِ
وَيَا رِيحَ الشَّمَالِ بَحْنٌ جَبِي وَصَدَقِي هَلْ مَرَزَتْ عَلَى الْغَدِيرِ ؟

(١) نَكَ : مِنْ نَكَأَ ، يُقَالُ : نَكَأَ الْقَرْحَةُ : قَشَرَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَ فَنَدِيَتْ ، وَنَكَأَ الْعَدُوُّ : جَرَحَهُ وَقَتَلَهُ .

وَهَلْ سَخَبْتِ عَلَى شَيْعٍ وَرَنْدٍ ذِيوَلِكِ يَا مُبْلَلَةَ الضَمِيرِ؟

بكى من زلته ثلاثمئة حتى سالت الأودية من دموعه^(١)، اسمع يا مَنْ
يَضْحَكُ عِنْدَ الْمُعَاصِي:

سَلُّوا بَعْدَكُمْ وَادِي الْجَمَى مَا أَسَالَهُ دَمِي وَدُمُوعِي فِي هَوَاكُم أَمْ الْقَطْرُ
وَهَلْ مَا أَرَاهُ الْمَوْتُ أَمْ حَادِثُ النَّوَى وَهَلْ هُوَ شَوْقٌ فِي فَوَادِي أَمْ الْجَمْرُ؟

كَانَ يَقُولُ لَوْلَدَهُ: يَا بُنَيَّ طَالَ وَاللَّهِ حُزْنِي عَلَى دَارٍ أَخْرَجْتُ مِنْهَا، فَلَوْ رَأَيْتَهَا
زَهَقَتْ نَفْسُكَ.

وَابْكُهَا يَا رَسُولُ	قِفْ فَتِلْكَ الطَّلُوعُ
مَنْ عَلَيْهَا نَزُولُ	وَاقِرٌ ^(٢) عَنِّي سَلَامِي
فِي فَوَادِي حُلُولُ	رُبَّ سَكَنٍ إِنْ دَارِ
وَاسْتَمِعْ مَا تَقُولُ	فَاسْأَلِ السَّادَرِ عَنْهُمْ
شَرِّحْ حَالِ يَطُولُ	لِي وَلِلْبَيْنِ فِيهِمْ
لَا تَزِدْ يَا عَذُولُ	قَدْ كَفَانِي غَرَامِي
لُمْنِي مَا أَقُولُ	لَسْتُ أَدْرِي إِذَا مَا
وَالْمُعْتَنِي حُمُولُ	خَلَفُونِي مُعْتَنِي ^(٣)

كَانَتِ الْجَنَّةُ إِقْطَاعًا فَحُلَّ الإِقْطَاعُ بِجَنَابَةِ لُقْمَةَ، فَلَمَّا غَسَلَ آدَمُ جَنَابَةَ الْجَنَابَةِ
رَدَّ الإِقْطَاعَ عَلَيْهِ، لَوْلَا لَطْفُ ﴿فَتَلَقَّى﴾ [البقرة: ٣٧]، لَقَتْلَهُ الْأَسَفُ.

مَنْ لِي مَنْ لِي بَوْضَلٍ حَبِّ نَارِخٍ لَوْ بَيْعَ بِمُهْجَتِي لَكُنْتُ الرَّابِخُ
صَالِحٌ مَنْ عَاشَ بِالْأَمَانِي صَالِحٌ سَامِخٌ فِي النِّقْدِ يَا حَبِيبِي سَامِخٌ

يَا مَنْ جَرَى عَلَيْهِ مَا جَرَى عَلَى أَبِيهِ، أَسْلَكَ طَرِيقَهُ مِنَ الْبِكَاءِ.

خَلَّ دَمْعَ الْعَيْنِ يَنْهَمِلُ بَانَ مَنْ تَهَوَّاهُ فَاحْتَمِلُ

(١) هذا من الإسرائيليات الباردة البعيدة.

(٢) واقر: أصلها واقرا: أي: ألقى السلام.

(٣) معني: متعب.

كُلُّ دَمْعٍ صَائِنُهُ كَلِيفٌ فَهُوَ يَوْمَ الْبَيْنِ مُبْتَذِلٌ
اكتب قصة الندم بِمَدَادِ الدَّمْعِ ، وابعثها مع ريح الزَّفَرَاتِ ، لعلَّ الجواب
يصلُ برفع الجوى^(١) :

كيف لا أبكي على عيشٍ مَضَى بعثْ عمري بحفيرِ الثَّمَنِ
كيف أرجو البُرءَ من داءِ الهوى وطبّبي في الهوى أمرَضَنِي

انتبه لنفسك يا مَنْ كلما تحرّك تعرّقل ، فيك جوهرية السِّبَاقِ ، ولكن تحتاجُ
إلى راضٍ ، قلبك محبوسٌ في سجنِ طَبْعِكَ ، مقيدٌ بقيود جهلك ، فإذا ترنّم حادٍ
تنفّسَ مشتاقٌ إلى الوطنِ ، فالبسْ لامة^(٢) عَزَمِكَ ، وسِرْ بجُنْدِ جَدِّكَ ، لعلَّك تُخلّصُ
هذا المُسلمَ من أيدي الفراعنة .

أبالغور تشتاقُ تلكَ النُّجودا رميتْ بقلبك مرمى بعيدا
فؤادُ أسيرٍ لا يُفتدى وجفنٌ قليلُ البكا ليسَ يُودى

لك الحديثُ يا مُعرضُ ، أنتَ المرادُ يا غافلُ ، يا مُستليذاً بَرْدَ العيشِ تَذَكَّرْ
حرقةَ الفُرقةِ ، يا مَنْ يُسلمُهُ موكلانَ إلى موكلينَ ، ما لانبساطِكَ وَجْهٌ ، إنّما تُملي
عليهما رسالةً إلى ربك ، وما أراك تَمَلُّ قُبْحَ ما تُملي .

يا جامدَ العينِ اليومَ ، غداً تدنو الشمسُ إلى الرؤوسِ ، فتفتَحُ أفواهُ مسامِّ
العروقِ ، فتبكي كلُّ شعرةٍ بعَيْنٍ عُروقيها .

يرزُ يوسفُ الهيبةَ ، فيقْدُ قميصَ الكونِ .

نفخُ الريحِ اليومَ يحركُ الشجرَ ، ونفخُ الصورِ غداً يعملُ في الصُّورِ .

ريحُ الدنيا بينَ مُثيرٍ ولاقحٍ ، تُثيرُ دفائنَ النباتِ ، وتلقحُ الثمارَ ، [وتثيرُ
الأعمار]^(٣) ، وريحُ الأخرى تلقحُ الأشباحَ للأرواحِ لقراءةِ دفاترِ الأعمارِ .

(١) الجوى : الحرقه وشدة الوجد .

(٢) اللامة : عُدّة القتال .

(٣) زيادة من (ب) .

أَيْنَ الَّذِينَ نَصَبُوا الْآخِرَةَ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ فَتَصَبَّوْا^(١)، وَنَدَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِمَحْوِ
السَّيِّئَاتِ وَنَدَّبُوا^(٢).

كَانَ (دَاوُدُ الطَّائِي) يَنَادِي بِاللَّيْلِ: هُمُكَ عَطَّلَ عَلَيَّ الْهَمُومَ، وَحَالَفَ بَيْنِي
وَبَيْنَ السَّهَادِ، وَشَوَّقِي إِلَى النَّظَرِ إِلَيْكَ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّذَاتِ، فَأَنَا فِي سَجْنِكَ أَيُّهَا
الكَرِيمُ مُطْلُوبٌ.

يَا مَالِكَ مُهْجَتِي وَوَالِي دِينِي كَمْ يَنْشُرُنِي هَوَاكَ وَكَمْ يَطْوِينِي
هَجْرَانُكَ مَعَ مَحَبَّتِي يُضْنِينِي هَلْ تُدْرِكُنِي بِنَظَرَةٍ تُخَيِّنُنِي
إِذَا جَنَّ الْغَاسِقُ^(٣) جَنَّ الْعَاشِقُ.

طَالَ لَيْلِي دُونَ صَخْبِي سَهَرْتُ عَيْنِي وَنَامُوا
كَانُوا يَتْرَاسِلُونَ بِالْمَوَاعِظِ لَتَقَعَ الْمُسَاعَدَةُ عَلَى الْيَقِظَةِ، كَصِيَاحِ الْحَارِسِ
بِالْحَارِسِ: يَا نِيَامُ السَّحُورُ^(٤).

(لِلْمَصْنَفِ):

عَرَّجُوا بِالرِّفَاقِ نَحْوَ الرِّكْبِ وَقِفُوا وَقْفَةً لِأَنْشُدَ قَلْبِي
وَخَذُوا لِي مِنَ التَّقِيبِ لِمَظَا^(٥) أَوْرَدُوا بِي إِلَى الْعُذْيَبِ وَحَسْبِي
فَهَبُوبُ الرِّيَّاحِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ قُوتُ رُوحِي وَحَبْنَذَا مِنْ مَهَبٍ
يَا نَسِيمَ الصَّبَا تَرْتُمُ عَلَى الدَّوْحِ بِصَوْتِ يُشْجِي وَإِنْ طَارَ لُبِّي
مَنْ مُعِيدُ أَيَّامِنَا يَلْوِي الْجَزْعَ وَهِيَهَاتَ أَيْنَ مِنِّي صَخْبِي

* * *

-
- (١) نَصَبُوا الْأَوَّلَى: جَعَلُوا وَوَضَعُوا. وَنَصَبُوا الثَّانِيَةَ: تَعَبُوا.
(٢) نَدَّبُوا الْأَوَّلَى: مِنَ النَّدْبِ، وَهُوَ الدَّعَاءُ؛ أَي: دَعَا. وَنَدَّبُوا الثَّانِيَةَ: مِنَ النَّدْبَةِ: أَيِ الْبُكَاءِ.
(٣) جَنَّ الْغَاسِقُ: أَيِ سَتَرَ اللَّيْلُ بِغُلَامِهِ.
(٤) السَّحُورُ: طَعَامُ السَّحَرِ وَشِرَابِهِ، يُشِيرُ إِلَى حِفْظِ الْأَرْوَاحِ مِنْ نِعَمَاتِ السَّحَرِ.
(٥) لِمَظَا: جَمْعُ لُمَظَةٍ؛ يُقَالُ: تَلَمَّظَ، إِذَا تَتَبَعَ بِلِسَانِهِ بَقِيَّةَ الطَّعَامِ فِي فَمِهِ أَوْ مَسَحَ بِهِ شَفْتَيْهِ.

الفصل الحادي والخمسون

أين اللاهونَ بالمُزاح زَاحوا؟ أين شاربوا الراحِ رَاحوا؟ وبك يا صاحِ
صَاحوا، لقد نَذَبُوا في قبورِهِم على الوَنَى^(١) وناحوا:

يا أيُّها الواقِفُ بالقبورِ بينَ أناسٍ غُيِّبَ حُضُورِ
قد سَكَنُوا في جَدَثٍ مَعْمُورِ بينَ الثَّرى وجَنَدِلِ الصُّخُورِ
يتظَرونَ صَيْحَةَ النُّشُورِ ولا تَكُ عن حَظِّكَ في غُرُورِ

أين أربابُ المَناصِبِ؟ أبادهم الموتُ المُنَاصِبُ^(٢)، أين المتجَبِّزُ الغاصِبُ؟
أذَلَّه عذابٌ وَاصِبُ^(٣)، لُقِيَ^(٤) - والله - الأكفانُ كالْعَصَائِبِ، على تلكِ
العَصَائِبِ^(٤)، وحلَّتْ بهم آفاتُ المصائبِ، إذ حلَّ بَلَبَاتِهِمْ^(٥) سَهْمُ صائبٍ،
فيا من يَأْمَنُ هذه النوائِبِ، أحاضرُ عندنا أنتَ أم غائبٌ؟!

كم عاصيَ باتٍ في ذنوبه، يَتَقَلَّبُ على فراشِ عيوبه، بين مزمَازٍ ومِزْهَرٍ،
ومُسْكِرٍ ومُنْكَرٍ، فجاءه الموتُ فجأةً، فأنساهُ وَلَدَهُ ونِساءَهُ، وجَلَبَ مساوئه ما
سَاءَهُ، فَنُقِلَ إلى اللحدِ ذَمِيمًا، ولقي من غِبِّ^(٦) المعاصي أمراً عظيماً.

بَيْنَا تَرَاهُ غَادِيًا رَاحِحًا في نَعَمٍ غَادِيَةٍ رَائِحَةٍ
إذا بِيَوْمٍ طَالِحٍ مُخْرِجٍ من خَبْئِهِ آمَالَهُ الصَّالِحَةِ
كَمْ سَالِمٍ صَبَّحَهُ مَوْتُهِ وقَائِلٍ عَهْدِي بِهِ الْبَارِحَةِ

(١) الونى: التكاثر والتباطؤ.

(٢) المناصب: المعادي.

(٣) واصب: متتابع مستمر.

(٤) العصائب: الأولى جمع عصابة، وهي كالإمامة. والثانية: جمع عصابة، وهي الجماعة من الناس.

(٥) لباتهم: جمع لبة، وهو موضع النحر من الصدر.

(٦) غب: عاقبة.

أَمْسَى وَأَمْسَتْ عِنْدَهُ قَيْنَةٌ فَأَصْبَحَتْ تَنْدُبُهُ نَائِحَةٌ
فَكُنْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى صِيحَةٍ وَأَيْتَا لَيْسَتْ لَهُ صَائِحَةٌ
مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ بَرَّةً فَإِنَّهَا يَوْمًا لَهُ ذَابِحَةٌ

واعجباً لمن رأى هلاك جنسه ولم يتأهب لنفسه ! .

قال البازيُّ للديك : « ليسَ على الأرضِ أقلُّ وفاءٍ منك ، أَخَذَكَ أَهْلُكَ بِيَضَةً
فَحَضَنُوكَ ، فَلَمَّا خَرَجْتَ جَعَلُوا مَهْدَكَ حَجُورَهُمْ وَمَائِدَتَكَ أَكْفَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَبُرْتَ
صِيرَتْ لَا يَدْنُو مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرَتْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا وَصِيحَتْ ، وَأَنَا أَخَذْتُ وَحْشِيًّا مِنْ
الْجِبَالِ فَعَلَّمُونِي ثُمَّ أَرْسَلُونِي ، فَجِئْتُ بِصَيْدِي » .

فقال له الديك : « إِنَّكَ لَمْ تَرِ بَازِيًّا مَشُوبًا فِي سَفُودٍ ، وَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ فِي سَفُودٍ
مَنْ دِيكَ » .

إِخْوَانِي ! الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا زُبْدُ مَخْضٍ مَخْضِ الْفِكْرِ ، حَظُّ الْحَرِيسِ عَلَى
الدُّنْيَا فِي الْحَضِيضِ ، وَالْقَنُوعُ فِي أَعْلَى الدَّرَى ، سَائِقُ الْحِرْصِ يَضْرِبُ ظَهَرَ
الْحَرِيسِ بَعْصَا التَّخْرِيسِ ، فَلَوْ قَدْ عَصَى الْهَوَى كَفَّتِ الْعَصَا ، كُلُّ مَا زَادَ عَلَى
الْقُوَّةِ فَهُوَ مُسْتَحْدِمُ الْكَاسِبِ ! .

يَا مُوْغَلًّا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ! الْحَسَابُ حَبْسٌ ، فَإِنْ صَحَّ لَكَ الْجَوَابُ تَعَوَّقَتْ
بِمَقْدَارِ التَّصْحِيحِ ، وَإِنْ لَمْ يَصَحَّ فَمُطْمَوْرَةٌ ^(١) جَهَنَّمُ .

وَيْحَكَ ! طَالِعُ دَسْتُورِ عَمَلِكَ تَرَى كُلَّ فِعْلِكَ عَلَيْكَ . مَنْ وَقَفَ عَلَى صِرَاطِ
التَّقْوَى ، وَبِيَدِهِ مِيزَانُ الْمَحَاسِبَةِ ، وَمَحَكُّ الْوَرَعِ ، يَسْتَعْرِضُ أَعْمَالَ النَّفْسِ ، وَيَرُدُّ
الْبَهْرَجَ ^(٢) إِلَى كَيْبَرِ التَّوْبَةِ ، سَلِمَ مِنْ رَدِّ النَّاكِدِ يَوْمَ التَّقْيِيسِ .

وَيْحَكَ ! سُلْطَانُ الشَّبَابِ قَدْ تَوَلَّى ، وَآمِيرُ الضَّعْفِ قَدْ تَوَلَّى ^(٣) ، وَمِعْوَلُ
الْكِبَرِ يَعْرِقُلُ حَيْطَانِ دَارِ الْأَجْلِ .

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا

(١) المَطْمَوْرَةُ : حَفْرَةٌ يَطْمُرُ فِيهَا الطَّعَامُ وَغَيْرُهُ .

(٢) الْبَهْرَجُ : الْمَزِيْفُ الْمَغْشُوشُ .

(٣) تَوَلَّى الْأَوَّلَى : ذَهَبَ وَانْصَرَفَ . وَتَوَلَّى الثَّانِيَةَ : مِنَ التَّوَلَّى وَالتَّحَكَّمَ .

قِفْ عَلَى ثَنِيَةِ الْوُدَاعِ نَادِباً قَبْلَ الرَّحِيلِ عَلَى دِيَارِ الْأَلْفَةِ .

يَا مَنْزَلاً لَمْ تُبَلِّ أَطْلَالَهُ حَاشَى لِأَطْلَالِكَ أَنْ تُبْلَى
وَالْعَشَقُ أَوْلَى مَا بَكَاهُ الْفَتَى لَا بُدَّ لِلْمَخْزُونِ أَنْ يَسْلَى
لَمْ أَبْكِ أَطْلَالَكَ لَكُنِّي بَكَيْتُ عَيْشِي فِيكَ إِذْ وَلَّى

كان (ثابت البناني) يستوحش لفقد التعبد بعد موته ، فيقول : «يا رب إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي» .

وكان (يزيد الرقاشي) يقول في بكائه : يا يزيدُ مَنْ يَكِي بِعَدِّكَ عَنْكَ ؟ ! من يترضى ربك لك ؟ ! .

أَحْبَبُّكُمْ مَا دُمْتُ حَيّاً وَإِنْ أُمْتُ فَوَا كِبْدِي مَنْ ذَا يَحْبُّكُمْ بَعْدِي
لَمَّا عَلِمَ الْمُحِبُّونَ أَنَّ الْمَوْتَ يَقْطَعُ التَّعَبُّدَاتِ كَرَهُوه لِتَدْوَمَ الْخِدْمَةُ .

جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ليقبضه فلطم عينه^(١) ، فإذا قامت القيامة بادر إلى العرش^(٢) ، طالَتْ غيبته فاستعجل استعجال مشوق .

كانوا يحبون أماكن الذكر ومواطن الخلوة ، والمؤمن ألوف للمعاهد ، عهدٌ عند المحب لا ينساه ، «أسكن حراء»^(٣) .

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه الحديث في لطم موسى عليه السلام ، وفيه : «... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ، نفقا عينه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلني إلى عبد لا يريد الموت ! قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إليه فقل له ... » الحديث . وللعلماء في اللطم هذا تأويلات تراجع في الشروح .

(٢) في صحيح البخاري برقم (٢٢٣٤) : عن أبي هريرة : أنه ﷺ قال : «لا تخيروني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأصعق معهم ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله» . وانظر كذلك برقم (٣١٥٦ ، ٦٠٣٦ ، ٦٩١٨) .

(٣) تكرر اهتزاز جبل أحد وحراء تحت النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، انظر كتاب : فضائل المدينة المنورة ، للدكتور خليل ملا خاطر : ٨٧ / ٣ .

أَحْسِنَا الرِّكْبَ بِوَادِي سَلَمٍ فَبِذَاكَ الْمُتَحَنَّى طُلَّ دَمِي
وَأَنْشُدَا قَلْبِي فِي سَكَايِهِ فَمِنْ الشُّكَاكِ أَشْكُو أَلَمِي
أَخِذُوا قَلْبِي، وَأَبْقُوا جَسَدِي فَوَجُودِي بَعْدَهُ كَالْعَدَمِ
صِلْ مُجِبّاً جَفْنَهُ لَمْ يَكَمْ وَابْلَاثِي إِنَّ خَضَمِي حَكَمِي

وَأَعْجَباً لِمَحَبِّ يَسْتُرُ ذَكَرَ الْحَبِيبِ بِذِكْرِ الْمَنَازِلِ، وَمَا يَخْفَى مَقْصُودُهُ عَلَى السَّامِعِ: «أَحَدُ جِبِلِّ يَحِبُّنَا وَنَحْبُهُ»^(١).

أَلَا اسْقِنِي كَاسَاتِ دَمْعِي وَغَنِّي بِذِكْرِ سُلَيْمَى وَالرِّبَابِ وَتَنَعَّمِ
وَإِيَّاكَ وَاسْمَ الْعَامِرِيَةِ إِنَّنِي أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ فَمِ الْمُتَكَلِّمِ

رِيَاخُ الْأَسْحَارِ تَحْمِلُ الرِّسَائِلَ، وَتَرُدُّ الْجَوَابَ.

(لِلخَفَاجِيِّ):

أَفِي نَجْدٍ تَجَاوَزَكَ الْقَبُولُ أَظُنُّ الرِّيحَ تَفْهَمُ مَا تَقُولُ
تَغَنَّتْ فِي رِحَالِ الرِّكْبِ حَتَّى تَشَابَهَتْ الذَّوَائِبُ وَالذِّيُولُ
صَحْبُنَا فِي دِيَارِهِمْ صَبَاها تَنَآوَيْتُهَا التَّنْفُسُ وَالتُّحُولُ
وَأَمْطَرْنَا سَحَابَ الدَّمْعِ حَتَّى حَسِبْنَا أَنَهَا مُهَجٌّ تَسِيلُ
وَعُجْنَا ذَاهِلِينَ فَمَا عَلَمْنَا أَنَحْنُ السَّائِلُونَ أَمْ الطُّلُولُ؟

دِيَارُ الْأَحْبَابِ دِرْيَاقُ^(٢) هُمُومِ الْمُحِبِّينَ «عَلَى أَنَّنِي مِنْهَا اسْتَفَدْتُ سَقَامِي».
كَانَ قَيْسٌ إِذَا ذَكَرَ لَيْلَى تَعَلَّلَ بِالْآثَارِ، وَاسْتَشْفَى بِالْذَّمَنِ^(٣)، وَاسْتَنْشَقَ الصَّبَا، وَشَامَ بَرَقَ^(٤) بَنِي عَامِرٍ.

أَقْتُلْ أَدْوَاءَ الرِّجَالِ الْوَجْدُ وَقِ^(٥) نَجْدًا فَالْغَرَامُ نَجْدُ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

(٢) دِرْيَاقُ: لُغَةٌ فِي التَّرْيَاقِ: دَوَاءُ السَّمُومِ.

(٣) الذَّمَنُ: جَمْعُ دَمَنَةٍ: آثَارِ الدِّيَارِ.

(٤) شَامَ الْبَرَقَ: نَظَرَ إِلَى سَحَابَتِهِ أَيْنَ تَمَطَّرَ.

(٥) قِ: فَعَلَ أَمْرٌ مِنْ وَقَى يَقِي.

حيثُ الرياضُ والنسيمُ أثْفُ
إنَّ الصَّبَا إذا جَرَتْ قَادِحَةٌ
تُعْدي المحبينَ الصَّبَا كَأَنَّمَا
لا تَلْقَ نفحةً نَجْدِيَّةً
دعِ الصَّبَا فعلُ الهَوَاءِ كَالهَوَى
مَا كَبَدِي بِعَدِكَ إِلَّا جَذْوَةً
يَسْتَرْهَا الْجِلْدُ وَلَوْلَا أَدْمُعِي
كَيْفَ يَبْرئِي والطَّيِّبُ مُمْرِضِي
النَّارُ قَلْبِي والسَّمُومُ نَفْسِي
قَدْ كَدْتُ أَخْفَى عَنْ عَيُونِ عَذْلِي

وَدَنَفٌ^(١) مَا يَسْتَفِيقُ بَعْدُ
نَارَ الْغَرَامِ ففَوَّادِي الزَّنْدِ^(٢)
لَهَا عَلَى أَهْلِ الْغَرَامِ حِفْدُ
هَزْلًا فَهَزْلُ النَفَحَاتِ جِدُ
سَيَّانٍ مِنْهُ قَصْرُهُ وَالْمَدُ
لَهَا بِتَرْجِيْعِ الْحَيْنِ وَقَدْ
مَا كَانَ يَقْوِي سِتْرَ نَارِ جِلْدُ
يَصْدُ وَالِدَاءُ الْعُضَالُ الصَّدُ
وَالْمَاءُ طَرْفِي وَالتَّرَابُ الْخَدُ
كَذَا وَجُودُ الْعَاشِقِينَ فَقَدْ



(١) دنف: الدنف المرض الملازم.

(٢) الزند: العود الذي يقتدح به النار.

الفصل الثاني والخمسون

العزلة حمية البدن، والمناجاة قوت القلب، ومن أنس بمولاه استوحش من سواه.

يا منتهى وحشتي وأنسي كن لي إن لم أكن لنفسي
أطمعني في غد نجاتي حلمك عن سيئات أمسي
خلق القلب طاهراً في الأصل، فلما خالطته شهوات الحس تكدر، وفي العزلة يرسب الكدر.

الحيوان المميز على ثلاثة أقسام:

ـ فالملائكة خلقت من صفاء لا كدر فيه.

ـ والشياطين من كدر لا صفاء فيه.

ـ والبشرى مركب من الضدين.

فالعجب أن تقوى عند التقوى.

تقدس الملائكة يدور على السنة لا تشاق بالطبع إلى الفضول، سُبْح تسبيحهم عقود ما نظمها كلف التكليف، ثمرات زروعهم نشأت لا عن تعب، سقاها سيح العظمة، فكثرت في زكوات تعبدهم قدر الواجب ﴿وَرَسَّغُفُورَاتٍ لِّمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]. كانت أقدام تعبدتهم سليمة، فاستبطوا سائر زماني^(١) الهوى، فقليل: «إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله العافية»^(٢).

واعجباً! من منحدر في سفن التعبد يستبطئ مصاعداً في الشمال.

(١) زماني: جمع زمن، وهو المبتلى بين الآفة.

(٢) لم أجد هذا الحديث بنصه، انظر موطأ مالك، فقيه: «... فإنما الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية» وهذا مروى عن المسيح عليه السلام.

سمعوا ييوسف الهوى وما راوه، فأخذوا يلومون زليخا الطبع من جنس
عتب ﴿تُرَوِّدُ فَنَهَا﴾ [يوسف: ٣٠]، فلمَّا قالت الدنيا يوم هاروت وماروت: ﴿أَخْرِجْ
عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، قطعوا أكفَّ الصبر، وصاح في تلك المواقف مَواقِفُ
﴿أَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

«إِنَّ لِلْحَرْبِ رَجَالًا خَلَقُوا»

أَلْهُمَّ أَنْبِئِ الْمَذْنِبِينَ، أَوْ خَلُوفِ الصَّائِمِينَ، أَوْ حُرِّقِ الْمُحِبِّينَ ١٩.

لما عبَّ^(١) بحرُ الأمانة يوم ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، توقفت
الملائكة على الساحل، ونهضت عزيمة الآدمي لسلوك سبيل الخطر، بل لأقدام
المحبِّ إقدام.

يغلِبُنِي شَوْقِي فَأَطْوِي الشُّرَى ولم يزل ذو الشوق مغلوباً
لا نحتاجُ أن نناظرَ الملائكة بالأنبياء، بل نقول: «هاتوا لنا مثل عمر، كلُّ
الصحابة هاجروا سرّاً، وعمرُ هاجر جهراً، وقال للمشرّكين قبل خروجه: ها أنا
ذا، على عزم الهجرة، فمن أراد أن يلقاني فليلقني في بطن هذا الوادي».

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي

مد عزم عمر على طلاق الهوى، أحَدَ أهله عن زينة الدنيا.

وعزيمة بعثها همّة زُحِلَ من تحتها بمكان التراب مَنْ زَحِلَ
لما ولي (عمر بن عبد العزيز) خَيْرَ النساء، فقال: «من شاءت فلتقيم، ومن
شاءت فلتذهب، فإنه قد جاء أمرٌ شغلني عنكن».

(المهيار)^(٢):

أَقْسَمَ بِالْعَفَةِ: لَا تَيَمُّهُ ظبي رنا أو غصن تأوى
وكَلَّمَا قِيلَ لَهُ: قِفْ نَسْتَرْخُ جُزَّتِ المدى قال: وهل نلتُ المدى

(١) عب البحر: ارتفع موجه واصطخب.

(٢) من قصيدة يهنئ فيها الوزير أبا المعالي في النيروز. انظر: ديوان شعره، ص ٣٣٢-٣٣٦.

للعزائم رجالٌ ليسوا في ثيابنا، وطنوا على الموت، فحصلت الحياة.

إذا ما جررتُ الرمحَ لم يشني أبٌ مُلحٌ ولا أمٌ تصيحُ ورائي
وشيعني قلبٌ إذا ما أمرته أطاعَ بعزمٍ لا يروغُ ورائي

يا مختار القدر! اعرف قدرَ قدرِكَ، فإنما خُلِقَتِ الأكوانُ كُلُّها لأجلِكَ.

يا خزانة الودائع! يا وعاء البدائع! يا من غُذي بلبانِ البر، وقلَّبَ بأيدي
الأيادي، يا زرعاً تهَمِّي عليه سُحُبُ الألفاف، كل الأشياءِ شجرةٌ وأنت الثمرة،
وصورٌ وأنت المعنى، وصدفٌ وأنت الدرُّ، ومخضةٌ وأنت الرُّبْدُ.

مكتوبٌ اختيارنا لك واضحُ الخطِّ، غير أنَّ استخراجَكَ ضعيفٌ، متى رمتَ
طلبي فاطلبنى عندك.

ساكنٌ في القلبِ يعمُرُه لسْتُ أنساهُ فأذكُرُه
غابَ عن سمعي وعن بصري فسُوِّدا القلبُ بُبْصَرُه

ويحك! لو عرفتَ قدرَ نفسك ما أهنتها بالمعاصي، إنما أبعدنا إبليسَ
لأجلِكَ، لأنَّه لم يسجدَ لك، فالعجبُ منك كيفَ صالحته وهجرتنا؟!.

رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى حفظنا له الوُدَّ القديمَ فضيِّعا
وواصلت قوماً كنتُ أنهاكُ عنهمُ وحَقُّكَ ما أبقيتَ للصِّلحِ موضِعاً

يا جوهرةً بمضيعة، يا لُقْطةً تُداسُ، كم في السماواتِ مِنْ مَلَكٍ يُسَبِّحُ! ما
لهم مرتبة ﴿تَتَجَافَى﴾ [السجدة: ١٦]، لا يعرفونَ طَعْمَ طعام، وما لهم مقام
«وَلِخُلُوفٍ»^(١)، أنينُ المذنبين عندنا أوفى من تسبيحهم، سبحان من اختارك على
الكلِّ، وجادلَ عنكَ الملائكةَ قبل وجودِكَ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠]، خلق سبعةَ
أبحرٍ، واستقرضَ منك دَمعةً، له ملك السماوات والأرض، واستقرضَ منك حَبَّةً.

(للشريف الرضي):

(١) من حديث الصيام: «ولخُلُوفٍ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» رواه البخاري
ومسلم، واللفظ له.

الماء عندك مبدولٌ لواديه وليس يرويك إلا مَدْمَعِي الباكي

كانت الأمتعة المُمْتَنَّة واللآلئ النفيسة تباعُ بمصر، فلا ينظرُ إليها يوسف،
فإذا جاءت أحمالُ صوفيٍّ من كنعان لم تُحلَّ إلا بين يديه «لا تسأل عن عبادي
غيري».

(للخفاجي):

لاحَ وعَقْدُ الليلِ مَسْلُوبٌ برقَ بنارِ الشُّوقِ مشبُوبٌ
أسأله عنكم وفي طيِّبه سطرٌ من الأحبابِ مكتوبٌ

لو كان في قلبك محبة، لبان أثرها في جسدك، «عَجِبَ رَيْثُنَا من رجلٍ ثار
على وطائه ولحافه إلى صلاته»^(١)، تلمَّخَ معنى «ثار» ولم يقل قام؛ لأنَّ القيامَ قد
يقع بفتور، فأما الثوران فلا يكونُ إلا بالإسراع حذراً من فائت.

إذا هزنا الشوقَ اضطربنا لهزَّهُ على شَعَبِ الرَّحْلِ اضطرابَ الأرقامِ
فَمِنْ صَبَوَاتٍ تَسْتَقِيمُ بمائلٍ ومن أريحياتٍ تَهْبُ بنائمٍ
إخواني! من ناقَرَهُ الوجدُ، نافَرَهُ النومُ.

قال (سفيان الثوري): بِثُ عند الحجاج بن الفرافصة إحدى عشرة ليلة،
فما أكلَ وما شربَ ولا نامَ.

اسأل عيني كيفَ طعمُ الكرى عُلالَةً وهو سؤالٌ محالٍ
وكيفَ بالنومِ على الهجرِ لي والنومُ من شرطِ ليالي الوصالِ

* * *

(١) حديث رواه الإمام أحمد في المستند.

البَصِيدُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

يا طويلَ الأملِ في قصيرِ الأجلِ ، يا كثيرَ الزَّلَلِ في قليلِ العملِ ، خلا لكَ الزمانُ وما سدَّدتَ الخللَ ، أفما عندك وجلٌ من هجومِ الأجلِ ؟ ١ .

تجهَّزْ إلى الأجداثِ ويحكُ والرَّؤسِ^(١) جَهَازاً من التقوى لأطولِ من حبسِ
فإنَّك ما تدري إذا كنتَ مصباحاً بأحسنِ ما ترجو لعلَّك لا تُمسي
سأُتعبُ نفسي كي أُصادِفَ راحةً فإنَّ هوانَ النفسِ أكرمُ للنفسِ
وأزهدُ في الدُّنيا فإنَّ مقيمها كظاعنها ما أشبهَ اليومَ بالأمسِ

يا معاشر الأصحاء ! اغتنموا نعمتي السلامة والإمهال ، واحذروا خديعتي
المنى والآمال ، قد جربتم النفسَ وتبذيرها في بضاعةِ العمر ، فانتبهوا لانتهاجِ
الباقى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ [النساء : ٥] .

الدنيا حُلُمٌ والموت يقظة ، ويوم الحساب تفسيرُ الأضغاثِ ، أيامٌ معدودة
وسيفنى العدد ، وطريق صعبة على قلة العدد ، وقد سار الركب ولاح الجُدُدُ^(٢) ،
أترى تظن أن تبقى إلى الأبد ؟ ! أما يَعتَبِرُ بالوالدِ الولد ؟ ! أين المتحرِّكُ في الهواء ؟
هَمْدٌ ، أين اضطرامُ تلك النار ؟ خمد ، أين ماءُ الأعراضِ^(٣) الجاري ؟ جمد ،
تساوى في المماتِ الثعلبُ والأسد ، وشارك الوَهي^(٤) بين الحديدِ والمسدا
وجمع التلفُ بين عنقاء^(٥) مَغربِ والضُّرْدِ^(٦) ، واستقام قياسُ النقص للكلِّ
واطرد ، أفلا ينتبه من رقده من قد رَقَدَ ؟ ١ .

(١) الرمس : الدفن والقبر .

(٢) الجلد : طرائق .

(٣) الأعراض : جمع عِرْض ؛ وهي الأودية ذات الشجر .

(٤) الوهي : الشق والتخرق .

(٥) عنقاء : طائر متوهم لا وجود له .

(٦) الضُّرْد : طائر أكبر من العصفور ضخيم الرأس والمنقار يصيد الحشرات .

يا شاربين من منهل الهوى شربَ الهيم^(١)، يا جاعلين نهار الهدى كالليل
البهيم، يا مقيمين على الدَّسِّ وليس فيهم مُقيم، يا سالمين من أمراضِ البدنِ
وكلهم سليم^(٢)، أنعمرون ربوعَ النِّعمِ برُتُوعِ النِّعمِ؟ وتستبدلون بالقرآنِ محرماتِ
النِّعمِ، وقد توطنتم ناسينُ تروخ^(٣) النِّزوح، فلم تذكروا الممات حتى تروح
الروح، تالله ليعودن المستوطنُ في أهله غريباً، والمُغتبطُ بفرحه مغيظاً كئيباً ﴿إِنَّهُمْ
يُرَوَّنَّ بَعِيداً﴾ وَنَرَنَّهُ قَرِيباً ﴿المعارج﴾ .

أين أرباب البيضِ والشَّمر، والمراكبِ الصفر والحمَر، والقباب والقب^(٤)
الضمر؟ ما زالوا يفعلون فعلَ الغُمر^(٥)، إلى أن تَقْضَى جميعُ العمر.

يا مَنْ عمره قد رحل ووَلَّى، كأنك بك تندم وتثقلَى، والسمع والبصر
للموت قد كَلَّا، ويد التناول للتوبة قد شَلَا^(٦)، والعين تجري وابلاً^(٧) لا طلاً^(٨)،
وعصافيرُ الندم قد أنضجها القلا^(٩)، وأنت تستغيثُ ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]
فيقال: ﴿كَلَّا﴾ ألا كان هذا قبل هذا ألا؟^(١٠).

يا ثقیل النوم، يا بطيء اليقظة، يا عديمَ الفهم، أما ينتبهك الأذان؟ أما
ترعجك الحُداة؟ أترى نخاطب عجماً، أو نكلّم صمّاً؟ كم نريك عيبَ الدنيا!
ولكن عينَ الهوى عوراء، كم تكشّف للبصرِ قِصرُ العمر! ولكن حُدقةَ الأمل حولاء.

ليسَ في الدنيا سرورٌ إنما الدنيا غرورٌ

(١) الهيم: الإبل المهيومة التي تصاب بداء العطش فلا تُروى مهما شربت.

(٢) سليم: ملدوغ.

(٣) تروح: جمع ترح، وهو الألم.

(٤) القب: الفحل من الإبل.

(٥) الغُمر: الرجل الذي لم يجرب الأمور.

(٦) شَلَا: أي شلاء من الشلل.

(٧) الوابل: المطر الكثير.

(٨) الطل: أضعف المطر.

(٩) القلا: الهجر والبغض.

(١٠) هذا الأولى: إشارة للندم والتوبة. وهذا الثانية: إشارة إلى الموت.

وَمَاتِيكُمْ إِذَا فُتِّرَ تَ فِيهِمَا وَقَبُورُ

يا من شاب وما تاب ولا أصلح ! يا مُعْرِضاً عن ما يؤدي إلى الأصلح ، ليت شعري بعد الشباب بماذا تفرح ؟ ما أشنع الخطايا في الصُّبا وهي في الشيب أقبح ، إذ نزل الشيب ولم يزل العيبُ فبعيدُ أن يبرح .

(للبحثري) (١):

وإذا تكامل للفتى من عُمره خمسون وهو إلى الثقي لا يجنح (٢)
عَكَفَتْ عليه المخزيات فما له متأخر عنها ولا متزخزخ (٣)
وإذا رأى الشيطان (٤) غرّة وجهه حيى وقال: فديت من لا يقلح

إخواني! فتشوا أحمال الأعمال قبل الرحيل ﴿ وَلَتَنْظُرَنَّهُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨] ، يا مطلق النواظر في محرم المنظور ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ [التكاثر: ٦] ، لا يغرنكم إمهال العصاة ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ [الغاشية: ٢٥] ، يا من عاهدناه من يوم ﴿ أَلَسْتُ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، لا تحلن عقد العهد بأنامل الزلل ، فما يليقُ بشرفٍ قدرك خيانة .

بِحُرْمَةِ الْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا لَا تُفْسِدِ الْأَوَّلَ بِالْآخِرِ

اذكر ملازمة المطالبة بالوفاء في أضيق خناق ، يا منكر ويا نكير انزلا إلى الخارج من بساتين الأرواح فانظرا ، هل استصحب وردة من اليقين أو شوكة من الشك ؟ .

قِفُوا سَأَلُوا بَانَ الْعَقِيقِ هَلِ الْهَوَى عَلَى مَا عَهِدْنَا فِيهِ أَمْ حَالٌ حَالُهُ؟

استنكها فمه الذي قال به : ﴿ بَكَى ﴾ يوم ﴿ أَلَسْتُ ﴾ ؛ هل غيّر طيبه طول رقاد الغفلة؟ هل أنجاسُ زلله مما يدخل قلبها تحت العفو؟ هل معرفته في قلب قلبه

(١) انظر: ديوان شعره: ٤٨٢/١ .

(٢) في الديوان: «وإذا مضى للمرء من أغوامه * خمسون وهو عن الصبا لم يبرح» .

(٣) في الديوان: «عَكَفَتْ عَلَيْهِ الْمُخْزِيَّاتُ وَقَلَنْ: قَدْ * أَصْحَكْتَنَا وَسَرَرْتَنَا لَا تَبْرَح» .

(٤) في الديوان: «إبليس» .

يبلغُ قلّتين؟ أنا مقيمٌ له على الوفاء في كلِّ حالٍ، فانظر إلى حاله هل حال^(١)؟ .

(لقيس المجنون):

ألا حبّذا نجدٌ وطيبُ ترابِهِ وأرواحُه إن كان نجدٌ على العهدِ
ألا ليت شعري عن عَوِيْرَضَتِي قبا بطولِ الليالي هل تغيّرتا بعدي
وعن علويّاتِ الرياحِ إذا جرث بريحِ الخُزامى هل تهبُّ على نجدِ

المعرفة غرسٌ في القلب، والتذكّار ماء، ومتى جفّت المياه عن الغروس
جفّت، شجراتُ ﴿أَلَسْتُ﴾ تسقى من مياه «هل من سائل؟»^(٢).

إذا مَرِضْنَا أتينَاكُمْ نَزُورُكُمْ وَتُذْنِبُونَ فَتَأْتِيَكُمْ فَتَغْتَذِرُ

العقل ما ينسى إنما الحسُّ مغفل، سببُ النسيانِ أمراضٌ من التخليط، في
مطاعم الهوى عَقَدَتْ بُخَاراً في هامِ الفهم، فإذا عالجهها طبيبُ الرياضة تحلّلت
فذكر ما نسي من عهد ﴿أَلَسْتُ﴾.

قيل للذي النون: أين أنت من يوم ﴿أَلَسْتُ﴾؟ قال: كأنّه الآن في أذني.

(لمهيار)^(٣):

سل أبرق الحنان واحبس به أين ليالينا على الأبرق؟
وكيف بانات بسقط الهوى ما لم يجدها الدمعُ لم تورق؟
هل حملت لا حملت بعدنا عنك الصّبا عَرُفَاً لمستشوق؟
يا سائق الأظعانِ رفقاً وإن لم يُغنِ قلبي للعُصف: ارفق
لولا زفيرِ خلف أجمالهم وحرُّ أنفاسي لم تنشق
سميت لي نجداً على بُعْدِها يا وَلَةَ المُشْتَمِ^(٤) بالمُعْرِقِ^(٥)

* * *

(١) حال: تغيّر.

(٢) حديث شريف رواه الإمام أحمد في (المستد)، ومسلم.

(٣) في قصيدة يهنئ بها عميد الدولة أبا طالب بالعيد. انظر: ديوان شعره: ٣٧٧/٢.

(٤) المشتّم: الذي يأتي الشام، من أشام.

(٥) المعرق: الذي يأتي العراق، من أعرق.

الفصل الرابع والخمسون

أيها القائمُ على سُوق الشهوات في سُوق الشبهات^(١)، ناسياً سَوَقَ^(٢) المُلِمَّاتِ إلى ساقِي المماتِ، إلى كم من الخطأ بالخطواتِ إلى الخطيئاتِ، كم عايَنتَ حيّاً فارقَ حيّاً! ^(٣) وكفّاً كُفَّتْ بالكِفاتِ! ^(٤).

(للشريف الرضي)^(٥):

ما أَقْلٌ اعتَبَرْنَا بِالزَّمانِ	وأشدَّ اغْتِرَارَنا بالأَمانِ
وقَفاتٌ على غُرورٍ وأَقْدا	مُ على مَزَلَقٍ من الحَدَثانِ
في حُرُوبٍ من الرَدَى وكأَنا	اليومَ في هُدنةٍ مع الأَزمانِ
وكفاناً مُذْكَراً بالمنايا	عِلْمُنَا أَننا من الحيوانِ
كُلُّ يومٍ رَزيةٌ في فلانٍ	ووقوعٌ من الرَدَى بفلانٍ
قل لَهْذي الهَوامِلِ استوثقي	للسيرِ واستبدلي ^(٦) عن الأَعطانِ
واستقيمي قد ضَمَكِ اللَّقَمُ النَهْجُ	وَعَنِّي وراءَ كَالْحادِيانِ
كم مَحِيدٍ عن الطَريقِ وقد صر	رَحَ خَلَجٍ ^(٧) البُرى ^(٨) جَذَبُ العِنانِ ^(٩)
هل مَجيرٌ بِذابِلٍ أو حُسامٍ	أو مَعينٌ بِساعِدٍ أو سنانِ
قد مررنا على الديارِ خُشوعاً	ورأينا البِنا فآينَ البَساتي

(١) سُوق الأولى: جمع ساق. والثانية: مكان البيع والشراء.

(٢) سَوَقَ: قيادة.

(٣) حيّاً الأولى: الإنسان الحي. وحيّاً الثانية: الحي والمكان الذي يعيش فيه الإنسان.

(٤) كُفَّتْ: منعت. الكِفات: الموضع الذي يكفت فيه، أي يضم، وهو إشارة للقبر.

(٥) قاله يرثي صديقاً له من بني العباس، هو ابن الإمام المنصوري، الذي توفي سنة

(٣٩١هـ)، انظر: ديوان شعره: ٤٥٩/٢.

(٦) في الديوان: «واستشزي».

(٧) خَلَجَ: جذب وغمز.

(٨) البُرى: جمع بُرَّة، وهي حلقة تجعل في أنف البعير.

(٩) العنان: سير اللجام. وفي الديوان: «العران».

أَيْنَ رَبِّ السِّدْرِ^(١) وَالْحَيْرَةِ^(٢) الْبِيضَاءِ أَمْ أَيْنَ صَاحِبِ الْإِيوَانِ^(٣)
وَالسِّيُوفِ الْحَدَّادُ مِنْ آلِ بَدْرِ وَالْقَنَا الطُّمُّ مِنْ بَنِي الرِّيَّانِ
لَيْسَ يَبْقَى عَلَى الزَّمَانِ جَرِيءٌ فِي إِبَاءٍ وَعَاجِزٍ فِي هَوَانِ

يَا عَاصِيَا بِالْأَمْسِ أَيْنَ الْإِلْتِدَادُ؟ يَا مُطَالِبًا بِالْجُزْمِ أَيْنَ الْمَعَادُ؟ يَا مُتَمَسِّكًا
بِالدُّنْيَا وَحَبْلُهَا جُذَادُ^(٤)، مَا رَاعَتْ مَنْ رَاعَتْ مِنَ الْمُحِبِّينَ وَلَا الشَّدَّادُ، بَلْ سَاوَتْ
فِي الْهَلَاكِ بَيْنَ الْفَقِيرِ وَكَسْرَى بْنِ قُبَادُ، تَخْلُصُ مِنْ أَسْرِهَا قَبْلَ أَنْ يَبْعَزَ الْإِنْقَادُ،
وَقَبْلَ أَنْ تَجْرِيَ دُمُوعُ الْأَسَى بَيْنَ وَبَلٍ وَرَذَادُ، إِذَا نَبْذُوكَ فِي الْقَبْرِ انْتَبَذُوا أَيَّ نَبْذٍ
وَأَيَّ انْتِبَازٍ، فَتَذَكَّرُ ضِمَّةً مَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مَعَادُ، أَلَا يَلِينُ الْقَلْبُ؟ أَصَخَّرُ أَمْ
فَوْلَازُ؟ تَدْعِي الْعَجْزَ عَنِ الطَّاعَةِ وَفِي الْمَعَاصِي أَسْتَازُ، وَتَوْثِرُ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى
وَأَنْتَ ابْنُ بَغْدَادُ^(٥).

يَا مُسْتَلْبًا عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ! يَا خَالِيًا فِي الْقَبْرِ بِأَعْمَالِهِ! لَيْتَهُ خَلَكَ مَا مِنْهُ
تَخَلَّيْتُ، لَيْتَهُ وَلَّى عَنْكَ إِثْمٌ مَا عَنْهُ تَوَلَّيْتُ، وَآسَفًا مِنْ حَالَةِ حِيلَتُهَا لَيْتَ.

وَكُلُّ غَنِيٍّ يَتِيهِ بِهِ غِنَاهُ فَمُرْتَجِعٌ بِمَوْتٍ أَوْ زَوَالٍ
وَهَبْ جَدِّي^(٦) زَوَى لِي الْأَرْضَ طَيًّا أَلَيْسَ الْمَوْتُ يَطْوِي مَا زَوَى لِي

إِذَا اخْضَرَ الرَّيْبُ نَاحَ الْهَزَارِ، وَنَدَبَ الْقُمْرِي^(٧) وَأَنْتَ تَعْتَقِدُهُ غِنَاءً، إِنَّمَا هُوَ
بُكَاءٌ عَلَى انْتِظَارِ التَّكْدِيرِ، وَلَا يَغْنَرُكَ صَفْوُ الْعَيْشِ، فَالْرُسُوبُ فِي أَسْفَلِ الْكَأْسِ،
مَنْ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ الصَّامِتِ، وَلَمْ يَسْمَعْ عِبَارَةَ الْجَامِدِ^(٨)، فَلَيْسَ بِفَطْنٍ.

-
- (١) السِّدْر: بناء، فيه قبة في ثلاث قباب متداخلة.
(٢) الحيرة: بلد ملكها النعمان بن المنذر، وفيها القصور البيضاء.
(٣) الإيوان: قصرٌ عظيمٌ لكسرى، ورد أنه ارتج فسقطت منه أربع عشرة شُرْفَةً مع علامات
أخرى ليلة مولد الرسول ﷺ. انظر: الإصابة، لابن حجر: ٥٢٤/٦، برقم (٨٩٣٤).
(٤) جذاد: مقطوع.
(٥) بغداد: اسم من أسماء بغداد. ويقال: تبغدد عليه: زها وتكبر.
(٦) جدِّي: حظي.
(٧) القُمري: طائر حسن الصوت.
(٨) الصامت من المال: الذهب والفضة. والجامد: الحد بين الأرضين والدارين، إشارة إلى
عالم القبر، لأنه الحد الفاصل بين عالم الدنيا وعالم الآخرة.

قال (أحمد بن أبي الحواري): رأيتُ شاباً قد انحدرَ عن مقبرة، فقلتُ:
من أين؟

فقال: من هذه القافلة النازلة.

قلت: وإلى أين؟.

قال: أتزودُ لألحقها.

قلت: فأَيُّ شيء قالوا لك؟ وأَيُّ شيء قلتُ لهم؟.

قال: قلتُ: متى ترحلون؟ فقالوا: حتى تقدُمون.

وكم من عِبرةٍ أصبحت فيها يلينُ لها الحديدُ وأنتَ قاسٍ
إلى كم والمعادُ إلى قريبٍ تُذكّرُ بالمعادِ وأنتَ ناسٍ
ويحك تلمّح عاقبتك بعينِ عقلك فإنّها سليمةٌ من رَمَدِ العقلِ مُحْتَسِبِ،
إذا وقع بميزانِ الهوى كسرَ العَلاقة.

يا صبيان التوبة! قد عرفتُم شرورَ أعطانِ الهوى، فرحلتُم طالبين ريفَ
التقى، فحثوا مطايا الجَدِّ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥]،
كلّما شَرَفَ المطلوبُ طالت طريقه.

الهرة تحمل خمسين يوماً، والخنزيرة أربعة أشهر، والخفّ^(١) والحافر^(٢)
سنة، فأما الفيل فسبع سنين، وعمومُ الشجر يحمل في عامه، والصنوبر بعد ثلاثين
سنة، شرفُ النسل يوجبُ القِلّة، الشاةُ تلدُ واحداً أو اثنين، والخنزيرة تلدُ عشرين.

وأمُّ الصقر مُقلات نَزُور^(٣)

يا هذا! ينبغي أن تكون همّتكَ على قدرك، ولك قدر عظيم لو عرفته.

(١) الخف: مجمع فرسن البعير، وقد يكون للنعام.

(٢) الحافر: واحد حوافر الدابة، وهو للخيّل، وفي الحديث: «لا سبق إلا في خف أو نصل
أو حافر».

(٣) هذا عجز بيت صدره: «بغات الطير أكثرها فراخاً».

إنما خُلِقَتِ الداران لأجلك، أما الدنيا فَلِتَزَوَّدَ، وأما الأخرى فَلِتَتَوَطَّنَ،
أفتراك تعرف مكانة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، أو قيمة ﴿يُحْيِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، أو
مرتبة «وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً»^(١).

تشاغلتم عنا بِصُحْبَةِ غيرنا

إذا صعدت الملائكة عن مجلس الذكر، قال الحق: «أين كنتم، فيقولون:
عند عبادك لك يسبحونك ويمجدونك، فيقول: ما الذي طلبوا ومما
استعاذوا؟...»^(٢).

يا مَنْ يُسَائِلُ عَنِّي الْقَادِمِينَ إِذَا مَا كُنْتُ بِي هَكَذَا صَبَّأً فَكَيْفَ أَنَا؟
يا مَنْ كَانَ فِي رَفَقَةِ ﴿نَتَجَافَى﴾ [السجدة: ١٦]، فصار اليومَ في حزب أهل
النوم.

(للشريف الرضي)^(٣):

يا ديارَ الأحبابِ كَيْفَ تَغَيَّرْتُ ويا عهدُ ما الذي أَبْلَاكَ؟
هل تولى^(٤) الذين عهدي بهم فيك على عهدهم وأين أولاك؟
الذميلَ الذميلَ^(٥) يا راكبُ إني لضمينٌ أن لا يخيبَ سُراكا
يا هذا! لا تجزع من ذنبٍ جرى، قَرُبَ زَلَّةٍ أَوْرِثَتْ تَقْوِيماً، «لو لم
تذنبوا...»^(٦).

مَنْ لَمْ يَذُقْ مَرَارَةَ الْفِرَاقِ لَمْ يَذُرْ مَا حُلَاوَةُ التَّلَاقِ

(١) ذكره الغزالي في الإحياء، وقال الحافظ العراقي: لم أجده أصلاً، ولكن ذكره الديلمي
في (مسند الفردوس) من حديث أبي الدرداء دون أن يذكر له سنداً.

(٢) روى هذا الحديث بالفاظ متقاربة الإمامان البخاري ومسلم.

(٣) قاله في مدح بهاء الدولة عام (٣٩٧هـ). انظر: ديوان شعره: ٩٩/٢ - ١٠٢.

(٤) في الديوان: «أولاك».

(٥) الذميل: ضرب من السير السريع.

(٦) رواه أحمد في (مسنده) والترمذي والطبراني، وحسنه السيوطي.

ما لم يقع سهمٌ في مقتلٍ فالعلاجُ سهلٌ . انحناءُ القوسِ ركوعٌ لا اعوجاجٌ ،
كانت محبةُ آدمَ للحبيبِ أصليةً ، وتعبدُ إبليسَ تكلفاً ، والعِرْقُ نَزاعٌ ﴿ كَانَ مِنْ
الْجِنِّ ﴾ [الكهف: ٥٠] ، وإنما يعالجُ الرَّمْدُ لا الأكْمه^(١) .

تأملوا خمسة همة إبليس إذ رضي بعدَ القرب من السدة بالتقاط القمامة ﴿ إِلَّا
مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ ﴾ [الحجر: ١٨] ، إنه ليهجمُ على ساحةِ الصُّدْرِ ، فيأخذُ في حديثِ
الوسوسة ، فيصيحُ به حراسُ الإيمان من شرفات قصر «ويسعني» ، فيرجع بقلب
الخناس .

فضائل بني آدم خفيت على الملائكة يوم ﴿ أَنبِئْتَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣] ، فكيف
يعرفها إبليس ؟ ! .

صعد إلى السماء منا إدريس وعيسى ، وجال في مجالهم محمد ﷺ ، ونزل
منهم هاروت وماروت^(٢) ، وتدير^(٣) عندنا إبليس ، لو علم المُتدِيرُ ما قد خُبِيَ له
من البلايا ما سأل الإنظار ! .

كلما غلبَ صاحبَ معصية ، وجلسَ يقسم^(٤) في تقواه ، صدرت عن التائبِ
نشابةُ ندم ، ف وقعت في صدرِ إبليس .

أعظم ما على إبليس مجلسي^(٥) ، ما من مجلس أعقده إلا ويقلقُ لما يرى
من النفع ، واليوم يُغشى عليه ! ما علم أنَّ الجنةَ إقطاعنا ، وإنما أخرجنا عنها
مسافرين ، كُتِبَ ديارنا تصل إلينا ، ورسائلنا تصل إليهم ، ويا قرب اللقاء .

كان (فتح بن شخرف) يقول : قد طال شوقي إليك ، فعجلْ قدومي عليك .
(لمهيار)^(٦) :

-
- (١) الرمد لا الأكْمه : الرمد من بعينه هيجان والتهاب ، والأكْمه من ولد أعمى .
 - (٢) سبق التعليق على قصة هاروت وماروت ، وأنها لا أصل لها .
 - (٣) تدِيرُ : صارت الأرض له داراً .
 - (٤) يقسم في تقواه : يجرئ ويَجْف .
 - (٥) مجلسي : أي مجلس الشيخ ابن الجوزي في الوعظ .
 - (٦) مطلع قصيدة كتبها إلى الرئيس أبي طالب بن أيوب . انظر : ديوان شعره : ١٦/٢ - ٢٢ .

تُمَدُّ بِالْأَذَانِ وَالْمَنَاخِرِ «لِحَاجِرٍ» أَتَى لَهَا «بِحَاجِرٍ»^(١)؟
أَرْضٌ بِهَا السَّائِغُ مِنْ رَبِيعِهَا وَشَوْقُهَا الْمَكْنُونُ فِي الضَّمَانِ
سَارَتْ يَمِيناً وَالْغَرَامُ شَامَةً يَا سِرَّ بِهَا يَا «ابْنَ الْخُدَاةِ» يَاسِرٍ^(٢)

* * *

-
- (١) حاجر: في لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو أيضاً موضع قبل معدن التَّمْرَةِ، ومنزل من منازل الحاج في البادية.
- (٢) في الديوان: «يا بن رواح».

الْفَضْلُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

يا من شاب وما تاب! أموقن أنت أم مرتاب؟ من آمن بالسؤال أعدّ
الجواب.

فُخْذٌ لِلسَّيْرِ أَهْبَتَهُ وَبَادِرُ وَجُودٌ جَمَعَ رَحْلَكَ لِلذَّهَابِ
فَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ وَأَنْتَ مَمْنُ يَسِيرُ عَلَى مُقَدِّمَةِ الرُّكَّابِ

أَمَا أَنْذَرَكُ بِيَاضِ الشَّمْطِ؟^(١) أَمَا يُبْكِيكَ قَبْحُ مَا مِنْكَ فَرَطُ؟^(٢) إِلَى مَتَى
تَجْرِي فِي الْهَوَى عَلَى نَمَطٍ؟ إِلَى مَتَى تُضَيِّعُ وَقْتًا مَا مِثْلُهُ يُلْتَقَطُ؟ لَقَدْ أَحَاطَ بِكَ
الْمَنُونُ وَهَا أَنْتَ فِي الْوَسْطِ، وَاسْتَلَّ التَّلَفُ سَيْفَهُ عَلَيْكَ سَرِيعًا وَاخْتَرَطُ^(٣). يَا مَنْ
يَهْفُو وَيَنْسَى، وَالْمَلِكُ قَدْ ضَبَطَ. يَا مَنْفَقًا نِعَمَ الْمَوْلَى عَلَى الْعَصِيَانِ مَا هَذَا
الشُّطْطُ؟! امْخُ بِاعْتِرَافِكَ قَبْحَ اقْتِرَافِكَ وَقَدْ انْكَشَطَ، وَقُمْ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلِ قَدْ
سَجَى، فَرَبِّ عَفْوٍ هَبْطَ، قَدْ نَصَحْتُكَ بِمَا أَسْمَعْتُكَ وَقَدْ أَوْفَقْتُكَ عَلَى التَّنْقِطِ.

يَا مَغْمُورًا بِالنِّعَمِ مَعْدُومَ الشُّكْرِ، كَلَّمَا لَطَفْنَا بِكَ قَابَلْتَنَا بِالْمُخَالَفَةِ، إِنَّهُ لَا
عَجَبَ، مِنْ تَرْكِ الشُّكْرِ إِنْفَاقُ النِّعَمِ فِي مُخَالَفَةِ الْمُنْعَمِ، هُوَ الْعَجَبُ.

هَذَا عُودُ الْعَنْبِ يَكُونُ يَابِسًا طَوَلَ السَّنَةِ، فَإِذَا جَاءَ الرِّبْعُ دَبَّ فِيهِ الْمَاءُ،
فَاخْضَرَّ وَخَرَجَ الْحِضْرُ، فَإِذَا اعْتَصَرَ النَّاسُ مِنْهُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ طَوَلَ السَّنَةِ، قُلِبَ
فِي لَيْلَةٍ خَلًّا، فَبِانْقِلَابِهِ يَوْجِبُ لِلْعَقْلِ الدَّهْشَ مِنْ صَنْعِ صَانِعِهِ، وَقُدْرَةَ خَالِقِهِ!
فَيَنْبَغِي أَنْ يُفَرِّغَ الْعَقْلُ لِلتَّفَكُّرِ، فَيَأْخُذُ الْجَاهِلُ الْعَنْبَ فَيَجْعَلُهُ خَمْرًا، فَيُغْطِي بِهِ
الْعَقْلَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَحْسُرَ عَنْ رَأْسِهِ قِنَاعَ الْغَفْلَةِ ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾
[غافر: ٣٣].

(١) الشَّمْطُ: بياض شعر الرأس يخالط سواده.

(٢) فَرَطُ: تقصير في الأمر وتضييع حتى فات.

(٣) اخْتَرَطَ: استل.

ويحك! قد أطعمتك إياه حِصْراً وعنباً وزيباً وخلأ، فدع الوصف الخامس لي^(١)، فقد سمعت في كلامي ﴿فَأَن لَّوْ تُحْشَرُ﴾ [الأنفال: ٤١].

أيها الضالُّ في بادية الهوى، احذر من بئر بوار، وليس في كلِّ وقتٍ تَقْفُ سيارة^(٢).

ليل الصُّبا مرخى الشُّدَّة^(٣)، وبخارُ الأمانِي يعقد دواخنَ الكسل، فانهض عن حِفْش^(٤) الكسل، واستنطق ألسن الحِكم من موضوعاتِ المصنوعات، يُملِّ عليك كَلِماً في دستورِهِ.

يا مقتولاً ما له طالب ثار، يريد الموت مطلق الأعنة في طلبك، وما يُخْفِكَ حصن.

ثوبُ حياتك منسوجٌ من طاقات^(٥) أنفاسك، والأنفاسُ تسلبُ ذرات ذاتك، وحركات الزمان قوية في الشَّجِ الضعيف، فيا سرعة التمزيق!

آن الرحيل وما في مزادتكَ^(٦) قطرة ماء، ولا في مزود^(٧) عملك قبضة زاد، وقد أحلَّت ناقتك على ما تلقى من العُشب، والجذبُ عامٌّ في العام، ويحك عش ولا تغتر.

يا رابطاً مُناه بخيط الأمل! إنه ضعيف القتل، صياد التلف قد بثَّ الصقور، وأرسل العُقبان^(٨) ونصبَ الأشراك^(٩)، وقطع الجواد^(١٠)، فكيف السلامة؟ تهيأ

(١) الخامس: أي الخمرة. لي: أي من أجل النهي الذي ورد عن الله.

(٢) سيارة: جماعة تسير في الصحراء.

(٣) الشُّدَّة: الظلمة.

(٤) الحِفْش: البيت الصغير.

(٥) طاقات: جمع طاقة وهي كُبة الخيطان.

(٦) المزادة: آلة يستقى بها الماء كالقربة.

(٧) مزود: وعاء الزاد.

(٨) العقبان: جمع عُقاب، من جوارح الطير وكواسرها.

(٩) الأشراك: جمع شَرَك، وهو الأحبولة تنصب للاصطياد، والفخ.

(١٠) الجواد: جمع جادة، وهو الطريق التي لا تخفى عليك، وهي معظم الطريق.

لصرعة الموت، وأشد منها قَلْتُ^(١) القلب، فليت شعري إلى ماذا يؤول الأمر؟.

(للحارثي):

والله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جَدَّ جدُّ البَيْنِ أم أنا غالبة
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لا قيت يغلب صاحبه

آه من تأوّه حينئذ لا ينفع، ومن عيون صارت كالعيون ممّا تدمع.

(المهيار)^(٢):

ولما خلا التوديع مما حذرته ولم يبق إلا نظرة تُعْتَمُ
بكيث على الوادي فخرمت ماءه وكيف يحل الماء أكثره دم؟

نُقِلَ إلى غير مسكن، وسفر من غير تزود، وقدم إلى بلد ربح بلا بضاعة.

ولما تيقنا النوى لم يدغ لنا مسيلُ غروب^(٣) الدمع جفنًا ولا خدًا
فلا صفوة إلا وقد بُدِلَتْ قذَى^(٤) ولا راحة إلا وقد قُلبَتْ كدًا
فوالله ما أدري وقد كنتُ دارياً أغورت^(٥) الأظعان أم طلبتُ نجدًا؟

يا لساعة الموت ما أشدها، تتمنى أن لو لم تكن عندها، وأعظم المِحن ما يكون بعدها . . .

ولم أنس موقفنا للوداع وقد حان ممن أحب الرحيل
ولم تبق لي دمة في الشؤون^(٦) إلا غدت فوق خدي تسيل

(١) قَلْتُ: القلت الهلاك.

(٢) الديوان: ٣/ ٣٤٤.

(٣) غروب: الغرب عرق في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع كالناسور، يقال: بعينه غروب إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها، والغروب: الدموع حين تخرج من العين، ومجاري الدمع.

(٤) قذَى: ما يقع في العين من تراب دقيق وغيره، مفردة: قذاة.

(٥) غورت: دخلت في الغور ونزلت فيه، وهو ما انخفض من الأرض.

(٦) الشؤون: جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين.

فَقَالَ نَصِيحٌ مِنَ الْقَوْمِ لِي وَقَدْ كَادَ يَأْتِي عَلَيَّ الْغَلِيلُ:
تَسْأَلُ بِدَمِيرِكَ لَا تُفْنِيهِ فَيَيْنَ يَدِيكَ بَكَاءٌ طَوِيلُ

تَقَسَّمَ الصَّالِحُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَمِنْهُمْ مَنْ صَابَرَ هَجِيرَ الْخَوْفِ، حَتَّى قَضَى
نَحْبَهُ، كَعُمَرَ، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الرَّحِيلِ: «الْوَيْلَ لَعُمَرَ إِنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ».

وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْلَقَهُ عَطَشُ الْحَذَرِ، فَيَبْرُدُهُ بِمَاءِ الرَّجَاءِ كِبَلَالٍ، كَانَتْ زَوْجَتُهُ
تَقُولُ: «وَاحَرَابَاهُ»، وَهُوَ يَصِيحُ: «وَاطْرِبَاهُ، غَدًا نَلْقَى الْأُحِبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ»،
عَلِمَ بَلَالٌ أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَنْسَى الْمُؤَدَّنَ، فَمَزَجَ كَرْبَ الْمَوْتِ بِرَاحَةِ الرَّجَاءِ فِي اللَّقَاءِ.

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ: غَدًا تَرَيْنَ الطَّلَحَ وَالْجَبَالَ

قَالَ سَلِيمَانُ التِّيمِيُّ لِابْنِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ: اقْرَأْ عَلَيَّ أَحَادِيثَ الرُّخَصِ لِأَلْقَى اللَّهَ
وَأَنَا حَسَنُ الظَّنِّ بِهِ.

إِلَى مَتَى تُتَعَبُ الرُّوَاحِلُ؟ لَا بَدَ مِنْ مَنَاخِ.

رَفَقًا بِهَا يَا أَيُّهَا الزَّاجِرُ قَدْ لَاحَ سَلْعٌ وَدَنَا حَاجِرُ^(١)
فَخَلَّهَا تَخْلَعُ أَرْسَانَهَا عَلَى الرُّبَى لَا رَاعَهَا ذَاعِرُ
وَإِذَا كَرَّ أَحَادِيثَ لِيَالِي مَنَى لَا عُذِمَ الْمَذْكُورُ وَالذَّاكِرُ

كَانَ (أَبُو عُبَيْدَةَ الْخَوَاصِ) يَسْتَغِيثُ فِي الْأَسْوَاقِ وَيُنَادِي: وَاشُقَّاهُ إِلَى مَنْ
يُرَانِي وَلَا أَرَاهُ.

جَاءَ بِهَا قَالِصَةً عَنْ سَاقٍ تَحَنُّنٌ وَالْحِنَّةُ لِلْمَشْتَاكِ
مَا أَوْلَعَ الْحَنِينَ بِالنِّيَاقِ تَذَكَّرِي زَمْلَ النَّقْصِ وَاشْتَاكِ

* * *

(١) حَاجِرٌ: مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ الْحَاجِّ فِي الْبَادِيَةِ.

الفصل في السنين والخمسين

يا مَنْ أَيْامُ عُمُرِهِ فِي حَيَاتِهِ مَعْدُودَةٌ! وَجِسْمُهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ مَعَ دُودَةٍ! .

رَأَيْتُكَ فِي التَّقْصَانِ مُذْ أَنْتَ فِي الْمَهْدِ تَقَرَّبُكَ السَّاعَاتُ مِنْ سَاعَةِ اللَّحْدِ
مَسْتَضْحَكٌ سِرٌّ بَعْدَ عَيْنٍ تَعَصَّرَتْ عَلَيْكَ، وَإِنْ قَالَتْ: بِكَيْتُ مِنَ الرَّجْدِ
أَتَطْمَعُ أَنْ يَشْجَى لِفَقْدِكَ فَاقْدُ لَعَلَّ سُرُورَ الْفَاقِدِينَ مَعَ الْفَقْدِ

يا من عمره يمضي بالساعة والساعة ، يا كثيرَ التفریط في قليلِ البضاعة ،
يا شديدَ الإسرافِ يا قويَ الإضاعة ؛ كَأَنِّي بِكَ عَنْ قَلِيلٍ تُرْمَى فِي جَوْفِ قَاعَةٍ ،
مسلوباً لباسَ القدرةِ وبأسَ الاستطاعة ، وجاء منكرو ونكير في أفطع الفطاعة ،
كأنهما أَخَوَانِ فِي الْفِطَاظَةِ مِنْ لَبَانٍ^(١) الرضاعة ، وأمسيتَ تجني ثمارَ هذِي
الزراعة ، وتمنيتَ لو قَدَرْتَ عَلَى لِحْظَةٍ لِبَاطِعَةٍ ، وقلتَ : ﴿ رَبِّ ارْجُونِي ﴾ [المؤمنون :
٩٩] ، وما لَكَ كَلِمَةً مَطَاعَةٍ ، يا متخلفاً عن أَقْرَانِهِ قَدْ آنَ أَنْ تَلْحَقَ الْجَمَاعَةَ .

يَا سَاهِيّاً لَاهِيّاً عَمَّا يُرَادُ بِهِ أَنَّ الرِّحِيلُ وَمَا قَدَّمْتَ مِنْ زَادٍ
تَرْجُو الْبَقَاءَ صَحِيحاً سَالِماً أَبَداً هِيَاهُ أَنْتَ غَداً فَيَمَنْ غَداً غَادٍ
مَرْكَبُ الْحَيَاةِ تَجْرِي فِي بَحْرِ الْبَدَنِ بَرْخَاءِ الْأَنْفَاسِ ، وَلَا بَدَ مِنْ عَاصِفٍ
قَاصِفٍ [تَفَكَّكِهِ]^(٢) وَتُغْرَقُ الرِّكَابُ .

حَكْمُ الْمَنِيَةِ فِي الْبَرِيَةِ جَارٍ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارٍ
جُئِلَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَارِ^(٣) وَالْأَكْدَارِ
فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَلاً إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ^(٤)

(١) اللبان : الرضاع ، والحاجات من غير فاقة ، جمع لبانة .

(٢) زيادة من (ب) .

(٣) في الديوان : «الأقضاء» .

(٤) الأبيات لأبي الحسن علي بن محمد التهامي المقتول سنة (٤١٦ هـ) ، من قصيدة في غاية =

يا لُقَمَ الآجال ! يا أشباه الرجال ، أما تسمعون صريفَ أنيابِ الصرُوفِ^(١) ؟
كم غافل وأكفائه عند القصار ولئن قبره قد ضرب .

يا سخنة^(٢) عَيْنٍ قَرَّتْ بالغرورِ ، يا خرابَ قلبٍ عُمِّرَ بالمُنَى ، العمرُ زادٌ في
بادية ، يُؤخذُ منه ، ولا يُطرح فيه .

يا من أجله يذوبُ ذوبانَ الثلج ، توانيك^(٣) أبرد .

كان بعضُ من يبيع الثلجَ ينادي عليه : ارحموا من يذوبُ رأسُ ماله .

يا مؤخرًا توبته حتى شاب ، خرج وقتُ الاختيار .

يا ابن السبعين لقد أمهل المتقاضي ، البدارَ البدارَ فتَقاضُ البدنِ قد عَرَقَبَ^(٤)
الأساس .

ولم يبقَ من أيامِ جَمْعٍ إلى مَنَى إلى موقفِ التجميرِ غيرُ أمانِي

بادرُ بالتوبة من هفواتك قبل فواتك ، فالمنايا بالنفوسِ فَوَاتَك .

أعجبُ خلائقِ الخلائقِ ، محسنٌ في ليلِ شبابه ، فلَمَّا لآخَ الفجرِ فَجَرَ .

آه لموسمِ قاتِكَ ، لقد ملأ الأكياسُ الأكياسَ^(٥) ، رَحَلَتِ الرِّبَاحَةُ^(٦)
فالحَقُّهُم في المَترَل . . .

= الجودة ، يرثي بها ولده . وقد طبع ديوانه ، وطبعت مراثيته هذه في كتاب «بلوغ الأرب
بشرح قصيدة من كلام العرب» .

(١) الصريف : صوت ناب البعير ، وإذا كان من الفحول فهو النشاط ، وإذا كان من
الإناث فهو من الإعياء . والصرُوف من الدهر : حدثانه ونوائبه .

(٢) سخنة العين : نقيض قرنها ، أي : شقاؤها وحزنها .

(٣) توانيك : تكاسلك .

(٤) عرقب : يقال : عرقب الدابة : قطع عرقوبها ، والعرقوب منها ما يكون في رجلها بمنزلة
الركبة في يدها .

(٥) الأكياس الأولى : العقلاء . الأكياس الثانية : الأوعية .

(٦) الرباحة : الرابع في التجارة .

وكم وقفتُ وأصحابي بمنزلةً يبيتُ يقظاتها ولهانٌ^(١) وهلانا
فهاجنا حين حيانا النسيمُ بما سُقناه يومَ النقا بالجزعِ أحيانا
نبكي وتسعدنا كومٌ^(٢) المطيُّ فهل نَحْنُ المشوقونَ فيها أم مطايانا
فلا ومن^(٣) فطرَ الأشياءَ ما وَجَدَتْ كَوَجَدنا العيسُ^(٤) بل رقتُ لبلوانا

يا هذا! عقلك يحثُّك على التوبة وهوأك يمنعُ! والحرب بينهما، فلو جهزت جيشَ عزمٍ فرَّ العدو، تنوي قيامَ الليل فتنام، تحضرُ المجلسَ فلا تبكي، ثم تقول: ما السببُ! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، عصيتَ بالنهار فَنِمْتَ بالليل، أكلتَ الحرامَ فأظلمَ القلبُ، فلما فُتِحَ بابُ الوصول للمقبولين طُرِدْتَ. ويحك! فكّرُ القلبِ في المباحات يحدثُ له ظلمة، فكيف في تدبير الحرام؟!

إذا غيَّرَ المسكُ الماءَ مُنِعَ التوضؤُ به، فكيف النجاسة؟!

متى تُفَيِّقُ من خُمارٍ^(٥) الهوى؟! متى تَنْتَهِي من رُقَادِ الغفلة؟!

(للشريف الرضي)^(٦):

يا قلبُ ما أطولَ هذا الغرام يومَ نوى الحيِّ ويومَ المُقامِ
متى تَفَيِّقُ اليومَ من لوعةٍ وأنتَ نشوانٌ بغيرِ المُدامِ
أين أنتَ من أقوامٍ كُشِفَتْ عن أبصارِ بصائرهم أغطيةُ الجهلِ؟ فلاحَتْ لهم
الجادةُ، فَجَدُّوا في السلوكِ.

كان (مسروق) يصلي حتى تتورم قدماه، فتقعدا امرأته تبكي مما تراه يصنع بنفسه.

(١) ولهان: من الوله، وهو الحزن وذهاب العقل. ووهلان: من الوهل، وهو الضعف والفرع.

(٢) كوم: جمع كوماء، وهي الناقة مشرفة السنام عاليته.

(٣) ومن فطر الأشياء: هذا قسم بفاطر الكون سبحانه.

(٤) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

(٥) خمار: بضم الخاء، بقية السكر.

(٦) من قصيدة طويلة قالها في ذم الزمان في عام (٣٩٢هـ). انظر: ديوان شعره: ٣١٣-٣١٧.

أُمْسِي وَأَصْبَحُ مِنْ تَذْكَارِكُمْ قَلْبًا يَرِثِي لِي الْمُسْفِقَانِ: الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
 قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِنْ تَذَكَّرِكُمْ وَاعْتَادَنِي الْمُضْنِيَانِ: الشُّوقُ وَالْكَمَدُ
 وَغَابَ عَنْ مَقْلَتِي نَوْمِي فَنَافَرَمَا وَخَانَنِي الْمُسْعِدَانِ: الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ
 لَا غَزَوَ لِلدَّمْعِ أَنْ تَجْرِي غَوَارِبُهُ^(١) وَتَحْتَهُ الْخَافِقَانِ: الْقَلْبُ وَالْكِدُ
 كَأَنَّمَا مُهْجَتِي نِضْوُ^(٢) بَبْلَقَعَةٍ يَعْتَادُهُ الضَّارِيَانِ: الذُّبُّ وَالْأَسَدُ
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا خَفِيُّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي فِدَاؤُكَ الْبَاقِيَانِ: الرُّوحُ وَالْجَسَدُ

يا هذا أول الطريق سهل، ثم يأتي الحزن^(٣).

في البداية إنفاق البدن، وفي التوسط إنفاق النفس، فإذا نزل ضعف المحبة تناول القلب فأملق^(٤) المنفق.

قلق القوم بلا سكون، انزعاجهم بلا ثبات، حلفت جفونهم على جفاء النوم، فلو سمعت ضجيجهم في دياجي الليل.

مَنْ لِقَلْبٍ يَأْلَفُ الْفِكْرَ وَلَعَيْنٍ لَا تَذُوقُ كَرَى
 وَلِصَبٍّ بِالْغَرَامِ قَضَى مَا قَضَى مِنْ حُبِّكُمْ وَطَرَا
 أُخْصِرَ الْقَوْمُ فِي سَبِيلِ الْمَحَبَّةِ، فَأَعَدَّتْهُمْ عَنْ كُلِّ مَطْلُوبٍ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

رَأَيْتُ الْحَبَّ نِيرَانًا تَلْظَى قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهَا وَقُودُ
 فَلَوْ كَانَتْ إِذَا احْتَرَقَتْ تَفَانَتْ وَلَكِنْ كُلَّمَا نَضِجَتْ تَعُودُ
 لَاحَتْ نَارُ لَيْلَى لَيْلًا فَنَهَضَ الْمَجْنُونُ، فَحَبَّتْ فَضْلًا، فَضَجَّ.

رُدُّوا الْفَوَادَ كَمَا عَهَدْتُ إِلَى الْحَشَا وَالْمَقْلَتَيْنِ إِلَى الْكَرَى ثُمَّ اهْجُرُوا

* * *

(١) غواربه: الغرب: الدلو العظيمة، وعرق في العين أو في مجرى الدمع يستقي ولا ينقطع.

(٢) النضو: البعير المهزول.

(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض.

(٤) أملق: افتقر.

الفصل السابع والخمسون

إخواني! قد كَفَتِ الكِفَاتُ^(١) في العبر، ووعَظَ من عَبَرَ من عَبَرَ، وقد فَهِمَ
الْفَطِنُ الأمرَ وَخَبَرَ، وما عند الغافل مِنْ هذا خبر.

يا أيها الناسُ أين أولكم	أما أناكم للذاهبين خَبَرُ
اعتبروا فالمقصدُون خلّوا	وكلّهم للمؤخّرين عِبَرُ
تعبُرُ بالمضِرِّ عابراً فإذا	سألتَ عَمَّنْ تودُّ قيل عَبَرُ
اصبر على العُسْرِ في الزمانِ فكَمُ	عُسْرُ وَيُسْرُ أذاك ثَمَتَ مَرُ
والصبرُ أولى بكلِّ مَنْ صَحِبَ	العِشْرَ، ومن جرَّبَ الزمانَ صَبَرُ
يَرْفَعُ شأنَ الكرامِ فعلُهُمُ	والفعلُ إن خالفَ الجميلَ حُذِرُ
كادتْ شخوصٌ في الأرضِ باليةٌ	تنطقُ حقّاً إذا المَقالُ غَدَرُ
بالأمسِ كُنّا من الأنامِ فأما	اليومَ في ثرينا فنحنُ مَدَرُ

ابكِ على نفسك قبل أن يُبَكِّيَ عليك، وتَفَكَّرْ في سهمٍ قد صُوبَ إليك، وإذا
رَأَيْتَ جِنَازَةً فاحسِبْها أنتَ، وإذا عَايَنْتَ قَبْرَ أَفْتَوْهُمُ قَبْرَكَ، وعُدَّ باقي الحياة ربحاً.

(لِمُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ):

لقد لامني عندَ القبورِ على البُكا	رفيقي لتذرافِ الدموعِ السوافكِ
فقال: أتبكي كلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ	لقبرِ ثوى بين اللّوى والدكادِكِ
فقلتُ له: إنّ الشّجا يبعثُ الشّجا	فَدَغْنِي، فهذا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ

يا بعيدَ التيقُّظِ والموتُ منه قريب! يا من هو عمّا قليلٍ في القبورِ غريب!

(١) الكفات: الموضع الذي يضم فيه الشيء ويقبض، ومنه قولهم للمنازل: كفات الأحياء،
وللمقابر: كفات الأموات.

يا راكباً بحرَ الهوى وفي يديه جنيب^(١)، يا مازاً على وجهه قل لي متى تُنِيب؟ ألا تأخذُ قبلَ الفوتِ بعضَ النصيب؟ ألا تتزوّدَ ليومَ شرّه شرّاً عصيب؟ ألا تخرجُ عن وادي الجذب إلى الربيع الخصيب؟ أحاضر أنت؟ قل لي: ما أكثرَ ما تغيب! ألا مريضٌ لبيبٌ يقبلُ رأيَ الطبيبِ؟

إنَّ الرحيلَ بلا عُدَّةٍ فج، فكيف به على بعد الفج^(٢)؟ أأخِرمُ عن الحرام، وقدّرُ أنه حجٌّ، واسكُبَ دموعَ الأسى واحسبه ثج^(٣)، واستغثتُ من الزللِ ومثَّلُهُ العَج^(٤)، وبادروا فقد تفوتُ الرقعةُ أهلَ وَج^(٥)، اقبل نصحي فمثل نصحي لا يُمَجُّ، كم فهِمَ وَعَظِي ذُو فُطْنَةٍ فَهَج^(٦).

يا من يقول: إذا شئتَ تبث.

اليومَ عهدُكمُ فأينَ الموعدُ هيهاتَ ليسَ ليومَ عهدِكمُ غدُ
إن خرجتَ اليومَ ولم تَتُبْ، خرجتَ من أولي الفهم.

لأي مَرَمَى تزجُرُ الأيانقا^(٧) إن جاوزتَ نجداً فليستَ عاشقا
وقوعُ الذنبِ على القلبِ كوقوعِ الدُّهنِ على الثوبِ، إن لم تُعَجِّلْ غسلَه،
ولا انبسطْ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ يُبِطِلُنَّ﴾ [النساء: ٧٢].

يُدي في قائمِ العضبِ^(٨) فما الإبطاءُ بالضربِ
ما دامتَ نفسُك عندَ التوبيخِ تنكسرُ، وعينُك وقتَ العتابِ تدمعُ، ففي قلبِكَ

(١) جنيب: المقود إلى الجنب من الخيل وغيرها.

(٢) الفج: الطريق الواسع.

(٣) ثج: إراقة الدماء في الحج.

(٤) العج: رفع الصوت بالتلبية.

(٥) وج: اسم واد في الطائف.

(٦) فهج: ثار في غفلته وتنبه.

(٧) الأيانقا: جمع نوق.

(٨) العضب: السيف.

بَعْدُ حَيَاةً، إِنَّمَا الْمَعَاصِي أَوْجِبَتْ سَكَنَةً، فَأَنْشِقُ^(١) هَوَاكَ خُرَاقَ التَّخْوِيفِ وَقَدْ عَطَسَ.

يا من قد أبعدهُ الذنوبُ عن ديارِ الأنسِ، ابكِ وطِرِ الوطنِ عساكَ تُرَدُّ.
قال بعض السلفِ: رأيتُ شاباً في سفحِ جبلٍ عليه آثارُ القلقِ، ودموعُه تتحادرُ، فقلت: من أين؟

فقال: أبى من مولا.

قلت: فتعود فتعتذر.

فقال: العذرُ يحتاجُ إلى حُجَّةٍ، ولا حجةَ للمفِرِّطِ.

قلت: فتتعلق بشفيعٍ؟

قال: كلُّ الشفعاء يخافون منه.

قلت: مَنْ هو؟

قال: مولى ربّاني صغيراً فعصيته كبيراً، فوا حياتي من حسنِ صنعه وقبحِ فعلي... ثم صاح فمات، فخرجت عجوزٌ فقالت: مَنْ أعانَ على قتلِ البائسِ الحيران؟

فقلت: أقيمُ عندكُ أعينك عليه، فقالت: خلّه ذليلاً بين يدي قاتله، عساه يراهُ بغيرِ مُعينٍ فيرحمه.

بالله عليك يا فتى الأعرابِ إنْ جُرْتَ على مواطنِ الأحبابِ
فاشرح سَقَمِي وقلْ لهم عَمَّا بي ذاك المضى يموتُ بالأوصابِ

أيُّها التائبون بالسُّتْهم، ولا يدرون ما تحت نطقهم، لا يُخَكِّمُ بإقراركم ﴿حَقِّ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

(١) ما بين معقوفتين زيادة من (ب). وأنشِقُ: النشوق: السعوط، والعاطوس: ينشق في الأنف سالتة، وهز الدماغ، وهنا يجعل الهوى أنفاً دعاة فيه إلى إشباعه بسعوط الخوف عسى أن يمسه عطاس فيحمد ويشمت ويستقم.

متى صَدَقَتْ توبَةُ التائبِ بنى بيتَ التعبدِ بصخورِ العزائمِ، ولم ينته في
أساسِهِ دونِ الماءِ.

ما ضُربَ بسيفِ العزيمةِ قط إلا قط^(١).

التوبةُ الصادقةُ تَقْلَعُ آثارَ الذنوبِ.

إذا قرئَ على التائبِ عهدُ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ذكر الإقرار،
وعرف الشهودَ، فحجَلَ من الخيانة، فجرتِ العينُ، وأطرقَ الرأسُ، إنَّ التائبينِ
كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرونَ الجوابَ.

يا حاديَ الأظعانِ عَجْ متوقفاً وانظر دَمَ العُشاقِ كيف يراقُ
صبروا على أَلَمِ التهاجرِ والقلَى وتجرَّعوا مُرَّ الفِرَاقِ وذاقوا

يا معاشِرِ التائبينِ مَنْ أقامكم وأقعدنا؟ مَنْ قَرَّبَكُم وأبعدنا؟ ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، قفوا لأجل
زَمَنِ، ارحموا مَنْ قد عُطِبَ.

ردُّوا المطايا وإلا رَدَّها نَفْسِي وأدْمعي فهما سَيْلٌ ونيرانُ
يا سائقَ الظعنِ قلبي في رحالهم أمانةُ رَغِيْها والحفظُ إيمانُ

يخيَلُ لي أَنَّ الحيطانَ تبكي معنا، وأنَّ النسيمَ قد رَقَّ لحزننا.

فلا وَمَنْ فَطَرَ الأشياءَ ما وَجَدَتْ كَوَجَدْنَا الْعِيسَى بل رَقَّتْ لبلوانا

ما أحسنَ هؤلاءِ التَّوَّابِ! ما أذلَّ وقوفهم على البابِ فاعتبروا يا أولي
الآبابِ.

بما بيننا من حرمَةٍ هل رأيتُم أرقُّ من الشَّكوى وأقْسَى مِنَ الهَجْرِ
وأفْضَحَ من عَيْنِ المحبِّ لسرِّه ولا سِيَّما إنْ أَطْلَقْتَ عِبرَةً تجري

وجوهم أضوأ من البدر، جباههم أنور من الشمسِ، نوحهم أفضل من

(١) قط الأولى: ظرف لما مضى من الزمان. وقط الثانية: انقطع.

التسبيح، سكوئهم أبلغ من فصيح، لو علمت الأرض قدر خوفهم تزلزلت، لو سمعت الجبال ضجيجهم تفلقت.

(لابن المعتز):

اسقني فالיום نشوان^(١) والرؤى صاد^(٢) ورينان
وندامى كالنجوم سَطَوا بالمنى، والذهر جذلان
خطروا، والشكر ينفضهم وذيل القوم أردان

كلما رأيت تقلقل التائبين تقلقل قلبي، وإذا تلمحْتُ اصفرارهم تبلبل لبي،
وإذا شاهدت دموعهم زاد كربي، وإذا سمعتُ حنينهم تبدد ماء عيني.

ما نأخ في البان الحمام إلا ورثخني الغرام
فكأنني ثملٌ تمشت في مفاصله المدام^(٣)
ومالي وبانات الحمى لولا الصبابة والهيام

* * *

(١) نشوان: سكران وجذل.

(٢) صاد: ظمان.

(٣) المدام: الخمر.

الفصل الثامن والخمسون

ما زالت المنون ترمي عن أقواس، حتى طاحت^(١) الجسوم والأنفس،
وتبدلت النعم بكثرة الأبوس، واستوى في القبور الأذنان والأرؤس، وصار
الرئيس كأنه قط لم يرؤس.

قُلْ للمقَرَّط يستعد ما من ورود الموت بُدْ
قد أخلق الدهر الشباب وما مضى لا يُستَرَدْ
فإلام يشتغل الفتى في لهوه والأمُرُ جُدْ
والعمرُ يقصرُ كل يوم بي وأمالى تُمَدْ

لقد وعظت الدنيا فآلغت وقالت، ولقد أخبرت برحيلها قبل أن يقال:
زالت، وما سقطت جذرائها حتى أُنذرت ومالت.

قَرَّبَ الاغتراب في الثراب، ودنا سلُّ السيف من القراب، كم غنت رباب
برباب^(٢)، ثم نادى على الباب بتياب^(٣).

يا من زمانه الذي يمضي عليه: عليه، يا طويل الأمل وهو يرى الموتى
بعينه! يا مَنْ ذنبه أوجب أن لا يلتفت إليه، قد مُزجت لك كأس كربة، ولا بُدَّ والله
من تلك الشربة، يا منقولاً بعد الأنس إلى دار غربة، يا طين تربة وهو يطلب في
الدنيا رتبة، هذا مجلس (ابن زيد) فاين (عُتْبة)؟.

أتلهو برنْد الصبا وبانه؟ وبروقك برق الهوى بلمعانه، وتغترُّ بعيش في
عُتقوانه، فتمد يد الغفلة إلى جَنِي أغصانه، وتنسى أنك في حريم خطره وامتحانه،
أما لُقمة أيبك^(٤) أخرجته من مكانه؟ أما نودي عليه بالفطر في رَمْضانه؟ أما شأنه

(١) طاح: هلك وسقط.

(٢) رباب: آلة وترية ذات وتر واحد.

(٣) تياب: هلاك.

(٤) يشير إلى أكلة آدم عليه السلام من الشجرة.

شانه^(١) لولا وَكُفْ شانه^(٢)؟ أما يُسْتَدَلُّ على نارِ العقابِ بدخانهِ؟.

نزل آدمُ عن مقامِ المراقبةِ درجةً فنَزَلَ، فكان يبكي بقيةَ عمرِهِ ديارَ الوفا، بردُ
النفسِ بالهوى لحظةً أثمرَ حرارةَ القَلْقِ ألفَ سنة، فاعتبروا، سالت من عينيه
عيون، استحالت من الدماءِ دموع، شغلته عن لذاتِ الدُّنيا هموم.
(لمهيار)^(٣):

هل بعدَ مُفترقِ الأظعانِ مجتمَعُ	أم هل زمانٌ بهم قد فاتَ مرتَجِعُ
تحملُّوا تَسْعُ البِداءِ ركبَهُمُ	ويحملُ القلبُ منهم فوقَ ما يَسْعُ
الليلُ بعدهمُ كالهَجَرِ متصلُ	ما شاء والنومُ مثلُ الوصلِ منقطعُ
أشواقُ نَعْمَانٍ لا أرضى بروضتِهِ	داراً، وإن طابَ مُضطافٌ ومرتبِعُ

كان آدمُ كلَّما عاينَ الملائكةَ تنزَلُ، تذكَّرَ المُرتَبِعَ في الرِّنع، فتأخَذُ العينُ في
إعانةِ الحزين.

رأى بارقاً من نحوِ نجدٍ فراعَهُ	فباتَ يَسْعُ الدَّمْعَ وجداً على نجدٍ
هل الأعصرُ اللاتي مضيْنَّ يُعدْنَ لي	كما كُنَّ لي، أم لا سبيلَ إلى الرَّدِّ

ما أَمَرَ البُعْدَ بعدَ القربِ، ما أَشدَّ الهَجَرَ بعدَ الوصلِ، يا مطروداً بعد
التقريب، أبلغُ الشافعينَ لكُ البُكاء.
(للمتنبي)^(٤):

وكيف التَّذاذي بالأصائلِ والضُّحى	إذا لم يَعدْ ذاكَ النسيمُ الذي هبَا
ذكرْتُ به وصلاً كأنَّ لم أَقْز بهِ	وعيشاً كأنِّي كنتُ أَقطَعُه وثبَا

كان لقومِ جارية، فأخرجوها إلى النَّحاس، فأقامت أياماً تبكي، ثم بعثت

(١) شانه: عابه.

(٢) وكف: سيل الدمع. شانه: مجرى دمه، وقد خففت الهمزة فيها فيقال: شانه.

(٣) مطلع قصيدة يصف فيها مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر:
ديوان شعره: ٢/ ١٨١ - ١٨٤.

(٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة. انظر: الديوان، شرح العكبري: ٥٧/١.

إلى ساداتها تقول : بحرمة الصُّحبة رُدوني فقد ألفتكم .

يا هذا ! قف في الدياجي وامتدِّ يدَ الدُّل ، وقل : قد كانت لي خدمة ، فعرضَ تفريطاً وأوجبَ البُعدَ ، فبحرمة قديم الوصل رُدوني فقد ألفتكم .

عَلَّلُونَا بِوَصَالٍ نَافِعٍ	إِنَّا لِلْبُعْدِ كَالشَّيْءِ اللَّقَا ^(١)
أَوْ خَذُوا أَرْوَاحَنَا خَالِصَةً	أَوْ ذَرُّوا فِي كُلِّ جَسْمٍ رَمَقًا
وَارْحَمُوا مَنْ تَنْقُضِي أَيَّامَهُ	غُمَرَاتٍ وَاللَّيَالِي أَرْقَا
وَيَحْ قَلْبِي مَا لِقَلْبِي كَلَمًا	خَفَقَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي خَفَقَا

يا هذا ! لا تبرخ من الباب ولو طُرِذْتَ ، ولا تزل عن الجنب ولو أبعدت ، وقل بلسان التَّمَلُّق : إلى مَنْ أذهبُ ؟!

يَا زَيْعُ إِنْ وَصَلُوا وَإِنْ صَرَمُوا	فَهُمُ الْأُولَى مَلَكُوا الْفُؤَادَ هُمُ
شَغَلُوا بِحَسَنِهِمْ نَوَاطِرَنَا	وَعَلَى الْقُلُوبِ بِحُبِّهِمْ خَتَمُوا
أَتَبَعْتُهُمْ نَظْرًا فَعَادَ جَوَى	وَمِنَ الشَّقَا لَذِي الْهَوَى سَقَمُ
تَمَحَو دَمُوعِي وَسَمَ إِلَهُهُمْ	وَزَفِيرُ أَنْفَاسِي لَهَا يَسَمُ

كان (الحسن) شديدَ الحزن ، طويلَ البكاء ، سُئِلَ عن حاله ، فقال : أخافُ أن يطرحني في النار ، ولا يبالي .

يَعُزُّ عَلَيَّ فِرَاقِي لَكُمْ وَإِنْ كَانَ سَهْلًا عَلَيْكُمْ يَسِيرًا
يَا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَمَاتَ ، يَا مَنْ كَانَ لَهُ وَقْتُ فَمَاتَ ، استغث في بَوَادِي
القلق .

رُدُّوا عَلَيَّ لَيْتَالِي الَّتِي سَلَفَتْ

أُحْضِرْ وَقْتَ السَّحَرِ ، فَإِنَّهُ وَقْتُ الْإِذْنِ الْعَامِ ، وَاسْتَضْجِبْ رَفِيقَ الْبُكَاءِ ، فَإِنَّهُ
مُسَاعِدٌ صَبُورٌ ، وَابْعَثْ سَائِلَ الصُّعْدَاءِ ، فَقَدْ أَقِيمَ لَهَا مَنْ يَتَنَاوَلُ .

(للمصنف) :

(١) اللَّقَا: الملقى لهوائه .

عَبَرْتُ بِرِيحِكُمُ الصَّبَا سَحَرًا
 مَا لِي أَرَاكَ سَقِيمَةً بِهِمْ
 اتَّبَعْتُهَا نَفْسًا أَشْبَعَهَا
 قِفْ صَاحِبِي إِنْ كُنْتَ تُسْعِدُنِي
 وَانْشُدْ فَوَادِيَّ عِنْدَ كَاطِمَةٍ
 أَشْكُو وَمَنِي مَبْتَدَى أَلْمِي
 فَرَضُوا عَلَى الْأَجْفَانِ إِذْ هَجَرُوا
 كَيْفَ اصْطَبَارِي بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ
 فَارْتَاخَ قَلْبِي الْمَدَنَفُ الْحَرِضُ
 يَا رِيحُ عِنْدِي لَا يَكُ الْمَرَضُ
 فَإِذَا جَرَوْهُ الْقَلْبُ تَنْتَقِضُ
 عِنْدَ الْكَثِيبِ فَنَمَّ لِي غَرَضُ
 فِي كُلِّ رَكْبٍ رَاخٍ يَعْتَرِضُ
 عَيْنِي رَمَتْ وَفَوَادِيَّ الْغَرَضُ
 لَا تَلْتَقِي فَاصْبِرْ لِمَا فَرَضُوا
 يَا جِيرَةً مَا عَنْهُمْ عَوَضُ

※ ※ ※

الفصل التاسع والخمسون

يا مَنْ سَيَّبَ قلبه في مراعي الهوى ، وألقى حَبْلَه على الغارب ، ستعلم من يطول نشدانه للضلال .

(لمهيار)^(١) :

دغ ملامي بالحمى أو رخ ودغني واقفاً أنشدُ قلباً ضاعَ مِنِّي
ما سألتُ الدارَ أبغي رَجْعَهَا رَبُّ مسؤولٍ سواها لم يُجِبْنِي
أنا يا دارُ أخو وخشِ الفلا فيكَ مَنْ خانَ فعزَمي لم يَحْنِي
ولئن غالَ مغانيكِ البلى عادةُ الدهرِ فشخصٌ منك يُغْنِي
إن خَبَتْ نارٌ فهذي كِبدي أو جَفَا الغيثُ فهذا لِكَ جَفْنِي

أكثرُ فسادِ القلبِ من تخليطِ العَيْنِ ، ما دامَ بابُ العينِ موثقاً بالغضِّ فالقلبُ سليمٌ من آفة ، فإذا فُتِحَ البابُ طارَ طائرُهُ وربما لم يُعَدَّ .

يا متصرفين في إطلاقِ الأبصارِ ، جاء توقيع العزل ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْصُتُوا مِنْ أَنْصَتِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠] ، إطلاقُ البصرِ ينقُشُ في القلبِ صورةَ المنظورِ ، والقلبُ كعبةٌ «ويسعني» ، وما يَرْضَى المعبودُ بعبادة^(٢) الأصنام .

عيناَيَ أعانتا على سفكِ دمي يا لذةَ لحظةٍ أطالتَ أَلَمِي
كم أندمُ حينَ لَيْسَ يُغْنِي ندمي ويُلِي ثَبَتَ الهوى وزَلَّتْ قَدَمِي

يا مطلقاً طَرْفَه لَقَدْ عَقَلْتُ ، يا مرسلاً سَبَعَ فَمِه لَقَدْ أَكَلْتُ ، يا مشغولاً بالهوى مَهلاً قَتَلْتُ ، بادِرُ رَمَقِكَ فَقَدْ رَمَقَكَ^(٣) بالرحمة مَنْ عَذَلَكَ .

(١) مطلع قصيدة كتبها لعميد الكفاة في النيروز . الديوان : ٧٧-٧٢ / ٤ .

(٢) في (ب) : بمزاحمة .

(٣) رَمَقَكَ الأولى : بقية الشيء . ورمَقَكَ الثانية : نظر إليك .

(المهيار)^(١):

عشرت يومَ العُذيبِ فاستَقِلْ ما كُلُّ ساعٍ يُحسُّ بالزَّلَلِ
ما سلمتُ قبلكِ القلوبُ على الحُسنِ ولا الراجمونَ بالمُقَلِ
سافرَ قلبي يَومَ الظَّعائنِ بالسَّفحِ وآبَ الفُؤادُ بالخَبَلِ
نظرةٌ غَرَّ جَنَّتْ مُقارَعَةٌ يفتكُ فيها الجبانُ بالبَطَلِ
حصلتُ منها على جِراحَتِها واستأثرَ الظاعنونَ بالنَقَلِ

إذا لاحَتْ للتائبِ نظرةٌ لا تَحِلْ ، فامتدت عينُ الهوى ، فزلزلت أرضَ الثُّقى ،
ونَهَضَ معمارُ الإيمانِ ﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل: ١٥] .

لاحَتْ نظرة لبعض التائبين ، فصاح :

حَلَفْتُ بدينِ الحُبِّ لا خُنْتُ عهدَكُم وتلك يمينُ لو علمتْ غُموسُ
إذا خَيَّمَ سلطانُ المعرفةِ بقاعِ القلبِ ، بئْ جندُهُ في بِقاعِ البدنِ ، فصارت
السباحُ رياضاً لرياضة .

ساكنٌ في القلبِ يعمسُهُ لست أنساه فأذكره
إذا نزل الحبيبُ ديارَ القلبِ لم يبقَ فيه نَزْالة^(٢) .

وكان فؤادي خالياً قبل حبكمُ وكان بذكرِ الخلقِ يلهو ويمرُحُ
فلَمَّا دعا قلبي هواكُ أجابه فلسْتُ أراهُ عن فِنائِكَ يَترُحُ
رُميتُ ببعيدٍ منك إن كنتُ كاذباً وإن كنتُ في الدُّنيا بغيرِكَ أفرُحُ
فإن شئتُ واصلني وإن شئتَ لا تَصِلْ فلسْتُ أرى قلبي لغيرِكَ يَصْلُحُ

أول منازل القوم : «عزفت نفسي عن الدنيا»^(٣) ، وأوسطها : «لو كشف

(١) مطلع قصيدة كتبها لعميد الكفاة أبي سعد عبد الرحيم في النيروز . انظر : ديوانه : ٨٧ / ٣ .

(٢) نزالة : كثير النزول .

(٣) أخرجه البزار من حديث أنس ، والطبراني من حديث الحارث بن مالك ، راجع : كثر العمال ، المجلد (١٣) ، برقم (٣٦٩٨٨) .

الغطاء»^(١)، ونهايتها: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه».

وما تطابقتِ الأجفانُ عن سِنَّةٍ إلا وجَدْتُكَ بينَ الجفنِ والحدقِ
وهل ينامُ حزينٌ موجعٌ قَلْبُ جفونُهُ وَكَلَّتْ^(٢) بالشَّهْدِ والأرقِ
شَغَلَتْ نَفْسِي^(٣) عن الدُّنْيَا وَلَدَيْهَا فأنتَ والروحُ شيءٌ غيرُ مُفْتَرِقِ
فَلِمَ تُعَذِّبُهَا بالصَّدِّ يا أُمْلِي؟ أرحمُ بقيةَ ما فيها مِنَ الرَّمَقِ

أرواحُ المحبين خرجت بالرياضة من أبدان العادات، وهي في حواصل طير
الشوق ترفرف على أطلال الوجد، وتسرح في رياض الأنس، عند المحبين شغل
عن الجنة، فكيف يلتفتون إلى الدنيا؟ ما ترى عين المحبين إلا المحبوب «فبي
يسمع وببي يبصر»^(٤).

أنتَ عَيْنُ العَيْنِ إنْ نظرتَ ولسانُ الذِّكْرِ إنْ ذَكَرا
أنتَ سمعي إنْ سمعتُ به أنتَ سرُّ السرِّ إنْ خطرا
ما بَقِيَ للنفسِ جارحةٌ كُلُّها يا قاتلي أُسْراً^(٥)

باتت قلوبُهم يُقلِّقُها الوجدُ، فأصبحت دموعُهم يسترها الجفن^(٦)، فإذا
سمعوا ناطقاً يهتفُ بذكر الحبيب، أخذَ جَزُرُ الدمعِ في المَدِّ.

مَنْ أقلقَه الخوفُ كيفَ يسْكُنُ؟! مَنْ أنطقَه الحبُّ كيفَ يسْكُتُ؟! من آلمه
البعد كيف يصبر؟! سل عنهم الليلَ فعنده الخبرُ، أتدري كيف مرَّ عليهم؟ أَبْلَغَكَ
ما جرى لهم؟ «أيعلمُ خالٍ كيف باتَ المتيمُّ»، افترشوا بساط قيس، وياتوا بليل

(١) المشهور أنه من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. راجع: شرح سنن
النسائي، للإمام السندي، بعناية الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله: ٩٦/٨، الحديث
برقم (٤٩٨٨): «ثلاث من كن فيه».

(٢) في (ب): أجفانه وكحلت.

(٣) في (ب): قلبي.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه».

(٥) أسرا: أي أسرى.

(٦) في (أ): تستربفنا الجفن.

النابعة، إن ناحوا فأشجى من مُتَّعَم، وإن ندبوا فأفصح من خنساء .

اجتمعت أحزابُ الأحزان على قلب الخائف، فرمت كبد^(١) الخوف الكبد،
فوصلَ سهمُ القلق ففلقَ حَبَّةَ القلبِ فانقلبَ، فصاح الوجدُ: مَنْ شاء اقتطع.
فلو رأيتَ فعلَ النّهابة^(٢) لرحمتَ المتعزِّق .

(لمهيار)^(٣):

أثَّها الرامي وما أجرى دماً لا تجنب قد أصبت الغرضاً
أطلبوا للعين في أثائه نظرة تكجلُّها أو غمضاً
طال حبسُ المحبين في الدنيا عن الحبيب، فضجَّت السنُّ الشوق، فلو
تَيَقَّظَتْ في الدُّجى سمعت أصواتَ أهلِ الحبوس .

(للمصنف):

طالَ ليلي وداما	وحُرمتُ المناما
وجدَ الوجدُ عندي	منذ بانوا مقاما
ليتهم حين راحوا	ودَّعُوا مستهاما
سارَ قلبي وجِسمي	لم يَسِرْ بَلْ أقاما
لمتْ أدري فؤادي	إذ غَدوا أين هاما
حبُّهم قرَّةُ قلبي	منذ كنتُ غلاما
حملوا ضَعْفَ قلبي	يَذُبُّلًا وشَمَاما ^(٤)
كم رموني برشقي	وأحلدوا سِهَاما
ما لعيني تَبْكِي	إن سمعتُ حَمَاما
كلَّما نَاحَ رَشَّتْ	فظننتُ الغماما
هل نسيتمْ لكربي	أين ريحُ الخُزامى

(١) كبد: القوس يملأ اليد مقبضها .

(٢) النّهابة: الذين يجتمعون على نهب الشيء وأخذه .

(٣) من قصيدة كتبها في النيروز إلى عميد الرؤساء أبي طالب . انظر: ديوانه: ١٥٣/٢ - ١٥٤ .

(٤) يذبل وشمام: جبلان .

كَانَ مَوْتاً زُؤَامَا	مَجْرَكُم يَا حَبِيبِي
ثُمَّ أَبْلَى الْعِظَامَا	أَكَلَ اللَّحْمَ مِنِّي
وَنَهَارِي ظَلَامَا	صَارَ لَيْلِي نَهَاراً
لَوَعْتِي وَالْغَرَامَا	إِنَّمَا بَسْتُ أَشْكُو
مَا أَبَالِي الْمَلَامَا	فَاعْذَرُوا أَوْ فُلُومُوا
قَدْ خَلَعْتُ اللَّجَامَا	أَفْرِجُوا عَن طَرِيقِي
وَكَشَفْتُ اللَّثَامَا	وَرَمَيْتُ سِلَاحِي
قَدْ فَنَيْتُ سِقَامَا	أَسْعِدُونِي ^(١) فَإِنِّي

* * *

(١) الإسعاد: الإعانة.

الفَصِيلَةُ الْإِسْتِثْنَاءُ

إخواني! تفكروا في الذين رحلوا، أين نزلوا؟ وتذكروا أن القوم نُوقِشُوا
وسُئِلُوا، واعلموا أنكم كما تُعَذَّلُونَ عُدِلُوا، ولقد ودُّوا بعد الفواتِ لو قُبِلُوا.

(لأبي العتاهية) ^(١):

سألت الذار تُخبرني	عن الأحباب ما فعلوا
فقال لي: أناخ القوم	أياماً وقد رَحَلُوا
فقلت: فأين أطلبهم	وأي منازل نزلوا
فقال: بالقبور وقد	لقوا والله ما عملوا
أناس غرهم أمل	فبادرهم به الأجل
فَنَوا وبقي على الأيام	ما قالوا وما عملوا
وأثبت في صحائفهم	قيحُ الفِعلِ والزَّلُل
فلا يُستَغْبِون ولا	لهم ملجأ ولا حيل
ندامى في قبورهم	وما يُغني وقد حَصَلُوا

أين من كانت الألسن تهذي بهم لتهذيبهم، وأصبحت فُلك الاختبار تجري
بهم لتجريبهم، أقامت قيامتهم مناداة خيل الرحيل لتغري بهم لتغريبهم، فباتوا في
القبور وخذاناً لا أنيس لغريبهم.

أين أهل الوداد الصافي في التَّصافي؟ أين الفصيح الذي إن شاء أنشأ في القول
الصافي؟ أين قصورهم التي تَضَمَّتْهَا مدائح الشعراء، صار ذكر القوي في القوافي؟
لقد نادى الموت أهل العوالي والقصور العوالي الطوافي: تأهبوا لقدومي فكم
غرثان ^(٢) طوى في طوافي ^(٣)، رحل ذو المال وما أوصى في تفريق كدر أو صافي،

(١) لم أجدها الشعر في ديوانه.

(٢) الغرث: الجوع. والغرثان: الجائع.

(٣) طوى: مات جائعاً. طوافي: تجوالي عليه.

ولقي في مَرَّةٍ أمراً مُراً لا تَبْلُغُهُ أوصافي، ذاقوا الآمال فانتزع من أفواههم يوم المآل، وعادَ الخوى في الخوافي^(١)، عوى في ديارهم ذئبُ السَّقام بتكذيب العوافي، وانقطعت آمالهم، وصار كلُّ المني في دفع المُنافي، تزلزل وُدُّ أحبابهم والتوى، وبِتُّ التوي في التوافي^(٢)، تالله لقد نال الدودُ والبلى ما أرادَ منهم وألفيا في الفيافي، آلت قبورهم إلى الخراب أولاً، فلا يُدرى أهذا قبر المولى أولاً، وهم سواء في السَّوافي^(٣)، كم أعرضوا عن نصيح، ورفضوا ما تلا في التَّلافي^(٤)، كم ندموا على ضياع زمانهم الذي خلا في خلافي، كم رأيتُ عاصيهم قد أعرَضَ عني إلى عدوي والتجأ إلى التَّجافي، أما أخبرتهم بوصفِ النار أنها ﴿نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ [المعارج: ١٦] في الشوافي، فاعتبر بحالهم، فإنه يكفُّ كفَّ الهوى، وهو الواعظ الكافي^(٥).

أين الأبصارُ الحداثدُ قبل إحضار الشدائد؟ أما استلبتِ القلائد من ترائب الولايد؟ لا بد من إزعاج هذا الراقد، فيقعُ الفراقُ بين فريق الفراقِد، يا موثقاً في حَبَالَةِ^(٦) الصائد، والله ما كَذَبَكَ الرائد، يا عَمِيَّ البصيرة ولا قائد، كم أضربُ في حديد بارد.

أبلى وكلُّ أصبح ابنٌ مُلَوِّحٌ ولُبْنى وما فينا سوى ابنِ ذريح
ذهبت أعماركم في طُلاب الشهوة، والموتُ قد دنا، فما هذه السهوة، والقلوب غافلة، فإلامَ القسوة؟!

والصِّلحُ معروضٌ فحتامَ الجفوة؟ أين ربُّ المال؟ أين ذو الثروة؟ أما فرَسَ الموتِ ذا الفرسِ^(٧) وأخلَى الصهوة؟ طوبى للمتيقِّظين إنهم لقدوة، علموا عيبَ

(١) الخوى: الضعف. الخوافي: ما خفي من باطن الإنسان.

(٢) التوافي: لم نجد معنى لهذه الكلمة بعد الرجوع للقواميس المعتمدة.

(٣) السوافي: الرياح.

(٤) يريد ما تلى من ذكر يحثُّ على المبادرة والرجوع وترميم ما أفسد.

(٥) في (أ): الشافي.

(٦) حباله: شَرَك، الأحبولة التي ينصبها الصائد لتقع فيها الفريسة.

(٧) ذا الفرس: ذا قتل، وكل قتل: فرس.

الدُّنْيَا فما أَمْسَكُوا عُرْوَةً، وَأَنْتِ فِي حُبِّهَا كَقَيْسٍ وَعُرْوَةٌ، أَيَحْسَنُ بَعْدَ الشَّيْبِ لَهْوٌ
وَصَبْوَةٌ، أَلَبَقِيَ نَائِي الزَّمَانِ طَيْبَ نَائِي وَقَهْوَةٌ؟ قُرْبَتْ نَوْقُ الرِّحِيلِ مَسَاءً وَغُدْوَةٌ،
جَذَبَتْ أَيْدِي الْمَنُونِ كُرْهًا وَغُنْوَةً، يَا قَلِيلَ التَّدْبِيرِ وَلَا عَقُولَ النِّسْوَةِ، إِلَى كَمْ عَيْبٌ
وَعَتَبٌ أَمَا فِيكُمْ نَخْوَةٌ؟ وَاعْجَبًا لِتَاجِرٍ يَرْضَى بِتَعَبِ شَهْرٍ لِيَتَمَتَّعَ بِرَبْحِهِ سَنَةً! فَكَيْفَ
لَا يَصْبِرُ أَيَّامَ عُمُرِهِ الْقَلِيلَةِ لِيَلْتَدَّ بِرَبْحِهَا أَبَدًا.

يَا مَنْ يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي طَلَبِ الْأَرْبَاحِ، وَيَحْكُ أَزْبِخَ نَفْسِكَ.

يَا أَطْفَالَ الْهَوَى طَالَ مَكْثُكُمْ فِي مَكْتَبِ التَّعْلِيمِ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ أَنْجَبٍ؟
افْرُؤُوا أَدْلَةَ التَّوْحِيدِ مِنَ الْوَاخِ أَشْبَاحَكُمْ، وَتَلَقَّفُوهَا مِنْ أَنْفَاسِ أَرْوَاحِكُمْ قَبْلَ أَنْ
يَسْتَلِبَ الْمَوْتُ مِنْ أَيْدِي اللَّاهِينَ الْوَاخَ الصُّورِ، وَيَمْحُو مَسْطُورَ التَّرَكِيبِ بِكَفِّ
الْيَلِي، وَمَا فَهَمُ الْمَكْتُوبُ بَعْدُ، كَمْ يَلْبِثُ مُصْبِحُ الْحَيَاةِ عَلَى نَكْبَاءِ النِّكَبَاتِ.

مَنْ رَأَى بَعِينَ فِكْرِهِ مَعَاوِلَ النِّقْضِ فِي هَدْمِ الْمَنْزِلِ نَاحَ عَلَى السَّكَانِ.

يَا هَذَا! مَشْكَاهُ بَدَنِكَ فِي مَهَابِّ قَوَاصِفِ الْهَلَاكِ، وَزَجَاجَةُ نَفْسِكَ فِي
مَعْرِضِ الْانْكَسَارِ، فَاعْتَنِمِ زَمَانَ الصَّفْوِ فَأَيَّامُ الْوَصْلِ قَصَارٌ، كَمْ يَلْبِثُ قَنْدِيلُ الْحَيَاةِ
عَلَى عَوَاصِفِ الْآفَاتِ، أَنْفَاسُ الْحَيِّ خَطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ، دَرَجَاتُ الْفَضَائِلِ كَثِيرَةٌ
الْمَرَاقِي وَفِي الْأَقْدَامِ ضَعْفٌ، وَفِي الزَّمَانِ قِصَرٌ، فَمَتَى تَنَالُ الْغَايَةَ؟

وَقِفْ قَوْمٌ عَلَى رَاهِبٍ، فَقَالُوا: إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمُجِبُّنَا أَنْتَ؟

قَالَ: سَلُوا وَلَا تَكْثُرُوا، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجَعَ، وَالْعَمْرَ لَنْ يَعُودَ، وَالطَّالِبَ
حَيْثُ فِي طَلَبِهِ ذُو اجْتِهَادٍ.

قَالُوا: فَأَوْصِنَا.

قَالَ: تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا بَلَغَ الْبُغْيَةَ.

إِخْوَانِي! الْإَيَّامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَارِ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ.

الْفُرْصُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الْخَوَالِفِ^(١).

مَنْ اسْتَوْطَأَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ.

(١) الخوالف: النساء.

تَزَوَّجَ التَّوَانِي الْبَطَالَةَ^(١) فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الْخُسْرَانُ .

كَانَ عَمْرُ وَعَائِشَةُ يَسْرُدَانِ الصُّومَ ، وَسَرَدَ أَبُو طَلْحَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَصَامَ
مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقَامَ لَيْلَهَا .

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ ، وَخَتَمَ أَبُو بَكْرُ بْنُ عِيَّاشٍ
فِي زَاوِيَةِ بَيْتِهِ ثَمَانِيَةَ عَشْرِ أَلْفِ خَتْمَةٍ ، وَكَانَ لِكَهْمَسٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ تِسْعُونَ خَتْمَةً ،
وَكَانَ عَمِيرُ بْنُ هَانِيٍّ يَسْتَبِحُ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أَلْفِ تَسْبِيحَةٍ :

صَافَحُوا النُّجُمَ عَلَى بُعْدِ الْمَنَازِلِ	وَاسْتَطَابُوا الْقِيْظَ مِنْ بَرْدِ الظَّلَالِ
وَاسْتَذَلُّوا الْوَعَرَ مِنْ أخطَارِهَا	إِنَّمَا الْأخطَارُ أَثْمَانُ الْمُعَالِي
رَكِبُوا الضَّرَّ إِلَيْهَا رُبَّمَا	صَحَّتِ الْأَجْسَامُ يَوْمًا بِالْهَزَالِ
وَجَرَوْا يَوْمًا إِلَى غَايَتِهَا	بِالطَّوَالِ السُّمْرِ وَالْقَبِّ ^(٢) الْعَوَالِي

وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدٍ يَصُومُ حَتَّى يَخْضِرَ وَيَصْفَرُ ، وَكَانَ ابْنُ أَدِمْ كَأَنَّهُ
سَفُودٌ^(٣) مِنَ الْعِبَادَةِ ، وَكَانَتْ رَابِعَةُ كَأَنَّهَا شَنْ^(٤) بِالٍ ، وَمَاتَ حَسَنُ بْنُ أَبِي سَنَانٍ
فَكَانَ عَلَى الْمُغْتَسَلِ كَالْخِيْطِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ لَوْ كُثِطَ جَمِيعُ لَحْمِهِ لَمْ يَبْلُغْ
رَطْلًا .

جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ^(٥)

أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى الْحَبِّ نَحْوُ الْجَسْمِ وَاصْفِرَاؤُ اللَّوْنِ .

(لِلْحَارِثِيِّ) :

سَلَبَتْ عِظَامِي كُلَّهَا فَتَرَكْتُهَا	مَجْرَدَةً تُضْحِي لَدَيْكَ وَتَخْضُرُ
وَأَخْلَيْتُهَا مِنْ مُحْنِهَا فَكَأَنَّهَا	أَنَابِيْبُ فِي أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تَصْفُرُ

(١) فِي (ب) : بِالْكَسَلِ .

(٢) الطَّوَالِ السُّمْرِ : الرَّمَاحُ . الْقَبُّ : الْفُحْلُ مِنَ الْإِبِلِ .

(٣) سَفُودٌ : حَدِيدَةٌ يَشْوِي بِهَا اللَّحْمُ .

(٤) شَنْ : قُرْبَةٌ خَلَقَ .

(٥) الْمَزَادُ : جَمْعُ مَزَادَةٍ ، وَهِيَ الرَّاوِيَةُ مِنَ الْجِلْدِ .

إِذَا سَمِعْتُ بِاسْمِ الْحَبِيبِ تَقَعَّقَعْتُ مَفَاصِلُهَا مِنْ خَوْفٍ مَا تَنْظُرُ
خُذِي بِيَدِي ثُمَّ ارْفَعِي الثَّوبَ تَنْظُرِي ضَمْنَى جَسَدِي لَكُنْنِي أَتَسْتُرُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا وَلَكِنَّهَا رَوْحٌ تَذُوبٌ فَتَقْطُرُ

قال الجُنيد: دخلتُ على سَري السَّقْطِي فمَدَّ جِلْدَةَ ذِرَاعِهِ وَقَدْ يَبِيتُ عَلَى
الْعَظَمِ فَمَا امْتَدَّتْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ هَذَا مِنْ مَحَبَّةٍ لَقُلْتُ:

وَهَوَاكَ مَا أَبْقَى هَوَاكَ عَلَيَّ فِيكَ وَلَا تَرِكَ
أَيْلُومُنِي فِيكَ الَّذِي يُزِرِّي عَلَيَّ وَلَمْ يَرِكَ
رَفَقاً بَعِيدَكَ سَيِّدِي هَذَا عُيْنُكَ قَدْ هَلَكَ

* * *

الفَصْلُ الحَادِي وَالسَّبْعُونَ

يا مَنْ أَيَّامُهُ تَعْطُهُ! حِينَ تَبْنِيهِ وَتَنْقُضُهُ، يا مَنْ صَحَّتْهُ تَمْرُضُهُ! وَسَلَامَتُهُ
تُحْرَضُهُ^(١)، يَفْرُضُ عَمْرَهُ فَيَفْنِيهِ وَمَنْ يَفْرَضُهُ:

أرى الدهرَ أغنى خطبُه عن خطابِه	بوعظِ شَفَى البائِنا بِلِبابِه
له قلبٌ تُهدى القلوبُ صَوادِيَا	إليها وتعمى عن وشيكِ انقلاِبِه
هو الليثُ إلا أَنَّهُ وهو خادِرٌ	سَطا فَاغَابَ الليثُ ^(٢) عن أنسِ غايِه
وهيهاتَ لم تسلمْ حلاوةُ شَهِدِه	لَصَابٍ إليه من مرارةِ صابِه ^(٣)
مِيَدُ مَبَادِيهِ تَغَرُّ وَإِنَّمَا	عَوَاقِبُهُ مَخْتومةٌ بعقَابِه
ألم ترَ مَنْ سَاسَ الممالكَ قَادِرَا	وسارتَ ملوكُ الأرضِ تحتَ رِكاِبِه
ودانتَ له الدُّنيا وكادتَ تُحْلِه	على شُهبِها لولا خُمودُ شَهابِه
لقد أسلمَتْهُ حصْنُهُ وحصونُهُ	غداةَ غدا عن كُنْهِهِ باكتِسابِه
فلا فِضَّةٌ أَنْجَتْهُ عندَ انقِضاضِه	ولا ذَهَبٌ أَغْنَاهُ عندَ ذَهابِه
سَلا شَخْصَه وَرَأَاهُ بِثَرَايِه	وأفردَهُ أَتْرَابُه بِتَرَايِه

كم دارسٍ عليك أنَّ الرابعَ^(٤) دارس، كم واعظٍ ناطقٍ وآخرَ هامسٍ، كم
عَمَسَتْ حَبِيباً في الثرى كَفُّ رَامِس^(٥)، كم طمَسَ وجهاً صَبِيحاً من البلى طَامَسَ،
تالله ما نجا بَطْنُهُ بِقِرَاطٍ ولا أَرَسَ طَالِسَ، صَاخَ الموتُ بالقومِ فَنَكَسَ الفارسُ، أين
الْفَطْنُ اللَّيْبُ؟ أين الِيقْظُ الْقَائِسُ^(٦)؟ أَتَشْتَرِي أَحْسَنَ الْخَسَائِسِ بِأَنْفُسِ النَّفَائِسِ؟

(١) تحرضه: تهلكه.

(٢) الليث الأول: تشبيه الدهر بالليث. والليث الثاني: الأسد الحقيقي.

(٣) صاب: مائل من الشوق. صابه: الصاب عصارة شجر مر.

(٤) الرابع: هو النازل في الربع ويقيم معهم.

(٥) رامس: من يتولى دفن الموتى.

(٦) القائس: من القياس، وهو الذي يقدر الأمور.

أَتَوْثِرَ لَذَّةَ لَحْظَةٍ تَجْنِي حَرْبَ الْبَسُوسِ وَدَاجِسَ؟ يَا مُقْتَرِينَ^(١) مِنَ الثَّقَى بَلْ
يَا مِفَالِسَ، يَا مُنْهَمَكِينَ فِي الْخَطَايَا مَا تَنْفَعُ الْمَلَابِسَ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ عَنِ الذُّنُوبِ
تَشْتَرُوا لَهَا السِّنَادُسَ^(٢).

إِخْوَانِي! لَوْ ذَكَرْتُمْ أَنْكُمْ تُبَادُونَ مَا كُنْتُمْ بِالْمَعَاصِي تِبَادُونَ^(٣)، لَقَدْ صَوَّتَ
فِيكُمْ الْحَادُونَ^(٤) وَمَا كَأَنْكُمْ لِلْخَيْرِ تُرَادُونَ، وَاعْجَباً تُصَادُونَ الْمَوَاعِظَ وَلَا
تُصَادُونَ^(٥)، إِلَى مَتَى تَرَاوِحُونَ الذُّنُوبَ وَتَغَادِرُونَ؟ يَا مَقِيمِينَ وَهُمْ حَقّاً غَادُونَ،
أَتَعَادُونَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّكُمْ تَعَادُونَ^(٦)؟ كَأَنْكُمْ بِكُمْ تَقَادُونَ إِلَى مَقَامٍ فِيهِ
تُقَادُونَ^(٧)، أَمَا سَمِعْتُمْ كَيْفَ نَادَى الْمَنَادُونَ: كُلُّ شَيْءٍ دُونَ الْمَنَى دُونَ؟!

يَا نَائِمَ اللَّيْلِ تَبَّكَ لِلثَّقَى وَانْهَضْ فَقَدْ طَالَ بِكَ الْقُعُودُ
بَيْنَ يَدَيْكَ حَدِيثٌ لَمْثِيهِ يُغَسِّلُ عَنْ أَجْفَانِهِ الرُّقُودُ
مَا جَحَدَ الصَّامِتُ مِنْ أَنْشَاءٍ وَمَنْ ذَوِيَ النُّطْقِ أَتَى الْجَحُودُ

الذَّهْرُ خَطِيبٌ كَافٍ، وَالْفَكْرُ طَبِيبٌ شَافٍ.

كَمْ قُطِعَ زَرْعٌ قَبْلَ التَّمَامِ، فَمَا ظَنُّ الْمُسْتَحْصَدِ^(٨)؟ مَنْ عَرَفَ السَّتِينَ أَنْكَرَ
نَفْسَهُ، مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اخْتَلَفَ إِلَيْهِ رَسْلُ الْمَنِيَّةِ.

عَوَارِي^(٩) الزَّمَانِ فِي ضَمَانِ الْارْتِجَاعِ، يَوْشِفُ الْعَقْلَ يَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبِ،
وَزَلِيخَا الْهَوَى تَتَلَمَّحُ الْعَاجِلُ.

يَا مُقَدِّمِينَ عَلَى الْحَرَامِ أَنْتُمْ بَعِينٌ مِنْ حَرَمٍ.

(١) مقترين: يقال: قتر على عياله: ضيق في النفقة، وهنا كناية عن القلة.

(٢) السنادس: إشارة إلى ثياب الجنة.

(٣) تبادون الأولى: تهلكون. وتبادون الثانية: تعانون وتظاهرون.

(٤) الحادون: الحداة في القوافل.

(٥) تصادون الأولى: من الصد والإعراض. ولا تصادون: أي لا تؤثر فيكم المواعظ.

(٦) تعادون الأولى: من العداة. تعادون الثانية: من الإعادة بعد الموت.

(٧) تقادون الأولى: من السوق والأخذ. وتقادون الثانية: من القود، أي: الحساب.

(٨) المستحصد: حان وقت حصاده.

(٩) عواري: جمع عارية.

ينبغي لمن ألبس ثوبَ العافية أن لا يدنسه بوسخ الزلل .

زرع النعم مفتقر إلى دوران دولابِ الشكر، فإذا فتح القلب سكر^(١)
الاعتراف بالعجز، صار السقي سباحاً .

هذا اليوم يقول : أرضني وعليّ رضا أمس ، السكون بالبلادة أصعب من
التحرك بالهوى ، إذا رآك عقلك وقد تولّى حشك تذكيرك تولّى^(٢) .

ويحك لا تؤمر حشك على عقلك ، فإنه عكس الحكمة . العقل نور والحس
ظلمة . الحس أعشى^(٣) والعقل عين الهدد^(٤) . الحس طفل والعقل بالغ .

العقل يدخل في الحقائق والحس أبله ، الحس لا يرى إلا الحاضر ، والعقل
يتلمح الآخر . الصبر عن الأغراض صبر^(٥) ، غير أن الحازم يجعل مراقبة العواقب
تقوية . ما خلا قط وجه سرور من تعبس مكروه ، ولا سلمت كأس لذة من شائبة
نغصة^(٦) .

(للمتنبى)^(٧) :

فذي الدار أخون من مومس وأخدع من كفة الحابل^(٨)
تفانى الرجال على حُبها وما يحصلون على طائل

كل صافٍ من الدنيا مقرون بكدر ، حتى إنه في الغيث عيث^(٩) ، أتريد أن لا
تنعكس لك غرض ؟ فما هذا موضعه ، الهبات ذاهبات ، والليالي مناهبات ، الدنيا
قنطرة ، واستيطان القناطر بلة .

(١) سكر : ما يسد به النهر أو غيره .

(٢) تولّى الأولى : من الولاية والتحكم . وتولّى الثانية : انصرف وذهب .

(٣) أعشى : ضعيف البصر .

(٤) عين الهدد : ترى الخبة في باطن الأرض .

(٥) الصبر الأولى : حبس النفس . والصبر الثانية : الدواء المر .

(٦) نغصة : الكدر الذي ينغص حياة الإنسان .

(٧) ختام قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، الديوان ، شرح العكبري : ٣ / ٣٣ .

(٨) مومس : المرأة الفاجرة . كفة : كل مستدير . الحابل : الصائد ذو الحبال .

(٩) عيث : فساد .

هَلْ نَجِدُ إِلَّا مَنْزِلَ مَفَارِقُ ووطنٌ في غيره يُقْضَى الوطرُ
الهمُّ فيها أكثر من الفرح ، والسرورُ أقل من الحزن ﴿ وَلَيْتَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِهَيْ
الْحَيَوَانِ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

يا مجتهداً في طلب الدنيا ، اجعل عُشْرَ اجتهادِكَ للآخرى ، جَهَّزَتِ البنات ،
وزوّجت البنين ، فأنت بماذا تجهّزَت للرحيل ؟ .

يا متقاعداً عن أوامرِ الربِّ ، احذر أن يقعدَكَ عن نهضاتِكَ تَرْمُنُ^(١) ، واعجباً !
إن حُرُكْتَ إلى الطاعة فزَحَلْ ، وإن لَاحَ الهوى فَعُطِرْد ، عينُكَ قد استرقَّها المنظور ،
ولسانُكَ يتصرَّفُ فيه اللغو ، ويدُكَ يُحَرِّكُهَا الزَّلْزَل ، وَخُطَا أقدامِكَ إلى الخطأ ، ثم قد
أَسَكَنْتَ الهوى قلبَكَ ، فأينَ يكونُ المَلَكُ ؟ «هل ترك لنا عقيلٌ من منزل»^(٢) .

ويحك ! إِنَّ الإنسانَ يَشُدُّ في إصْبِعِهِ خيطاً يتذكَّرُ به حاجَتَهُ ، وهل في جسدِكَ
عرق أو شعرة إلا وهي تُذَكِّرُ بالخالق ؟ ! فما وَجْهُ هذا النسيانِ البارد ؟ !

يا من باعنا نفسَه ثم ما طَلَّ بالتسليم ، لا أنتَ ممن يُفْسَخُ العقدَ ، ولا ممن
يُفْضَى البيعُ ، تَدْعِي الرحلةَ إلى دار الحبيب ، ودَهْلِيْزُ سَرَادِقِكَ إلى بلد الهوى ،
هيهاتَ لا يُدْرِكُ عِلْمَ الريانيةِ إلا مَنْ رُبِّيَ فيه .

(لمهيار)^(٣) :

يا قلبُ ما أنتَ وأهلُ الحمى وإِنَّمَا هُمْ أَمْسُكَ الذَّاهِبُ
دونَ نجدٍ وظباءِ الحِمَى أن يقرَحَ المنسِمُ والغاربُ^(٤)

لا بدَّ في سلوكِ الطريقِ من مُصَابَرَةٍ رفيقٍ ، البلاءُ له خُلُقٌ صعبٌ ، فَاصْبِرْ على
مداراته ، البلاءُ ضيوفٌ فَأَحْسِنِ قِرَافَها ، لتزحلَّ عنكَ إلى بِلَدِ الجزاءِ مادحةٌ لا قادحةٌ ،
من حَكَّ بأظفارِ شكواه جِلْدَ عيشه أذْمَى دِينَهُ ، البلاءُ ظُلْمَةٌ غَبِشٌ ، ويا سرعةَ طلوعِ

(١) ترمن : مرض مزمن مقعد .

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْقَرَائِصِ ، بِرَقْمِ (١٠) بَلْفَظٍ : «هل ترك لنا عقيل منزلًا» .

(٣) من قصيدة يمدح بها عميد الدولة ابن عبد الرحيم . الديوان : ١٣٦ / ١ .

(٤) المنسم : خف البعير . الغارب : ما بين السنام إلى العنق .

الفجر، اللهم أعن أطفال التوبة على ما ابتلوا به من جوع شديد، فإذا أعدَّ قرصُ الإفطار نزلَ ضيفٌ ﴿ وَيُؤْتِرُونَ ﴾ [الحشر: ٩]، فزاحم، فأزاح ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمْرُكُوا ﴾ [العنكبوت: ٢] .

صَيَّرَنِي سَامِعاً مَطِيعاً	إِنَّ هَـوَكَ الَّذِي بِقَلْبِي
سَلَبْتَنِي النَّوْمَ وَالْهَجُوعَ	أَخَذْتَ قَلْبِي وَغَمَضَ عَيْنِي
فَقَالَ لَا بَلْ هُمَا جَمِيعاً	فَذَرْ فُرَادِي وَخُذْ رُقَادِي

فإذا تمكَّنتَ قدمُ المريد، وطابَ له ارتضاعُ نَدْيِ الوصال، قُطِعَ عنه في أهنأ ما كان، يُرادُ منه زيادةُ القلق، في الحديث: «يُوحِي اللهُ تَعَالَى إِلَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَسْلَبَ عَبْدِي حَلَاوَةَ مَنَاجَاتِي، فَإِنْ تَضَرَّعَ إِلَيَّ فَرُدَّهَا»^(١)، فلو سمعتَ استغاثةَ المحبين، لأَوْرَثَكَ القلقَ:

مَنْ عَادَتْهُ الْقُرْبُ	عَلَى بُغْدِكَ لَا يَصْبِرُ
مَنْ يَكْمَهُ الْخُبُ	وَلَا يَقْوَى عَلَى هَجْرِكَ
فَقَدْ أَسْكَرَنِي الشُّرْبُ	فَمَهْلًا أَيْهَا السَّاقِي
فَقَدْ يَشْهَدُكَ الْقَلْبُ	فَلِمَنْ لَمْ تَرْكُ الْعَيْنُ

* * *

(١) لم نقف على هذا الأثر فيما رجعنا إليه من كتب الحديث ویرامج الحاسوب .

الفصل الثاني والستون

يا مَنْ قد غلبته نفسه ! وبطش بعقله جسده ، استدرك صُبابَةَ اليقظة ، وصح في سماع قلبك بموعظة .

يا نفس ! توبي فإن الموت قد حانا
أما ترين المنايا كيف تَلْقَطُنَا
في كل يوم لنا ميتٌ نُشِيعُهُ
يا نفس ما لي وللأموالِ أَتْرُكُهَا
أبعدَ خمسينَ قد قضيتها لعباً
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا
نردأُ جِزْصاً وهذا الدهرُ يَرْجُرُنَا
أين الملوكُ وأبناء الملوكِ وَمَنْ
صاحت بهم حادثاتُ الدهرِ فانقلبوا
خلَّوا مدائنَ كان العِرُّ مفرشها
يا راكضاً في ميادين الهوى مَرَحاً
مضى الزمانُ وولَّى العُمُرُ في لعبٍ

واعصي الهوى فالهوى ما زال فَنَّا
قَسراً وتُلْحِقُ أحرانا بأولانا
نرى بمصرعه آثارَ موتانا
خلفي وأخرج من دنياي عُربانا
قد آن أن تقْصُرِي قد آن قد آنا
نسى بغفلتنا مَنْ لَيْسَ يَسَانَا
كأن زاجرنا بالحرص أغرانا
كانت تَخِرُّ له الأذقانُ إِذْ عَانَا
مستبدلين من الأوطانِ أوطانا
واستفرشوا حُفراً غُبراً وقِيعانا
ورافلاً في ثياب الغي نَشْوَانَا
يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

أين الزادُ يا مسافر؟ أين دِرْعُ التقوى يا سافر؟ لقد أنشَبَ الموتُ فيك
الآظفر، ولا تُشْكِنَ أنه ظافر، هذا التُّبْلُ فأين المغافِر^(١)؟ كيف تصنعُ إذا غضِبَ
الغافِر؟ يا مبارزاً بالقبيحِ أؤمنُ أنت أم كافر؟ .

إن قُمْتَ سَدَلْتَ من ثيابِ كِبْرِكَ ، وإن أقمتَ سَدَرْتَ^(٢) من شرابِ خمرِكَ ،
اضْطَفَقَتْ أبوابُ المواعظِ وما استفتتْ ، تقفُ في الصلاة بغير خضوع ، وتقرأ
التخويفَ وما ثمَّ خشوع ، يا نائماً عن صلاحه كم هذا الهُجُوعُ؟! يا دائمَ الحضورِ

(١) المغافر: جمع مغفر، وهو زرد يُسج على قدر الرأس يلبس تحت القنسوة .

(٢) سدرت: من سدر، أي: لم يهتم بما صنع .

عندنا هل عمرك إلا أسبوع ١؟ إنَّ لنَجْمَ الحياةِ الأفول، ولشَمْسِ المماتِ الطُلوع،
 أين أبوك ١؟ أين جدك ١؟ السيف قَطُوع، كيف تبقى مع كسرِ الأصولِ ضعافُ
 الفروع ١؟ تَمَلَّقُ الدُّنْيَا بِقَلْبِكَ وتعتذر بلفظِ مصنوع، إصرارك كالصحيحين^(١)،
 وإقلاَعك حديثُ موضوع. مَرَّقَ أملك فالعمرُ قصير، حَقَّقَ عملك فالناقد بصير،
 زِدْ زادَ سَفَرُكَ فالطريق بعيد، رَدِّدْ نظرَ فِكرِكَ فالحساب شديد.

صَبَّحْ بِالْقَلْبِ لَعَلَّهُ يَرَّعَوِي^(٢)، سَلَّمْهُ إِلَى الرَّائِضِ^(٣) عَسَاهُ يَسْتَوِي.

يا مؤثِّرَ البطالةِ! عالمُ الهوى دَنَس، عاشقُ الهوى جامدُ الفكر، فلو ذاب
 ما ذابَ^(٤).

سَهْرُ الْعَيُونِ لَغَيْرٍ وَجْهَكَ ضَائِعٌ وَبِكَاءُ هُنَّ لَغَيْرٍ وَضَلِكٌ بَاطِلٌ
 يا هذا! وَجْهٌ ناقتك إلى بادية الزيارَةِ، فَإِنَّ لَهَا بَنَسِيمَ نَجْدٍ مَعْرِفَةٍ، قَفْهَا عَلَى
 الجادةِ، وَقَدْ هَبَّ لَهَا نَسِيمُ الشَّيْخِ مِنَ الْحِجَارِ، إِنَّ أَعْوَزَكَ فِي الطَّرِيقِ مَاءٌ فَتَمِّمْ
 مَرَادَتَكَ بِالْبِكَاءِ.

(لعلي بن أفلح):

دَعَهَا لَكَ الْخَيْرُ وَمَا بَدَا لَهَا	مِنَ الْحَنِينِ نَاشِطاً عَقَالَهَا
وَلَا تُعَلِّلْهَا بِجَوْ بَابِلٍ	فَهُوَ أَهَاجٌ بِالْجَوَى بَلْبَالَهَا
وَلَا تُعَقِّهَا عَنْ عَقِيقِ رَامَةِ	فَلِإِنَّهَا ذَاكَرَةٌ آمَالَهَا
نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِذَا جِئْتَ الرُّبَى	فَرُدَّ أَضَاهَا ^(٥) وَاسْتَظِلَّ ضَالَهَا ^(٦)

(١) كالصحيحين: أي البخاري ومسلم، ويقصد أن الإصرار على المعاصي ليس فيه ضعف البتة.

(٢) يرعوي: يتزجر.

(٣) الرائض: من راض النفس إذا وطأها وذلَّلها، أو علَّمها ما به تتركى، فتصيحُ مرتاضةً منقادةً، والمقصود هنا من الرائض: شيخ التربية والسلوك إلى الله عزَّ وجل.

(٤) ذاب: تحلَّ وضعف، ما ذاب: ما حصل له مراده.

(٥) أضاهَا: الأضياء الغدير. ورُدَّ: من الفعل يروُد ماضيه راد، وأصله الرائد الذي يتقدَّم القوم يبصر لهم الكلاً ومساقط الغيث.

(٦) ضالها: الضال الواحد ضالة: شجر من فصيلة النقيات.

ونَاحِ الوُزْقُ بَشَجْوٍ^(١) نَاكِلٍ أَطْفَا^(٢) لَهَا رَيْبُ الرَّدَى أَطْفَالَهَا

بكى آدمُ في طريقِ ابتلايهِ ثَمَلَاثُمِةَ سَنَةٍ، وَعَامَ نُوحٍ فِي دَمْعِهِ ثَلَاثُمِةَ عَامٍ، وَضَجَّ دَاوُدُ مِنْ دَائِهِ حَتَّى ذَوَى، كَانَ كَلَمًا هَاجَ حَزُّ الْحَزَنِ هَاجَ نَبَاتُ الْفَرْجِ، فَحَالَتِ الْحَالُ دَمْعًا، فَأَجْدَبَ الْبَصْرُ، وَأَعْشَبَ الْوَادِي، فَلَوْ وُزِنَتْ دَمُوعُهُ بِدَمُوعِ الْخَلَائِقِ لَرَجَحَتْ.

(للشريف الرضي)^(٣):

عِنْدِي مِنَ الدَّمْعِ مَا لَوْ أَنَّ وَارِدَهُ مَطِيَّ قَوْمِكَ يَوْمَ الْجَزَعِ مَا نَزَحَا
غَادَرَنَ أَسْوَانَ^(٤) مَمْطُورًا بِعَبْرِيهِ يَنْحُو مَعَ الْبَارِقِ الْعُلُويَّ أَيْنَ نَحَا
هَلْ تَبْلُغُهُمُ النَّفْسُ الَّتِي تَلَفَتْ^(٥) فِيهِمْ شِعَاعًا أَوْ الْقَلْبُ الَّذِي قَرِحَا
إِنَّ هَانَ سَفْحِ دَمِي بِالْبَيْنِ عِنْدَهُمْ فَوَاجِبٌ أَنْ يَهُونَ الدَّمْعُ إِنْ سَفِحَا

كَانَ (يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَا) يَبْكِي حَتَّى رَقَّ جِلْدُ خَدَّهِ وَبَدَتْ أَضْرَاسُهُ، هَذَا وَقَدْ كَانَ عَلَى الْعِبَادَةِ فَكَيْفَ يَمْنُ ضَلُّ؟! وَاعْجَبًا مِنْ بَكَائِهِ وَمَا تَمَّ^(٦) مَا تَمَّ، فَكَيْفَ يَمْنُ مَا انْقَضَى يَوْمٌ إِلَّا وَثَمَّ مَا تَمَّ؟!.

يَا هَذَا إِنْ كَانَ قَدْ أَصَابَكَ دَاءُ دَاوُدَ^(٧)، فَتُحْ نَوَّحْ نُوحٍ نَحْيَى حَيَاةَ يَحْيَى.

لَا تَحْسِنُ مَاءَ الْعَيُونِ فَلِئْلَهِ لَكَ يَا لَدِيغٍ هَوَاهُمُ دَرِيَاقُ^(٨)

(١) الشجوة: الحزن، والأصل فيه: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

(٢) أطفا: أصلها أطفا وخففت الهمزة، والمعنى: على المحب أن يناوح الورق بحزن مَنْ أَخَذَ رَيْبُ الرَّدَى أَطْفَالَهَا فَتَكَلَّهَا بِفَقْدِهِمْ.

(٣) من قصيدة له قالها في مدح أبيه عام (٣٨٧هـ). انظر: ديوان شعره: ٢٤٣/١.

(٤) أسوان: من الأسى وهو الحزن.

(٥) في الديوان: «ذهبت».

(٦) ثم: اسم يشار به إلى المكان البعيد بمعنى هناك، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَاهُمْ أَكْثَرَيْنَ﴾ [الشعراء: ٦٤].

(٧) داء داود عليه السلام: لا تُلْقَى بِالْأَلَمِ جَاءَتْ بِهِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتُ عَنْ دَوَادٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٨) درياق: هو الترياق: دواء السموم.

سُتُوا الإغارة فِي الْقُلُوبِ بِأَسْهُمِ لَا يُرْتَجَى لِأَسِيرِهَا إِطْلَاقُ
وَاسْتَعَذَّبُوا مَاءَ الْجَفُونِ فَعَذَّبُوا الْأَسْرَارَ حَتَّى دَرَّتِ الْأَمَاقُ

كان (عمر بن عبد العزيز) و(فتح الموصلي) يكيان الدم، وقليل في جنب ما نطق به لسان الوعيد.

إذا خلا الفكرُ باليقين، ثارت عَجَاجَةُ الدمع، فإذا أقرَحَ الحزنُ القلبَ استحالَتِ الدُمُوعُ دُمًا.

(لمهيار)^(١):

أَجَارَتْنَا بِالْعَوْرِ وَالرَّكْبِ مِثْلَهُمْ أَيْلَمُ خَالٍ كَيْفَ بَاتَ الْمَتِيمُ؟
تَنَاءَيْتُمْ مِنْ ظَاعِنِينَ وَخَلَّفُوا قُلُوبًا أَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ الصَّبْرَ عَنْهُمْ
وَلَمَّا انْجَلَى التَّوْدِيْعُ عَمَّا حَذَرْتُهُ وَلَمْ يَثِقْ إِلَّا نَظْرَةُ تُفْتَنُكُمْ
بَكَيْتُ عَلَى الْوَادِي فَحَرَّمْتُ مَاءَهُ وَكَيْفَ يَجِلُّ الْمَاءُ أَكْثَرَهُ دَمُ؟

وا عجباً! أطارحُكم حديثَ العُذيبِ، وأنتم من وراء النهر! يا منقطعينَ عن الأحبابِ تعالوا نمشي رِفْقَةً، فَمَجْمَعُنَا مَاتَمُ الْأَسَى، موعِدنا مقابر الأسف.

تَعَالَيْنَ نَعَالِجُ زَفَرَةٍ الْبَيْنَ تَعَالَيْنَا
نُزَوِّدُ أَذُنًا شَكْوَى وَنُودِعُ نَظْرَةَ عَيْنَا
وَنَبْكِي مِنْ يَدِ الْبَيْنِ عَسَانَا نَعْطِفُ الْبَيْنَا
فَمَا زَادَ النَّوَى إِلَّا لَجَاجًا مَا تَبَاكِينَا
إِلَى أَيْنَ أَمَاتَا لَمْ يَأْسَاقُهَا الْإَيْنَا
إِذَا عَرَّسَتْ بِالْجِرْعَاءِ وَشَطَا يَبْنِي مَا بَيْنَا
فَحَيَّ اللَّهُ يَبْرِينَا وَعَيْنُ الرَّمْلِ حِينَا

* * *

(١) مطلع قصيدة يعاتب فيها الكافي الأوحِد. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣٤٤-٣٤٧.

الفصل الثالث والستون

يا هذا! عاتِبْ نفسك على تفريطها، ثم حاسبها على تخليطها، حَدِّثْها بما بين يديها وأخبرها، أشِرْ عليها بمصلحتها ودبرها.

اِسْتَعِذِّي لِلْمَوْتِ يَا نَفْسُ واسْعِي
قَدْ بَيَّنَّنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ
لَنْجَاةٍ فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِذُّ
خُلُودٌ وَلَا مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ
أَيُّ مُلْكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيُّ حَظٍّ
لَا مَرِيَّ حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لِحَدِّ
كَيْفَ يَهْوَى امْرُؤٌ لَذَاذَةِ أَيَّامٍ
عَلَيْهِ الْأَنْفَاسُ فِيهَا تُعَدُّ

آه لنفوسٍ بغرور هذه الدنيا تُخدَعْنَ، فإذا فاتهنَّ شيءٌ من فإن توجَّعنَّ، شربنَّ من مياه الغفلة وتجرَّعنَّ، فلما بانَّت حبة الفخِّ أَسْرَعْنَ، فما انجلت ساعة التفريط حتى وقَّعنَّ، أما عَلِمْنَ أَنهنَّ يحصُدنَّ ما زرعنَّ، أما تَبَيَّنَّ أَنهنَّ في هلاكهنَّ يشرعنَّ، يا قلة ما تَنَعَّمْنَ، ويا احتقار ما تَمَتَّعنَّ، أما هُنَّ عن قليلٍ في اللَّخْدِ يُضَجَّعنَّ، أين تلك الأقدام المشيعة لهنَّ تصدَّعنَّ؟ بشَّ حافظُ الأجسادِ ترابٌ يقولُ: دَعِهِنَّ لما أودِغنَّ، طال ما كنَّ يوترنَّ الذنوبَ وَيَشْفِغنَّ، فلو رأيتَهُنَّ بعدَ الموتِ يتضرَّعنَّ ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، لا والله لا يرجِعنَّ، يا عجباً هذه الآفاتُ لهنَّ وَيَهْجَعنَّ، وهذا الحبسُ الشديدُ ويرتَعنَّ، يا لها من مواعظٍ فهل أثَّرنَّ أو نَجَعنَّ؟

يا هذا! أُخِلْ بنفسِكَ في بيتِ الفكرِ، واعذِّلها في الهوى، فإن لم تَلِنْ فاخرج بها على عسكرِ المقابرِ، فإن لم تَزَعِرْ فاضربها بسوطِ الجُوعِ.

يا هذا! العزلةُ تجمَعُ الهمَّ، والمخالطةُ نهَّابة، الهوى مرضعٌ كثيرُ التخليطِ، فهذا طفلٌ قلبك كثيرُ المرضي، عَجَلْ فِطَامَهُ وقد صَحَّ.

العزلةُ والقناعةُ والصبرُ والعِفَّةُ والتواضعُ عقاقيرُ كيمياء النجاة، يَبْلُغنَّ بمستعملهنَّ مرتبةَ الغنى، والحرصُ والشرُّ والغضبُ والعُجبُ والكِبَرُ كلُّهم مجانينُ في مارستان العقل، وهو القيِّمُ عليهم، فلتحذِرِ الغفلةَ عنهم، فإنه إن أَفَلَّتْ مجنونٌ حلَّ الباقيين.

يا هذا! حِصْنُ السلامةِ العزلةُ، أقلُّ ما في الخروجِ منه من الأذى مصادمةُ
الهواءِ المختلفِ المهَابِ في باديةِ الشهواتِ، وقد أَعْقَبَتْهُ جَنُوبُ المجانبةِ
للصوابِ، فصارَ وِبَاءٌ. وإياك أن تتعرَّضَ للهواءِ الوبيءِ مُغْتَرَأً بصحةِ مزاجك،
فإنَّك إن سَلِمْتَ من فضولِ الفتنِ لم تأمنَ من زُكْمَةٍ، ومتى تَمَكَّنْتَ زَكْمَةُ الهِمَّةِ لم
تَشَمِ الفضائلِ.

يا قلبُ إلامَ لا يفيِدُ التُّضَحُّ عُمْرٌ وُلِّيَ وقد تَوَالَى القُبْحُ
جُرْحُ دَامٍ وقد تَبَدَّى جَرْحُ ما تشعُرُ بالخُمَارِ^(١) حتَّى تصحو

لَمَّا انقشَعَ غيمُ الغفلةِ عن عيونِ أهلِ اليقينِ، لآخَ لهم هلالُ الهدى في
صحراءِ اليقظةِ، فبيَّتُوا نيةَ الصومِ عن الهوى على عزمِ «عزَّفت نفسي عن الدُّنيا»^(٢).

دخل (محمد بن كعب القرظي) على عمر بن عبد العزيز وقد غيَّره الزهدُ
فأنكره، فقال: «يا بن كعب! فكيفَ لو رأيتني بعد ثلاثة أيام في قبري؟».

لم تُبْقِ فيهم حرارةُ الهوى وجوى^(٣) الأحزانِ غيرَ خيالاتٍ وأشباحٍ
تَكَادُ تُنْكِرُهُم عينُ الخيرِ بهم لولا تَرَدُّدُ أنفاسٍ وأرواحٍ

كان (وهيب بن الورد) قد نحل من التَّعبُدِ، فكانت خُضْرَةُ البقلِ تَبِينُ تحتَ
جلدةِ بطنِهِ.

(لمهيار)^(٤):

زَعَمْتَ لا يُبْلِي هَوَاكَ جَسَدِي بَلَى وَحُبِّي بكم لقد بَلَى
دارُكَ تدري أنَّه لولا الهوى ما طُلَّ دَمْعٌ مقلتي في طَلَلٍ
أو ما رأيتُ أصمى^(٥) سهمُهُ من مقلَةٍ قد فُوقَتْ^(٦) للمقتلِ

(١) الخُمَارُ: ألم الخمرة وصداعها وأذاها، ويقية السكر.

(٢) رواه البزار والطبراني.

(٣) الجوى: الحرقه.

(٤) من قصيدة كتبها إلى صاحب بن عبد الرحيم في عيد النحر، الديوان: ٣٢-٣٤.

(٥) أصمى: أصابه في مقتل.

(٦) فُوقَتْ: يقال: فُوقَتْ السهم: وضعته في الوتر لأرمي به.

إخواني! من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل .

(لصُرْدُر)^(١) :

وكم ناحل بين تلك الخيام تحسُّبه بعض أطنايها^(٢)

أنضى القوم رواحل الأبدان في سفر الشوق حُبّاً لتعجيل اللقاء، فكم طَوَّرا
منزلاً على الظمأ، حتى كَلَّ^(٣) كُلُّ المطيِّ بتلك الجمجمة، ورفيق الرفق يصيحُ
بهم .

(لمهيار)^(٤) :

دَعَوْها تَرِدْ بعدَ خمسِ شروعا	وارخوا أزمَّتْها والشُّوعا ^(٥)
وقولوا دعاء لها: لا عُقِرَتْ	ولا امتدَّ دَفْرُكُ إلا ربيعاً
حَمَلْنَ نشاوى ^(٦) بكأسِ الغرام	فكلُّ غدا لأخيه رَضِيعاً
إذا أجذبوا خَصَّهم جَذْبُهُمْ	وإنْ أَخَصَّبُوا كان خِصباً مريعاً
طوالِ السَّواعِدِ شُمُّ الأنوفِ	فطابوا أصولاً وطابوا فُرُوعاً
أجُّوا فُرَادَى ولكنَّهُمْ	على صيحةِ البَيْنِ ماتوا جميعاً
حَمَوْا راحةَ النومِ أجفانَهُمْ	وَلَقُّوا ^(٧) على الزفراتِ الضلوعا
أسكَّانَ رامةٍ هل من قِرَى	فقد دفعَ الليلُ ضيفاً قنوعا
كفاه من الزادِ أن تمَّهدوا	له نظراً أو حديثاً وسيعاً

قيل لأبي بكر النهشلي وهو في الموت: اشرب قليلاً من الماء .

-
- (١) من قصيدة قالها يمدح أبا القاسم بن رضوان . انظر: الديوان، ص ١٢٩ .
(٢) أطناب: جمع طنب: وهو حبل الخيمة .
(٣) كَلَّ: الكلَّ الإعياء والتعب، وكلَّ البعير إذا أعياه، وأكله السير: أضعفه .
(٤) من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة أبي سعيد بن عبد الرحيم يهنئه بالنيروز . انظر:
ديوان شعره: ٢/ ٢٢٢-٢٢٦ .
(٥) النُّوع: جمع نسع: حبل من آدم تشد به الرجال .
(٦) نشاوى: جمع نشوان، وهو السكران في أول أمره .
(٧) في الديوان: «وشدوا» .

فقال: حتى تغرب الشمس.

(لمهيار)^(١):

نَفَرَهَا عَنْ وَزْدِهَا بِحَاجِرٍ شَوْقٌ يَعُوقُ الْمَاءَ فِي الْحَنَاجِرِ
وَرَدَّهَا عَلَى الطَّوَى^(٢) سَوَاغِبًا^(٣) ذُلُّ الْغَرَامِ وَحَنِينُ الذَّاكِرِ^(٤)

واشوقاه إلى تلك الأشباح، سلام الله على تلك الأرواح.

هَا إِنِّهَا مَنَازِلُ تَعَوَّدَتْ مَنِي إِذَا شَارَفْتُهَا التَّسْلِيمَا
وَقَفْتُ فِيهَا سَالِمًا رَأَدَ الضُّحَى^(٥) وَرُخْتُ مِنْ وَجْدٍ بِهَا سَلِيمَا
يَا نَفْحَةَ الشَّمَالِ مِنْ تَلْقَائِهَا رُدِّي عَلَيَّ ذَلِكَ النَّسِيمَا

يا هذا! إن أردت لحاق السادة فخلّ مخاللة الوسادة، واجعل جلدتك
بُزْدَتِكَ، وحذ عن الخلق والزّم وخذتك، أكحل عينيك بالسهر والدمع، وضع
على قروح الجوع مرهم الصبر، وتزوّد للسير زاد العزم، واقطع طريق الدنيا بقدم
الرّهد، واخرج إلى خضب الأخرى عن ضنك المخل، وسخ في بوادي التقى
لتنزل بوادي الفخر، فإن وصلت إلى دوائك تناولته من يد ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
[المائدة: ٥٤]، وإن مت بدائك فمقابر الشهداء ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥].

* * *

(١) مطلع قصيدة كتب بها إلى عميد الرؤساء أبي طالب في المهرجان. انظر: ديوان شعره:

٦٦-٦٣/٢.

(٢) الطوى: الجوع.

(٣) سواغب: جمع ساغبة، وهي الجائعة.

(٤) في الديوان: «ذل الغريب وحنين الزاجر».

(٥) راد الضحى: رائده وأوله.

الفصل الرابع والعشرون

يا مشغولاً بتلقيق ماله عن تحقيق أعماله ، مَنْ خَطَرَ ذِكْرُ الرّحيلِ بباله فَنَعَ
بالْبَلْغِ^(١) ولم يُبالِه .

مَالُكَ لِلْحَادِثَاتِ نَهَبٌ أَوِ لِلَّذِي حَسَاؤُهُ وَرَائِهِ
أُولَئِكَ أَنْ تَتَخَذَهُ دُخْرًا فَلَا تَكُنْ أَعْجَزَ الثَّلَاثَةِ

لَا بَدْءَ وَاللَّهِ مِنَ الْعُبُورِ إِلَى مَنَازِلِ الْقُبُورِ ، يَسْفِي عَلَيْكَ الصَّبَا وَالذَّبُورَ ، وَأَنْتَ
تَحْتَ الْأَرْضِ تَبُورُ ، آهَ مِنْ طَوْلِ الثُّبُورِ ، بَعْدَ طَيْبِ الْخُبُورِ ، يَا لَكَسْرِ بَعِيدِ الْجُبُورِ ،
لَا يَنْفَعُ فِيهِ صَبْرُ الصُّبُورِ ، يَنْدُمُ عَلَى عَثْرَةِ الْعَثُورِ . وَيَفْتَرِشُ الدُّثُورَ حَتَّى يَثُورَ ، أَيْنَ
كَسْرَى وَبَهْرَامُ جُورٍ؟ أَيْنَ الْمُتَقَلِّبُونَ فِي حِجْرِ الْفُجُورِ؟ أَيْنَ الْحَلِيمُ؟ أَيْنَ
الضُّجُورِ؟ أَيْنَ الْمَهْرُ الْعَرَبِيُّ وَالنَّاقَةُ الْعَيْسُجُورِ^(٢)؟ أَيْنَ الظُّبَاءُ الْكُتَّسُ وَالْأَتْرَابُ
الْحُورِ؟ كُنَّ يُزَيْنُ دُرَّ الْبَحُورِ بِالنَّحُورِ ، غَرَقَ الْكَلُّ فِي يَمٍّ مِنَ التَّلَفِ زُخُورِ ،
وَاسْتَوَى الْوَضِيعُ وَالْفُخُورُ تَحْتَ الصَّخُورِ ، لَا فَرْقَ بَيْنَ ذَوَاتِ الْإِمَاءِ وَذَوَاتِ
الْخُدُورِ ، فِي ذَلِكَ الْمَهْطُ الْخُدُورِ .

لَقَدْ بَانَ لِلْكَلِّ أَنَّ الدُّنْيَا غُرُورٌ ، وَعَرَفُوا أَنَّ فِي الْمَصِيرِ شُرُورَ السُّرُورِ ،
وَتَبَيَّنُوا أَنَّ تَزْوِيرَ الْأَمَلِ لِلْخُلْدِ زُورٌ ، وَتَفَضَّلَتْ أَعْضَاؤُهُمْ وَلَا تَفْصِيلَ لَحْمِ
الْجُزُورِ ، وَدُكَّتْ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا كَمَا دُكَّ الطُّورُ ، وَبَانَتْ حَسْبَانَتُهُمْ وَفِيهَا
قُصُورٌ^(٣) ، وَتَأَسَّفُوا عَلَى مُسَاكِنَةِ الْقُصُورِ فِي مَسَاكِنِ الْقُصُورِ^(٤) ، وَهَذَا الْمَصِيرُ
وَلَوْ عُمِّرْتُمْ عُمَرَ النَّسُورِ ، وَالرَّامِي مَصِيبٌ وَمَا يَدْفَعُ الشُّورُ^(٥) .

(١) البلغ : جمع بلغة : ما يتبلغ به من العيش .

(٢) العيسجور : الناقة الصلبة . وقيل : السريعة القوية .

(٣) قصور : من التقصير .

(٤) القصور الأولى : من التقصير . والقصور الثانية : الأبنية الفخمة .

(٥) وما يدفع السور : أي لا يستطيع السور والبرج المشيد أن يمنع الإنسان من الموت .

فإذا انقضت بعده تلك العصور ونفخ في الصور، وخرجت أطياف الأرواح
من أعجب الوُكُور، وباتت الأرض تموجُ والسماءُ تمور، ولقي الكفور ناراً
تلتهبُ وتفور، انزعج الخليلُ والكليم، فَمَنْ بَشَرٌ وطيفور^(١) ١٩.

كَمْ لِلْمَنَآيَا فِي بَنِي آدَمَ تَوْسَعُ مِنْهُ تَضِيقُ الصُّدُورُ
فَالْوَقْتُ لَا تُحْدِثُ سَاعَاتُهُ إِلَّا الرَّدَى الْمَحْضَ بَوْشِكِ المَرُورُ
أَيَّامُنَا السَّيِّئَةُ أَيْسَارُنَا^(٢) وَكُلُّنَا فِيهِ شَيْبَةُ الْجَزُورُ
طَهَّرْتَ ثَوْباً وَاهِياً ثَمَ مَا قَلْبُكَ إِلَّا عَادِمٌ لِلطَّهْوَرُ
لَوْ فَطِنَ النَّاسُ لَدُنْيَاهُمْ لَا قَتَنَعُوا مِنْهَا اقْتِنَاعَ الطَّيُورُ

ويحك إن الدنيا تغر، ولا بد لك منها، فخذ قدر الحاجة على حذر، أما
تري الطائر كيف يختلس قوته ١٩.

هذا العصفور يالفُ الناس فلا يسكنُ داراً لا أهلَ بها، وهو مع هذا الأنسِ
شديدُ الحذرِ ممن جاور.

هذا الخُطَّافُ يقطعُ البحرَ لطلبِ الأنسِ بالإنسِ، ثم يتخذُ وَكْرَهُ في أحصنِ
الأمَاكِنِ في البيتِ، ولا يحمله الأنسُ بهم على تركِ الحذرِ منهم، بل يُعْطِي الأنسَ
حقَّه، والحزمَ حقَّه.

أما عرفت أدبَ الشرعِ في تناولِ المطعمِ، ثلثُ طعامٍ، وثلثُ شرابٍ، وثلثُ
نَفْسٍ.

شره الحرصُ يعبى بلاغمَ البلادة، ولا يسهل شربُ المُسهلِ إلا على مَنْ
تأذى بحركاتِ الأخلاط، لا يقدرُ على الحمية إلا من تَلَمَّحَ العافية في العاقبة.
شغلُ العقلِ النظرُ في العواقب، فأما الهوى فإيثاره لذة قليلة تُعَقِّبُ ندامةً طويلةً،
فمُلبَسٌ في قضاياه.

المؤمن بين حربٍ ومُحَرَّابٍ، وكلاهما مفتقرٌ إلى جمعِ الهمِّ، ويريدُ

(١) بشر: هو بشر الحافي. وطيفور: هو أبو يزيد البسطامي.

(٢) أيسارنا: من يسرَّت الناقة: قطعها أجزاء.

المحرابُ القيامُ بأشراطِ الوضوء، والدُّنيا في مقامِ امرأةٍ واللمسُ ناقضٌ، طريقُ
المتقين تفتقر إلى رواحِل، وإبلُ عزائمكم كلها كالٌ، إنما يصلحُ للملكِ قلبٌ فارغٌ
ممن سواه.

وَقَلْبُكَ خَانَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ يَفَارِقُهُ رَكْبٌ وَيَنْزِلُهُ رَكْبٌ

في كُلِّ يَوْمٍ تَزْهِنُ قَلْبَكَ عَلَى ثَمَنِ شَهْوَةٍ، فيستعمله المُرْتَهِن، فقد
أَخْلَقَ^(١)، أَنْتَ تَوْقَدُ نَارَ التَّوْبَةِ فِي الْمَجْلِسِ فِي الْحَلْفَاءِ^(٢)، فإذا أَرَدْتَ مِنْهَا قَبْساً
بعدَ خُرُوجِكَ لَمْ تَجِدْ، تَبْكِي سَاعَةَ الْحَضُورِ عَلَى الْخِيَانَةِ وَالْمَسْرُوقِ فِي جَيْبِكَ.

يَا مُظْهِراً مِنَ الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيهِ! لَا تَبْتَغِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ، كم نَهَاكَ عَنْ نَظَرَةٍ
وَتَعْلَمُ أَنَّهُ بِالْحَضْرَةِ، أَفْلا تَرَاقِبُ النَّازِرَ بِرَدِّ النَّازِرِ^(٣)، وَكَأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ أَنَّ الْحَاضِرَ
حَاضِرٌ.

وَاعْجَباً لَكَ! تَعُدُّ التَّسْبِيحَ بِسَبْحَةٍ، فَهَلَا جَعَلْتَ لَعْدَ الْمَعَاصِي أُخْرَى، يَا
مَنْ يَخْتَارُ الظَّلَامَ عَلَى الضُّوءِ! الذِّبَابُ أَعْلَى هِمَّةٍ مِنْكَ، مَتَى أَظْلَمَ الْبَيْتُ خَرَجَ
الذِّبَابُ إِلَى الضُّوءِ، أَمَا تَرَى الطِّفْلَ فِي الْقِمَاطِ يَنَاقِي الْمَصْبَاحَ؟!.

وَيَحْكَ! خُذْ بِتَلَابِيحِ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ يَجْذِبَهَا مَلَكُ الْمَوْتِ، وَقُلْ: أَيْتَهَا
النَّفْسُ الْحَمَقَاءُ! إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ صَادِقاً^(٤) فَالْمَسْجِدُ، وَإِلَّا فَالدَّيْرُ.

النَّاسُ مِنَ الْهَوَى عَلَى أَصْنَافٍ هَذَا تَقْضَى الْعَهْدَ وَهَذَا وَافٍ
هِيَاتَ مِنَ الْكُدُورِ تَبْغِي الصَّافِي لَا يَصْلُحُ لِلْحَضْرَةِ قَلْبٌ جَافٍ

يَا هَذَا! أَكْبَرُ دَلِيلٍ لَكَ عَلَيْنَا أَنَّكَ كُنْتَ مُبَدِّداً فِي ظُهُورِ الْأَصُولِ^(٥)، فَتُظْمِتُ
بِالْقُدْرَةِ نَظْماً عَجِيباً خَالِياً مِنَ الْعَيْبِ، فَمَا تَنْقُضُ إِلَّا لِأَمْرٍ هُوَ أَعْجَبُ مِنْهُ، مُدَّتْ

(١) أَخْلَقَ: بَلَى.

(٢) الْحَلْفَاءُ: نَبَتٌ فِي الْمَاءِ.

(٣) النَّازِرُ الْأُولَى: الرَّقِيبُ الْمَطْلَعُ عَلَيْكَ وَهُوَ اللَّهُ. بَرْدُ النَّازِرِ: أَيُّ بَغْضِ الْبَصَرِ.

(٤) يَرِيدُ إِذَا اعْتَقَدْتَ بِصَدَقِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَاعْمَلْ بِاعْتِقَادِكَ وَالزَّمْ طَاعَتَهُ، وَلَوْ قَالَ: (إِذَا

كَانَ) أُولَى مِنْ (إِنْ كَانَ) لِإِفَادَةِ «إِذَا» التَّحَقُّقِ، دُونَ «إِنْ».

(٥) ظُهُورُ الْأَصُولِ: أَصْلَابُ آبَائِكَ.

أطنابُ العروق، وحُفِرَتْ خنادقُ الأعصاب، وضُربت أوتادُ المفاصل، وأقيمَ
عُمدُ الصُّلب، ثم مُدَّ السِّرادقُ، فنُصِبَ سريرُ القلبِ في الباطنِ للملك «ويسعني
قلب عبيدِ المؤمن»^(١).

إذا لم يجدْ صَبٌّ على النَّأيِ مُخْبِراً على الحيِّ بَعْدَ البَيْنِ أينَ أقاموا
فَعِنْدَ النَّسِيمِ الرِّطْبِ أَخْبَارُ مَنْزِلٍ به لَسْلِمَى بِالْعَقِيقِ خِيَامُ
يا هذا! إن كنتَ محبًّا؛ فحبيبُك معك في كلِّ حالٍ، حتى عند الموت، وفي
بطن اللحد.

(للفَرَزِّي):

يا حَبِّذا العَزَّعْرُ النَجْدِيُّ والبَانُ ودارُ قومٍ بأكنافِ الحِمَى بَانُوا
وأطيبُ الأرضِ ما للقلبِ فيه هَوًى سَمُّ الخياطِ مع الأحبابِ مِيدَانُ
إذا أَقْفَرَ قلبُك مع ساكنِ «ويسعني»، فَتَحَتِ النفسُ باباً لعناكبِ الغفلةِ،
فَنَسَجَتْ في زواياه من لَعابِ الأملِ طاقاتِ المُنَى.
اللهمَّ أجِرِ القلوبَ من جَوْرِ النفوسِ، يا سُلطانَ القلبِ، تشكو إليك
النازلة.

* * *

(١) لا أصل له، وقد مرَّ.

الفَصِيلُ الْخَامِسُ وَالسِّتُونَ

إخواني! اعرّفوا الدُّنيا وقد سلمتم، ثم اعملوا بما علمتم، لا يغرّثكم منها الوَفَرُ، فإنّكم فيها على سَفَرٍ، أما بعدَ توطئة المهادِ الحُفَرِ؟ أتوطن منى وتنسى النَّفَرَ؟!

أرى الدُّنيا وما وُصِفَتْ بِبِرٍّ	متى أَغْنَتْ فقيراً أرهَقَتْهُ
إذا خُشِيتْ لشرٍّ عَجَلَتْهُ	وإن رُجِيتْ لخيرٍ عَوَّقَتْهُ
تعلقها ابنُ جهلٍ في صَبَاهُ	فهامَ بفارك ^(١) ما عَلِقَتْهُ
سَقَتْهُ زمانه مَقْرَأً ^(٢) وَصَاباً ^(٣)	وكأسَ الموتِ آخرَ ما سَقَتْهُ
أبادتْ قصرَ قيصَرَ ثم جازتْ	بإيوانِ ابنِ هِرْمِزٍ فارتَقَتْهُ
أما افتتَحَتْ له في الأرضِ بيتاً	فآوتَهُ النّزِيلَ وأطبقتَهُ
إذا انفلتْ ابنُها عنها بِرُهْدٍ	نَشَتْ بِرُخْرِفٍ قد نَمَقَتْهُ

أترى لم تنفع التجارب؟ أما تروُن الدُّنيا كيف تحارب؟ ألا تُلقون حَبْلها على الغارب؟ أما سيفُ الهلاكِ في يدِ الضارب؟ تالله لقد جلا صبحُ اليقينِ ظلامَ الغياهِبِ، ألا عَزُمُ زَاهِدٍ يتوكأ على عصا راهبٍ.

ودنياكَ إنْ وَهَبَتْ باليمينِ يسارَ الفتى سلبتْ باليسارِ

إخواني! احذروا الدُّنيا، فإنّها أسحرُ من هاروت وماروت، ذاك يفرّقان بين المرء وزوجه، وهذه تفرّق بين العبد وربّه، وكيفَ لا؟ وهي التي سحرت سحرة بابل، إن أقبلت شَغَلت، وإن أدبرت قتلت.

نَظَرْتُ فَأَقْصَدْتُ^(٤) الْقَوَادَ بَسْهَمَهَا ثم انشئتُ عنه فكَادَ يَهْنِمُ

(١) فارك: مبغض.

(٢) مقراً: السم.

(٣) الصاب: عصارة الشجر المر.

(٤) أقصدت: طعنت أو رمت السهم فأصاب مقتلاً.

ويلاهُ إِنَّ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَفَعُ السَّهَامِ وَنَزَعُهَا أَلِيمٌ
كَمْ فِي جَزَعٍ^(١) لَذَاتِهَا مِنْ غُصَصٍ ، طَالِبُهَا مَعَهَا فِي نَقَصٍ .

بكى عليها حتى إذا حصلت بكى عليها خوفاً مِنَ الْغَيْرِ^(٢)
إنها إذا صفت حلالاً كذرت الدين ، فكيف إذا أخذت من حرام ؟ ! إن لحم
الذبيحة ثقیلٌ على المِعاء ، فكيف إذا كان مِئْتَةً ؟ ! .

الظَّلْمَةُ فِي الظُّلْمَةِ يَمْشُونَ فِي جَمْعِ الْحَطَامِ ، يَصْبِحُونَ وَيَمْسُونَ عَلَى فِرَاشِ
الْآثَامِ ﴿ فَكَارِجَتْ يَجْعَرُوهُمْ ﴾ [البقرة: ١٦] .

مَنْ نَبَتْ جِسْمُهُ عَلَى الْحَرَامِ ، فَمَكَاسِبُهُ كَبِيرٌ بِهِ يَوْقَدُ ، الْحَجَرُ الْمَغْصُوبُ
فِي الْبِنَاءِ أَسَاسُ الْخَرَابِ ، أَتْرَاهُمْ نَسُوا طِيَّ اللَّيَالِي سَالَفَ الْجَبَّارِينَ ، وَمَا بَلَّغُوا
مَعِشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ؟ ! فَمَا هَذَا الْاِغْتِرَارُ ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ ﴾ [الرعد: ٦] ،
فَهُمْ يَنْتَظِرُونَ مَنْ لَهُمْ إِذَا طَلَبُوا الْعَوْدَ ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبا: ٥٤] ؟ ،
كَمْ بِكَتْ فِي تَنْعَمِ الظَّالِمِ عَيْنُ أَرْمَلَةٍ ، وَاحْتَرَقَتْ كَبْدُ يَتِيمٍ ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ نِيَامُ بَعْدَ
جَيْبٍ ﴾ [ص: ٨٨] .

مَا أبيضٌ لَوْنُ الرِّغِيفِ حَتَّى اسْوَدَّ وَجْهُ الضَّعِيفِ ، مَا تَرَوَّقَتِ الْمَشَارِبُ حَتَّى
تَرْتَقَّتِ الْمَكَاسِبُ^(٣) ، مَا عَبِلَ^(٤) جِسْمُ الظَّالِمِ حَتَّى ذَوَتْ دَوَابُّ ذَاتُ قُوَّةٍ .

لَا تَحْتَقِرْ دَعَاءَ الْمَظْلُومِ ، فَشَرُّ قَلْبِهِ مَحْمُولٌ بِعَجِيجِ صَوْتِهِ إِلَى سَقْفِ بَيْتِكَ ،
نِبَالُهُ مُصِيبٌ ، وَنَبْلُهُ غَرِيبٌ ، قَوْسُهُ خُرْقُهُ ، وَوَتْرُهُ قَلْقُهُ ، وَمَرْمَاهُ هَدَفُ
«لَا تُصْرِنَكَ»^(٥) ، وَسَهْمُ سَهْمِهِ الْإِصَابَةُ .

(١) جرع: الجرعة من الماء: حَسوة منه، وَجَرع الماء: بَلعه .

(٢) الغير: تَقْلِبَاتِ الزَّمَانِ وَتَصَارِيفِ الدَّهْرِ .

(٣) تروقت: تَصَفَّتْ . تَرَنَّقَتْ: تَكَدَّرَتْ .

(٤) عبِل: اِمْتَلَأَ .

(٥) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي بَابِ الدَّعَاءِ ، بِرَقْمِ (١٢٨) ؛ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ: ٢/ ٣٠٥-٤٤٥

بِلَفْظٍ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا تَحْمِلُ عَلَى الْغَنَامِ يَقُولُ اللَّهُ: وَهَزَتِي وَجَلَالِي
لَا تُصْرِنَكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» .

وقد رأيتُ وفي الأيام تجريب

كم مِنْ دَارٍ دَارَتْ بِنَعِيمِ النِّعَمِ، دارَتْ عليها دوائرُ النِّقَمِ ﴿ فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا ﴾ [يونس: ٢٤]، كم جَارٍ في حَلْبَةِ المُنَى قد استولى طرفه على الأمد، صدَمَه قَهْرُ عقوبة، فألقاه أسرعَ من طَرْف، بَيْنَا القومُ يَنْبَسُطُونَ في بَسِيطَةِ البَسْطِ، كُفَّتْ أَكْفُهُمْ بمَقَامِعِ القَمْعِ، لَسِبَتْهُمْ^(١) عَقَارِبُ ظَلَمِهِمْ، نَفَخَ عَلَيْهِمْ ثِعْبَانُ جَوْرِهِمْ، عَقَرَتْهُمْ أَسْوَدُ بَطْشِهِمْ، نَسَفَتْهُمْ عَوَاصِفُ كِبَرِهِمْ، وفي الغَيْرِ^(٢) عِبَرٌ.

ويحك! إذا كانت راحةُ اللذةِ تُعَقِّبُ نَعَبَ العقوبة، فدع الدَّعَةَ تمضي في غَيْرِ الدَّعَةِ، واللهِ ما تساوي لذةُ سِنَةٍ غَمِّ ساعة، فكيفَ والأمرُ بالعكس؟ كم في يَمِّ الغرورِ من تمساحٍ فاحذِرْ يا غائض، يا مَنْ قد أمكنهُ الزمانُ من حركاتِ التصرفِ في العدلِ لا تجرُ، فما يؤمن من الزَّمنِ الزَّمنِ.

ومتى بلغتَ إلى الرئاسةِ فاستلب كُرَّةَ العُلَى بصوَالِحِ المعروفِ

كان عمرُ يخافُ مع العدلِ، يا مَنْ يَأْمَنُ مع العدُولِ، رُئِيَ بعد موته باثنتي عشرة سنة، فقال: الآن تخلصت من حسابي، واعجباً! أقيمُ أكثرَ من سِنِي الولاية، أفيْتَبُهُ بهذا راقِدُ الهوى؟!.

أحسنُ شعائرِ الشرائعِ العدلُ، الظلمُ ظُلْمَةٌ في نهارِ الولاية، وجَذَبٌ يرعى لحومَ الرعية، والعدلُ صوتٌ في صُورِ الحياة، يُبعثُ به موتى الجورِ.

أيُّهَا الظالمُ! تذكَّرْ عند جَوْرِكَ عدلَ الحاكمِ، تَفَكَّرْ حين تصرفِكَ في سَرَفِكَ، عجباً لك! تدَّعي الظَّرْفَ^(٣) وتأخذ المظروفَ والظَّرْفَ، كلا، أو في الظَّرَافَةِ رَافَةٌ؟! ستعلمُ أيُّهَا الغريمُ قدرَ غرامِكَ إذا يلتقي كلُّ ذي دينٍ وماطِلِه، من لم يتتبعِ بمناقشِ العدلِ شوكَ الظُّلمِ من أيدي التصرفِ، أنزَمَ ما لا يؤمن تعديه إلى القلبِ.

يا أربابَ الدولِ! لا تُعَرِّبُوا في سُكْرِ القدرة، فصاحبُ الشَّرْطَةِ بالمرصادِ.

(١) لسبتهم: لسب أي لدغ.

(٢) الغير: التغيرات وتقلبات الزمان.

(٣) الظرف: الكياسة.

سليمان الحكيم قد حبس أصف العقوبة في حصن ﴿ فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ [مريم: ٨٤] ، وأجرى رُخاء الرجاء ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ [النساء: ١٦٥] ، فلو قد هبت سموم الجزاء من مهب ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ ﴾ [الأنبياء: ٤٦] .

قلعت سُكْر ﴿ إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ، فإذا طوفان التلف ينادي فيه نوح ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ [مود: ٤٣] ، فالحذر الحذر قبل ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَةٍ ﴾ [الزمر: ٥٦] ، ﴿ وَلَا تَحِينَ مَنَاسٍ ﴾ [ص: ٣] ، وأنت أيها المظلوم فتذكر من أين أتيت؟ فإنك لا تلقى كذراً إلا من طريق جنائية ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] .

كان لبَّان^(١) يخلط اللبن بالماء ، فجاء سَيْل فذهب بالغنم ، فجعل يبكي ويقول : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً ، ولسان الجزاء يناديه «يداك أوكتا وفوك نفخ»^(٢) .

اذكر غفلتك عن الأمر والأمر وقت الكسب ، ولا تنس أطراح التقوى عند معاملة الخلق ، فإذا انقض غاصب فسمعت صوت سوطه يضرب عقد الكسب جزاء لخيانة العقود ، فلا تستطرف ذلك ، فأنت الجاني أولاً و«البادي أظلم» .



(١) لبَّان : صاحب اللبن .

(٢) يداك أوكتا : مثل يضرب لمن يجني على نفسه الهلاك ، وأصله - كما قال المفصل - أن رجلاً كان في جزيرة ، فأراد أن يعبر على زق نفخ فيه فلم يحسن إحكامه ، حتى إذا توسط البحر خرجت من الزق الرياح لانفلات الوعاء ، ففرق الرجل ، فلما غشيه الموت استغاث برجله رآه حين نفخ وربط ، فقال له : يداك أوكتا وفوك نفخ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ٤١٤ / ٢ ، رقم (٤٦٥٥) .

الفَصِيلُ السَّالِسُ وَالسِّتُونَ

يا مشغولاً بأمله عن ذكرِ أجله ، راضياً في صلاحِ خِلاله^(١) ، هل أتى
المساكن لكسله إلا مِنْ قَيْلِهِ ١٩ .

أَضْحَى لَكَ فِي قَبْضَةِ الْمَطَامِعِ آمَالٌ تَرْجُو دَرَكاً وَالرَّذَى لِعُمْرِكَ مُغْتَالٌ
هَلْ أَنْتَ مُعِدُّ لِيَوْمِ حَشْرِكَ زَاداً يَوْمَاً يَجِدُ الْفَوْزَ بِالْقِيَمَةِ عَمَالٌ
إِنْ أَغْفَلَكَ الدَّهْرُ بَرَهَةً فُسيَاتِيهَ لَكَ عَلَى غَفْلَةٍ بِحُتْفِكَ مَنَجَالٌ
بَادِرٌ بِمَتَابٍ فَرَبِّمَا طَرَقَ الْمَوَ تُبْهِمُ مِنَ الْمَنِيَةِ قَتَالٌ
أَيْنَ الْمُتَحَامُونَ عَنْ زُخَارِفِ دُنْيَا إِنْ أَوْطَنْتِ الْمَرْءَ أَغْقَبْتُهُ بِتَرْحَالٍ
خِلَابَةٌ عَقْلٍ بِيَاظِلٍ مَتَمَادٍ غَرَارَةٌ صَادِرُ رَأْيِ الْمَطَامِعِ كَاللَّالِ
إِنْ شِيمٌ^(٢) سَحَابٌ لَهَا فَذَاكَ جَهَامٌ^(٣) أَوْ ظَنَّ بِهَا وَابِلٌ^(٤) فَذَلِكَ خَالٌ^(٥)
دَغْ عَنْكَ حَدِيثُ الرِّكَابِ أَيْنَ تَوَلَّتْ أَوْ ذِكْرُ دِيَارٍ بِهَا الْعِفَاءُ^(٦) وَأُطْلَالٌ
يَا حَسْرَةً مِنْ أَنْفَقَ الْحَيَاةَ غُرُوراً قَدْ بَاعَ لَهَا الْفُرْصَةَ الرِّخِيصَةَ بِالْغَالِ
لَا تَحْتَقِرُ الذَّنْبَ فَالْصَّحَائِفُ تُحْصِي مَا كُنْتَ تَنَاسَيْتَ مِنْ قَبَائِحِ أَفْعَالِ

يا ضاحكاً ملء فيه سروراً واغترباطاً ، وقد ارتبطت له المنون خيل التلّف
ارتباطاً ، أما بسط الإنذار على باب الدّارِ بساطاً؟ ! أما الحادي مجتهداً فما للمنادي
يتباطأ؟ ! أيحسُّ بالكبير أن يتمرس^(٧) باللهو أو يتعاطى؟ ! عجباً لعالم بقرب

(١) خِلاله : جمع خلة وهي الخصلة . خلله : من الخلل ، وهو الفساد في الأمر .

(٢) شيم : شام البرق : نظر إليه أين يقصد؟ وأين يمطر؟ .

(٣) جهام : السحاب الذي فرغ ماؤه .

(٤) وابل : مطر شديد .

(٥) خال : يقال : نستخيل الجهم . أي : لا نتخيل في السحاب خالاً إلا المطر وإن كان
جهاماً لشدة حاجتنا إليه .

(٦) العفاء : ذهاب الأثر أو التراب .

(٧) يتمرس : يتعود ، يصير محنكاً .

المنيا كيف لا ينتهب الثقى التقاطاً؟ ولجسد بالٍ جرّ بالعجب والرّياء رباطاً^(١).

إلى كمّ هذا الإسراع في الهوى والوجيف^(٢)؟ وباب البقاء في الدّنيا قد سدّ وجيف^(٣)، إن الأمن في طريق قد أخيف، رأيّ رذيل، وعقل سخيف، يا من يجمع العيب إلى الشيب ويضيف، لا الماء بارد ولا الكور نظيف، إن إثارة ما يقنى لمزيف لا ظريف، كم أتى خريف، وكم أناخ ريف^(٤)، ويكفي من الكلّ كلّ يوم رَغيف، أيجوع بشر الحافي ويشبع وصيف^(٥)؟ ويذل هذا ويخدم هذا منه وصيف، وما أدرك هذا مدّه هذا ولا النّصيف، ألا أريبّ ألا لبيبّ ألا حصيف؟ لا يُعجبكم استقامة غصن الهوى، فالغصن قصيف^(٦)، ها نحن قد شتّونا ولعلنا لا نصيف.

سَلِ الأيامَ ما فعلت بكسرى	وقيصرَ والقصورَ وساكنيها
أما استدعتهم للموت طراً ^(٧)	فلم تدع الحليم ولا السّفِيها
دنت نحو الدّنيّ بسهم خطب	فأصمته وواجهت الوجيها
أما لوبيعت الدّنيا بفلس	أنفت لعاقلي أن يشتريها

يا من عُمره يذوب ولا يتوب، إذا خرقت ثوب دينك بالزلل فارقعه بالاستغفار، فإن رفاء^(٨) الندم صناع^(٩) في جمع المتمزق.

يا هذا إنما يضلّ المسافر في سفره يوماً أو يومين، ثم يقع على الجادة، واعجباً من تيه خمسين سنة.

يا واقفاً مع الصّور خالط عالم المعنى، أما علمت أن تغريد الحمام نياحة،

(١) رباطاً: جمع ربطة: وهي الملاءة وكل ثوب لين رقيق.

(٢) الوجيف: ضرب من سير الإبل والخيّل.

(٣) جيف: أغلق.

(٤) ريف: السعة في المأكل والمشرب.

(٥) الوصيف: الخادم.

(٦) قصيف: مكسور.

(٧) طراً: جميعاً.

(٨) رفاء: خياط.

(٩) صناع: ماهر.

أَنْتَ تَظُنُّ الْبَلْبَلَ يُغْنِي، وَإِنَّمَا يَكْبِي عَلَى أَحْبَابِهِ.

لَيْتَ شَعْرِي عَنْ الَّذِينَ تَرَكْنَا بَعَدْنَا بِالْحِجَازِ هَلْ يَذْكُرُونَا
أَمْ لَعَلَّ الْمَدَى تَطَاوَلَ حَتَّى بَعُدَ الْعَهْدُ بَيْنَنَا فَتُسُونَا
أَزْجَعُوا حُرْمَةَ الْوَصَالِ فَإِنَّا لَهُمْ فِي الْهَوَى كَمَا عَهَدُونَا

لَوْ صَفَّتْ لَكَ فِكْرَةً، كَانَ لَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةٌ، كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ بَيْنَ
مَخَوْفٍ وَمَشَوْقٍ.

حَرُّ الصَّيْفِ يُذَكِّرُ حَرَّ جَهَنَّمَ، وَبَرْدُ الشِّتَاءِ مَحْذَرٌ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا، وَالْخَرِيفُ
يُنَبِّئُهُ عَلَى جَنِي ثِمَارِ الْأَعْمَارِ، وَالرَّبِيعُ يَحْتُّ عَلَى طَلَبِ الْعَيْشِ الصَّافِي.

أَوْقَاتُ الْأَسْحَارِ رِبْعُ الْأَبْرَارِ، وَقُوَّةُ الْخَوْفِ صَيْفٌ، وَبِرُودَةُ الرَّجَاءِ شِتَاءٌ،
وَسَاعَاتُ الدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ خَرِيفٌ.

إِذَا اسْتَحَرَّ^(١) الْحَزْزُ تَقَعَّمَ الْقَحْلُ، فَطَلَقَ الْقَطَرُ الْأَرْضَ، فَلَيْسَتْ سِرْبَالُ
الْجَدْبِ، وَأَحْدَثَتْ فِي حِفْشٍ^(٢) الدُّلَّ، فَلَمَّا طَالَتْ أَيَّامُ الْأَيْمَةِ^(٣) أَوْمًا إِلَى الْمُرَاجَعَةِ
الرَّجْعِ^(٤)، فَبَكَتْ قَطْرَاتُهُ لَطَوِيلِ الْهَجْرِ، فَضَحَكَ لِكَثْرَةِ بُكَائِهِ رَوْضُ الْأَرْضِ، فَبَنَى
الْبِنَاءَ رَيْعَ^(٥) الرَّبِيعِ، فَنَهَضَتْ مَاشِطَةُ الْقُدْرَةِ، لِإِخْرَاجِ بَنَاتِ النَّبَاتِ مِنْ مَخْدَرِ
النَّوْثَى، فَفَرَشَتْ الْحُلْلَ بِمَصْبِغَاتِ الْحُلْلِ، فَسَمِعَ الْوَرْدُ هُتَافَ الْعَنْدَلِيبِ، وَحَنِينَ
الدَّوَالِيبِ، فَفَتَحَ فَاهُ مُسْتَأَقًا إِلَى مَشْرُوبٍ، فَإِذَا الطَّلُ^(٦) صَبُوحٌ^(٧)، فَقَالَ: أَلَا
مُنَادِمٌ؟ فَأَبَتْ الْأَزْهَارُ مَصَاحِبَهُ مَنْ لَا يَقِيمُ، فَأَجَابَهُ بَعْدَ الْيَأْسِ الْيَاسْمِينُ، فَقَالَ: أَنَا
نَظِيرُكَ فِي قِصْرِ الْعُمَرِ، وَالْمُؤَانَسَةِ فِي الْمَجَانَسَةِ، فَأَشِيرْ أَنْتَ إِلَى الْمُذْنَبِ بِأَحْمَرَارِ
الْخُجَلِ، حَتَّى أَشِيرَ أَنَا إِلَى الْخَائِفِ بِأَصْفَرَارِ الْوَجَلِ.

(١) استحَرَّ: اشتد.

(٢) حِفْشٌ: البيت الحقيق القريب السقف من الأرض.

(٣) الأيْمَةُ: من التأيم ومفارقة الزوج.

(٤) الرجْع: المطر.

(٥) رَيْعٌ: النماء والزيادة.

(٦) الطَّلُ: أخف المطر وأضعفه.

(٧) الصَّبُوحُ: كل ما أكل أو شرب غدوة، وهو خلاف الغبوق.

فرأى البُلبُل طيبَ الاجتماعِ فغنى، فرئت ديارُ اللهو، فدخلَ الناطورُ
والصيادُ، فاعتطفَ الناطورُ رأسَ الوردِ، واختطفَ الصيادُ البُلبُلَ الوغد^(١)، فدُبِحَ
في الحالِ العصفورُ، وحُيسَ الوردُ في قواريرِ الزُّور^(٢)، وقيلَ للياسمين: لم
اغترزتِ بزورٍ؟! ﴿أَفَحَبِيبُكُمْ أَمَّا خَلَقْتُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

فلَمَّا بكى الوردُ بكاءً نادى على الاغترارِ صَليحَ للمتطيين «أينُ المذنبين
أحبُّ إلينا من زَجَلِ المسبِّحين»^(٣) .

فانتبه يا مخدوع، فالعُمُرُ الوردُ، والزجاجةُ القبرُ، والنفسُ البُلبُلُ،
والقفصُ اللُّخدُ .

* * *

-
- (١) الوغد: ضعيف الجسم .
(٢) الزُّور: مجلس اللهو والغناء .
(٣) انظر: كشف الخفاء، برقم (٨٠٥) . وقال بعد أن أورده: «لينظر»، ولم نستطع الوقوف
عليه .

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالسِّتُونَ

إخواني! المستقرُّ يزول، والمقيمُ منقول، والأحوالُ تحول، والعتابُ على الفاني يطول، وكم نَعْدُلُ وكم نقول؟!

سَيَقْطَعُ رَيْبُ الْيَمِّنِ الْفَرِيقَيْنِ لكلُّ اجتماعٍ فرقةٌ من يَدِ الْيَمِّنِ^(١)
وكلُّ يَقْضِي سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ تُخَاتِلُهُ عَنْ نَفْسِهِ سَاعَةُ الْحَيْنِ
وما الْعِيشُ إِلَّا يَوْمٌ مَوْتٍ لَهُ غَدٌ وما الْمَوْتُ إِلَّا رَقْدَةٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ
وما الْحَشْرُ إِلَّا كَالصُّبَاحِ إِذَا انْجَلَى يقومُ لَهُ الْيَقْظَانُ مِنْ رَقْدَةِ الْعَيْنِ
أَيَا عَجَباً مَنِّي وَمَنْ طَوَّلَ غَفْلَتِي أَوَّمِّلُ أَنْ أَبْقَى وَأَتَى وَمِنْ أَيْنِ؟

أَيْنَ قُطَّانُ الْأَوْطَانِ؟ أَيْنَ الْأَطْفَالُ وَالشُّمُطَانُ^(٢)؟ أَيْنَ الْجَائِعُ وَالْمِبْطَانُ؟ أَيْنَ حَطَّانُ وَقَحْطَانُ؟ أَيْنَ الْعَبِيدُ وَالسُّلْطَانُ؟ أَيْنَ الْبَانِي وَمَا طَانُ^(٣)؟ أَيْنَ السَّقُوفُ وَالْحِيطَانُ؟ أَيْنَ الْمَرْجُ وَالْغِيطَانُ؟ أَيْنَ الْمَهَارِيُّ وَالْأَشْطَانُ^(٤)؟ أَيْنَ الْآجَالُ وَالْخِيطَانُ^(٥)؟ أَيْنَ الْمُحِبُّ وَالْحَبِيبُ فِي الثَّرَى خُطَانُ؟ تَعْرِفُ وَتَصْدِفُ^(٦) هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴿[القصص: ١٥]﴾.

الطريقُ الهاديَّةُ واسعةُ الفجاج، والدليلُ ظاهرٌ لا يحتاجُ إلى احتجاج، وأمَّا بحرُ الهوى فما يفارقه ارتجاج، ما فيه ماءٌ للشربِ بل كلُّه أجاج، والعَجَبُ من

-
- (١) البين الأولى: الفراق، والبين الثانية: الوصال.
(٢) الشُّمُطَانُ: جمع أشمط، وهو الرجل الكبير.
(٣) ما طَانُ: أي ما طين وبناء.
(٤) المَهَارِيُّ: نجائب تسبق الخيل. الْأَشْطَانُ: الحبل الذي تشد به الدابة، وهو جمع شَطَنَ.
(٥) الْآجَالُ: جمع إجل: القطيع من بقر الوحش والظباء. الْخِيطَانُ: جمع خيط، وهي الجماعة من البقر والنعام والجراد.
(٦) تصدِف: من صدف أي أعرض.

راكب فيه يتَجَرُّ في الزجاج ، كم مزجورٍ عنه غَرَّقَتْه في لُجَّةٍ لُجَاج .

يا معاشرَ العصاةِ ! قد عمَّ الجذبُ أرضَ القلوب ، وأشرفت زروعُ التقوى
على التَّوى^(١) ، فاخرجوا من حُصْر الذنوب إلى صَحراءِ الندم ، وحولوا أوديةَ
الغَدْرِ عن مناكب العهود ، ونكسوا رؤوس الرياسة على أذقان الدُّل ، لعلَّ غيومَ
الغُوم على ما تَلَف تَأْتَلَف .

إخواني ! قد بشر الرِّشَّاش فائِبُوا ، وقد سال الوادي .

واحبسِ الركبَ علينا ساعةً نَثُوبُ الرِّبَعِ وَتَبْكُ الدُّمْنَا
فلذا الموقِفِ أعدَدْنَا البُكا ولذا اليومِ الدِّموْعُ تُقْتَنَى
زَمَنًا كَانَ وَكُنَّا جِيرةً يا أعادَ اللهُ ذاكَ الزَّمَنَا
بيننا يومُ أثيلاتِ النَّقا كان عن غيرِ تراضٍ بيننا

إذا خرجت القلوبُ بالتوبةِ من حَبْسِ الهوى إلى بيداءِ الإنابةِ ، جرت خيولُ
الدمع في حلبات الوجد كالمرسلات عُرفاً .

إذا استقامَ زرعُ الفكرِ ، قامتِ العبراتُ تُسقي ، ونهضت الزفراءُ تحضدُ ،
ودارت رحا التحيرِ تطحن ، واضطربت نازُ القلقِ تُنضِج ، فحصلت للقلبِ بُلَّةٌ ،
يتقوى بها في سَفَرِ الحُبِّ .

يا من لم يصبرَ عن الهوى صبرَ يوسفَ ، تعيَّنَ عليك حُزْنُ يعقوبَ ، فإن لم
تُطِقْ فذلُّ إخوته يوم ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف : ٨٨] .

خوفُ السابقةِ ؛ وحذرُ الخاتمةِ قلَّلَ قلوبَ العارفين ، وزادهم إزعاجاً
﴿ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال : ٢٤] ، كلما دخلوا سِكَّةً من سِكَكِ السكونِ ،
شرعَ بهم الجزعُ في شارعٍ من شوارعِ القلقِ ، كلما حركَ نسيمُ السَّحَرِ أغصانَ
الشجرِ ، أخذت ألسُنُ قلوبهم في بَثِّ القَلَقِ ، فكاد نفسُ النَّفسِ يقطعُ الحيازيمَ^(٢) ،
لولا حَزْمُ التمسكِ .

(١) التوى : الهلاك .

(٢) الحيازيم : جمع حيزوم : وسط الصدر .

(للشريف الرضي) (١):

وَأَنِّي لِأَغْرَى بِالنَّسِيمِ إِذَا سَرَى وَتُعْجِبُنِي بِالْأَبْرَقَيْنِ رِبْعُ
وَيَخْنِي عَلَى الشُّوقِ نَجْدِي مُزْنَةُ وَيَزُقُّ بِأَطْرَافِ الْحِجَارِ لُمُوعُ
وَلَا أَعْرِفُ الْأَشْجَانَ حَتَّى تَشُوقَنِي حَمَائِمُ وَرَقٍ فِي الدِّيَارِ وَقُوعُ (٢)

في كلِّ الليل تهبُّ الرياحُ، ولكنَّ لنسيمِ السحرِ خاصِّيَّةً، ما أظنُّه تعطرُ إلا
بأنفاسِ المستغفرين، لِتَنفَسِ الْمُحِبُّ عِطْرِيَّةً تَنْمُ عَلَى قَدْرِ طَيْبِهِ.

أَحِبُّ الثَّرَى النَجْدِيَّ مِنْ أَجْرِعِ الْحَمَى كَأَنِّي لِمَنْ بِالْأَجْرَعَيْنِ نَسِيبُ
إِذَا هَبَّ عَلَوِيُّ الرِّيحِ رَأَيْتَنِي أَغْضُ جَفُونِي أَنْ يُقَالَ مُرِيبُ

المحبون على شواطئ أنهار الدمع نُزول، فلو سُرَّتْ عن هواك خطوات
لأَحَتَ لَكَ الْخِيَامُ:

وَصَلُّوا إِلَى مَوْلَاهُمْ وَيَقِينَا وَتَنَعَّمُوا بِوَصَالِهِ وَشَقِينَا
ذَهَبَتْ شَيْبَتُنَا وَضَاعَ زِمَانُنَا وَدَنَتْ مَنِيَّتُنَا فَمَنْ يُجِينَا
فَتَجَمَّعُوا أَهْلَ الْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا تَبْكِي شَهْرًا قَدْ مَضَتْ وَسِينَا

كان بعضُ السلف يقول: اللَّهُمَّ إِنْ مَنَعْتَنِي ثَوَابَ الصَّالِحِينَ، فَلَا تَحْرِمْنِي
أَجْرَ الْمَصَابِ عَلَى مَصِيبَتِهِ.

وكان آخرُ يقول: إِنْ لَمْ تَرْضَ عَنِّي فَاعْفُ عَنِّي.

كان القومُ زينةَ الدُّنْيَا، فَمُذْ سَلَبُوا تَسَلَبَتْ (٣).

خلت والله الديار وباد القوم، وارتحل أربابُ السهر، وبقي أهلُ النوم،
واستبدل الزمانُ أَكْلِي الشَّهَوَاتِ بِأَهْلِ الصُّومِ:

كَفَى حَزْنًا بِالْوَالِيهِ الصَّبُّ أَنْ يَرَى مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَى مَعْطَلَةً قَفْرًا

(١) انظر: ديوان شعره: ٦٢١/١.

(٢) الشطر الثاني في الديوان: «حمام يبطن الواديين سجون».

(٣) تسلبت: أي لبست السلاب: وهو ثوب أسود أو أبيض تلبسه المرأة في الحداد والحزن.

يا مَنْ كان له في حديثِ القومِ ذوقٌ، أين آثارُ الوجدِ والشوقِ؟! إذا طال لبثُ
الطينِ في حافاتِ الأنهارِ تكاملَ رِيهِ، فإذا نَضَبَ الماءُ عنه استلبتِ الشمسُ جميعَ
ما فيه من رطوبةٍ، فيَقْوَى شوقُهُ إلى ما فارقَ، فلو تَرَكْتَ قطعةً منه على لسانِكَ
لأمسكته شوقاً إلى ما فارت من رطوبةٍ.

أشدُّ الناسِ حُباً لحديثِ الحجازِ مَنْ سافرَ:

فكانتِ بالفُراتِ لَنالِيايَ سَرَقَناهُنَّ مِنْ رِيبِ الزَّمانِ
يا هذا! كُنْتَ تَدَّعي حُبنا، وتؤثِّرُ القُرْبَ مِنّا، فما هذا الصبرُ الذي قد عَنَّ^(١)
عنا؟!.

كنتَ تستطيبُ رياحَ الأسحارِ، وما تغيَّرَ المهبطُ، ولكن دخلَ فصلُ بَرْدِ
الفتورِ ولم تحترزِ، فأصابكَ زُكامُ الكَسَلِ.

كنتَ في الرِّعيلِ الأولِ، فما الذي ردَّكَ إلى الساقَةِ^(٢)؟!.

قف الآن على جادَةِ النَّاسِفِ والزَّمِ البكاءِ على التخلُّفِ، فأحقُّ الناسِ
بالأسى من خُصَّ بالتعويقِ دونَ الرُّفقاءِ:

يا صاحِبَيَّ أطِلا في مؤانِسَتِي	وعَلَّاني بِخِلانِي وعُشاقِي
وَحَدَّثاني حَدِيثَ الخَيْفِ إِنَّ لَهُ	روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقِي
ما ضَرَّ رِيحَ الصَّبَا لو ناسَمْتُ حُرْقِي	واستَنَقَذْتُ مُهجَتِي من أسْرِ أشواقِي
داءً تقادَمَ عِندي، مَنْ يُعالِجُه؟	ونَفْثَةُ بَلَغَتْ مِنِّي، مَنْ الرِّاقِي؟
يَمضي الزَّمانُ وآمالِي مُصَرَّمةٌ	مِمَّنْ أَحَبُّ على مُطْلٍ وإملاقِ
وَاضِيعَةُ العُمُرِ لا الماضِي انتَفَعْتُ بِهِ	ولا حَصَلْتُ على عِلْمٍ مِنَ الباقي
بلى علِمْتُ وقد أيقنْتُ يا أَسفاً	أني لكلِّ الذي قَدَّمْتُه لاقِ

* * *

(١) عن: طراً.

(٢) الساقَة: المؤخرة.

الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالشِّتُونَ

إخواني! مَنْ عاملَ الدُّنْيَا خَسِرَ، وَمَنْ حَمَلَ فِي صَفِّ طَلِبِهَا كُسِرَ، وَإِنْ خَلَّصَ مُحِبُّهَا مِنْهَا عَسِرَ، وَكُلُّ عَاشِقِهَا قَدْ قُبِرَ وَأَسِرَ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أرى الشَّهْدَ يَرْجِعُ مِثْلَ الصَّبْرِ فَمَا لَابْنَ آدَمَ لَا يَغْتَبِرُ
وَمُخْبِرُهُ صَادِقٌ فِي الْحَدِيثِ فَإِنْ شَكَّ فِي ذَاكَ فَلْيَخْتَبِرُ
وَدُنْيَاكَ فَالِقَ بَطُولِ الْهَوَانِ فَهَلْ هِيَ إِلَّا كَجِسْرِ عُزُرُ

يا طالِباً ما لا يُدْرِكُ، تَمَنَّى الْبَقَاءَ وَمَا تُتْرَكُ، كَأَنَّكَ بِالْحَادِي قَدْ أَبْرَكَ^(١)،
وَهَلْ غَيْرَ الْحَصَادِ لَزَرَ قَدْ أَفْرَكَ؟^(٢).

وَكَيْفَ أُشِيدُ فِي يَوْمِي بِنَاءً وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي غَدٍ عَنْهُ ارْتِحَالِي
فَلَا تَنْصُبْ خِيَامَكَ فِي مَحَلٍّ فَإِنَّ الْقَاطِنِينَ عَلَى احْتِمَالِ^(٣)

يا مَنْ أَعْمَالُهُ رِيَاءٌ وَسَمْعَةٌ، يا مَنْ أَعْمَى الْهَوَى بِصَرِّهِ وَأَصَمَّ سَمْعُهُ، يا مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ لَمْ يُخْلَصْ رَكْعَةً، يا نَائِماً فِي انْتِبَاهِهِ إِلَى مَتَى هَذِهِ الْهَجْعَةُ؟! يا غَافِلاً عَنِ الْمَوْتِ كَمْ قَلَعَ الْمَوْتُ قُلْعَةً! كَمْ دَخَلَ دَارَكَ فَأَخَذَ غَيْرَكَ وَإِنْ لَهُ لِرَجْعَةٍ! كَمْ شَرَى شَخْصاً بِنَقْدِ مَرَضٍ وَلَهُ الْبَاقُونَ بِالشُّفْعَةِ^(٤)! كَمْ طَرَقَ جَبَّاراً فَشَتَّ سَمْلَهُ وَأَخْرَبَ رِبْعَهُ، أَفَلَا يَتَعَطَّ الْبِيدُ بِسَلْبِ شَاهِ الرِّقْعَةِ^(٥).

يا عَامَرَ الدُّنْيَا! إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ قُلْعَةٍ^(٦)، كَمْ مَرَّقَتْ قَلْباً بُحِبُّهَا فَرَجَعَ أَلْفَ

(١) أبرك: يقال: أبرك في عدوه: أسرع فيه مجتهداً.

(٢) أفرك: صار صالحاً للحصاد.

(٣) احتمال: رحيل.

(٤) الشُّفْعَةُ: مصدر بمعنى التملك، وقد عرفها الفقهاء بأنها تملك البقعة جبراً على المشتري

بما قام عليه، أو هي حق تملك قهري يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض.

(٥) بيدق: بيدق الشطرنج: الجندي. وشاه الرقعة: الملك.

(٦) دار قُلْعَةٍ: دار تحول وارتحال.

قطعة، إِنَّ خُصِّتْ بِطِيبِ الْمَذَاقِ أَغْصَتْ وَسَطَ الْجُرْعَةِ، يَوْمُ تَرْجِهَا سَنَةً، وَسَنَةُ
فَرَجِهَا جُمُعَةً، إِنَّهَا لَمُظْلَمَةٌ، وَلَوْ أَرْقَدْتَ أَلْفَ شَمْعَةٍ، وَهِيَ مَعَ هَذَا خَائِنَةٌ، وَلَوْ
حَلَفْتَ بِرَبْعَةٍ^(١)، [والمطبوع على طبعه فمن يُغَيِّرْ طبعه]^(٢).

كَمْ دَرَسْتُ عَلَيْكُمْ مُجَلَّدَاتٍ تَقُولُ: مَا هَذِهِ الْأَنْفُسُ مُخَلَّدَاتٍ! أَيْنَ
الْأَقَارِبُ، أَيْنَ اللَّدَاتِ^(٣)؟ أَفَلَا رَوَّائِدُ ذَهَبٍ لِلْأَخْبَارِ مُنْتَسِمَاتٍ! آهٍ لِلْقَاعِدِينَ عَنِ
طَلَبِ الْمَكْرُمَاتِ، آهٍ لِلْمُسْتَرِيحِينَ لِقَدْ رَضُوا بِمُؤَلَّمَاتِ.

يَا أَسِيرَ الشَّهَوَاتِ ذَهَبَ الْعَمَرُ وَفَاتِ
وَمَضَى وَقْتُكَ فِي لَهْوٍ وَسَهْوٍ وَشَتَاتِ
بَيْنَمَا أَنْتَ عَلَى غَيْبِكَ حَتَّى قَبِلَ مَاتِ

إِخْوَانِي! مَا لِقَلْبِ الْعَزَمِ قَدْ غَفَلَ، وَلِنَجْمِ الْحَزْمِ قَدْ أَقْلَ، مَهَلًا فشمسُ العَمْرِ
فِي الطُّفْلِ^(٤)، وَمَنْ لَمْ يَحْضُرِ الْوَعْيَ لَمْ يُحْرِزِ الثَّقَلَ:

ثَوَانِي^(٥) هَمْ قَلَمٌ أَقْرَهُ أَوَائِلَ مِنْ عَزَمَتِي أَوْ ثَوَانِي^(٦)
فِيَا هِنْدُ وَإِنْ^(٧) عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مَنْ لَا يَسَاوِرُ بِالْهِنْدَوَانِي^(٨)

يَا مَعَاشِرَ الْعُلَمَاءِ! اتَّقِنَعُونَ مِنَ الصِّفَاتِ بِالْأَسْمَاءِ! أَتَوَثِّرُونَ الْأَرْضَ عَلَى
السَّمَاءِ! أَفِي الشُّكْرِ أَنْتُمْ أَمْ فِي الْإِغْمَاءِ! أَتَرْضَوْنَ بِالثَرِيَا الثَّرَى! أَتَغْمِضُونَ
الْعَيُونَ مِنْ غَيْرِ كَرَى! أَتَنَامُونَ فَمَنْ يَحْمَدُ الشَّرَى!؟

أَتَحِيدُونَ فِي الْأَنْفِ الْبُرَى^(٩)! أَتَحْلُونَ عَقْدَ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ [التوبة]:

(١) أربعة: صندوق أجزاء المصحف.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) اللدات: جمع لدة: من ولد معك في وقت واحد.

(٤) الطفل: الوقت قبيل غروب الشمس، أو بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب.

(٥) ثواني: من الثواء: الإقامة.

(٦) ثواني: ما يأت ثانية.

(٧) وإن: ضعيف فاتر متباطئ.

(٨) هندواني: السيف.

(٩) البرى: جمع برة: حلقة من نحاس في أحد جانبي أنف البعير للتدليل.

١١١[١٩] إنكم لاحقٌ بالحزن فيما أرى، أخضروا نائحة لا تكفكم الكرا^(١).

يا قومنا هذه الفوائد جمّة فتخيروا قبل الندامة وانتقوا
إن مسّكم ظمأ يقول نذيركم: لا ذنب لي قد قلت للقوم استقوا

يا معاشر العلماء! قد كتبتم ودرستم، ثم إن طلبكم العلم فلستُم في بيت
العمل، ثم لو ناقشكم الإخلاص لأفلستُم.

شجرة الإخلاص أصلها ثابت، لا يضرّها زعزع^(٢) ﴿أَيْنَ شَرَكَاءِ ك﴾
[النحل: ٢٧]، وأما شجرة الرياء فاجتثت عند نسمة ﴿وَقُوهُمْ﴾ [الصافات: ٢٤].

كم متشبّه بالمخلصين في تحشّعه ولباسه، وأفواه القلوب تنفر من طعم
مذاقه! وأسفي ما أكثر الزورا!

أما الخيام فإنّها كخيامهم

ليس كلّ مستدير يكون هلالاً، لا لا، وما كلّ من أومى إلى العزّ ناله.

ودون العلى ضربٌ يدمّي النواصيا

كم حول معروف من دفين، ذهب اسمه كما بلي رسمه، ومعروف^(٣)
معروف:

فما كلّ دارٍ أفقرت داره الحمى ولا كلّ بيضاء الترائب زينب

ريح المخلصين عطرية القبول، والمرائي سموميّ النسيم، نفاق المنافقين
صيّر المسجد مزبلة ﴿لَا نَقَمُ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، وإخلاص المخلصين رفع
قدر الوسخ «ربّ أشعث أغبر»^(٤).

أيّها المرائي قلب من ترائيه بيد من تعصيه^(٥)، لا يُنقش على الدرهم الزائف

(١) الكراء: بالقصر والمد: الأجر.

(٢) زعزع: الريح الشديدة.

(٣) أي: معروف الكرخي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) ترائيه: أي من تعمل لأجله من الناس. بيد من تعصيه: أي بيد الله عزّ وجلّ.

اسمُ الملك ، فما يتبهرجُ الشحمُ بالورم ، المرائي يتبرطل^(١) على بابِ السلطان ،
يدعي أنه خاصٌّ وهو غريب ! أتدرون ما ذنب المرائي ؟ دعا باسم ليلي غيرها فيا
أسقي ! ذهب أهل التحقيق وبقيت بُنيات الطريق ، خَلَّتِ البقاعُ من الأحباب ،
وتبدلت العمارَةُ بالخراب ، يا ديارَ الأحباب عندك خبرُ المخلص يُبهرجُ على
الخلق بستر الحال ، ويُبهرجته يصحُّ النقدُ .

كان في ثوبِ أيوب السخنياني بعضُ الطولِ لسُتْرِ الحال ، وكان إذا وَعَظَ
فَرَّقَ ، فَرَّقَ قلبه من الرياء فيمسخُ وجهه ويقول : ما أشدَّ الزكام .

(لِصُرْدُر)^(٢) :

أحبسُ دمعِي فينُدُّ شاردًا كَأَنِّي أَحْبَسُ عَبْدًا أَبْقَا
وَمِنْ مَحَاشَاةِ الرَّقِيبِ خِلْتُني يَوْمَ الرِّحِيلِ فِي الْهَوَى مَنَافِقَا

كان (أيوب) يُحيي الليلَ كلَّهُ ، فإذا كان عند الصباح رفعَ صوته كأنه قام تلك
الساعة :

(لِصُرْدُر)^(٣) :

أُكَلِّفُ الْقَلْبَ أَنْ يَهْوَى وَأُلْزِمُهُ صَبْرًا وَذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ أَضْدَادِ
وَأَكْتُمُ الرِّكْبَ أَوْطَارِي^(٤) وَأَسْأَلُهُ^(٥) حَاجَاتِ نَفْسِي لَقَدْ أَتَعَبْتُ رُؤَادِي
هَلْ مَدْلِجٌ عِنْدَهُ مِنْ مُبَكِّرٍ خَبِرٌ وَكَيْفَ يَعْلَمُ حَالَ الرَّائِحِ الْغَادِي
وَأَنْ رَوَيْتُ أَحَادِيثَ الَّذِينَ مَضَوْا^(٦) فَعَنْ نَسِيمِ الصَّبَا وَالْبَرْقِ إِسْنَادِي

كان (إبراهيم النخعي) إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاءه .

وكان (ابن أبي ليلي) إذا دخل داخل وهو يصلي اضطجع على فراشه .

(١) يتبرطل : أي لبس البرطل ، أي القلنسوة .

(٢) قاله يمدح عفيفاً القائمي . انظر : الديوان ، ص ١٤٩ .

(٣) قاله في مدح الوزير أبي نصر بن جهير ، وهو آخر شعر قاله . انظر : الديوان ، ص ١٠٥ .

(٤) في الديوان : «أسراري» .

(٥) في الديوان : «وأسألهم» .

(٦) في الديوان : «نأوا» .

أفدي ظباءَ فلاةٍ ما عَرَفَنَ بها مضغَ الكلام ولا صَنَعَ الحواجِبِ^(١)
 مرض (ابن أدهم) فجعلَ عند رأسه ما يأكله الأصحاء، لئلا يتشبه بالشاكين،
 هذه والله بهرجةٌ أصحُّ من نقدك.
 (للعباس بن الأحنف)^(٢):

قد سَحَبَ الناسُ أذيالَ الظنُونِ بنا وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فَرَقَا
 فكاذبٌ قد رَمَى بالظنِ غيرُكمُ وصادقٌ ليس يدري أَنَّهُ صَدَقَا
 اشْتَهَرَ (ابن أدهم) ببلد، فقيل: هو في البستان الفلاني، فدخل الناسُ
 يطوفون ويقولون: أين إبراهيم بن أدهم؟ فجعل يطوفُ معهم ويقول: أين إبراهيم
 ابن أدهم.
 (لمهيار)^(٣):

ضناً بأنَّ يعلمَ الناسُ الهوى ولمَن وهبتُ للسُرِّ فيه لَذَّةَ العَلَنِ
 عَرُضٌ بغيري ودَغْنِي في ظنونهمُ إن قيل: من يَكُ يُخْفِي الحَقُّ في الظَّنِّ
 قرئ على (أحمد بن حنبل) في مرضه أن طاووساً كان يكره الأنين، فما أن
 حتى مات.
 (لِصُرْدُر)^(٤):

تفيضُ نفوسٌ بأوصابِها وتكتُمُ عوَادَها ما بها
 وما أنصفتُ مهجةً تشتكي هواها إلى غير أحبِّابها
 لما همَّ الطبعُ بالتأوُّه من البلاء كشفت الحقائقُ سُجُفَ المحبوبِ، فلم يبقَ

-
- (١) يريدُ بالظباء نساءَ العرب، وأنهن فصيحَات لا يمضغن الكلام، ولا يصيغن حواجِبهن
 كعادة نساء الحضرة، فهو تفضيل للعربيات.
 (٢) انظر: ديوان شعره، ص ١٩٩ - ٢٠٠.
 (٣) مطلع قصيدة يمدح بها الوزير ابن أردشير. الديوان: ٢٧/٤ - ٢٩.
 (٤) من قصيدة يمدح بها أبا القاسم بن رضوان. انظر: ديوان شعره، ص ١٣٨.

لتقطيع الأيدي أثر :

بدا لها مِنْ بعدِ ما بدا لها روضُ الحِمَى أن تشكّي كلالها

رحل - والله - أولئك السادة ، وبقيَ والله قرناء الرياء والرسادة .

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

أسمع أصواتاً بلا أنيس ، وأرى خشوعاً أصله من إبليس .

(لمهيار)^(١) :

تشبهت حورُ الطباء بهم	إذ سكنت فيك ولا مثلُ سكن
أصامت بناطقي ، وناقرُ بآنسي	وذو خلا بذي شجن
مُشتبِه أعرفه وإنما	مغالطاً قلت لصحبي : دار مَنْ ؟
قف باكياً فيها وإن كنت أخاً	مؤانساً فبكها عنك وعن
لم يُقَ لي يومُ الفراقِ فضلة	من دمة أبكي بها على الدمن



(١) من قصيدة أنشد بها ابن هرثمة الكاتب . الديوان : ٤ / ٤٧ .

الفصل التاسع والستون

التفكر في عجائب خلق الله

يا مَنْ قد أُرْحِي له في الطُّول^(١)، وأُمهلَ له بِمدِّ الأجل، اخلُ بنفسِكَ وعائِبِها، وخُذْ على يدها وحاسِبِها، لعلَّها تأخُذُ عِدَّتَها قبل أن تستوفي مُدَّتَها:

وجدتُ أيامي بي رَواحِلاً	متى ترى ينحطُّ عنها الراحِلُ
وصيَحَ بي: عَرَسُ ^(٢) فقد طالَ المدي	وكل ركبٍ في الترابِ نازلُ
يهذُّ الحَيْنُ ^(٣) فهل من سامعٍ	وجاءَ بالنصحِ فأينَ القابلُ
وكلُّ شيءٍ زاجرٌ مُحَدِّثُ	يفهمُ ما قالَ الحَصيفُ العاقِلُ

إخواني! بادروا قبل العَوائِقِ، واستدركوا، فما كلُّ طالبٍ لاحقٍ، واشكروا نعمةً من سَتَرَكم عن الذُّنوبِ، واعرفوا فضلَه فقد أعطاكم كلَّ مطلوبٍ، ما أعمَّ جودَه لجميعِ خلقه! وما أكثرَ تقصيرَهم في حقِّه! عمَّ إحسانُه الآدميَّ والبَهِائمَ، والمستيقِظَ والنائمَ، والجاهلَ والعالمَ، والمتقيَ والظالمَ.

من تأمَّلَ حسنَ لطفه لخليقَتِه حَيَرَهُ الدَّهَشُ، خلقَ الجنينَ في بطنِ الأمِّ فجعلَ وجهه على ظهرها لئلا يجري الطعامُ عليه، وجعلَ أنفَه بين ركبتيه ليتنفَّسَ في فراغٍ^(٤)، وسيقَ قوَّته في مِضْرانِ السرةِ، وليس العجبُ تَغْذِيه لَأَنَّهُ متَّصِلٌ بحَيٍّ، إنما العجبُ خلقُ الفرخِ في البيضةِ المنفصلَةِ، فإنَّه من البياضِ يخلَقُ ومن المِخِّ^(٥) يغتذي، فقد هيأَ له زادَ الطريقِ قبل سيرِ الإيجادِ.

(١) الطُّولُ: الحبلُ يَرُخى للدَّابة لترعى. وهنا كناية عن فسحة الأجل.

(٢) عَرَسَ: هو نزول القوم في السفر من آخر الليل، وفي (أ): عرج.

(٣) الحَيْنُ: الهلاك.

(٤) هذه المعارف كانت شائعة في عصرهم، ولا تصح.

(٥) المِخ: ما في جوف البيضة من صفرة.

إذا نفقات بيضة الغراب خرج الفرخ أبيض، فتنفّر عنه الأم لمباينته لونها،
فيبقى مفتوح الفم لطلب الرزق، فيسوق القدر إلى فيه الذباب، فلا يزال يغتذي به
حتى يسودّ، فتعود أمه إليه.

خلق الطير ذا جؤجؤ^(١) مخدد، لتجري سفينة طيرانه في بحر الهوى،
وجعل في جناحه وذنبه ريشات طوالاً لينهض للطيران، ولمّا كان يختلس قوته
خوفاً من اصطياده، جعل منقاره صلباً لئلا ينسحق^(٢)، ولم يخلق له أسنان، لأنّ
زمان الانتهاب لا يحتمل المضغّ، وجعلت له حوصلة كالـمِخلّة، فينقل إليها ما
يسلب، ثم ينقله إلى القانصة في زمان الأمن، فإن كانت له فراخ أسهمهم قبل
الثقل.

كلّما طالّت ساقا الحيوان طال عنقه، ليتمكن تناول طعمه من الأرض.

هذا طائر الماء لا يقف إلا في ضحضاح^(٣)، فيتأمل ما يدبّ في الماء، فإذا
رأى ما يريد خطا خطوات على مهل فيتناول، ولو كان قصير القوائم، كان حين
يخطو يضرب الماء ببطنه فيهرب الصيد.

هذه العنكبوت تبني بيتها بصناعة يعجز عنها المهندس، إنّها تطلب زاوية
فجعلت فيها خيطاً، ووصلت بين طرفيها بخيط آخر، وتلقي اللعاب على الجانبين
فإذا أحكمت المعاقد، وربّت القمط^(٤) كالسدى أخذت في اللّحمة^(٥)، فيظنّ
الظان أنّ نسجها عبث، كلا، إنّها تصنع شبكة لتصيد قوتها من الذباب والبق، فإذا
أنمت النسيج انزوت إلى زاوية ترصد رصد الصائد، فإذا وقع صيد قامت تجني
ثمّار كسبها فتغذي به، فإذا أعجزها الصيد طلبت زاوية ووصلت بين طرفيها
بخيط، ثم علقت نفسها بخيط آخر، وتنكست في الهواء تنتظر ذبابة تمرّ بها، فإذا

(١) جؤجؤ: صدر.

(٢) ينسحق: من سحق جلده فانسحق، أي: قشره فانقشر.

(٣) ضحضاح: ماء قليل قريب القعر.

(٤) القمط: جمع قماط، وهو الحبل ونحوه يقط به.

(٥) السدى: ضد اللّحمة وهو ما يمد طولاً في النسيج. اللّحمة: ما ينسج عرضاً.

دَنَتْ مِنْهَا دَبْتُ إِلَيْهَا، وَاسْتَعَانَتْ عَلَى قَتْلِهَا بِلَفِ الْخِيْطِ عَلَى رِجْلِهَا، أَفْتَرَاهَا
عَلِمَتْ هَذِهِ الصَّنْعَةَ بِنَفْسِهَا؟ أَوْ قَرَأَتْهَا عَلَى بَعْضِ جَنْسِهَا؟ أَفَلَا يُنْظَرُ إِلَى حِكْمَةِ مَنْ
عَلَّمَهَا وَتَثْقِيفِ مَنْ أَلْهَمَهَا؟!

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نَظَرٌ يُعْجِبُكَ مِنْهَا فَتَعْجَبُ مِنْ عَدَمِ تَعْجُيبِكَ، فَإِنَّ أَعْجَبَ
أَفْعَالِ الْقَدَرِ ﴿وَأَصْلُهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [البجائية: ٢٣].

الْقَلْبُ جَوْهَرٌ فِي مَعْدِنِ الْبَدَنِ، فَكَشَفَ عَنْهُ بِمَعْوَلِ الْمَجَاهِدَةِ، وَلَا تُطَيَّنُهُ
بِتَرَابِ الْغَفْلَةِ، رَمَيْتَ صَخْرَةَ الْهَوَى عَلَى يَتْبُوعِ الْفِطْنَةِ، فَاحْتَبَسَ الْمَاءُ، انْقَبُ
تَحْتَهَا إِنْ لَمْ تُطَقْ رَفْعُهَا لَعَلَّ الْجُرْفَ^(١) يَنْهَارُ.

فَتَنْبَهُوا يَا غَافِلِينَ	فِي قُرْبِنَا تَيْلُ الْمَنَى
عَنَّا وَقِذْمًا وَاصِلُونَا	عَجَبًا لِقُومٍ أَغْرَضُوا
بِالصَّدُودِ وَكَاشِفُونَا	نَقْضُوا الْعَهْدَ وَبَارَزُونَا
وَالْجَفَا حَتَّى نُسْوُنَا	وَاسْتَعْذَبُوا طَعْمَ الْقَطِيعَةِ
مَا فَاتَهُمْ لَا سْتَغْفِرُونَا	يَا وَيْحَهُمْ لَوْ قَدْ رَأَوْا

إِلَهِي! مَا أَكْثَرَ الْمَعْرِضِينَ عَنْكَ وَالْمَعْتَرِضِينَ عَلَيْكَ! وَمَا أَقَلَّ الْمُتَعْرِضِينَ
إِلَيْكَ يَا رُوحَ الْقُلُوبِ! أَيْنَ طُلَّابُكَ؟ يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ! أَيْنَ أَحِبَّائُكَ؟ يَا رَبَّ
الْأَرْبَابِ! أَيْنَ عِبَادُكَ؟ يَا مُسَبِّبَ الْأَسْبَابِ! أَيْنَ قَصَادُكَ؟ مَنْ الَّذِي عَامَلَكَ بِلَبِّهِ فَلَمْ
يَرِجْ؟ مَنْ الَّذِي جَاءَكَ بِكَرْبِهِ فَلَمْ يَفْرَحْ؟ أَيُّ صَدْرِ صَدَرَ عَنْ بَابِكَ وَلَمْ يَسْرَحْ؟ مَنْ
ذَا الَّذِي لَادَ بِجَنَابِكَ فَاشْتَهَى أَنْ يَبْرَحَ؟ يَا مُعْرِضًا عَنْهُ إِلَى مَنْ أَعْرَضْتَ؟ يَا مُشْغُولًا
بِغَيْرِهِ بَعَثَ تَعَوَّضْتَ؟!

مُتَّ عَلَى مَنْ غَبَتْ عَنْهُ أَسْفَا لَسْتَ عَنْهُ بِمُصِيبٍ خَلْفَا
لَنْ تَرَى قُرَّةَ عَيْنٍ أَبَدًا أَوْ تُرَى نَحْوَهُمْ مُنْصَرَفَا

بَعَثَ قِيَامَ اللَّيْلِ بِفَضْلِ لُقْمَةٍ! شَرِبْتَ كَأْسَ النِّعَاسِ فَفَاتَكَ الرِّفْقَةُ، ضُرِبَ
عَلَى أَذْنِكَ لَا فِي مِرَافِقَةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، تَنَاوَلْتَ خَمْرَ الرُّقَادِ، فَوَقَعَ بِكَ صَاحِبُ

(١) الجرف: شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله.

الشرطة، فعمل في حقل بمقتضى «أقم وأنم»، فجعل حدك الحبس عن لحاق المتجهدين.

والله لو بعث لحظة من خلوة بنا بعمر نوح في ملك قارون لغيثت، لا بل بما في الجنان كلها ما ربحت، ومن ذاق عرف.

إخواني! اسمعوا بحرمة الوفاء، فما كل وقت يطلع سهيل^(١)، فإذا خرجتم من المجلس، فاقصدوا المساجد الخراب، وضعوا وجوهكم على التراب، وابعثوا أنفاس الأسف، وكفى بها شفيعاً في الزلل، فإن وجدتم قلوبكم قد حُضرت فاذكروني معكم.

(للشريف الرضي)^(٢):

تراكُم مَن استبدلتم بجواريا	وقولوا لجيران على الخيف من منى
به ورعى العشب ^(٣) الذي كنت راعيا	ومن ورد الماء الذي كنت واداً
تذوب عليها قطعة من فؤاديا	فوا لهفتي! كم لي على الخيف شهقة

* * *

(١) سهيل: نجم يمانى، قيل: عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي الغيظ.

(٢) من قصيدة قالها عند توجه الناس إلى الحج عام (٤٠٠هـ). انظر: ديوان شعره: ٥٧٠/٢.

٥٧١.

(٣) في الديوان: «الروض».

البَصَائِلُ الْمُسْتَبْعُونُ

يا نائها في بوادي الهوى، انزل ساعة بوادي الفكر، يخبرك بأن اللذة قصيرة والعقاب طويل، واعجباً لمن يشتري لذة ساعة بغم الأبد! كانت المعصية ساعة، لا كانت، فكم ذلت بعدها النفس! وكم تصاعد لأجلها النفس! وكم جرى لتذكارها دمع.

(للشريف الرضي)^(١):

قَضَتِ المنازلُ يومَ كاظمة	أَنَّ المَطِيَّ يطولُ موقوفُها
سبقتُ مدامعنا برشتها	من قبلُ أن يُومي مُكفكفُها
إن كنتُ أنفدتُ الدموعَ بها	فالوجدُ بعدَ اليومِ يَخلفُها
لا تنشُدَنَّ الدارَ بعدهمُ	إني على الإقواءِ أعرفُها
رفقاً بقلبي لا تُعذبْه ^(٢)	العينُ منك وأنتَ تطرفُها
في القلبِ منك جراحةٌ عظمَتْ	ما زلتُ أدملُها وتقرُفُها ^(٣)
هل يعطفنكمُ توجعُها	أو يقبلنكمُ بكُم تلهفُها

يا من قد هبت على قلبه جنوبُ المجانية، فلفقت غيمَ الغفلة، فأظلم أفقُ المعرفة، لا تئس فالشمسُ تحت الغيم.

لو تصاعدَ نفسُ أسيفٍ، دارتُ شمالاً فتقطعَ السحاب.

أنفعُ دواءٍ أجده لك نقضُ أخلاطِ التخليط بالدموع.

بضاعةُ المذنبِ دمعُه، رأسُ مالِ المُقرِّ حزنُه، راحةُ الأوابِ قلقُه، عيشةُ التوابِ حرقُه.

(١) من قصيدة قالها في معاتبة صديق له. انظر: ديوان شعره: ٣٠ / ٢ - ٣٣.

(٢) في الديوان: «رفقاً بقلبي يا أبا الحسن».

(٣) تفرقت: يقال: تفرقت الفرحة: تقشرت.

كان آدم عليه السلام يبكي بعد هبوطه حتى يخوض في دمه، فكان جبريل يأتيه فيقول: كم هذا البكاء؟ أو لسان حاله يجيب:

(للشريف الرضي)^(١):

يا عاذل المشتاق دَعُهُ فَإِنَّهُ يطوي على الزفراتِ غيرَ حشاكا
لو كان قلبك قلبه ما لُمَّته حاشاك مما عنده حاشاكا

يا جبريل! ما تغيَّرَ عليك أمرٌ، وأنا نُقِلْتُ من بردٍ عيشٍ إلى حرٍّ، ما سَكَنْتَ
قط مَسْكَنِي، ولا توطأتَ موطني، فاقرأ على ربي سلامي، وقل له: لا تنسَ
أَيَّامِي.

(للمصنّف):

إذا جُرْتُ بِالْعَوْرِ عَرَجَ يَمِينَا فقد أخذَ الشوقُ مِنَّا يَمِينَا
وسلمَ على بانهِ الواديينِ فإن سَمِعَتْ أَوْشَكْتَ أَنْ تَبِينَا
ورؤِ ثرى أرضهم بالدموعِ وخلَّ الضلوعَ على ما طَوِينَا
وصحَّ في مغانيهم أينَ هُمُ وهيهاتَ أمُّوا طريقاً شَطُونَا
أراكِ يشوقُكَ وادي الأراكِ اللدارِ تبكي أم الساكنينَا
سقى اللهَ مرَّتَعَنَا بِالْحَمَى وإن كانَ أورتَ داءَ دَفِينَا
وعاذلةٌ فوقَ داءِ المُجِبِّ رويداً رويداً بِنَا قَدْ بُلِينَا
فَمَنْ تَعَذَّرِينَ أَمَا تَعَذَّرِينَ فلو قَدْ نَفَقَتْ دَفَعْتَ الْأَتِينَا
إذا غلبَ الحُبُّ ضاعَ العتابُ تعبَتِ وَأَتَعَبْتَ لَوْ تَعْلَمِينَا

ما زال آدم يشيم^(٢) برق العفْرِ، فلما طالَ عليه الزمانُ، حمَل صُعْدَاءُ^(٣)
الوجدِ رسالةَ الجوى، ما علمتْ بمضمونها الرياحُ.

إذا بدا البرقُ من نجدٍ طربُّ له وكذتُ من طربي أفضي لذكرهمُ

(١) انظر: ديوان شعره: ١٠٩/٢.

(٢) يشيم: ينظر إلى البرق أين يقصد، وأين يمطر سحابه.

(٣) صعداء: يقال: تنفس الصعداء: نفساً ممدوداً من توجع.

وتَحْمِلُ الرِّيحُ إِنْ هَبَّتْ شَامِيَةً مَتَى السَّلَامُ إِلَى أَطْلَالِ رِبْعِهِمْ
فَرَضْتُ عَلَيَّ أَرَاعِيهِمْ وَأَحْفَظُهُمْ عَلَى الْبِعَادِ وَيُرْعَوْنِي بِفَضْلِهِمْ

يا معاشر المذنبين ! تَأَسَّوْا بِأَيِّكُمْ فِي الْبُكَاءِ ، تَفَكَّرُوا كَيْفَ بَاعَ دَاراً قَدْ رُبِّيَ
فِيهَا وَضَاعَ الثَّمَنَ ، لَا تَبْرَحُوا مِنْ بَابِ الذُّلِّ ، فَأَقْرَبُ الْخَطَايَا إِلَى الْعَفْوِ الْمَعْتَرِفِ
بِالزُّلْمِ .

ما انتفع آدمُ في بليّة ﴿وَعَصَى﴾ [طه: ١٢١] بِكَمَالِ ﴿وَعَلَّمَ﴾ [البقرة: ٣١] ،
وَلَا رَدَّ عَنْهُ عَزَّ ﴿أَسْجُدُوا﴾ [البقرة: ٣٤] ، وَإِنَّمَا خَلَّصَهُ ذَلِكَ ﴿ظَلَمْنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] .

قال سَرِيّ: بَثُّ بَعْضِ قَرَى الشَّامِ ، فَسَمِعْتُ طَائِراً عَلَى شَجَرَةٍ يَقُولُ طَوَالَ
الَّيْلِ: أَخْطَأْتُ لَا أَعُودُ ، فَقُلْتُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ: مَا اسْمُ هَذَا الطَّائِرِ؟ فَقَالُوا: فَاقْدُ
إِلَيْهِ .

(لمهيار)^(١):

تَأَوَّهْتَ تَأَوُّةً^(٢) الْأَسِيرِ وَرَقَاءُ ذَاتِ وَرَقٍ نَضِيرِ
تَنْطِقُ عَنْ قَلْبٍ لَهَا مَكْسُورِ كَأَنَّهَا تَنْطِقُ عَنْ ضَمِيرِ
لِيْكَ يَا حَزِينَةَ الصَّفِيرِ إِنْ اسْتَجَرْتُ بِي فَاسْتَجِيرِ
لِكَ الْخِيَارُ أَنْجَدِي أَوْ غُورِي وَحَيْثُمَا صَارَ هَوَاكِ صِيرِي
قَصَّ جَنَاحِي زَمَنٌ فَطِيرِي

إِخْوَانِي ! نَفَرْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، غَفْلَةً شَامِلَةً ، وَدُمُوعُ جَامِدَةٍ ، لَا ، بِاللَّهِ
لَا تَفْعَلُوا .

يَا حَادِي الْعَيْسِ لَا تَعْجَلْ بِنَا وَقِفْ نُجْرِي دُمُوعَ هَوَاهُمْ ثُمَّ نَتَصَرَفْ
فَمَا يَزَالُ نَسِيْمٌ مِنْ يَمَانِيَّةٍ يَأْتِي إِلَيْنَا بِرِيًّا^(٣) رَوْضَةَ أَنْفٍ^(٤)

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٤٥ .

(٢) فِي الدِّيْوَانِ: «تَرْنَمْتُ تَرْنَمًا» .

(٣) رِيًّا: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ .

(٤) رَوْضَةُ أَنْفٍ: جَدِيدَةُ النَّبْتِ لَمْ تَرَع .

إذا رأيتم باكياً في المجلس فارحموه، وإذا شاهدتم قلقاً فاعذروه، لا تعجبوا من واجد ما لم تجدوه.

(لابن المعتز):

دَعْوُهُ لِيُطْفِئَ بِالدَّمْعِ حَرَارَةً عَلَى كَيْدِ حَرَّى دَعْوُهُ دَعْوُهُ
سَلُّوا عَاذِلِيهِ يَعْذِرُوهُ هُنَيْهَةً فَبِالْعَذْلِ دُونَ الشُّوقِ قَدْ قَتَلُوهُ

لا تلوّموا صاحبَ الوجد فما يرى بحضرته أحداً.

ظَنَّ الْأَرَاكَ لَدَى وَادِيهِ أَظْلَعَانَا فَمَا اسْتَطَاعَ لَمَّا أَخْفَاهُ كِتْمَانَا
فَبَانَ لِلرَّكْبِ مَا قَدْ كَانَ يَسْتَرُهُ عَنْ كُلِّ مُسْتَخِيرٍ عَنْ حُبِّ مَنْ بَانَ

كان (أبو عبيدة الخواص) يمشي في الطريق ويصيح: وا شوقاه إلى من يراني ولا أراه.

هَذَا وَلَّهِي وَكَمْ كَتَمْتُ الْوَلَّهَا صَوْنًا لِحَدِيثِ مَنْ هَوَى النَفْسَ لَهَا
يَا آخِرَ مِخْتَلِي وَيَا أَوَّلَهَا أَيَّامُ عَنَائِي فَبِكَ مَا أَطْوَلَهَا

ليسَ للمحبِّ فرار، ولا من الحبِّ فرار، تعرَّقلَ وفات، وخَيِّقَ فمات.

وَلِي عِبْرَاتٌ تَسْتَهْلُ صَبَابَةً عَلَيْكُمْ إِذَا بَرَّقَ الْغَمَامُ تَأَلَّقَا
أَلِفْتُ الْهَوَى حَتَّى حَلَّتْ لِي صُرُوفُهُ وَرَبِّ نَعِيمٍ كَانَ جَالِبُهُ شَقَا
وَأَذْهَلُ حَتَّى أَحَسَبَ الصَّدَّ وَالنَّوَى بِمَعْتَرِكِ الذِّكْرِ وَصَالًا وَمَلْتَقَى
فَهَا أَنَا ذُو حَالِينَ أَمَا تَلْدُذِي فَحَيٍّ وَأَمَّا سَلَوَتِي فَلَكَ الْبَقَا

لو أشرفت على وادي الدُّجى، لرأيت خيمَ القوم على شواطئ أنهار
الدموع، خلّوا - والله - بالحبيب، وطالَ الحديث، عينٌ تبكي من المحبوب،
وأخرى تبكي عليه، لفظةٌ تشكو منه، وأخرى تشكو إليه، ريٌّ تام بمحبته،
وعطشٌ مُحْرِقٌ إلى رؤيته.

(للمصنف)

الماءُ عِنْدِي قَدْ طَمَأَ وَأَنَا الَّذِي أَشْكُو الظَّمَا

عِنْدَ سَكَّانِ الْجِمَى
عَادُوا وَجَادُوا لِي فَمَا
هِيَهَاتَ هُمْ حَشْبِي وَمَا
سَلَبُوا فَوَادِي إِيَّامَا
كَلَمًا يَزِيدُ وَكُلَّمَا
يَا لَيْتَهُمْ دَاوُوا كَمَا
هِيَهَاتَ لَوْلَاهُمْ لَمَا
عَسَى وَأَرْجُو زُبْمَا
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى الدُّمَا^(١)
فَعَادَ مُرًّا عُلَقَمَا
مُتَحَيِّرًا تَبْكِي دَمَا
مَنْ لَا يَزَالُ مُتَيَّمَا
أَلَا ابْلِغِيهِمْ بَعْضَ مَا
أَنْفَاسٍ يَكْفِي مَعْلَمَا
بِكُمْ فَمَا فَعَّرْتَ فَمَا
لَيْسَ تَخْفَى أَيْنَ مَا
طَوَّلَ الزَّمَانُ مِنْعَمَا

جِسْمِي مَعِي لَكِنْ قَلْبِي
وَاهِبًا لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ
أَرْجُو نَوَالِ سَوَاهُمْ
مِثْلِي إِلَى غَيْرِ الْأَلَى
أَشْكُو إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ
هَجَرُوا تَفَاقَمَ أَمْرُهُ
جَرَحُوا فَلَوْ طَبُّوا شَفَوْا
ذَهَبَ الزَّمَانُ بِأَنْ أَقُولُ
يَا أَيُّهَا الْمَضْنَى بِهِمْ
فَالِدُّ مَا كَانَ الْوَصَالُ
تَرَكَوكَ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ
يَا بَانَّةَ^(٢) الْوَادِي أَرْحَمِي
يَا نَسْمَةَ الرِّيحِ الشَّمَالِ
أَلْقَى فَحَرُّ سَمَائِهِمِ الـ
نَفْسِي تَكَابَدُ وَجَدَهَا
لَكِنْ أَثَارَ الْمَحَبَّةِ
كَانَتْ فَلَا زَالَ الْفَوَادُ بِهَا

* * *

(١) اللما: بقية الروح.

(٢) بانة: ضرب من الشجر.

البَصِيرَةُ الْحَايِيَّةُ وَالسَّبْعُونَ

إخواني : ألا ناظرٌ لنفسه قبل الموت ؟ ! ألا مُستدركٌ زادَ رُمسَه قبل الفوت ؟ !
ألا مُزدَجِرٌ بواعظِ أمسِه ؛ فقد أسمعَه الصوت ؟ ! .

ما ضرَّ عبداً نفسَه	قبلَ خروجِ نفسِه
هل يومُهُ أو غَدُهُ	إلا نظيَّرَ أمسِه
وعَلَّه يلقي الرَّدَى	قبل غروبِ شمسِه
كم مدلجٍ ^(١) مُهجَّرٍ ^(٢)	يسعى لبغلٍ عُزيمِه
وأكيسُ الناسِ امرؤٌ	جَدَّ ليومِ رُمسِه

إخواني ! حبال الآمالِ رِثاءٌ ^(٣) ، وساحرُ الهوى نَفَّاثٌ ، والأمانِي على الحقيقة أضغاثٌ ^(٤) ، والمالُ المُدَخَّرُ رِزْقُ الوُزَّاثِ ، عجباً لأجسامِ ذكورٍ وعقولِ إناثِ .

إلامَ الرواحُ في الهوى والتغليس ؟ ! وحتَّامُ السعي في صحبة إبليس ؟ ! وكم بَهْرَجَةٍ في العملِ وكم تدليس ! أين الأقران ؟ ! هل لهم من حسيسٍ ^(٥) ؟ ! أما تعلمُ أنهم نَدِموا على إثثارِ الخسيس ؟ ! تالله لقد ودُّوا طلاقَ الدنيا قبل المَسيِس .

لقد أسمعَكَ الموتُ وعيدَكَ ، وكأَنَّكَ به قد ضَعُضَعَ مَشِيدَكَ ، وأخلى منك دارَكَ ، وملا بك يَدَكَ ، لقد أمرَضَكَ الهوى وفي عزمه أن يزيذك .

(١) مدلج : اسم فاعل من أدلج : سار أول الليل .

(٢) مهجَّر : من الفعل هَجَرَ : أي سار في الهاجرة ، وفي الحديث : «المهجَّر إلى الجمعة كالْمَهْدِي بدنة» .

(٣) رِثاء : مهترنة مقطوعة .

(٤) أضغاث : جمع ضِغْث ، وهو قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس ، ويقال عن الرؤيا التي لا يصحُّ تأويلها لاختلاطها : أضغاث أحلام .

(٥) حسيس : صوت خفيض .

هل لَذْتُ لَذَّةَ الدنيا فَضَفْتُ ١؟ هل عافت إلا وعافت وَعَفْتُ^(١) ١؟ هل تبعت
غَرَضاً وقفت فوقفت ١؟^(٢) هل سقت^(٣) رشفةً من رُضابها^(٤) فشفْتُ ١؟ بينا محيَّها
بناجيها بالفاظِ المنى خَفْتُ^(٥)، ما بلغ المراد إلا مَنْ صَدَّ عنها والتفت.

عَيْنُ المنيَّةِ يَقْطِي غيرَ مُطْرِفَةٍ وَطَرْفُ مطلوبِها مُذْكَانَ وِسْنانُ
جهلاً تَمَكَّنَ منه حينَ مولِدِهِ فَالْتُّطُقُ صاحٍ، وَلَبُّ المرءِ سكرانُ

كم نرْمي هدفَ سَمْعِكَ برشقِ كلامٍ، كم نلدغُ أصلَ قلبِكَ بِخُمةٍ^(٦) مَلامٍ، لا
تَنفَعُ الرياضةُ إلا في نَجِيبٍ، لو سَقِيَ الحنظلُ بماءِ السكرِ لن يَخرجَ حلواً، شَجَرُ
الأثل - وإن دام الماءُ تحته - لم يُشْمَرْ، سحابُ الهدى قد طَبَّقَ بيدَ الأكوانِ، وأظنُّ
أرضَ قلبِكَ سَبْخاً! إنما يَغْلِبُ هذا على ظنِّي لبعْدِ صلاحِكَ، وقد يستحيلُ الخمرُ
خِلاً، كم تحضرُ المجلسَ وتخرجُ وما علقَتْ بشيءٍ!.

ويحك! هذا البنفسجُ يُطْرَحُ في الشيرج فيَعْبَقُ به طولَ السنة، وكذلك الورد
في الأُشنان:

وَمِنَ البليةِ عَذْلُ مَنْ لا يرعوي عن عَيْهِ وخطابُ مَنْ لا يفهم^(٧)

ويحك! إلى كم تعدو خَلْفَ موكبِ الهوى وما تريح إلا الغبارَ، دغ حبلَ
الرعوثة من يدِ التمسُّكِ، فإنه لا مِرَّةً^(٨).

ما قُتِلَ أَحَدٌ بأحدٍ من سيفِ سوفٍ، ومواهبِ الأعمارِ مسترجعةً بالأنفاسِ
حتى تُسْتَوْفَى، أَلَسَتْ نَقَضَتْ عهدَ ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعدَ عَقْدِ عَقْدِهِ ١؟
فكيف حلَّ لك الحَلُّ ١؟.

(١) عافت الأولى: من العافية. وعافت الثانية: كرهت. عَفْتُ: مَحَتَّ.

(٢) قفت: من القفو وهو الإدبار. فوقفت: ثبتت ولم تتماذ.

(٣) في (ب): أرشفت.

(٤) رُضابها: الرضاب: الريق.

(٥) خفت: سكن وضعف.

(٦) خُمة: خُمة العقرب: سمها وضربها.

(٧) للمتنبّي.

(٨) مرة: قوة.

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم من الوصل إلا ما رجعتكم إلى الوصل
نحن لك على الوفاء ما زلنا، وأنت ما ثبتت يومين .
(لكثير):

وكنا ارتقىنا في صعود من الهوى فلما علونا نُبتَّ وزلَّتْ
وكنّا عقداً عُقدة الوصل بيننا فلما تنوفاً شذذت وحلتِ
وا عجباً! تنبّه الحيوانات بالليل فتصوّت، وأنت غافل، ويحك! إذا
فتحت عينيك في الدجى فصيح بقلبك.

قم بنا يا أخي لما تتمنى واطرد النوم بالغزيمة عنا
قم فقد صاحت الديوك ونادت لا تكون الديوك أطرب منا
إخواني! مصيبتنا في التفريط واحدة، وأهل الأحزان أهل:

إنّا ليجمعنا البكاء وكلنا نبكي على شجن^(١) من الأشجان
مجلس الذكر ماتم الأحزان، هذا يبكي لذنبه، وهذا يندب لعيوبه، وهذا
على فوات مطلوبه، وهذا لإعراض محبوبه.

يتشاكى الواجدون جوى واحداً والوجد ألوان
يا نائح الفكر نضد^(٢)، يا نادب الحزن عدد، يا لائم النفس شدد، يا رامي
القلب سدد، يا جامع الدمع بدد، يا مطرب السررد.
(لمهيار)^(٣):

نشذتك يا بانة الأجرع متى رفع الحي من لعلع
وهل مرّ قلبي في التابعين أم حلز ضعفاً فلم يتبع

(١) شجن: همٌّ وحزن.
(٢) نضد: يقال: دار منضد، أي: مرصف، ورأي منضد كذلك مرصف، أي: محكم رصين.
(٣) من قصيدة طويلة كتبها للوزير ذي السعادات. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٤٢ - ٢٥٠.

وَأَنْتَ لِكَ يَبْنِ تِلْكَ الْقُلُوبِ إِذَا اشْتَبَهَتْ أَنْتَ الْمَوْجِعَ
أَدْرِيَا نَدِيمِي كَأْسَ الْحَدِيثِ^(١) فَكَأْسِي مِنْ بَعْدِهِمْ مَدْمَعِي
يَا مَقِيداً عَنِ السَّيْرِ بِقِيُودِ الشَّوَاغِلِ ! أَيْطَمَعُ فِي لَحَاقِ الطَّيْرِ مَقْصُوصُ
الْقَوَادِمِ^(٢) ١٩.

صَوْتُ فِي الْأَسْحَارِ بِالسَّائِرِينَ، لَعَلَّ عَطْفاً يَنْعِطُ إِلَيْكَ رَحْمَةً، فَقَدْ تَرَقُّ
السَّاقَةُ^(٣) لِأَهْلِ الْفَاقَةِ.

(لَمُهِيار)^(٤):

رَدُّوْا لَنَا يَوْمًا وَلَوْ سَاعَةً عَلَى الْغُضَا مِنْ عَيْشِنَا الزَّائِلِ
لِي ذَلَّةُ السَّائِلِ مَا بَيْنَكُمْ فَلَا تَفْتُنْكُمْ عِرَّةُ الْبَاذِلِ

سَلِ اللَّيْلَ عَنِ الْأَحْبَابِ فَعِنْدَهُ الْخَبِيرُ، خَلَا الْفَكْرُ بِالْقَلْبِ فِي بَيْتِ التَّلَاوَةِ،
فَجَرَتْ أَوْصَافُ الْحَبِيبِ، فَتَهَضُّ قَلْقُ الشَّوْقِ يَضْرِبُ بَطُونَ الرُّوَاحِلِ، لِيَنْهَرَ
السَّهَرُ، فَلَا وَجْهَ لِنَوْمِ الْقَوْمِ.

(لِلخَفَاجِي):

أَتَرَى طَيْفَكُمْ لَمَّا سَرَى أَخَذَ النَّوْمَ وَأَعْطَى السَّهْرَا
مَا نَلُومُ اللَّيْلَ بَلْ نَعْذُرُهُ إِنَّمَا طَوَّلَهُ مَنْ قَصَّصَا
يَا عَيُونًا بِالْغُضَا رَاقِدَةً حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُنَّ الْكَرَى
لَوْ عَدَلْتُنَّ تَسَاهَمْنَا جَوَى مِثْلَ مَا كُنَّا اشْتَرَكْنَا نَظْرَا
حَبَّذَا فَيْكَ حَدِيثُ بَاطِنٍ فَطِنَ الدَّمْعُ بِهِ فَاثْتَشَرَا

مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ تَقْوَاهُمْ، لَمْ يَعْلَمْ مَا الَّذِي أَبْكَاهُمْ؟.

(١) فِي الدِّيَّوَانِ: «الْمَدَام».

(٢) الْقَوَادِمُ: جَمْعُ قَادِمَةٍ، كِبَارِ رِيَشِ الطَّيْرِ، وَيُقَابِلُهَا الْخَوَافِي، وَهِيَ الرِّيشُ الصَّغِيرُ.

(٣) السَّاقَةُ: مُؤَخَّرَةُ الْجَيْشِ، وَفِيهَا مَنْ يَجْمَعُ وَيَتَّبِعُ مَا سَقَطَ مِنْهُمْ مِنْ أَمْتَعَةِ الْجَيْشِ فَيُلْحَقُهُ بِهِمْ.

(٤) مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا زَعِيمَ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ. الدِّيَّوَانُ: ٢١٨/٣.

من لم يشاهد جمال يوسف، لم يعلم ما الذي ألم قلب يعقوب؟.

مَنْ لَمْ يَيْتِ وَالْحُبُّ حَشْوُ فؤَادِهِ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَقَعَّتْ الْأَكْبَادُ
لَوْ دُمْتُ عَلَى سُلُوكِ الْبَادِيَةِ طَابَتْ لَكَ رِيحُ الشَّيْحِ.

تَقَرُّ لِعَيْنِي أَنْ أَرَى زَمَلَةَ الْجَمَى إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لِعَيْنِي قِلَالُهَا
وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ الْغُضَا بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا

* * *

الفصل الثاني والسبعون

يا مَنْ كانت له معنا معاملة، وطالت بيتنا وبينه المواصله، ثم اختارَ الهجرَ والمفاصله، إن لم يكن جميلٌ، فلتكن مُعامله، تفكّر! تعرف قدرَ ما فاتك، وابك لذنبِ حرَمك القربَ وأفاتك.

اسكُب دموعَ أسفِكَ، قربَ دم بالأسى سُفِكَ، واندُبَ أطلالَ مألِفِكَ، لعلك تُغاثَ في موقفك.

(المهيار)^(١):

تظنُّ ليلالينا عُودًا	على العهدِ مِنْ بَرَقَتِي نَهَمًا
ويا صاحبي أين وجهُ الصباح؟	وأيْنَ غَدٌ؟ صِفْ لعيني غدا
وخلَّفَ الضلوعَ زفيرُ أبي	وقد بَرَدَ الليلُ أن يبردا
خليلي، لي حاجةٌ ما أخفَّ	برامةٌ لو وَجَدَتْ مُسْعِدًا
أريدُ لأكثُمَ وابنُ الأراك	يفضُّها كَلَمًا غَرْدًا
أحبُّ وإن أخصَّبَ الحاضرون	بيادية الرمل أن أخلدًا
أرى كبدي قُسمَتْ شُعْبَتَيْنِ	معَ الشوقِ غَوَّرَ أو أنجدًا
تمنَّاكَ عيني وقلبي يَراك	بشوقي حاشاك أن تبعدًا

اللهم نَوِّرْ دُنيانا بنورٍ من تَوْفيقِكَ، واقطع أياَمنا في الاتصال بك، وانظم شَتاتنا في سِلَكِ طاعتِكَ، فأنت أعلمُ بتلقيق المُقترِفِ.

اللهم قوِّ مُنَّ^(٢) أطفالي التوبة بلبان الصبر، ارفُقْ بمرضى الهوى في مارستان البلاء، افتحْ مسامعَ الأفهام لقبول ما ينفع، سلِّمْ سيارَةَ الأفكار من قاطعِ طريق، أخْرِسْ طلائعَ المجاهدة من خديعة كمين، احفظ شجعانَ العزائم من شرِّ هزيمة، وقِّعْ على قصصِ الإنابة بقلم العفو، لا تُسلِّطْ جاهلَ الطبع على عالمِ

(١) من قصيدة قالها للكاتب أبي الحسين بن عبد الله متشوقاً أيام اجتماعه ومترحشاً لبعده.

انظر: ديوان شعره: ٢٦٣/١ - ٢٦٧.

(٢) مُنَّ: جمع مُنة، وهي: القوة.

القلب، لا تُبَدِّلُ نعيم عيشِ الروح بجحيمِ جِرحِ النفس، لا تُمِثَّ حيَّ العِلْمِ في حيَّ الجهل، أخرجنا إلى نور اليقين من هذا الظلام، لا تجعلنا ممن رأى الصبح فنام، لا تؤاخذنا بقدرِ ذنوبنا، فَإِنَّكَ قُلْتَ: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، واعجباً لمن عَرَفَكَ ثم أَحَبَّ غَيْرَكَ، ولمن سَمِعَ مناديك ثم تأخَّرَ عنك! .

حرامٌ عليَّ العيشُ ما دمتَ غضباناً وما لم يُعْذَ عني رضاكَ كما كانا فأخِيسْ فَإِنِّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ تُعوِّذُني عند الإساءةِ عُفْرانا
إلهي! لا تُعَذِّبْ نفساً قد عَذَّبَها الخوفُ منك، ولا تُخْرِسْ لساناً كُلَّ ما يروي عنك، ولا تُقَدِّ بصراً طالما يَبْكِي لك، ولا تُخَيِّبْ رجاءً هو منوطُ بك .

إلهي! ضَعْ في ضِعْفِي قوَّةً من مَنِّكَ^(١)، وَضَعْ في كَفِّي كَفِّي عن غيرك، ارحم عِبْرَةً تَتَرَفَّقُ على ما فاتها منك، بَرِّدْ كَيْدًا تحترق على بعدها عنك .

(للشريف الرضي)^(٢):

أشكو إليك مَدَامِعاً تَكِفُّ^(٣) بعد النوى وجوانحاً تَجِفُّ^(٤)
ما كان أسرعَ ما نَبَأَ^(٥) زمنٌ وتكدَّرت مِن وُدُنَا نُطْفُ^(٦)
حبلٌ غداً بِأَكْفُنَا طَرَفُ منه، وفي أيدي النوى طَرَفُ
لَهْفِي على ذاك الزمانِ وهل يَشْثِي زماناً ماضياً لَهْفُ

وا أسفي لمنقطع دونَ الرَّكب، متأخِّرٍ عن لحاقِ الصَّحْبِ، يُعَذُّ الساعاتِ في متى ولعلَّ، ويخلو يُفَكِّرُ في عسى وهل .

(لقيس المجنون):

-
- (١) مَنِّكَ: إنعامك .
 - (٢) من قصيدة قالها في الوزير أبي علي الحسن بن أبي الريان عاتباً عليه . انظر: ديوان شعره: ٢١/٢ - ٢٤ .
 - (٣) تكف: تسع وتنزل .
 - (٤) تجف: تضطرب وتخفق .
 - (٥) نبا: تجافى وتباعد .
 - (٦) نطف: جمع نُطْفَةٍ: اللؤلؤة الصغيرة الصافية .

أعدُّ الليالي ليلةً بعدَ ليلةٍ
وأخرجُ مِنْ بَيْنِ البيوتِ لعلني
إذا سرتُ أرضاً بالفضاءِ رأيتني
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكررُ
ألا يا حَمَامِي بطنِ نَعَمَانَ هَجُتُما
وأبكِتُمانِي وَسَطَ صحبي ولم أَكُنْ
ذَكَتْ نارُ شوقي في فؤادي فأصبَحْتُ
خليلي ما أَرْجو مِنَ العَيْشِ بَعْدَما
وقد يجمعُ اللهُ الشَّيْئَيْنِ بعدَما

أيها المتخلفُ في أعقابِ الواصلين استغث بهم، علّق على قطارهم، فلعلَّ
جَمَلَكَ يَصِلُ .

يا صاح والصاحبُ لا يُدعى به
خذْ بيدي من سَطَوَةِ اليَمَنِ فما
أين ليالينا القِصَارُ بِالْجَمَى

يا مَنْ قد مضتْ له ليالي مناجاة، ثم طبق الدستور^(١)، وقطع المعاملة،
اندبَ زمانُ الوصالِ لعلَّ حالاً حالٌ يعودُ.

(لمهيار)^(٢):

يا ليلتي بحاجِرٍ
بِثْنا على الأحقافِ^(٣) تَدُ
قالوا الصباخُ فانتبه
فَقُمْتُ مخلوطاً أَظُنُّ
إنَّ عادَ ماضي فارجعي
هالٌ بكلِّ مضجَعٍ
فقالَ لي الطيفُ اسمع
البازلَ ابنَ الرُّبْعِ^(٤)

(١) الدستور: بضم الدال: النسخة المعمولة للجماعات، وهي معربة.

(٢) من قصيدة كتبها للأستاذ أبي طالب. انظر: ديوان شعره: ٢٠٤/٢ - ٢١١.

(٣) الأحقاف: جمع حقف: ما اعرج من الرمل واستطال، والأحقاف أيضاً: بلاد معروفة في اليمن كانت ديار عاد قوم هود عليه السلام.

(٤) البازل: المسنن من الإبل. والربع: الفصل ينتج في الربيع وهو أول التاج.

حيرانَ طرْفِي دائِرُ أَطْلُبُ مَا لَيْسَ مَعِي
أَرْضِي بِأَخْبَارِ الرِّيا حِ وَالْبُرُوقِ اللَّمُّعِ
وَأَيْنَ مِنْ بَرَقِ الْجَمَى شَانِمَةٌ بَلْغَلَعِ
أَفْرَشَنِي الْجَمْرَ وَقَا ل: إِنَّ أَرَذْتَ فَاهْجَعِ

ذكرُ الوصالِ في زمانِ الهجرِ تلفٌ، خصوصاً إذا لم يكن للحبيبِ خَلَفٌ .

قال ابن مسروق: كنتُ أمشي مع الجنيد في بعض دروب بغداد، فسمع منشداً يقول:

منازلُ كُنْتَ تهواها وتألّفها أيامَ أَنْتَ على الأيامِ منصوَرُ
فبكى الجنيد بكاءً شديداً، وقال: ما أطيبَ منازلَ الألفَةِ والأنسِ، وأوحشَ
مقاماتِ المخالفةِ! لا أزالُ أحنُّ إلى أولِ بدءِ إرادتي وجِدَّةِ سعيي .
(لمهيار)^(١):

يا ليلتي بذاتِ الشَّيحِ والضَّالِ وَمَنْبَتِ البانِ من نَعْمَانِ عودا لِي
ويا مرابعَ أطلالي بذي سَلَمِ لهفي على ما مضى من عَصْرِكَ الخالي
ويا مآربَ نفسي والذينَ همُ بالوَضْلِ والهَجْرِ إغلالي وإبلالي
قد كان قلبي بكم مأوى السرورِ فَمُذْ نَأَيْتُمْ صَارَ مأوى كُلِّ بَلْبَالٍ^(٢)
فلو شربْتُ بعمرِي ساعةً سَلَقْتُ من عيشيتي معكم ما كان بالغالي
ما لي أَعْلَلُ نفسي بالوقوفِ على منازلَ أَفْقَرَتْ مِنْكُمْ وأطلالِ
مَنْ لي بِكِتْمَانِ ما ألقاهُ من أَلَمِ وظاهري مُغْرِبٌ عن باطنِ الحالِ
قالوا تَشَاغَلَ عَنَّا واصطَفَى بدلاً مَتَا وَذَلِكَ فَعَلُ الخائِنِ السَّالِي^(٣)
وكيفَ أَشْغَلُ قلبي عن مَحَبَّتِكُم بغيرِ ذِكْرِكُمُ يا كُلَّ أَشْغَالِي



(١) لم أجده هذا الشعر في ديوان مهيار الديلمي .

(٢) بلبال: شدة الهم والوسواس .

(٣) السالي: من سلا، يقال: سلاه، أي: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه .

الفصل الثالث والسبعون

وا شوقاه إلى أرباب الإخلاص ! وا تَوَقَّاه إلى رؤية تلك الأشخاص ، إنني
لأخضُرُ ذكركم فأغيب ، وإنَّ وقتي يَتَذَكَّرُكم لطيب .
(للشريف الرضي) (١) :

إذا هَزَّنَا الشوقُ اضطربنا لهزّه على شُعَبِ الرَّخْلِ اضطرابَ الأراقِمِ (٢)
فَمِنْ صَبَوَاتٍ تستقيمُ بمائلٍ ومن أريحاتٍ تهبُّ بنائمٍ
وأستشرفُ الأعلامَ حتى يَدُلَّنِي على طَيِّبِهَا مَرُّ الرياحِ الهواجِمِ
وما أنسمُ الأرواحَ إلا لأنَّها تهبُّ (٣) على تلك الرُّبَا والمعالِمِ
الإخلاصُ مِنكُ مصونٌ في مَسْكِ (٤) القلبِ ، تُنَبِّه (٥) ريحُه على حامله .

العملُ صورةٌ والإخلاصُ روح . المُخْلِصُ يَعُدُّ طاعته لاحتقاره لها عَرَضاً ،
وقَلَمَ القبولُ قد أثبتَّها في الجَوْهَرِ خالِصاً ، الإخلاصُ اليسيرُ كثيرٌ ، ووجودُ عملِ
الرياءِ عدم . قَرَأَضة (٦) الأمانِي لا تقف ، وصحيحُ الشُّبهِ مردود ، خليجٌ صافٍ أنفعُ
من بحرٍ كدر ، إذا لم تخلِصْ فلا تَتَعَبْ ، لا يَكْثُرُ الجوزُ بالعفصِ (٧) . أتحدُّ وما لك
بَعير ؟ أتمدُّ القوسَ وما لها وتر ؟ أَتَجَشَّأُ من غيرِ شيع ؟ ! وا عجباً من وَحْمَى (٨)

(١) من قصيدة قالها مفتخراً . انظر : ديوان شعره : ٤٢٩ / ٢ - ٤٣٥ .

(٢) الأراقِم : جمع أرقم : حية فيها سواد وبياض .

(٣) في الديوان : « تجوز » .

(٤) مَسْكُ الأولى : الطيب . وَمَسْكُ الثانية : الجلد .

(٥) تنبيه : من تنبه باسمه : نوّه به .

(٦) قَرَأَضة : دويبة تقرض الصوف وتسمى (العث) .

(٧) العفص : ثمر شجرة البلوط ، وكذلك هو دواء قابض مجفف ، وربما اتخذوا منه حبراً أو صبغاً .

(٨) وحَمَى ولا حيل : مَثَلٌ يضرب في الشهوان أنه لا يُذَكَّرُ له شيء إلا اشتهاه .

بلا حَبَل ! كم يُذِلُّ نفسه مُراءٍ لتمدَّحه الخلق ! فذهبت والمدحُ ، ولو بَذَلها للحقِّ
لَبَقِيَتْ والذكرُ ، عملُ المرائي بَصْلَةً كُلُّها قشور ، المرائي يحشو جِرَابَ العمل رملًا
فيثقله ولا ينفعه ، رِيحُ الرياء جيفةٌ ، تتحاماها مشامُ القلوب ، وما يخفي المرائي
على مَسَانِحِ^(١) الفَظِنِ .

لَمَّا أَخَذَ دَوْدُ الْقَرْزُ نَسِجُ ، أَقْبَلَتِ الْعَنْكَبُوتُ تَتَشَبَّه ، وَقَالَتْ : لَكَ نَسِجٌ وَلِي
نَسِج .

فَقَالَتْ دَوْدَةُ الْقَرْزُ : وَلَكِنَّ نَسِجِي أَرْدِيَةٌ لِلْمَلُوكِ ، وَنَسِجُكَ شَبَكَةٌ لِلذَّبَابِ ،
وَعِنْدَ مَنْ النَسِيجِينَ^(٢) يَبِينُ الْفَرْقُ .

إِذَا اشْتَبَكَتْ دَمُوعٌ فِي خَدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَ

شَجَرَةُ الصَّنُوبِرِ تَمِيرُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَشَجَرَةُ الدُّبَاءِ^(٣) تَصْعَدُ فِي أَسْبُوعَيْنِ ،
فَنَقُولُ لِشَجَرَةِ الصَّنُوبِرِ : إِنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي قَطَعْتَهَا فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً قَدْ قَطَعْتَهَا فِي
أَسْبُوعَيْنِ ، فَيَقَالُ لِي : شَجَرَةٌ ، وَلَكَ : شَجَرَةٌ .

فَتَجِيئُهَا : مَهْلًا إِلَى أَنْ تَهْبَّ رِيحُ الْخَرِيفِ ! .

قَالَ الدُّبُّ لِلْآدَمِيِّ : أَنْتَ تَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ وَأَنَا أَيْضًا .

فَقَالَ الْآدَمِيُّ : وَلَكِنْ صَدَمَةٌ تَرُدُّكَ إِلَى أَرْبَعٍ ، وَكَمْ أَصْدَمُ وَأَنَا مُتَّصِبٌ .

كَانَ الْأَشْيَاخُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ أَصْحَابَ قَدَمٍ^(٤) ، وَالْمَرِيدُونَ أَرْيَابَ أَلَمٍ ،
فَذَهَبَ الْقَدَمُ وَالْأَلَمُ .

كَانَ الْمَرِيدُ يُسْأَلُ عَنْ غُصَّةٍ ، وَالشَّيْخُ يَعْرِفُ الْقِصَّةَ ، فَالْيَوْمَ لَا غُصَّةَ وَلَا قِصَّةَ .

كَانَ الزُّهْدُ فِي بُوَاطِنِ الْقُلُوبِ ، فَصَارَ فِي ظَوَاهِرِ الثِّيَابِ .

كَانَ الزُّهْدُ خِرْقَةً فَصَارَ الْيَوْمَ خُرْقَةً ، وَيَحْكُ ! صَوْفٌ^(٥) قَلْبِكَ لَا جِسْمَكَ ،

(١) مَسَانِحُ : خَوَاطِرُ ، مِنْ مَسَنَحَ : عَرَضَ وَخَطَرَ .

(٢) فِي (ب) : الْحَاجَةُ .

(٣) الدُّبَاءُ : الْقَرْعُ .

(٤) الْقَدَمُ هُنَا : السَّابِقَةُ فِي الْأَمْرِ ، وَالْمَرْتَبَةُ فِي الْخَيْرِ .

(٥) صَوْفٌ : مِنَ التَّصَوُّفِ ، أَيِ : صَفَّ قَلْبَكَ وَلَا تَكْتَفِ بِبِلَاسِ الصَّوْفِ ، تَشَبَّهًا بِالزُّهَادِ الْعَبَادِ .

وأصلح نيتك لا مرقعتك، غيّز زيتك أيها المرائي فهو يصيح: خذوني، لا تحملن
السيف وما تحسن القتال! سيف ودرع لزمن هتكة، يا ثارات لمقعد^(١) فضيحة،
البهرج يتبين عند الحك، إذا كان العلوي ثابت النسب لم يحتج إلى صفيرتين، ولا
يصير المخنث تركياً بلبس القباء، ولا المرائي ولياً بلبس العباء، هذه من النكت
الخفايا، وفي الزوايا خبايا.

واعجباً ما للدواعي إلى الدعاوي^(٢)، الباطن ينطق.

لما علم الصالحون خطر البيات، أدلجوا بأجمل الأعمال في ليل الكتم^(٣)!

كان البكاء إذا غلب أيوب قال: ما أشد الزكام!

هَبْنِي أَسْتُرُ النَّجْوَى أَلَسَ الدَّمْعُ يَفْضَحُنِي
لِسَانِي فِيكَ أَمْلُكُهُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَمْلِكُنِي

صام (داود بن أبي هند) أربعين سنة لم يعلم به أحد، كان يأخذُ غداءه
ويخرج إلى الدكان، فيتصدق به في الطريق، فيظنُّ أهلُ السوق أنه قد أكل في
البيت، ويظنُّ أهله أنه قد أكل في السوق.

(لجابر الجرمي):

وَمُسْتَخِيرٍ عَنْ سِرِّ لَيْلَى رَدَدْتُه فَأَصْبَحَ فِي لَيْلَى بَغِيرٍ يَقِينِ
يَقُولُونَ: خَبَرْنَا، فَأَنْتَ أَمِينُهَا وَمَا أَنَا إِنْ أَخْبَرْتَهُمْ بِأَمِينِ

كان ابنُ سيرين يتحدثُ بالنهارِ وَيَضْحَكُ، فإذا جاء الليلُ أخذَ في البكاء
والعويل.

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِيَ اللَّيْلِ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ

(١) المقعد: العاجز الذي أقعده المرض، والفضيحة تتأتى من حيث إنه على عجزه ينادي
بالأخذ بالثأر، وهو لا يطيق حتى القيام، بله الانقضاض.

(٢) دواعي: جمع داعية وهي الباعث. دعاوي: جمع دعوى، أي: ما الداعي للدعوة للرياء
والمظاهر.

(٣) الكتم: كتمان العمل والخفاء وعدم حب الشهرة.

أَقْضِيْ نَهَارِيْ بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِيْ وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
كَانَ خَوْفُهُمْ مِنَ الرِّيَاءِ يَوْجِبُ مَدَافَعَةَ النَّهَارِ ، فَإِذَا خَلَوْا بِالْحَبِيبِ لَمْ يَصْبِرِ
الْمَشُوقُ .

أَحْزَنُ بِأَطْرَافِ النَّهَارِ صِبَابَةً وَبِاللَّيْلِ يَدْعُونِي الْهَوَى فَأَجِيبُ
لَوْ قَدَرُوا عَلَيَّ اسْتِدَامَةَ الْكُتْمَانِ مَا أَذَاعُوا .

وَكَمْ يَقْدِرُ الْمَشْتَاقُ أَنْ يَكْتُمَ الْوَجْدَا

إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ وَظِلَامُهُ ، ثَارَ شَجَنُ الْمَحَبِّ وَسِقَامُهُ ، وَرَمَى الْوَجْدَ فَأَصَابَتْ
سِيَاهُهُ ، وَاسْتَطَلَقَ مَزَادُ الْعَيْنِ فَانْهَلَّ سِجَامُهُ ، وَطَالَ بِالْحَزِينِ قَعُودُهُ وَقِيَامُهُ .

كَمْ بِذِكْرِكَ وَلُوعِي	يَا جَوَى بَيْنِ الضُّلُوعِ
هَجَجَ الْعَاذِلُ لِكُنْ	مَنْ لِعَيْنِي بِالْهُجُوعِ
هِيَ فِي شُغْلٍ عَنِ النَّوْ	مِ بِمُزْفَضِ الدُّمُوعِ
أَتَغْنَّى بِكَ فِي الْحَيِّ	ي كُورِقَاءَ سَجُوعِ

لَوْ أَبْصَرْتَ طَلَانَعَ الصَّدِيقِينَ فِي أَوَائِلِ الْقَوْمِ ، أَوْ شَاهَدْتَ سَاقَةَ الْمُسْتَغْفِرِينَ
فِي أَوَاخِرِ الرِّكَبِ ، أَوْ سَمِعْتَ اسْتِغَاثَةَ الْمُحِبِّينَ فِي وَسْطِ اللَّيْلِ .

مَنْ رَأَى الْبَرْقَ يَنْجِدُ إِذْ تَرَاءَى	سَلَبَ النَّوْمَ وَأَهْدَى الْبُرْحَاءَ
فَاضَ فَيَضاً كَجَفْنِي مَاؤُهُ	وَالْتَضَى وَفَنّاً كَأَنْفَاسِي التَّظَاءَ
نَامَ سَمَّارُ الدُّجَى عَنْ سَاهِرِ	اتَّخَذَ الْهَمَّ سَمِيراً وَالبُكَاءَ
أَسْعَدَتْهُ أَدْمَعُ تَفَضُّحِهِ	وَإِذَا مَا أَحْسَنَ الدَّمْعَ أَسَاءَ

إِذَا رَأَيْتُمْ حَزِيناً فَارْحَمُوهُ ، وَإِذَا شَاهَدْتُمْ قَلْقاً فَاغْذُرُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ بَاكِئاً
فَوَافِقُوهُ .

الدَّمْعُ يَخُونُ كُلَّ كَاتِمِ	وَالْحُبُّ يُحْلِلُ الْعِزَائِمَ
الْقَلْبُ بِحَبِّكُمْ لَدِيغِ	مَا أَقْلَقْنِي مِنْ الْأَرَاقِمِ
وَالْوَجْدُ يَغَالِبُ الْمُقَاوِي	وَالسَّالِمُ فِيهِ مَنْ يُسَالِمِ

هَذَا وَلَعَيْنَ فِي هَوَاكُم
سَأَلْتُ بَكُم دَمَوْعَ عَيْنِي
أَبْكِي أَثَرَ الْحَبِيبِ عِنْدِي
يَا مَانِعَ مُقْلَتِي كَرَاهَا
قَدْ صُمْتُ عَنْ الْهَوَى لَا خَطَى
هَلْ يُبْذَلُ وَرْدُكُمْ^(١) لظَامِ^(٢)
نَاخِتٍ فَرَجَرَتْهَا حَمَامٌ
يَرْقُبِينَ إِلَى ذَرَى عُصُونٍ
تَبْكِينَ وَمَا شَجَاكَ شَوْقٌ
إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ فَأَسْعِدْنِي
طَارَتْ وَيَقِيْتُ فِي ضَمَانِي

سَلِمْتُ لَكُمْ فَمَا أَخَاصِمُ
وَالدَّمْعُ بِمُقْلَتِي يُزَاجِمُ
وَالْحَزَنُ تُهَيِّجُهُ الْمَعَالِمُ
مَرَّ اللَّيْلُ وَلَسْتُ نَائِمُ
فِي الْحُبِّ لَكُمْ بِأَجْرِ صَائِمُ
حَيْرَانٌ عَلَى الْوُرُودِ حَائِمُ
مَا بَالِي تَزْعَجُنِي الْحَمَائِمُ
أَتَى تَحْمِيلُكَ الْقَوَائِمُ
شُكْوَاكِ إِذَا مِنْ الْعَظَائِمُ
لَا نَسْمَعُ لَوْمَةَ اللَّوَائِمُ
لَا أَبْرَحُ وَالزَّعِيمُ غَارِمُ^(٣)



(١) وردكم: الورد: الماء الذي يورد.

(٢) ظام: اسم فاعل من ظمى، اشتد عطشه.

(٣) غارم: الزعيم هنا الكفيل، وكونه غارماً يعني التزامه بما ضمنه وتكفل به أن يؤديه.

الفَصِيلَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَالسَّبْعُونَ

إخواني! سار المتقون ورجعنا، ووصلوا وانقطعنا، وأجابوا الدَّاعي
وامتنعنا، ونجوا من الأشرارِ ووقعنا، تعالوا ننظر في آثارهم، ونُدْرُس دارسَ
أخبارهم، ونبكي من التفريطِ ما نابنا، ونندب ما لحقنا وأصابنا.

(للمصنف):

وَدَّعُوا يَوْمَ النَّوَى وَاسْتَقَلُّوا	لَيْتَ شِغْرِي بَعْدَهَا أَيْنَ حَلُّوا
يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بَلِّغْ إِلَيْهِمْ	أَنَّ عَقْدِي مَعَهُمْ لَا يُحَلُّ
لِي مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ انْتِهَالٌ	فَإِذَا هَبَّتْ سُحَيْرًا فَعَلُّ ^(١)
عَرَّضُوا قَلْبِي لِسُقْمِ طَوِيلِ	بَاطِنٍ يَظْهَرُ مِنْهُ الْأَقْلُ
لَوْ بَكَتْ عَيْنِي عَلَى قَدْرِ الْجَوَى ^(٢)	صَارَ وَادِيهِمْ دَمًا لَا يَجَلُّ

سافر القومُ على رواحِلِ الصدقِ، فقطعوا أرضَ الصبرِ حتَّى وقعوا برياضِ
الأنسِ، فعبَّثتْ قلوبُهُم بِنَشْرِ القُرْبِ، وتَعَطَّرَتْ بنسيمِ الوصلِ، فعادَتْ سَكْرَى من
صِرْفِ^(٣) سُلَافِ^(٤) الوجدِ، وعربدتْ على عالمِ الجسمِ، فكلما رَبَا الحُبُّ ذَابَ.

خُذِي بِيَدِي ثُمَّ ارْفَعِي الثَّوبَ فَانْظُرِي ضَنَا جَسَدِي لَكُنِّي أُنْسَرُ^(٥)

حمامِمْ أَرْوَاجَهُمْ مَحْبُوسَةً^(٦) فِي أَقْفَاصِ أَشْبَاحِهِمْ، تُصَوِّتُ لَشَجْوِ شَوْقِهَا،
وَتَقْلُقُ لِضَيْقِ حَبْسِهَا.

(١) فعل: من العَلَّ: وهي الشربة الثانية. والانتِهال: أول الشرب.

(٢) في (ب): وجدي.

(٣) الصِرْف: الصافي الخالص.

(٤) سُلَاف: الخمر.

(٥) في (ب): أُنْكُتَم.

(٦) في (ب): مسجونة.

(لمهيار)^(١):

بِالْفُورِ دَارٌ وَبِنَجْدِ هَوَى يَا لَهْفَ مَنْ غَارَ بِمَنْ أَنْجَدَا
يَا حَبَا الذِّكْرَى وَإِنْ أَسْهَرْتُ بَعْدَكَ وَالذَّمْعُ وَإِنْ أَزْمَدَا

البكاء دأبهم، والذمُّ شرايهم، والجوع طعائمهم، والصمت كلامهم، فلو
رأيتهم وعذالهم، وقد زادوا بالعذل أثقالهم.

سَلِمْتَ مِمَّا عَنَانِي فَاسْتَهْنَتْ بِهِ لَا يَعْرِفُ الشَّجَوَ إِلَّا كُلُّ ذِي شَجَنِ
شَتَانٍ بَيْنَ خَلِيٍّ مُطْلَقٍ وَشَجٍ فِي رِبْقَةِ الْحُبِّ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرَنِ
[أَمْسَيْتَ تَشْهَدُ بَادٍ مِنْ ضَنَى جَسَدِي بِدَاخِلٍ مِنْ جَوَى فِي الْقَلْبِ مَكْتَمِينَ]^(٢)
إِنْ كَانَ يَوْجِبُ ضُرِّي فَرْضِي بِسَوْءِ حَالِي وَحَلٍّ لِلضَّنَى بِدَنِي
مَنْحُكَ الْقَلْبَ لَا أَبْغِي بِهِ ثَمَنًا إِلَّا رِضَاكَ وَوَأَفْقَرِي إِلَى الثَّمَنِ

أعندك من حديثهم خبر؟ ألك في طريقهم قدم^(٣)؟

(لخالد الكاتب):

رَقِذْتُ وَلَمْ تَرُثِ لِلشَّاهِرِ وَلَيْلُ الْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ
وَلَمْ تَذِرْ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّقَا دِمَا فَعَلَ الذَّمْعُ بِالنَّاطِرِ

نازلهم الخوف فصاروا ولهين، وفاجأهم الفكر فعادوا متحيرين، وجئ
عليهم الليل فرآهم ساهرين، وهبت رياح الأسحار فمالوا مستغفرين، فإذا رجعوا
وقت الفجر بالأجر نادى منادي الهجر: يا خيبة النائمين!

وَلَمَّا وَقَفْنَا وَالرَّسَائِلُ بَيْنَنَا دَمُوعُ نَهَاهَا الْوَجْدُ أَنْ تَتَوَقَّفَا
ذَكَرْنَا اللَّيَالِي بِالْعَقِيقِ وَظِلُّهَا الْأَنَيْقُ فَقَطَّعْنَ الْقُلُوبَ تَأْسُفَا

جُلِيَتْ أَوْصَافُ الْحَبِيبِ فِي حَلِيَةِ الْكَمَالِ، فَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِ الشُّوقِ يَسِيحُونَ

(١) في قصيدة كتبها إلى صاحب أبي القاسم في عيد الفطر. انظر: الديوان: ٢٤٣/١.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ب): أثر.

في فَلَوَاتِ الْوَجْدِ، فَلَوْ رَأَيْتُمُوهُمْ لَقَلْتُمْ: مجانين.

هيهات مَنْ لَا يَعْرِفُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ، نَسَبَ الْمُحْرِمِينَ إِلَى الْخَبَلِ، النَّاسُ يَضْحَكُونَ وَهُمْ يَبْكُونَ، وَيَفْرَحُونَ وَهُمْ يَحْزَنُونَ، وَيَنَامُونَ وَهُمْ يَسْهَرُونَ.

تَرَكْتُ لَيْلَى أَمَدًا مِنْ نَفْسِي وَآسَفِي لِلْفِرَاقِ وَآسَفِي
لَمَا تَمَكَّنَتِ الْمَعْرِفَةُ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَثَرَتْ شِدَّةَ الْخَوْفِ، فَارْتَفَعَ ضَجِيجُ الْوَجْدِ
يَتَمَنُونَ الْعَدَمَ.

رَأَى الصَّدِيقُ طَائِرًا فَقَالَ: طَوْبِي لَكَ يَا طَائِرًا تَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ، وَتَأْكُلُ مِنَ
الشَّمْرِ، وَلَا حِسَابَ عَلَيْكَ، لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَكَ.

وَقَالَ عَمْرٌ: لَيْتَنِي كُنْتُ يَبْنَةَ، وَلَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَدِدْتُ أَنِّي إِذَا مِتُّ لَا أُبْعَثُ.

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ: لَيْتَنِي كُنْتُ رَمَادًا.

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ.

وَقَالَتِ عَائِشَةُ: لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا.

وَدَخَلُوا عَلَى عِطَاءِ السُّلَمِيِّ وَحَوْلَهُ بَلَلٌ، فَظَنُّوهُ قَدْ تَوَضَّأَ، فَقَالَتْ عَجُوزٌ فِي
دَارِهِ: هَذِهِ دُمُوعُهُ.

(لِصُرْدُرٍ)^(١):

كُلُّ سَحَابٍ أَمْطَرَتْ أَرْضُكُمْ حَامِلَةٌ لِلْمَاءِ مِنْ أَدْمُعِي
وَكُلُّ رِيحٍ زَغَزَعَتْ تُرْبَكُمْ فَإِنَّهَا الزَّفَرَةُ مِنْ أَضْلُعِي

أَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَعِيدٌ وَقَدِيمٌ، فَبَاتُوا عَلَى حُرْقٍ، وَأَكَلُوا عَلَى تَنْغِيصٍ،
فَنَوْمُهُمْ نَوْمُ الْغَرَقِيِّ، وَأَكْلُهُمْ أَكْلُ الْمَرْضِيِّ، عَجَزَتْ أَبْدَانُهُمْ عَمَّا حَمَلَتْ قُلُوبُهُمْ
﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ [الاحزاب: ٢٣].

قَالَ (فِرْقَدٌ): دَخَلْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ خَمْسَمِئَةِ عَذْرَاءَ، لِبَاسُهُنَّ الصُّوفُ

(١) في قصيدة كتبها إلى رئيس بن المطلب. انظر: ديوان شعره، ص ١٦٢-١٦٦.

والمسوح، فتذاكرن ثواب الله وعقابه، فمئن جميعاً في مقام واحد.

قال (أبو طارق): شهدت ثلاثين رجلاً دخلوا مجالس الذكر يمشون بأرجلهم صحاحاً إلى المجلس، وأجوافهم والله قريحة، فلما سمعوا الذكر، انصدعت قلوبهم.

فُضُوا عَلَى حَدِيثِ مَنْ قَتَلَ الْهَوَى إِنَّ التَّاسِي رَوْحُ كُلِّ حَزِينٍ
قال (عبد الواحد بن زيد): لو رأيت الحسن لقلت: قد بُثَّ عليه حُزْنُ
الخلاقي، ولو رأيت يزيد الرقاشي لقلت مُثْكَلٌ.

أقبل يزيد يوماً يعاتبه على كثرة بكائه، فجعل يصرخ ويبكي حتى غشي عليه. فقالت أمه: يا بني ما أردت بهذا؟ فقال: إنما أردت أن أهون عليه.

صِخَةُ الشَّوْقِ أَحْدَثَتْ عِلَّةَ الصَّبْرِ	وَبُعْدُ الْمَزَارِ أَدْنَى الشُّهَادَا
كَمْ عَذُولٍ عَلَيْكُمْ رَامَ إِصْلَاحِي	فَكَانَ الْمَلَامُ لِي إِفْسَادَا
كَلَّمَا زَادَ عَذْلُهُ زَادَ وَجْدِي	فَكَلَانَا فِي أَمْرِهِ قَدْ تِمَادَا
مَنْ لِقَلْبٍ أَصْلَيْتُمُوهُ لَظَى الْجَمْرِ	وَجَنْبٍ أَفْرَشْتُمُوهُ الْقَتَادَا

المحب إن تذكر الربع حن، وإن تفكر في البعد أن، وإن جن عليه الليل
أظهر ما أجن، قطع عليه رضاع الوصال فلم يتهن.

(للمصنف):

يا بريئ الحي حُرِّمْتَ المَنَامَا	فَانْقَضَى ليلي قعوداً وقيامَا
أَتَرَى مَا قَدْ أَرَى يَا صَاحِبِي	كَيْفَ وَالشَّوْقُ بِرُوحِي يَتَرَامِي
يَا سَقَى اللَّهِ حَمَاهُمْ مُزْنَةً	حَلَبْتُ أَشْطَرَهَا ^(١) أَيْدِي النَّعَامِي ^(٢)

(١) حلبت أشطرها: يقال: حلب فلان الدهر أشطره: مرَّ به خيره وشره، وشطر بناقته تشطيراً: صرَّ خَلْفَيْهَا، وترك خَلْفَيْنِ، وشاة شطور: يمس أحد خلفيها، فالأشطر: جمع شطر وهو خلف الناقة، وللناقة أربعة، وعليه فيقال: حلب فلان الدهر أشطره: اختبر ضروبه من خيره وشره تشبيهاً بحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها خفلاً وغير خفل، وداراً وغير دار، وحلب أشطر الرجل: عجمه واختباره وسبر أغواره للتعرف عليه.

(٢) النعامي: ربح الجنوب، أو يمه وبين الصبا، وهذه الريح أبل الرياح وأرطبها.

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بَلِّغْ وَأَعِدْ
 آهَ لَوْ عَادَ زَمَانِي بِهِمْ
 يَا لِيَالِينَا بِذِي الْأَثَلِ^(٣) اِزْجَعِي
 يَا صَحَابِي بَلِّغُوا إِنِّ جُرْتُكُمْ
 إِنَّ قَلْبِي يَوْمَ طُفْنَا بِاللَّوَى
 مَا غَرَامِي إِنِّ شَدْتُ^(٤) وَزُقُّ، وَهَلْ
 قَلَقِي فِي حُرْقِي مِنْ أَرْقِي
 طَرَبِي فِي كُرْبِي مِنْ حَرَبِي
 لَوْ جَرَّتْ عَيْنِي عَلَى قَدْرِ الْأَسَى

إِنَّ نَفْسِي مَعَ أَنْفَاسِ الْخُزَامِيِّ^(١)
 عِنْدَ جَزَعَاءِ الْحَمَى عَوْدًا لِمَامَا^(٢)
 أَسْفًا لَوْ أَنَّهُ يَشْفِي النَّدَامَا
 بِنَقَا الرَّمْلِ عَنِ الْجِسْمِ السَّلَامَا
 وَرَحَلْنَا عَنْهُ بِالْوَجْدِ أَقَامَا
 عَلَّمَ الْوُزُقَ سَوَى وَجْدِي الْغَرَامَا؟
 يَزْتَقِي بَلْ يَنْتَقِي مِنِّي الْعِظَامَا
 تَاهَ بِي فِيكُمْ وَلَمْ أَشْرَبْ مُدَامَا
 رَجَعَ الْمَاءُ بِوَادِيهِمْ حَرَامَا



-
- (١) الخزامي: نبت طيب الرائحة، وقال أبو حنيفة الدينوري: هو عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الرائحة، لها نور كثور البنفسج، قال: لم نجد من الزهر زهرة أطيب نفعاً من نفعها.
- (٢) لماماً: تقول: فلان يزور لماماً: أي في الأحيان.
- (٣) الأثل: شجر، واحده أثلة، وذو الأثل: مكان قرب المدينة.
- (٤) شدت: من الشدو: التشيد والغناء.

الفصل الخامس والسبعون

إخواني! الخلوة مهز بكر الفكر، وسلم معراج الهمة، حريم العزلة مصون من عيب غيب عبت، [إذا خلت دار الخلوة عن الصور، تفرغ القلب لملاحظة المعاني]^(١).

أوحشتني خلواتي	بك من كل أنيس
وتفردت فعائتك	بالغيب جليسي
ودعاني الوجد والحُب	إلى المعنى النفيس
فبدلي أن مهز الحُب	أنفاس النفسوس
فكتب العهد للحب	على طرس الرئيس ^(٢)

يا هذا! إذا رزقت يقظة فصنها في بيت عزلة، فإن أيدي المعاشرة نهابة، احذر معاشره الجهال، فإن الطبع لص، لا تصادقن فاسقا، فإن من خان أول منعم عليه لا يفي لك.

يا أفراخ التوبة! لازموا أوكار الخلوة، فإن هز الهوى صيود، إياك والتقرب من طرف الوكر، والخروج من بيت العزلة، حتى يتكامل نبات الخوافي^(٣)، وإلا كنت رزق الصائد.

الأنس بالإنس دبق^(٤)، المخالطة توجب التخليط، وأيسر تأثيرها تشتيت الهم.

(١) زيادة من (ب).

(٢) الطرس: الصحيفة. رئيس: الثابت الذي لزم مكانه.

(٣) الخوافي: جمع خافية: ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح في الطائر.

(٤) دبق: مادة كالغراء لازقة تلتصق بجناح الطائر فيصاد بها.

أقل ما في سُقوطِ الذُّئْبِ في غَنَمٍ إن لم يُصبْ بعضها أن ينفِرَ الغنمُ
قطعُ العلائقِ أصلُ الأصولِ، فَرَّغَ لي بيتاً أسكنه، إن الطائر إذا كان زاقاً لم
يُرْسَل في كتاب.

تأملوا إلى الفَرَسِ إذا قدَمَ إلى الماء الصافي كيف يضربُ بيديه فيه حتى
يتكدر! أتدرون لِمَ؟ لأنه يرى صورة نفسه في الماء الصافي وصورة غيره، فيكدره
حتى لا تتبين فيه الصورُ فيتَهَنَّى بالشرب، لا يظهر في خلوة المتيقِّظِ إلا الحق.

كان أويسُ يهربُ من الناسِ فيقولون: مجنون، وصفَ الرسولُ ﷺ لأصحابِهِ
حِلْيَةَ حُلَّتِهِ^(١)، فقوي تَوَقُّ^(٢) عمر، وكان في كل عام يسألُ عنه أهل اليمن.

ألا أيُّها الركبُ اليمانون عَرَّجُوا علينا فقد أمسى هوانا يمانياً
نَسْأَلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا وَحَبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
لما كانت آخرُ حجةٍ حجَّها عمر، قام على أبي قُبَيْسٍ فنادى بأعلى صوته:
أفيكم أويس؟

(للشريف الرضي)^(٣):

وإني للشَّوقِ مِنْ بَعْدِهِمْ أُرَاعِي الْجَنُوبَ مَرَاحاً وَمَغْدَى
وَأَفْرَحُ مِنْ نَحْوِ أوطَانِهِمْ يَغِيثُ يُجَلِّجُلُ بَرْقاً وَرَعْدَا
إذا طَلَعَ الرِّكْبُ يَمْتُمُّهُمْ أَحْيِي الْوَجُوهَ كَهُولاً وَمُرْدَا
وَأَسْأَلُهُمْ عَنْ عَفِيقِ الْحِمَى وَعَنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ نَجْدَا
نَشِدْتُكُمْ اللَّهَ فَلْيُخَبِّرَنَّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ بِالرَّمْلِ عَهْدَا
هل الدارُ بالجزعِ مأهولةٌ أثارَ الرِّيعِ عَلَيْهَا وَأَسْدَى
وهل جَلَبَ الْغَيْثُ أَخْلَافَهُ^(٤) عَلَى مَحْضَرٍ مِنْ زُرُودٍ وَمَبْدَا؟

(١) حلية: زينة. حُلَّتُهُ: الثوب الجديد.

(٢) توق: شوق.

(٣) من قصيدة قالها يفتخر بقریش ونزار عل قحطان واليمن. انظر: ديوان شعره: ١/٣٤٢.

٣٤٦.

(٤) أخلاف: جمع خِلف: ما يخلفه الغيث من آثار.

كان (أويس) يأتي المزابل إذا جاع، فأتاها يوماً فنبَحَ عليه كلبٌ، فقال :
يا كلبُ ! لا تؤذ من لا يؤذيكَ، كُلْ مما يليك، وَاكُلْ مما يليني، فَإِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ
فأنا خيرُ منك، وإنْ دَخَلْتُ النَّارَ فأنت خيرُ مني .

ذلُّ الفتى في الحُبِّ مَكْرُمةٌ وخضوعُهُ لحبيبه شَرَفٌ

كان الصبيانُ يرمونه بالحجارة، والعُقلاء عند نفوسهم يقولون : مجنون،
والمحبةُ تنهاهُ أَنْ يَفْسُرَ ما اسْتَعْجَمَ .

أَبْثُهُمْ وَجَدِي وَهُمْ بِي أَعْلَمُ	وَأَرْجُو شِفَائِي مِنْهُمْ وَهُمْ هُمْ
وَكَمْ كِذْتُ مِنْ شَوْقٍ أَبِينُ مَنْ هُمْ	وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَاكَ خَوْفِي مِنْهُمْ
وَكَمْ عَذَّلُونِي فِيهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ	فَقُلْتُ لَهُمْ، وَاللَّهِ بِالْصَدَقِ أَعْلَمُ :
إِذَا كَانَ قَلْبِي مُؤْتَقاً فِي جِبَالِكُمْ	وَجَسْمِي لَدَيْكُمْ كَيْفَ أَفْهَمُ عَنْكُمْ
فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَعْدِلُوا فَتَوَضُّلُوا	إِلَى أَنْ يَعُودَ الْقَلْبُ ثُمَّ تَكَلَّمُوا

صَاحِبُ أَهْلِ الدِّينِ وَصَافِيهِمْ، وَاسْتَفِذْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَأَوْصَافِهِمْ، وَاسْكُنْ
مَعَهُمْ بِالتَّادِبِ فِي دَارِهِمْ، وَإِنْ عَاتَبُوكَ فَاصْبِرْ وَدَارِهِمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَكْنَةُ
الْبَذْرِ، وَلَمْ تُطَقْ مِرَاعَةُ الزَّرْعِ، فَقِفْ فِي رَفْقَةٍ ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُوا الْقُرْبَى ﴾
[النساء : ٨]، أَنْتَ فِي وَقْتِ الْغَنَائِمِ نَائِمٌ، وَقَلْبُكَ فِي شَهَوَاتِ الْبَهَائِمِ هَائِمٌ .

وَإِنْ صَدَقْتَ فِي طِلَابِهِمْ فَانْهَضْ وَبَادِرْ، وَلَا تَسْتَصْعِبْ طَرِيقَهُمْ، فَالْمُعِينُ
قَادِرٌ .

تَعَرَّضْ لِمَنْ أَعْطَاهُمْ، وَسَلْ، فَمَوْلَاكَ مَوْلَاهُمْ، رُبُّ كَثْرٍ وَقَعَ بِهِ فَقِيرٌ،
وَرُبُّ فَضْلٍ فَازَ بِهِ صَغِيرٌ، عَلِمَ الْخَضِرُ مَا خَفِيَ عَلَى مُوسَى، وَكُشِفَ لِسُلَيْمَانَ مَا
غُطِّيَ عَنْ دَاوُدَ .

يَا هَذَا ! لَا تَخْتَقِرْ نَفْسَكَ فَالتَّائِبُ حَبِيبُ اللَّهِ، وَالْمُنْكَسِرُ مُسْتَقِيمٌ، إِقْرَأُكَ
بِالْإِفْلَاسِ غَنًى، اعْتَرَأُكَ بِالْخَطَا إِصَابَةً، تَنْكِيْسُ رَأْسِكَ بِالنَّدَمِ رِفْعَةٌ .

عُرِضَتْ سِلْعَةُ الْعَبودية فِي سَوْقِ الْبَيْعِ، فَبَذَلَتِ الْمَلَائِكَةُ نَقْدَ ﴿ وَنَحْنُ

فَسَبِّحْ ﴿ [البقرة: ٣٠] ، فقل: ما تُؤَثِّرُ سَكَّةُ^(١) دراهمكم ، فإنَّ عُجْبَ الضاربِ
بسرعة الضربِ أوجب طمساً في النَّقْشِ ، فقال آدم: ما عندي إلا فلوسُ إفلاسٍ
نَقَشُهَا ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، فقل: هذا الذي ينفق على خزانة
الخاص ، أنين المذنبين أحبُّ إلينا من زجل المسبحين .

واستعذبوا ماءَ الجفونِ فعذبوا الأسرارَ حتَّى دَرَّتِ الآماقُ

يا معاشرَ المذنبين ! إنَّ كَانَ يَأْجُوجُ الطَّيْعُ ، ومَأْجُوجُ الهوى ، قد عاثوا في
أرضِ قلوبكم ، ﴿ فَأَعِثُّونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٥] ، اجمعوا لي
عزائمَ قوية ، تشابهُ زُبَرَ الحديدِ ، وتَفَكَّرُوا في خطاياكم ، لتثور صُعداءُ الأسفِ ،
فلا أحتاجُ أن أقول ﴿ أَنْفُخُوا ﴾ [الكهف: ٩٦] ، شَيِّدُوا بنيانَ العزائمِ بِهَجْرِ المألوفِ
لِيَسْتَخْجِرَ البناءُ ، فَتَسْتَغْنِي أن تُفْرَغَ عليه قطراً^(٢) ، هكذا بناءُ الأولياء قبلكم ، فجاء
الأعداء ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ [الكهف: ٩٧] .

ليسَ عَزْماً ما مَرَضَ المرءُ فيه ليسَ همّاً ما عاقَ عنه الظلامُ
الجدُّ الجدُّ ، فما تَحْتَمِلُ الطريقَ الفتورَ ، ضاقت أيامُ الموسمِ ، فجمعجعوا
بالإبل^(٣) .

كان (أسيد الضُّبِّي) إذا عوتب في كثرة بكائه يقول: كيف لا أبكي وأنا
أموتُ غداً؟ والله لأبكينَّ ، فلمْ أدركْتُ بالبكاء خيراً ، فَمِنْ مَنْ اللهُ عَلَيَّ ، وإن
كانتِ الأخرى فما بكائي في جَنبِ ما ألقاهُ !؟ .

كانت عابدة لا تنامُ من الليل إلا يسيراً ، فعُوِّيَتْ في ذلك فقالت: كَفَى
بطولِ الرِّقْدَةِ في القبورِ رُقَاداً .

إِنَّهَا الْعُذَالُ لَا تَعْذَلُوا إِنَّمَا الْعَذْلُ لِمَنْ يَقْبَلُ
وَأرى ليلي لا ينقضُ لي طَالَ ليلي والهوى أطولُ

(١) سَكَّة: حديدة منقوشة تُضْرَبُ عليها النقود .

(٢) القطر: النحاس الذائب ، أو ضرب منه .

(٣) جمعجع بالإبل: حركها للنهوض .

تَزُوجَ رَبَّاحُ الْقَيْسِيِّ امْرَأَةً، فَرَأَتْهُ قَائِمًا طَوِيلَ اللَّيْلِ، فَقَالَتْ: لَيْتَ شَعْرِي مِنْ
غَرَّنِي بِكَ يَا رَبَّاحُ؟.

يَا عَقِيْقَ الْحَمَى اللَّهُ مَغْنَاكَ وَرَوَى ثِرَاكَ مِنْ مُزْنٍ دَمْعِي
مَنْ لَصَبٌ يَشْوُقُهُ لَامِعُ الْبَرْقِ فِإِرتَاخُ قَلْبِهِ لِلْجَزَعِ
يَا خَلِيلِي مَا أَنْتَ لِي بِخَلِيلٍ وَرَفِيقٍ إِنْ لَمْ تَقِفْ بِالرَّبْعِ
هَذِهِ طَرِيقُهُمْ فَأَيْنَ السَّالِكُ؟ هَذِهِ صِفَاتُهُمْ فَأَيْنَ الطَّالِبُ؟.

هَذِهِ الْمَنَازِلُ وَالْعَقِيْقُ فَأَيْنَ سَلَمَى وَالْخِيَامُ
لَمْ يَتَّقْ مَذْ صَاحُوا النُّوَى لَمُتَّيِّمٍ فِيهَا مَقَامُ

* * *

الفصل في السالكين والسبجُون

أيها الْمُقْصِرُ عن طلبِ المَزَادِ، كيفَ تُدْرِكُ المعاليَ بغيرِ اجتِهَادٍ؟ أينَ أهلُ السَّهْرِ من أهلِ الرُّقَادِ؟ أينَ الراغِبُونَ في الهوى من الرُّمَادِ؟ رحَلَ المتيقِّظُونَ مستظهِرينَ بكثرةِ الزَادِ، كلُّ جَوَادٍ لَهِم يَعْرِفُ الجَوَادَ^(١)، فساروا فزاروا والكسلانُ عاد.

(للشريف الرضي)^(٢):

يا قلبُ ما أنتَ مِن نَجْدٍ وساكِنه
أهفو إلى الركبِ تعلو لي ركائبهم
تفوح^(٤) أرواحُ نَجْدٍ مِن ثيابهم
يا راكِبَانِ قفالي فاقضيا وطيري
هل رُوِضَتْ قاعةُ الوغساءِ^(٧) أم مُطِرَتْ
أم هل أبيتُ ودارٌ عندَ كاظمه
فلم يزالا إلى أن نَمَّ بي نَفْسي
خَلَفَتْ نَجْدًا وراءَ المُذْلِجِ الساري
من الحِمَى في أَسِيحاقٍ^(٣) وأطمارٍ
عندَ القُدومِ^(٥) لِقُرْبِ العهدِ بالدارِ
وحَدَّثاني^(٦) عن نَجْدٍ بأخبارِ
خَمِيلَةِ الطَّلحِ^(٨) ذاتِ البانِ^(٩) والغارِ^(١٠)
داري وسَمَّارِ ذاكَ الحيِّ سَمَّاري؟
وحَدَّثَ الركبَ عني مدمعي الجاري

لما صَفَتْ خلواتُ الدُّجَى، تُودي آذُنُ الوصولِ: أقمِ فلاناً وأنمِ فلاناً.
خَرَجَتْ بالأسماءِ الجرائدُ، وفازَ الأحبابُ بالفوائد.

-
- (١) الجَوَادُ: جمع جادة، وهي الطريق.
(٢) قصيدة قالها متغزلاً. انظر: ديوان شعره: ٥١٧/١.
(٣) أَسِيحاق: مصغر إسحاق، وهي الثياب البالية.
(٤) في الديوان: «تضوع».
(٥) في الديوان: «عند النزول».
(٦) في الديوان: «وخبراني».
(٧) الوغساء: الأرض اللينة ذات الرمل تبت البقول الجيدة.
(٨) الطَّلح: شجر عظام من شجر العضاء ترعاه الإبل.
(٩) البان: ضرب من الشجر سبط القوام لتين، ويشبه به الحسان في الطول واللين.
(١٠) الغار: شجر طيب الرائحة، ورقه دائم الاخضرار، وخشبُه عَطِرٌ.

قال (أحمد بن أبي الحواري): قلت لامرأتي رابعة - وقد قامت من أول الليل -: قد رأينا أبا سليمان وتعبنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل، فقالت: سبحان الله! مثلك يقول هذا؟! إنما أقوم إذا نوديت.

(للمتنبى):

تقولين: ما في الناس مثلك وامق^(١)
جدي^(٢) مثل من أخبثه تجدي مثلي
ذريني أنل ما لا يُنال من العلى
فصعب العلى في الصعب، والسَّهل في السَّهل
تريدين لقيان المعالي رخيصةً

ولا بدّ دون الشَّهيد من إسر النُّخل
لما دارت كؤوسُ النوم على أفواه العيون، فسكرت بالشراب الألباب،
فطُرِحَت الأجسادُ على فراش ﴿يَتَوَقَّى﴾ [الزمر: ٤٢]، صاحت فصاحةُ الحبِّ
بالمُحِبِّ كُلُّ مُسْكِرٍ حرام^(٣)، فلَمَّا نُفِخَ في صور الإيقاظ في إitan ﴿وَيُرْسِلُ
الْأُخْرَى﴾ [الزمر: ٤٢]، قام أمواتُ النوم، وقد رحلَ سَفَرُ^(٤) الوصال، فلم يروا إلا
آثار القُرب في مناخِ الأحباب، وأنافِي^(٥) ﴿نَتَجَانِي﴾ [السجدة: ١٦].

ستر القوم قيامهم بالليل، فستر جزاءهم أن يطلع عليه الغير ﴿فَلَا تَعْلَمُ
نَفْسٌ﴾ [السجدة: ١٧]، فلو عاينتهم وقد دارت كؤوسُ المناجاة بين مَزَاهِر التلاوة
فأسكرت قلبَ الواحد، ورقمت في صحائفِ الوجَّات ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾
[البقرة: ٢٧٣].

(١) وامق: محب.

(٢) جدي: فعل أمر من المضارع (يجد) ماضيه (وجد).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب والأحكام والمغازي، ومسلم في الأشربة: ١٥٨٧/٣، وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.

(٤) السَّفَر: المسافرون إلا أنها جمع لسافر، كصحب وصاحب، ومسافرون جمع مسافر.

(٥) أنافي: جمع أنفية، حجارة يوضع عليها القنر، وهي ثلاث، ثالثها القطعة من الجبل
يجعل إلى جنبها اثنتان، فتكون القطعة متصلة بالجبل، ويقال: رماء بثلاثة الأنافي،
بالشر كله، جعل الشر أنفية بعد أنفية، حتى إذا رماء بالثالثة لم يترك منها غاية.

وَتَمَشَّتْ فِي مفاصلهم كَتَمَشِّي البُرءِ فِي السَّقَمِ

اشتهر بقيام الليل كله، وصلاة الفجر بوضوء العشاء: سعيد بن المسيب،
وصفوان بن سليمان، ومحمد بن المنكدر المدنيون، وقُضيلُ ووهب المكيان،
وطاؤس ووهب اليمانيان، والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان، وأبو سليمان
الداراني وأبو جابر الفارسيان، وسليمان التميمي ومالك بن دينار ويزيد الرقاشي
وحبيب العجمي ويحيى البكاء وكهمس ورابعة البصريون.

قالت أم عمرو بن المنكدر: يا بُني أَسْتَهِي أراك نائماً.

فقال: يا أمّاه إنّ الليلَ ليردُّ عليّ فيَهُولُني، فينْقُضي عني وما قضيتُ منه
مأربي.

وصحبَ رجلٌ رجلاً شهرين، فما رآه نائماً، فقال له: ما لك لا تنام؟

فقال: إنّ عجائب القرآنِ أطْرَنَ نومي، ما أخرجُ من أعجوبةٍ إلا وقعتُ في
أخرى.

لا تَلَحُهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ سُجَرائِهِ ^(١)	عَذْلُ المحبِّ يَزِيدُ فِي إِغْرَائِهِ
ودع الهوى يقضي عليه بِحُكْمِهِ	ما شاءَ فهو مَسْلَمٌ لقضائِهِ
فَشَقَاؤُهُ فيما يَراهُ نعيمُهُ	ونعيمُهُ في ذاك عَيْنُ شَقائِهِ
كُجِلَتْ مآقيهُ بطولِ سُهادِهِ	وَحَنَّتْ أَضالُعُهُ على بُرحائِهِ
دَنِفَ بِبابلَ جِسْمُهُ، وفؤادُهُ	بالخَيْفِ وا عَجِباً لطولِ بَقائِهِ

قال سفيان: إنّ لله ريحاً تُسَمَّى الصُّبْحِيَّةَ، مخزونةٌ تحتِ العرشِ، تهبُّ عند
الأسحارِ، فتحملُ الأَينين والاسْتِغْفارَ.

(لمهيار)^(٢):

يا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ كَاطِمَةٍ شَدَّ ما هِجَتِ الأَسَى والبُرْحَا

(١) سَجَرائِهِ: أصحابه وأصفياءه.

(٢) كتبها إلى أبي المعمر بن الموفق علي بن إسماعيل في النيروز سنة (٤١٤هـ). انظر:
ديوان شعره: ٢٠٢/١-٢٠٥.

الصَّبَا إِنْ كَانَ لَا بَدْءَ الصَّبَا إِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي أَزَوْحَا
اذكرونا ذكْرَنَا عَهْدَكُمْ رَبِّ ذِكْرِي قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحَا
وارحموا صَبَاً إِذَا غُئِيَ بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدَحَا

يا طويلَ النومِ، فانتك مِدْحَةٌ ﴿نَتَجَافِي﴾ [السجدة: ١٦]، وَحُرِمْتَ مَنَحَةٌ
﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، ولست من أهل عِتَابٍ «فَلِذَا جَنَّةُ»^(١) الليلُ نَامَ
عَنِّي، ليس في ليلِ الهجرِ منامٌ، ومتى رأيتَ محباً ينامُ؟!

(للمتنبي)^(٢):

فإنَّ نهاري ليلةٌ مُذْلِهَةٌ على مُقْلَةٍ مِنْ فَقْدِكُمْ فِي غِيَاهِبِ
بعيدةٌ مَا يَتَنَ الْجَفَوْنَ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُذْبٍ بِحَاجِبِ
ثَوَّرَتْ فِي اللَّيْلِ الحُدَاةَ، وَعُكِمَتْ^(٣) أَحْمَالُ الأَعْمَالِ، وسارت رَفَقَةُ
المتهجدين، وترنَّم كلُّ ذي صوتٍ بشجْوٍ، وأنتَ في الرقْدَةِ الأولى بعدُ.

لم يخلُ مَرْجَانُ دَمْعٍ مِنْ عَقِيقِ دَمٍ شَوْقٌ بَلَا عَبْرَةَ سَاقٍ بَلَا قَدَمِ
يا هذا! كَيْفَ تُطِيقُ السَّهَرَ مَعَ الشَّيْءِ؟! كَيْفَ تَزَاحِمُ أَهْلَ العَزَائِمِ بِمَنَاقِبِ
الكَسَلِ؟!

دع الهَوَى لَأَنَاسٍ يُعْرِفُونَ بِهِ قد مارسوا الحُبَّ حَتَّى لَانَ أَصْعَبُهُ
بَلَوْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَسْتَ تَخْبِرُهُ والشَّيْءُ صَعِبٌ عَلَى مَنْ لَا يُجَرِّبُهُ
فَافْنَ اصْطَبَاراً وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ جَلْدَاً فَرُبَّ مَدْرِكٍ أَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ
أَخْنُو الضَّلُوعَ عَلَى قَلْبٍ يُحَيِّرُنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُغَيِّنِي تَقْلُبُهُ
تَنَاضُحُ الرِّيحِ مِنْ نَجْدٍ يَهَيِّجُهُ وَلَا مِيعُ الْبَرْقِ مِنْ نَعْمَانٍ يُطِيرُهُ

(١) جنه: ستره.

(٢) من قصيدة طويلة له. انظر: ديوان شعره، ص ٢٠٩.

(٣) حكمت: ربطت.

الفصل السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ

إذا هبَّت رياحُ المواعِظِ، أثارت من قلوبِ المتيقِظين غيمَ الغمِّ على ما
سلفَ، وساقتهُ إلى بدلِ الطبعِ المُنحَرِفِ برعدِ الوعيدِ وبرقِ الخشيةِ، فترقى دموعُ
الأحزانِ مِنْ قَعْرِ بحْرِ القَلْبِ إلى أوجِ الرأسِ، فتسيلُ في ميازيبِ الشؤونِ على
سطوحِ الوجناتِ، فإذا أغشَبَ السُّرُّ اهتزَّ فرحاً بالإنابةِ.

مَحَتْ بَعْدَكُمْ تِلْكَ الْعَيُونَ دُمُوعَهَا	فَهَلْ مِنْ عَيُونٍ بَعْدَهَا نَسْتَعِيرُهَا
رَحَلْنَا وَفِي سِرِّ الْفُؤَادِ ضَمَائِرُ	إِذَا هَبَّ نَجْدِيُّ الصَّبَا يَسْتِيرُهَا
أَتَنَسَى رِيَاضَ الْغُورِ بَعْدَ فِرَاقِهَا	وَقَدْ أَخَذَ الْمِشَاقَ مِنْكَ غَدِيرُهَا
يُجَعِّدُهُ مَرُّ الشَّمَالِ وَتَارَةً	يَغَارِزِلُهُ كَرُّ الصَّبَا وَمُرُورُهَا
أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الْخُزَامِيِّ وَعَزْغِ	وَشِيحِ بَوَادِي الْأَثَلِ أَرْضُ نَسِيرُهَا
أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْعِرَاقِيُّ بَلِّغُوا	رِسَالَةَ مُحْزُونٍ حَوَاهُ سَطُورُهَا
إِذَا كَتَبْتُ أَنْفَاسُهُ بَعْضَ وَجْدِهَا	عَلَى صَفْحَةِ الذِّكْرِى مَحَاهُ زَفِيرُهَا
تَرْفُقُ رَفِيقِي هَلْ بَدَتْ نَارُ أَرْضِهِمْ	أَمْ الْوَجْدُ يُذَكِّي نَارَهُ وَيُثِيرُهَا؟
أَعِذْ ذَكَرَهُمْ فَهُوَ الشِّفَاءُ وَرَبِّمَا	شَفَى النَّفْسَ أَمْرٌ ثَمَّ عَادَ يَضِيرُهَا
أَلَا أَيْنَ أَرْمَانُ الْوِصَالِ الَّتِي خَلَّتْ	خَلَا مَا خَلَا مِنْهَا وَجَاءَ مَرِيرُهَا
سَقَى اللَّهُ أَيَّاماً مَضَّتْ وَلِيَالِيَا	تَضَوَّعَ رِيَّاهَا وَفَاحَ عَيْبُهَا

مَنْ تَفَكَّرَ فِي تَفْرِيطِهِ أَنْ، وَمَنْ تَذَكَّرَ أَيَّامَ وَصْلِهِ حَنًّا، وَمَنْ سَمِعَ صَوْتَ
الْحَمَامِ ظَنَّهُ لِحُسْنِ الصَّوْتِ^(١) . . .

. . . كَلَّا بَلْ لَذَكَّرَ مَا مَرَّ مِنَ الْعَيْشِ^(٢) .

إذا نظر الأسيرُ إلى نفسه في ضيقِ القيدِ^(٣)، ولم يَقْدِرْ على فَكِّ القيدِ، قطع

(١) يوجد نقص في الجملة كما لا يخفى .

(٢) يوجد نقص في صدر الجملة .

(٣) القيد: سبيل من جلد غير مدبوغ يربط به الأسير .

حُزْنُهُ حِيَازِيمَ الْقَلْبِ، فَتَفْسُهُ بِالْأَسْفِ فِي آخِرِ نَفْسٍ.

تَهِيمُ رِيحِ الصَّبَا نَسَمَتْ لَهَا وَتَبْكِي إِذَا الْوَرَقَاءُ فِي الْغُصْنِ غَنَّتِ
إِذَا جَذَبَ الصَّبْحُ اللِّثَامَ تَأَوَّهَتْ وَإِنْ نَشَرَ اللَّيْلُ الْجَنَاحَ أَرْتَّتِ

كَانَ دَاوُدُ يُؤْتِي بِالْإِنَاءِ نَاقِصاً، فَلَا يَشْرِبُهُ حَتَّى يُتَمِّمَهُ بِالدَّمْعِ.

يَا سَاقِي الْقَوْمِ إِنْ دَارَتْ عَلَيَّ فَلَا تَمْرُجْ فَلِئَنِّي بَدَمْعِي مَازَجُ كَاسِي
كَانَ فِي خَدِّ (عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) خَطَّانُ أَسْوَدَانِ مِنَ الْبَكَاءِ، وَكَانَ فِي وَجْهِ
(ابْنِ عَبَّاسٍ) كَالشُّرَاكَيْنِ الْبَالِيَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ.

(لَمُهِيارَ):

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ مِنْ بُكَاهَا عَلَى الْحِمَى تَجَفَّتْ ضُرُوعُ الْمُزْنِ وَهِيَ حَلُوبُ
بَكَتْ وَغَدِيرُ الْحَيِّ طَامٍ وَأَصْبَحَتْ عَلَيْهِ الْعِطَاشُ الْحَائِمَاتُ تَلُوبُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ عَيْنًا رَكِيَّةً وَلَا أَنَّ مَاءَ الْمَاقِيَتَيْنِ شَرُوبُ

كَانَ (الْحَسَنُ) يَبْكِي حَتَّى يُرْحَمَ.

وَكَانَ (الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ) يَبْكِي فِي النَّوْمِ حَتَّى يَنْتَبِهَ أَهْلُ الدَّارِ بِبِكَائِهِ.

وَكَانَ (عَطَاءُ السُّلَمِيِّ) يَبْكِي فِي غُرْفَةٍ لَهُ حَتَّى تَجْرِي دُمُوعُهُ فِي الْمِيزَابِ،
فَقَطَرَتْ يَوْمًا إِلَى الطَّرِيقِ عَلَى بَعْضِ الْمَازِينِ، فَصَاحَ يَا أَهْلَ الدَّارِ: أَمَاؤُكُمْ طَاهِرٌ؟
فَصَاحَ عَطَاءُ: اغْسِلُهُ، فَإِنَّهُ دَمْعُ عَيْنٍ مِّنْ عَصَى اللَّهِ.

وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُهُ؟

وَقَالُوا لِعَطَاءِ السُّلَمِيِّ: مَا تَشْتَهِي؟

فَقَالَ: أَشْتَهِي أَنْ أَبْكِي حَتَّى لَا أَقْدَرَ أَنْ أَبْكِي.

وَإِنْ شَفَائِي عَبْرَةٌ مُّهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ

كَانَ أَشْعَثُ الْحَرَائِي وَحَبِيبُ الْعَجَمِيِّ يَتَزَاوَرَانِ فِيكِيَانِ طَوَلَ النَّهَارِ.

وَكَانَ حَزَامٌ وَسَهِيلٌ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَيْتٍ يَتَجَاوَبُونَ بِالْبَكَاءِ.

(للخفاجي):

رَكِبْ هَوَىٰ تَجَاذُبُوا حَدِيثَهُ فَأَتَرَعُوا^(١) مِنَ الْغَرَامِ أَكُوسًا
وَأَسْبَلُوا مِنَ الْجُفُونِ أَذْمُعًا ظَنَّتْهَا مَاءٌ وَكَانَتْ أَنْفُسًا
لَقَدْ سَمِعْتُ فِي الرِّحَالِ أِنَّةً أَظْهَرُهَا نَشْطَةً^(٢) وَجَدِ حُبًّا

البكاء موكل بعيون الخائفين ، كلما همّت بفتح طَرْفٍ لتنظر إلى طَرْفٍ من طَرْفٍ الدنيا طَرَفَتْهُ دَمْعَةٌ^(٣) .

قال عليه الصلاة والسلام : «عينان لا تمسهما النارُ أبداً ، عينٌ بكث من خشية الله ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيلِ الله»^(٤) .

قال الحسن : لو بكى عبدٌ من خشية الله لِرُجِمَ مَنْ حَوْلَهُ ولو كانوا عشرين ألفاً .
وقيل لثابت البُناني : عالِجَ عَيْنِكَ وَلَا تَبْكِ . فقال : أيُّ خيرٍ في عينٍ لا تبكي .

(لصُرْدُر):

إِذَا لَمْ أَفْزَ مِنْكُمْ بِوَعْدٍ وَنَظَرَةٍ إِلَيْكُمْ فَمَا نَفْعَنِي بِسَمْعِي وَنَظَرِي
مَتَى غَنَّتِ الْوَزَقَاءُ كَانَتْ مُدَامَتِي دَمُوعِي وَزَفَرَاتِي حَيْنَ مَزَاهِرِي

البكاء لأجل الذنوب مقام المريد ، والبكاء على المحبوب مقام العارف .

رُوحِي إِلَيْكَ بِكُلِّهَا قَدْ أَجْمَعْتُ لَوْ كَانَ فِيكَ هَلَاكُهَا مَا أَقْلَعْتُ
تَبْكِي عَلَيْكَ بِكُلِّهَا عَنْ كُلِّهَا حَتَّى يَقَالَ: مِنَ الْبُكَاءِ تَقَطَّعْتُ
فَانْظُرْ إِلَيْهَا نَظْرَةً بِتَعْطُفٍ قَدْ طَالَمَا مَتَّعْتَهَا فَتَمَتَّعْتُ

(١) أترعوا: ملؤوا .

(٢) نشطة: انطلاقة .

(٣) الطَّرْف: العين . طَرْف: جانب ، وطالفة من الشيء . طَرْف: جمع طَرْفَة: كل مستحدث عجيب . طَرْفته: أصابته فأطبقت أحد جفنيهِ على الآخر .

(٤) رواه أبو يعلى في (مسنده) ، والضياء عن أنس رضي الله عنه ، وصححه السيوطي .
انظر: الجامع الصغير ، برقم (٥٦٤٧) ورواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما دون قوله: «أبداً» وقال: حديث حسن .

إخواني! حرّ الخوفِ صيفُ الدَّوبانِ، وبرودةُ الرِّجاءِ شتاءُ الغفلة، ومنَ
لُطْفَ به كان زمانُهُ كُلُّهُ فصلًا.

عَيْنُ تُسَرُّ إِذَا رَأَتْكَ وَأَخْطَهَا تَبْكِي لَطُولِ تَبَاعُدِ وَفِرَاقِ
فاحفظْ لواحِدَةٍ دَوَامَ سُرُورِهَا وَعِيدِ التِّي أَبْكِيهَا بِتَلَاقِ
سبحانَ من رَوَّحَ أرواحَ الخائفينَ بِريحِ الرِّجاءِ الضَّعيفِ، إِذَا لم يُتَلَفَ تَلَفٌ
لا بَدَّ للمَكْرُوبِ من نَسِيمِ باردٍ.

بِاللهِ يَا رِيحَ الشَّمَالِ إِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْهُبُوبِ
فَتَحْمَلِي شَكْوَى الْمُحِبِّ الْمُسْتَهَامِ إِلَى الْحَيِّبِ
قَرُبَ الضَّنَى^(١) مِنْ مُهْجَتِي لَمَّا بَعُدْتُ عَنِ الطَّيِّبِ
وَقِفْ (عَتَبَةُ الْغَلَامِ) لَيْلَةً عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِلَى الصَّبَاحِ يَقُولُ: إِنَّ تُعَذِّبَنِي
فَإِنِّي لَكَ مُحِبٌّ، وَإِنْ تَرَحَّمَنِي فَإِنِّي لَكَ مُحِبٌّ.

يَا قَوْمَنَا! الْمُحِبُّ مَعَ بَذْلِ رُوحِهِ يَرْتَاخُ إِلَى الْمَنَى وَالتَّعْلِيلِ^(٢)، لِأَنَّهُ لَا يَرَى
مَا بَذَلَ يَصْلُحُ ثَمَنًا لِمَا طَلَبَ:

يَقْلِبِي مِنْهُمْ عُلُقُ^(٣) وَدَمْعِي فِيهِمْ عُلُقُ^(٤)
وَبِي مِنْ حُبِّهِمْ حُرْقُ لَهَا الْأَحْشَاءُ تَحْتَرِقُ
وَمَا تَرَكُوا سِوَى رَمَقِي^(٥) فَلَيْتَهُمْ لَهُ رَمَقُوا^(٦)

كَانَ (عَبْدُ الْوَاحِدِ) يَقُولُ لَعْنَةً: ارْفُقْ بِنَفْسِكَ، فَيَبْكِي وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَبْكِي
عَلَى تَقْصِيرِي.

(١) الضنى: المرض والنعب والهزال الشديد.

(٢) في (ب): عسى ولعل.

(٣) علق: محبة ملازمة.

(٤) علق: دم.

(٥) رمقي: الرمق: بقية الحياة.

(٦) رمقوا: نظروا.

قالوا: نصبرُ فما هذا الجنونُ بهمُ فقلتُ: يا قوم ليس القلبُ من قِلي
واعجباً! أويقدِرُ المحبُّ على التصرُّفِ في قلبه؟ كلا، دينُ المحبِّ الجبرُ^(١).
(لأبي الشيبص الخزاعي):

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي منأخِرُ عنه ولا مُتَقَدِّمُ
أجدُ الملامَةَ في هوائِكَ لذيدةً حُبّاً لِذِكْرِكَ فليُلمَنِي اللُّومُ
دخلوا على رابعةَ فقالتُ: لقد طالَت عليَّ الأيامُ بالشوقِ إلى لقاءِ الله تعالى.
ودخلوا عليها مرّةً أخرى فقالوا: أتشتاقين إليه؟
ف قالت: هو حاضرٌ معي.

قالوا: يا رابعة! هذا ضدُّ الأول.

أجابَت بلسان الحال: هكذا تحيِّرُ المُحبُّ.

وَمِنْ عَجَبِ أَنِّي أَحَنُّ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ شَوْقاً عَنْهُمْ وَهُمْ مَعِي
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ يَتَنَ أَضْلَعِي
إذا بدَّت رابعةٌ في يومِ القيامةِ مُخَمَّرَةً، وقعتْ لهيبَةٌ خمارها طيالة^(٢)
العلماء.

كان سفيانٌ يتأدَّبُ لرابعةَ، وكان هو صاحبُ مَخَزَنِ العلمِ، فتردَّدَ إلى
القَهْرْمَانَةِ^(٣)، لأنَّ لها دخولاً أكثرَ منه.

رحلَ المُلَّاكُ وبقي المُدَّعون، أترى أيَّ طريقٍ سلكوا؟ نحنُ مُلْكنا والقومُ
مَلَكوا.

(للشريف الرضي، ولمهيار)^(٤):

-
- (١) الجبر: أن المحب لا اختيار له مع محبوبه.
(٢) طيالة: جمع طيلسان، وهو كساء من خَرّ غليظ، (فارسي معرب).
(٣) القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه، (فارسية معربة).
(٤) من قصيدة قالها الشريف الرضي خلال ذهابه إلى المدينة عام (٣٩٤هـ). انظر: ديوان =

يا صاحِبِي رَحْلي قَفَا
 وأمطِـرَا دمعَكـمـا^(١)
 ما الدارُ عندي سَكَنٌ
 كانَ فـؤادي ومُـمٌ
 مَنى لـعـيـنـي أن تـرى
 ويومَ «سَلع» لم يكن
 ويومَ «ذي البـان» تبـا
 كان الغرامُ المشتري
 وبـارقُ أشـيـمُـة^(٢)
 ذكّرني الأحبابَ والذ
 مِن بطنِ مروٍ والشـرى
 وبالعراقِ وطـري يا
 فسائـلا لي الـذمـنا
 ذاك الكـثـيـبَ الأيـمـنا
 إذا عـدِـمـتُ الشـكـنا
 فظعننـوا فظعننـا
 تلك الثـلاثَ من «منى»
 يـومـي «سـلـع» هـيـنا
 يعنـا فـحـزْتُ العـبـنا^(٣)
 وكان قلبـي الثـمـنا
 كالطـرفِ أغـضـى ورنا^(٤)
 كـرى تُهـيـجُ الحـزـنا
 تـؤمُّ عُشـفـانَ بـنا
 بُغـدَ ما لـاحَ لـنا

* * *

= شعره: ٤٨٠ / ٢ ، وفي قصيدة قالها لمهيار يهنئ كمال الملك أبا المعالي . انظر : الديوان :
 ١٤٢ / ٤ .

- (١) في الديوان لمهيار : «من سائل لي بالحمى» .
 (٢) الغبن : يقال : غبته في البيع : خدعته وأوقع به ضرراً ، ويكون في البيع والشراء . والغبن :
 يكون في الرأي .
 (٣) أشيمه : أنظر إلى البرق أين يقصد؟ وأين يمطر؟ .
 (٤) رنا : أطلال النظر .

الفصل الثامن والسبعون

المُحِبُّ يَتَلَقَّى بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ ، عَلَى الْقَلْقَرِ يَمْشِي ، وَعَلَى
الْحُرْقِ يُمْسِي :

بَقِيْتُ عَلَى الْأَطْلَالِ مِنْ بَعْدِكُمْ مُلْقَى أَهِيْمُ بِكُمْ وَأَطْلُبُكُمْ شَرْقَا
وَأَسْأَلُ أَنْفَاسَ الرِّيحِ إِذَا جَرَتْ يَمَانِيَةً عَنْكُمْ وَأَسْتَنْبِيءُ الْبَرْقَا
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ إِلَى حِرَاءَ ، وَيَبْدُو إِلَى التَّلَاعِ ^(١) ، مَقَاسَاةَ الْخَلْقِ
ظُلْمَةً ، وَالْحَبِيبُ لَا يَتَجَلَّى إِلَّا فِي خُلُوةٍ .

وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْبَيْوتِ لَعْنَتِي أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي اللَّيْلِ خَالِيَا
الْمُحِبُّ مَقْتُولٌ بِلَا سَيْفٍ ، مُلْقَى فِي مَنَى الْمُنَى لَا عِنْدَ الْخَيْفِ ^(٢) ، إِذَا سَمِعَ
صَوْتَ مَنْشِدٍ قَدْ غَزَدَ ، خَلَعَ لِحَامَ الصَّبْرِ وَتَشَرَّدَ .

وَلَمَّا غَزَدَ الْحَادِي وَسَارَ الْقَوْمُ فِي الْوَادِي
وَرَاخَ الْقَلْبُ يُتْبَعُهُمْ بِلَا مَاءٍ وَلَا زَادٍ
رَأَيْتُ قَتِيلَ بَيْنَهُمْ ^(٣) صَرِيعاً مَالَهُ فَادٍ ^(٤)

(١) التَّلَاعُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا انْهَيْطَ ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ كَمَا فِي (مَخْتَارِ الصَّحَاحِ) .
وَحَدِيثُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَتَبَلَّغُ فِي غَارِ حِرَاءَ وَيَنْعَزِلُ إِلَيْهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «كَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءَ يَتَحَنَّنُ فِيهِ . . .» . وَفِي (الْجَامِعِ
الصَّغِيرِ) بِرَقْمِ (٦٩٥٨) : «كَانَ يَبْدُو إِلَى التَّلَاعِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَانَ فِي (صَحِيحِهِ)
عَنْ عَائِشَةَ ، وَرَمَزَ لَهُ السَّيُوطِيُّ بِالْحَسَنِ .

(٢) الْخَيْفُ : مَا انْحَدَرَ عَنْ غُلْظِ الْجَبَلِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ مَسِيلِ الْمَاءِ ، وَغُرَّةٌ بَيْضَاءُ فِي الْجَبَلِ
الْأَسْوَدِ الَّذِي خَلْفَ أَبِي قَبِيْسٍ وَبِهَا سَمِيَ مَسْجِدُ الْخَيْفِ ، وَهُوَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ مَنَى .

(٣) بَيْنَهُمْ : مِنَ الْبَيْنِ ، وَهُوَ الْبَعْدُ .

(٤) فَادٍ : أَيُّ مَنْ يَدْفَعُ دَيْتَهُ ، وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ فَدَى يَفْدِي ، أَيُّ : دَفَعَ الدِّيَةَ .

أول علامات المحبة دموع العين، وأوسطها قلق القلب، ونهايتها احتراقه.

(لقيس بن ذريح):

هل الحبُّ إلا زفرةٌ بعد زفرةٍ وَحَزْرٌ على الأحشاء ليس له بَرْدُ
وفيضُ دموعٍ تَسْتَهْلُ إذا بدا لنا عِلْمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

قال ذو النون: لقيتُ امرأةً متعبدةً فوعظتني فبكيْتُ.

فقلت: لم تبكي؟

قلت لها: والعارفُ لا يبكي؟

قالت: إذا بكى استراح، ولا راحةٌ للمؤمن دون لقاء ربه.

لا وَحْبِيكَ لا أَصَافُحُ بِالذَّمْعِ مَذْمَعَا
مَنْ بَكَى شَجْوَهُ اسْتَرَا خَ وَإِنْ كَانَ مُوَجَعَا
كَبِيدِي فِي هَوَاكَ أَهْ سُونَ مَنْ أَنْ تَقْطَعَا
لَمْ تَدْعِ سَوْرَةَ^(١) الضَّنَى^(٢) فِي السُّقْمِ مَوْضِعَا

المحبة نزالةً، وقوتها المهج.

كانت أضلاع (عمر بن عبد العزيز) تُعَدُّ، وكان جسدُ سري كالشَّنِّ^(٣).

وقف أبو يزيد في المحراب فكبر فتقعّعت عظامه.

وإني لتعروني لذكراك لوعةً لها بين جلدي والعظام ديبُ
فما هو إلا أن أراها فجاءةً فَأُبْهَتُ حَتَّى لَا أَكَادُ أُجِيبُ

إذا رأيتَ محبّاً ولم تدْرِ لمن؟ فضع يدك على نَبْضِهِ، وَسَمِّ كُلَّ مَنْ تَنْظُهُ
المحجوب، فَإِنَّ النَبْضَ لَا يَنْزَعِجُ إِلَّا عِنْدَ ذِكْرِهِ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

(١) سَوْرَةٌ: شدة.

(٢) الضَّنَى: المرض والتعب.

(٣) الشَّنِّ: القربة الخلقة.

(لمهيار)^(١):

ألا فتى يسأل قلبي ماله ينزو إذا برق الحمى بدا له
فهب يرجو خيراً من الحمى يُسِنِّدُه عنه فما روى له
أراد نجداً معه بيابلاً إرادةً هاجت له بلباله
وانتسم الريح الصبا ومن له ينقح من الصبا طوبى له

المحب في قلق لا سكون له، والعجب أنه يتكلف الثبات.

الوجد يُخرِّقه، والليل يُقلِّقه والصبر يُسكِته، والحب يُطِّقه
ويستر الحال عمن ليس يعذُّره وكيف يستره والدمع يسبقه

المحب يُبالغ في كتمان وجدِّه، غير أن الدمع نمام.

أفة السر من جفو ن دوام^(٢) دوام
كيف يخفى من الدمو ع الهوامي^(٣) الهوامع^(٤)

كان أكثر القوم إذا جاءه البكاء دافعه اتقاء للاحي^(٥) له، فيغلبه ولا حيلة.

(للمتنبي)^(٦):

حاشى الرقيب فخانته ضمائرُه وغَيَضَ الدمع فانهلَّت بوادِرُه
وكانمُ الحب يومَ البين مُفْتَضَحٌ وصاحبُ الوجد لا تخفى سرائِرُه
إذا أقلقه الحب ضجَّ، وإذا أرقه الشوق عَجَّ، وكلما حبس دمعاً ثَجَّ^(٧)، وإذا

(١) مطلع من قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز. انظر: ديوان شعره: ٢٢٧/٣.

(٢) دوام: جمع دامية.

(٣) الهوامي: جمع هامية، من همى يهمي، وهمت العين: صبَّت دمعها.

(٤) الهوامع: جمع هامة، من همع يهمع، وهمعت العين: أسالت الدمع.

(٥) اللاحي: المنازع المخاصم.

(٦) مما قاله في صباه. انظر: الديوان، ص ٣٦.

(٧) ثَجَّ: سال.

استوحش من الخلق هَجَّ^(١)، فالهموم تنوبه من كل فج.

حُشِيَتْ قُلُوبُ الْمُحِبِّينَ بِالْغُومِ، حَشَوَ الْوَزْدُ فِي قَوَارِيرِ الزُّورِ^(٢)، وَكَلِمَا
التَّهَبْتُ نَارَ الْحَذَرِ جَرَتْ عَيُونُ الدَّمْعِ فِي جَدَاوِلِ الْعَيُونِ، فَرَشْتُ عَلَى الْخُدُودِ
مَاءً، [مَا] مَاءُ الْوَرْدِ عِنْدَهُ بِطِيبٍ.

(لابن المعتز):

أَسَرَ الْقَلْبَ فَأَمْسَى لَدَيْهِ فَهُوَ يَشْكُوهُ وَيَشْكُو إِلَيْهِ
عَذَّبَ الْأَحْبَابَ بِالْهَجْرِ حِينًا فَهُمْ يَبْكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَاعْجَبًا لَضَعْفِ بَدَنِ الْعَارِفِ كَمْ يَخْمِلُ! وَاسْفًا لِقَلْبِ الْمُحِبِّ كَمْ يَضِيرُ!

نَعَمْ تُخْمَلُ الْأَشْوَاقُ وَالْعَيْسُ ظُلُعُ^(٣) وَيَمْشِي الْهَوَى وَالنَّاقِلَاتُ قُعُودُ

مَا أَقْوَى جَلَدَ جِلْدِ الْقَلْبِ عَلَى نَارِ الْحُبِّ، كَأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَ السَّمَنْدَلَ^(٤)، عَلَى
أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لَذَعِ يَبِينُ أَثَرُهُ، فِي صُعُودِ الصُّعْدَاءِ، دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْحَرِيقِ، اشْتَطَّ
الْلهِيبُ فَشَاطَطَ الْقُلُوبَ، لَوْلَا أَنَّ الْقَوْمَ عَلَى شَوَاطِئِ بَحْرِ الدَّمْعِ نَزُولُ.

(للشريف الرضي)^(٥):

خُذِي حَدِيثَكَ فِي نَفْسٍ مِنَ النَّفْسِ وَجُدِي الْمَشُوقِ الْمَعْنَى غَيْرَ مُلْتَبِسِ
الْمَاءِ فِي نَظَرِي وَالنَّارُ فِي كَبْدِي إِنَّ شَتَّ فَاغْتَرَفِي أَوْ شَتَّ فَاقْتَبِسِي

أَشَدُّ مَا عَلَى الْمُحِبِّ مِنْ مَقَاسَاةِ الْحُبِّ سَمَاعُ اللَّوْمِ، وَاعْجَبًا مِنْ خَلْقِي يَعِذُّ
ذَا شَجَى، وَيَحْكُ! خَلُّ شَأْنَهُ وَشَانَهُ.

(١) هَجَّ: لعله يريدُ: شرد منهم وفر عنهم ونأى، وإن لم نجد معنى لكلمة هَجَّ في المعاجم.

(٢) الزور: وسط الصدر، أو ما ارتفع منه إلى الكفين.

(٣) ظُلُعُ: من ظلع أي: عرج وغمز في مشيه.

(٤) السمندل: طائر في الهند لا يحترق في النار فيما زعموا، أو نسيج منه ريش بعض الطيور لا يحترق.

(٥) مطلع من قصيدة قالها في شكوى الزمان. انظر: ديوان شعره: ٥٥٧/١.

فيا حُبَّهُمْ زدني جوى كل ليلة ويا سَلوةَ الأيام موعِدُكَ الحَسْرُ
لما أسلم سعدُ بنُ أبي وقاصٍ قالت له أمُّه : والله لا أكلُ ولا أشربُ ، ولا
يُظَلُّني سقفُ بيتٍ حتى تكفرَ بمحمدٍ .

فقال : اسمعي يا أماء ! لو كان لك مئة نفسٍ فخرجتُ واحدةً بعد واحدةٍ ، لم
أكفر بمحمدٍ . . ويحها ! ما خَبِرْتُ خبرَ المحبةِ متى وقع السِّلْوُ في حبٍّ صادقٍ !
(للمتنبى) :

عذُلُ العواذِلِ حَوْلَ قلبي التائه وهوى الأحبة منه في سَوْدائه
القلبُ أعلمُ يا عذولُ بدائه وأحقُّ منك بجَفْنِهِ وبمائه
فَوَ مَنْ ^(١) أَحَبُّ لأعصيتُك في الهوى قسماً به وبخُسْنِهِ وبهائِهِ
أَحْبُهُ وأحبُّ فيه ملامَةٌ إنَّ الملامَةَ فيه من أعدائِهِ
لا تعذِلِ المشتاقَ في أشواقِهِ حتى تكونَ حشاكَ في أحشائِهِ

واعجباً لعاذِلٍ في حُبِّ ما ذاقه ، وأمرٌ بهجرٍ حبيبٍ ما شاقه .

وماذا على مُفَرِّدٍ بالعراقِ تَذَكَّرَ بالرمْلِ عهداً فَحَنَّا
ولئني لكلِّ شَجٍّ ^(٢) عاذِرٌ إذا ناحَ من طَرَبٍ أو تَغَنَّى

كانت أمُّ الربيعِ بنِ خُثَيْمٍ إذا رأت قلقَه بالليلِ قالت : يا بُني ! لعلَّكَ قتلْتَ
قتيلاً فيقولُ : يا أماء ! قتلْتُ نفسي .

قيل لعابدٍ كان ينتحب : إنَّكَ تُفْسِدُ على المصلين صلاتهم بارتفاعِ صوتِكَ ! .

فقال : إنَّ حزنَ القيامةِ أورثني دموعاً غزاراً ، فأنا أستريحُ إلى ذَرْفِها أحياناً .

مهلاً عذولُ صليتَ ^(٣) نارَ جَوَانحي وغَرِقْتَ في تيارٍ دَمِعي المسبَلِ
هذي حشائي لديك فانظرُ هل ترى قلباً فإنَّ صادفتُ قلباً فاعذِلِ

(١) فَوَ مَنْ : الواو واو القسم ، والمقسم به هو المحبوب «مَنْ أَحَبَّ» .

(٢) شَجٌّ : من الشجو ، أي : الحزن ، شجى يشجي فهو شَجٌّ .

(٣) صليت : هذا أسلوب دعاء ، دعا على العذول بأن يذوق ما ذاق ، ليعلِّمه فيما هو فيه .

غاية العاذلين إيصال اللوم إلى الأسماع، فأما القلوب فلا سبيل إليها.

سَيِّئَانِ إِنْ لَامُوا وَإِنْ عَذَرُوا
لَا غَرْوَأَنْ أَغْرَى بِحَبْهِمُ
لَا بَدَّ لِي مِنْهُمْ وَإِنْ تَرَكَوْا
وَعَلَيَّ أَنْ أَرْضَى بِمَا صَنَعُوا
مَا لِي عَنِ الْأَحْبَابِ مُضْطَبَّرُ
إِذْ لَيْسَ لِي فِي غَيْرِهِمْ وَطَرُ
قَلْبِي بِنَارِ الْهَجْرِ يَسْتَعِيرُ
وَأَطِيعُهُمْ فِي كُلِّ مَا أَمَرُوا

لو رأيت المحبَّ يهرب من العذل إلى فلول الخلوات، فإذا ناوله الوجدُ
كأسَ الدموعِ اقترح عليه غناء الحمائم.

ذَكَرَ الْأَحْبَابَ وَالْوَطَنَا
فَبَكَى شَجَوًا وَحُوقًا لَهُ
أَبْعَدَتْ مَرَمَى بِهِ رَجَمَتْ
مَنْ لِمُشْتَقٍ تُمِيلُهُ
لَمْ تُعْرِضْ فِي الْحَيْنِ بَعْدَ
لَكَ يَا وَرَقَاءَ أَسْوَأَ مَنْ
بِكَ أُنْسِي مِثْلُ أُنْسِكَ بِي
تَشَاكِي مَا تُجِرُّ إِذَا
أَنَا لَا أَنْتِ الْبَعِيدُ هَوَى
أَنَا فَرَدُّ يَا حَمَامُ وَهَذَا
اسْرَحَا رَأْدُ^(١) النَّهَارِ مَعَا
وَابْكِيَا يَا جَارَتِي لِمَا
أَيَّنَ قَلْبِي مَا صَنَعْتَ بِهِ
كَانَ يَوْمَ النَّفَرِ وَهُوَ مَعِي
أَبِي حَادِي الرِّفَاقِ حَذَا
وَالصُّبَا وَالْإِلْفَ وَالسَّكْنَا
مُذْنَفٌ بِالشَّوْقِ حِلْفُ ضَنَى
مِنْ خُرَاسَانَ بِهِ الْيَمْنَا
ذَاتُ سَجْعٍ مَيَّلَتْ فَنَّا
مُسْعِدًا إِلَّا وَقَلْتُ أَنَا
لَمْ تَذِيقِي طَرْفَهُ الْوَسْنَا
فَتَعَالَى تُبْدِ مَا كَمْنَا
بُغْتِ شَكْوَى صِحْتُ وَاحْزَنَا
أَنَا لَا أَنْتِ الْغَرِيبُ هَذَا
أَنْتِ وَالْإِلْفُ الْقَرِينُ ثَنَا
وَاسْكُنَا جُنْحَ الدُّجَى غُصْنَا
لِعَيْتِ أَيْدِي الْفِرَاقِ بِنَا
مَا أَرَى صَدْرِي لَهُ سَكْنَا
فَأَبَى أَنْ يَضْحَبَ الْبَدْنَا
أَمْ لَهُ دَاعِي الْفِرَاقِ عَنَى؟

* * *

(١) رَأْدُ: انبساط الشمس وارتفاع نهاره.

الفصل التاسع والسبعون

يا هذا: قد سمعت أخبار المُتَّقِينَ، فسر في سريهم، وقد عرفت جدُّهم،
فتناول من سريهم^(١)، ثم سل من أعانهم يُعِنَكَ فيما كان بهم.

(لابن هند):

لا يؤيسنك من مجد تباعده فالمجد يدرك تدريجاً وترتياً
إنَّ القناة التي شاهدت رفعتها تئمت وتثبت أنوباً فأنبوباً

استغنى القوم بطبيهم عن مدح خطيهم، فاسلك طريقهم تكن رفيقهم.

(لابن الرومي):

وسائل عنهم: ماذا يقدمهم فقلت: فضل به عن غيرهم بأنوا
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتدلوا منهن في سبل العلياء ما صانوا
المنعمون وما مثوا على أحد يوماً بنعمي ولو مثوا لما مانوا^(٢)
قوم يعزرون إن كانت مغالبة حتى إذا قدرت أيديهم هانوا

أطار خوف النار نومهم، وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم، يحسبهم
الناظر مرضى الأبدان، وإنما بهم سقام الأحران.

مكتتب ذو كبد حرى تبكي عليه مقلّة عبّرى
يرفع يُمناه إلى ربه يشكو وفوق الكبد اليسرى
يبقى إذا حدثته باهتاً ونفسه ممابه سكرى
تحبّه مستمعاً ناصتاً وقلبه في أمّة أخرى

(١) شربهم: أي شراهم الذي يتناولوه، ويدخل فيه معاني المجد والشوق والأنس والواردات الإلهية.

(٢) مان مؤناً: احتمال مؤونته وقام بكفايته.

[إذا ذكروا العفو طاب العيش، وإذا تصوَّروا العذاب جاء الطَّيشُ .

أُمْدُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيَّ إِذَا بَدَتْ إِلَيْهَا وَبِالْأُخْرَى أُرَاعِي رَقِيَّهَا
وَقَدْ غَفَلَ الْوَاشِي وَلَمْ يَذْرِ أَتْنِي أَخَذْتُ لَعْنِي مِنْ حَبِيي نَصِيَّهَا^(١)

قال صالح المري: كان عطاء السلمي قد اجتهد حتى انقطع، فصنعت له شربة سويق فلم يشرب فلمته، فقال: إني والله كلما هممتُ بشربها ذكرت قوله تعالى: ﴿وَلَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣] فلم أقدر، فقلت: أنا في وادٍ وأنت في وادٍ:

أَطَلْتُ وَعَذَّبْتَنِي يَا عَذُولُ بُلَيْتُ فَدَعْنِي حَدِيثِي يَطُولُ
أَيُّتُ أَرَايْبُ نَجْمِ الدُّجَى إِلَى الصُّبْحِ وَخُدِي وَدَمْعِي يَسِيلُ

انبعثت غيوم الغموم من أودية القلوب، فاستممت قبيل الصبح فهطلت، فلها مع الشؤون شؤون^(٢)، فجرت الأرواح في موتى العيدان، فقدحت [فحرقت]^(٣)، فارتقت وزق الشوق منابر الشدو فأطربت، فصدحت بلابل المحبة بين منشور منشورها قبلت [قلب الواجد]^(٤).

يَا نَفْحَاتِ الرِّيحِ مُرِّي سَحَرًا قَبْلَبِي طَرَّةَ أَرْضِ بَابِلَ
صَفِي لَأَهْلِ بَابِلِ بَلَابِلِي وَيَلْغِيهِمْ فِي الْهَوَى رَسَائِلِي
كَمْ مِنْ دَمٍ طَاخَ بِغَيْرِ ثَائِرٍ وَكَمْ قَتِيلٍ كَلَفَ بِالْقَاتِلِ

قلب المحب تحت فحمة الليل جمرة، كلما هبَّ النسيم التَّهَبَّتْ.

تمر الصبا صفحاً ساكنٍ ذي الغضا ويصدع قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبة عهدٍ بالحبيب وإثما هوى كل نفسٍ حيث حلَّ حبيبها

(١) زيادة من (ب).

(٢) الشؤون: الأحوال. شؤون: دموع.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

سهر القوم يقَعُ ضرورةً، لأنَّ القلقَ مانعٌ من النوم، وليس لهم في تلك الشدائد راحةً سوى جريانِ الدموع.

(للسري بن أحمد الكندي):

بلاني الحُبُّ فيك بما بلاني فشاني أن تفيضَ غروبُ شاني^(١)
أيُّتُ الليلَ مرتقباً أناجي يصدقِ الوجدِ كاذبةً الأمانِي
فتشهدُ لي على الأرقِ الثَّريَّا ويعلمُ ما أجسُّ الفرقدانِ
فيا ولعَ العواذِلِ خلِّ عني ويا كفَّ الغرامِ خُذي عِناني^(٢)

من صلى بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار، شِيمَةُ المحبِّ لا تخفى، وصحائفُ الوجوهِ يقرؤها من لم يكتب.

خذي حديثك في نفسي من النَّفسِ

قطعت نياقَ جَدِّهم باديةَ الليل، ولم تَجِدْ مسَّ تعب، الطريق إلى المحبوب لا تطول.

(للشريف الرضي):

بَدَا لها من بعد ما بَدَا لها روضُ الجَمَى أن تشتكي كَلالَها
فخلَّها تَمَرُخٌ في زَمَامِها فإِنَّها قد سِئِمَتْ عقالَها
أذكَرَها مَرُّ النسيمِ سَخَرَا مَرَاتِعاً تَقِيَّاتٌ ظلالَها
رَنَحَها الشوقُ المُمِضُ والشَّرى فَسَخَبَتْ مِنْ وَجْدِها جلالَها
تَحِبُّها سَكْرَى وما ذاكَ بِها وإنَّما شوقُ الجَمَى أَمالَها

ياربِّ اقْرُبْ أرضَ كَنعانَ من مصر، فَقَدْ نَفَذَ صَبْرُ يعقوب.

كان أبو زيد يقول: إلهي إلى متى تحبس أعضاءَ مُحِبِّيك تحت الترابِ؟ احشُرْهم، واجعلني جسراً ليعبروا إليك.

(١) غروب: بمعنى الدلو الكبير. شاني: مجرى الدمع.

(٢) عِناني: سير لجامي، أي: أذن للغرام أن يقوده إلى حيث الأجرة.

واويلاه أنا أَشْرَبُ وأنا أَطْرَبُ، يتركوني أسيرَ وجدي، أسيرُ وحدي، هلاً
سَعَتْ معي رِجْلُ رِجُلٍ، أو أعاني ساعدُ مُساعد، أين شَرَطُ الرِّفْقَةِ؟ أو ما العزاءُ
للكل.

(للخفاجي):

لو عَدَلْتَن تَسَاهَمْنَا جَوَى مَثَلُ مَا كُنَّا اشْتَرَكْنَا نَظَرَا

يا حاضرين عندنا بِنْيَةِ التَّنْزِهِ لستم معنا، عُودُوا إلى أوطانِ الكسل،
فالحربُ طَعْنٌ وضربٌ، يا مُدَّعِين ارجعوا فقد عَبَرْنَا العُذَيْبَ^(١)، دَعُونَا نَحْلُ
بالوجدِ في صحراءِ نجد، ستأتيكم أخبارنا عن قريب بعدَ فَيْدٍ^(٢)، وأنتَ أيها
الحادي عَرَضُ بِالْمَازِمِينَ^(٣) والخيف، تعلمك الدموعُ كيف تُرمى حصي
الحَذَفِ^(٤).

أَحَبُّ زُرُوداً مَا أَقَامَ ثَرَاهَا	أَلَا غَنِيَانِي بِالذِّيارِ فِلَانِي
حَبِيبٌ لِقَلْبِي قَاعُهَا وَرُبَاهَا	وَبَيْنَ النَّقَى وَالْأَنْعُمَيْنِ مَحَلَّةٌ
عَلَيْهِ الثُّعَامَى ^(٥) بَعَدْنَا وَصَبَاهَا	وَنَعْمَانُ يَا سَقِيّاً لِنَعْمَانٍ مَا جَرَتْ
دِيُونٌ وَمَقْضَى خَفِيفُهَا وَمُنَاهَا	وَلِلْقَلْبِ عِنْدَ الْمَازِمِينَ وَجْمَعُهَا

* * *

(١) العُذَيْبُ: ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة.

(٢) فيد: منزل بطريق مكة.

(٣) المَازِمِينَ: مثني مَازِمٍ: موضع بين المشعر الحرام وعرفة.

(٤) الحَذَفُ: رميك حصاةً بين سبابتيك.

(٥) الثُّعَامَى: ريح الجنوب؛ لأنها في جزيرة العرب أندى الرياح وأرطبها.

الفصل في التيمّات

يا مقيماً في دائرة دارِ الغير! كم حَضَرَت فيها مُحْتَضِرٌ^(١)، كم عايَنَت عينُكَ قَبراً يُحْتَفَرُ، لقد ألانت مواعظُها كُلَّ صُلْدٍ^(٢) حَجَرٍ، عجباً لفرخها ما عَيَّدَ حتى نُجِرَ.

إِنَّ فِي نَأْيِ زَمَانِي عِظَةً	تَشْغُلُ الْعَاقِلَ عَنْ نَأْيِ زُنَامٍ ^(٣)
وَمُدَامُ الْفِكْرِ فَيَمْنُ قَدْ مَضَى	مُسْكِرٌ يُغْنِيكَ عَنْ شُرْبِ مُدَامٍ ^(٤)
عَرَسَ ^(٥) الْقَوْمُ، وَغُرِبَانُ الدُّجَى	إِنَّمَا صَاحَتْ بِتَقْوِيضِ الْخِيَامِ
وَحَمَامَاتُ الضُّحَى صَادِحَةٌ	نَوْحُهَا يَنْذَرُهَا صِرْفَ الْحِمَامِ ^(٦)
وَمَطَايَا الْخَيْفِ قَدْ زُمَتْ لَكُمْ	وَدَّعُوا يَا قَوْمِ وَامْضُوا بِسَلَامٍ
وَدَّعُوا عَنْكُمْ أَبَاطِيلَ الْمُنَى	لَيْسَتْ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ مُقَامٍ
أَقْسَمَ السَّاقِي بِكَاسَاتِ الرَّدَى	لَيَدُورَنَّ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ

يا مَنْ إِذَا عَامَلَ خَانَ وَظَلَمَ! يَا مَنْ أَمَرَ بِمَا يَنْفَعُهُ فَلَمْ، هَذَا الْقَتِيرُ^(٧) فِي الرَّاسِ كَالْعَلَمِ، أَبَقِيَ بَعْدَ نُورِهِ يَا ظَالِمُ ظُلْمٍ، أَلَمْ يَقُلْ لَكَ: أَلَمْ^(٨) الضَّعْفُ انْتَبَهَ؟ أَلَمْ؟ أَيْنَ رَفِيقُكَ؟ أَذْلَجَ^(٩) وَقَدْ عَرَفْتَ الْمَنْهَجَ، وَالرَّحِيلَ قَدْ أَزْعَجَ، وَهَذَا فَرَسُ

(١) المحتضر: من حضره الموت، أي: ملكه ليقبض روحه.

(٢) الصلْد: الصلب الأملس.

(٣) زنام: كغراب: الداهية.

(٤) المدام: الخمرة.

(٥) عرس: نزل في وجه السحر من سفر، والتعريس: النزول في آخر الليل.

(٦) الحمام: الموت.

(٧) القتير: الشيب.

(٨) أَلَمْ: نزل.

(٩) أدلج: سار في أول الليل (مختار الصحاح).

مُسْرَج، والبضاعة كُلُّهَا يَهْرَج^(١).

وَيَحْكُ! تَعَاهِذْ قَلْبَكَ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ مَالَ إِلَى الْهَوَى، فَاجْعَلْ فِي الْجَانِبِ
الْآخِرِ ذِكْرَ الْعِقَابِ لِيَسْتَقِيمَ، فَإِنَّ غَلْبَكَ الْهَوَى، فَاسْتَيْثَ بِصَاحِبِ الْقَلْبِ، وَإِنْ
تَأَخَّرَتِ الْإِجَابَةُ فَابْعَثْ رَائِدَ الْإِنْكَسَارِ خَلْفَهَا تَجِدُنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ^(٢).

يَا هَذَا! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّطْفَ مَعَ الضَّعِيفِ أَكْثَرُ؟

لَمَّا كَانَتْ الدَّجَاجَةُ لَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ أَخْرَجَ كَاسِبًا.

وَلَمَّا كَانَتْ النَّمْلَةُ ضَعِيفَةً الْبَصَرِ أُعِينَتْ بِقُوَّةِ الشَّمِّ، فَهِيَ تَجِدُ رِيحَ الْمَطْعُومِ
مِنْ بَعِيدٍ فَتَطْلُبُ.

لَمَّا كَانَ التَّمْسَاحُ مُخْتَلِفَ الْأَسْنَانِ، صَارَ كُلُّمَا أَكَلَ حَصَلَ بَيْنَ أَسْنَانِهِ مَا
يُؤْذِيهِ، فَيَخْرُجُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَاتِحًا فَاهَ^(٣)، طَالِبًا لِلرَّاحَةِ، فَيَأْتِي طَائِرٌ فَيَنْقُرُ مَا
بَيْنَ أَسْنَانِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ رِزْقًا لِلطَّائِرِ، وَتَرْوِيحًا عَنِ التَّمْسَاحِ.

هَذِهِ الْخُلْدُ^(٤) دَوِيبَةٌ عَمِيَاءٌ قَدْ أَلْهِمَتْ وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَى الْقُوَّةِ أَنْ تَفْتَحَ
فَاهَهَا، فَيَسْقُطُ الذَّبَابُ فِيهِ فَتَتَنَاوَلُ مِنْهُ.

هَذِهِ الْأَطْيَارُ تَتَرْتَّمُ طَوْلَ النَّهَارِ، فَيُقَالُ لِلضَّفْدَعِ: مَا لَكَ لَا تَنْطَقِينَ؟!

فَتَقُولُ: مَعَ صَوْتِ الْهَزَازِ يُسْتَبَشَعُ صَوْتِي، فَيَقَالُ: هَذَا اللَّيْلُ بِحُكْمِكَ «أَنَا
عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ».

لَمَّا خُلِقَ الْأَخْرَسُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ سُلِبَ السَّمْعُ لثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَا يَكْرَهُ، وَلَا
يُمْكِنُهُ الْجَوَابُ، فَكُلُّ أَخْرَسٍ أَطْرُوشٌ^(٥).

(١) بهرج: زائف.

(٢) قال في (كشف الخفاء: ٢٠٣/١): ذكره الغزالي في (البداية) بلفظ: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» ولا أصل له في المرفوع، وقال المناوي في (فيض القدير): جاء في بعض الكتب الإلهية.

(٣) فاه: أي فمه.

(٤) الخلد: نوع من الجرذان خلقت عمياء تسكن الغلوات.

(٥) الأطروش: الأصم.

لَمَّا تَوَلَّعَ الْجُذَامُ^(١) بِأَظْفَارِ أَصْحَابِهِ، صَعَبَ عَلَيْهِمُ الْحَكُّ فَمُنِعَ مِنْهُمْ الْقَمَلُ، فَلَيْسَ فِي ثِيَابِ الْمَجْذُومِينَ قَمَلَةٌ، سَبْحَانَ مَنْ هَذَا لُطْفُهُ.

سَبْحَانَ مَنْ لَا يَعْطِفُ عَنَّا^(٢) عَطْفَهُ، تَكَلَّفْتُ خَوَاطِرَ أَيْسَتْ بِغَيْرِكَ، عَدِمْتُ قَلْبًا يُحِبُّ سِوَاكَ :

لَا أَذَاقَ اللَّهِ عَيْنًا أَبْصَرْتُ بَعْدَكُمْ - يَا قُوْتَ^(٣) رُوحِي - وَسْنَا^(٤)
لَا وَلَا كَانَتْ قُلُوبٌ سَكَنَتْ عِنْدَ ذِكْرَاكُمْ وَلَا نَالَتْ مُنَى
إِلَهِي أَدَلَّنَا^(٥) مِنْ نَفُوسِنَا الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ أَعْدَائِنَا مِنَّا، وَأَعْظَمُهُمْ نَكَايَةً فِينَا.

إِلَهِي تَلَاعَبْتُ خَوَادِعَ آمَالِنَا بِيَضَائِعِ أَعْمَارِنَا فَصَرْنَا مَفَالَيْسَ، أَغَارَتْ عَلَيْنَا خِيُولُ الْهَوَى فَاسْتَأْسَرْتَنَا بِأَسْرِنَا^(٦)، وَأَوْثَقْتَنَا فِي أَسْرِنَا، وَرَمَتْنا فِي مَطَامِيرِ طَرْدِنَا^(٧).

فِيَا مَالِكَ الْمُلْكِ أَنْقِذْ حَيِّسَنَا، وَخَلِّصْ أَسِيرَنَا، وَسَيِّرْ أَوْبَتَنَا مِنْ بِلَادِ غَرْبَتِنَا،
كَمْ عُذْنَا مَرِيضًا وَمَا عُذْنَا! كَمْ رَأَيْنَا الْأَلْحَادَ^(٨) تُبْنِي وَمَا تُبْنِي^(٩)! كَمْ أَبْصَرْنَا وَمَا
أَقْصَرْنَا^(١٠)! وَانْتَهَيْنَا وَمَا انْتَهَيْنَا^(١١)! كَمْ بَادَرْنَا إِلَى مَا يَضُرُّنَا، وَانْتَهَيْنَا وَمَا هَبْنَا!
يَا مَلَاذَ الْعَارِفِينَ! يَا مَعَاذَ الْخَائِفِينَ! خُذْ بِيَدِي مَنْ قَدْ زَلَّتْ قَدَمُ فُطْنَتِهِ فِي مَزَلَقِ
فُتْنَتِهِ، أَقِمْ مَنْ قَعَدَ بِهِ سُوءُ عَمَلِهِ.

(١) الجذام: مرض جلدي خطير حذر منه رسول الله ﷺ؛ إذ جاء عنه: «فر من المجذوم فرارك من الأسد».

(٢) لا يعطف عنا: لا يصرف عنا.

(٣) القوت: المسكة من الرزق، وقد جعل المحبوب قوت روحه، وناداه بذلك.

(٤) وسنا: النوم.

(٥) أدلنا من نفوسنا: انصرنا عليها، من أدال إدالة.

(٦) بأسرنا: أي كلنا.

(٧) مطامير طردنا: أي سجون الإبعاد والقطيعة.

(٨) الألحاد: جمع لحد: الشق في جانب القبر.

(٩) ما تبنا: من التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

(١٠) أقصرنا: يقال: أقصر عن الشيء: أمسك عنه مع القدرة عليه.

(١١) انتهينا الأولى: فنيت أعمارنا. وانتهينا الثانية: لم تنته عما نهينا عنه.

كم أشكو وأين نفع الشكوى قد قلّ تصبّري وحلّ البلوى
ما لي جلدٌ على جفاهم يقوى أهوى قلقي إذا جفا من أهوى

يا مَنْ أصلح السّخرة فجعلهم برّة، جاؤوا يحاربون، وخلع الصّلع قد
هَيْت^(١)، وتيجان الرضا قد رُصّعت، وشراب الوصال يروّق^(٢)، فمدّوا أيديهم
إلى ما اعتصروا من خمر الهوى، فإذا به قد استحالَ خلّاً، فأفطروا عليه.

وا عجباً لسكاري من شراب الحبّ عزّبت عليهم المحبة، فصلّبوا في
جذوع النخل، ارتقى سلطانُ عزّمتهم إلى سماوات قلوبهم ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ
أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢].

وا عجباً لعزم صلب ما هاله الصّلب، لا تتعرّض بنار المحبة إلا أن يكون
قلبك جلد السمندل^(٣) أو صبر الفراش.

يا هذا! الاحتراق على قدر الاشتياق، لما اشتدّ شوق الفراش إلى النار،
تعجّل احتراقه، وهجم يبتغي الوصال فصال عليه المحبوب.

لاذّ بهم يشتكي جواؤه فلم يجد في الهوى ملاذاً
ولم يزل ضارِعاً إليهم تهطّل أجفانه رذاذاً
فقرئوه فحادّوه وأتلفوه فكان ماذا؟

لما علم المحبّون أنّ الصبر محبوب المحبوب شقّروا لحمل البلاء، ثم
حلّ^(٤) لهم فعدّوه نعمة.

سقمي في الحبّ عافيتي ووجودي في الهوى عَدَمي
وعذاب ترتضون به في فيمي أخلّي من النعم
كان الربيع بن خثيم يقول في شدة مرضه: ما أحبُّ أن الله نقصني منه قلامة
ظفر.

(١) في (ب): خبت.

(٢) يروّق: يصفى.

(٣) السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر.

(٤) حلّ: من الحلاوة، أي: صار البلاء حلواً.

مَرَضُ الْحُبِّ شَفَائِي فِي الْهَوَى	كَلَّمَا أَكْرَبَنِي أَطْرَبَنِي
فَبَقَائِي مِنْ فَنَائِي فِيكُمْ	وَسُرُورِي مِنْكُمْ فِي حَزَنِي
وَشَرِبْتُمْ بِوَصَالِ مُهْجَتِي	وَأَنَا مُتَظَرُّ لِّلثَمَنِ
كَيْفَ أَرْجُو الْبُرءَ مِنْ دَاءِ الْهَوَى	وَطَبِيبِي فِي الْهَوَى أَمْرَضَنِي
وَإِذَا الْبَلَوَى أَفَادَتْ قُرْبَكُمْ	فَمَنْ التَّعْمَى دَوَامُ الْمِخْنِ

إخواني! لَسْنَا مِنْ رِجَالِ الْبَلَاءِ، فَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، يُضَيِّقُ الْخِنَاقُ عَلَى الْمُحِبِّ، وَيُمْنَعُ مِنَ التَّنَفُّسِ «لَنْ قَلَّتْ: آه، لَأَمْحُوْنُكَ».

الْحُبُّ يَقُولُ لَا تُشِغْ أَسْرَارِي	وَالذَّمُّ يُسِيلُ هَاتِكَا أَسْتَارِي
فَالشُّوقُ يَزِيدُنِي عَلَى الْمِقْدَارِ	وَإِنِّي إِذْ مِنْ الْهَوَى وَانَارِي



الفَصْلُ الحَادِي وَالْثَمَانُونَ

يا مَنْ أنفاسُهُ عليه معدودة، وأبوابُ الثُّقى في وجهه مسدودة، وأعمالُهُ
بالرياء والنفاق مردودة، غيرَ أنَّ محبةَ التفريطِ معه مَوْلُودَةٌ.

حياتُكَ أنفاسُ تُعَدُّ فَكُلَّمَا مضى نَفْسٌ منها انتَقَصَتْ بِهِ جُزْءٌ
فتَصَبَّحُ في نَقْصٍ وتُمْسِي بِمِثْلِهِ أما لَكَ معقُولٌ تُحَسُّ بِهِ رُزْءٌ^(١)
يُمِيتُكَ ما يُحْيِيكَ في كُلِّ سَاعَةٍ ويخدوكَ حادٍ ما يُريدُ بِكَ الهُزْءَ

كم أَسْرَعْتَ في ما يؤذي دينَكَ ودَأْبْتَ! كم خَرَّفْتَ ثوبَ إيمانِكَ وما
رَأَيْتَ^(٢)! كم فَرَّقْتَ قلبَكَ وما شَعِبْتَ^(٣)! كم فاتَكَ من خيرٍ وما اكتأبتَ!

يا كاسِبَ الخطايا! بَشَسَ ما كَسَبْتَ، جمعتَ جُمْلَةً من حسناتِكَ ثم اغْتَبْتَ،
وحِصَنَ دينَكَ ثَلَمْتَ لَمَّا ثَلَمْتَ^(٤)، وأنتَ الذي بَدَّدْتَ^(٥) ما حَلَبْتَ، إنْ لَاحَ لَكَ
أخوكَ عِنتَهُ، وإنْ لَاحَى^(٦) سَبَيْتَهُ.

يا عَقْرَبَ الأذى كَمْ لَدَغْتَ! كم لَسَبْتَ^(٧)؟ تَعْلَمُ أَنَّ مولاكَ يراك وما تَأْدَبْتَ!
تؤثرُ ما يَبْقَى على ما يَبْقَى! ما أَصَبْتَ، تصبحُ تائِباً فإذا أَمْسَيْتَ كَذَبْتَ، تَمْشِي مع
اليقين فإذا قَارَبْتَ انْقَلَبْتَ، تَعْمُرُ ما لا يَبْقَى وما يَبْقَى خَرَّبْتَ، تَأْنِسُ بالدُّنيا
وغرورها وقد جَرَّبْتَ.

(١) رُزْءٌ: مصيبة.

(٢) رَأَيْتَ: من رَأَى، أي: لَامَ وأَصْلَحَ.

(٣) شَعِبْتَ: أي ما أَصْلَحْتَ صَدَعَهُ.

(٤) ثَلَمْتَ: ثَلَمَ الشيء: أَحْدَثَ فِيهِ شَقًّا، ثَلَبْتَ: أي عَبْتَ وانتَقَصْتَ.

(٥) بَدَّدْتَ: فَرَقْتَ.

(٦) لَاحَ: ظَهَرَ، وَلَاحَى: نَازَعَ وَخَاصَمَ.

(٧) لَسَبْتَ: لَسَعْتَ.

كَأَنَّكَ بِكَ فِي الْقَبْرِ تَبْكِي مَا كَسَبْتَ ، لَقَدْ حَسِبْتَ حَسَاباً كَثِيراً وَهَذَا مَا حَسِبْتَ .

يا واديَّ الشَّيْخِ ! كَيْفَ يُقَالُ لَوْ أَغْشَبْتَ ١٩ .

يا هَذَا ! أَكْبَرُ الْإِنْعَامِ عَلَيْكَ ، كَيْفَ كَفَّ^(١) فَضُولَ الدُّنْيَا عَنْكَ .

إِذَا رَأَيْتَ سِرْبَالَ^(٢) الدُّنْيَا قَدْ تَقَلَّصَ^(٣) فَاعْلَمْ أَنَّه قَدْ لُطِفَ بِكَ ، لِأَنَّ الْمُنْعَمَ لَمْ يُقْلَصْهُ عَلَيْكَ بَخْلاً أَنْ يَتَمَزَّقَ ، لَكِنْ رِيفَقاً بِالْمَاشِي أَنْ يَتَعَثَّرَ ، أُخْرِجَ عَنْ الْحَرَامِ بِنَزْعِ مَخِيطِ الْهَوَى ، لَعَلَّ جَذَبَ الْقَدَرِ يَقَارُنُ ضَعْفَ كَسْبِكَ .

إِنَّ الْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ الْحَقَّ الْعَاجِزَ بِالْحَازِمِ

يَا تَائِهَةً فِي فَلَاةِ الْغَفَلَاتِ ، أُغْلُ بِأَقْدَامِ الزُّهْدِ نَشْرَ^(٤) الْفَكْرِ ، تَلْخُ لَكَ الْبَلْدُ .

وَيَحْكُ ! تَرْكِبُ الْبَحَارِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا أُمِرْتَ بِخَيْرٍ قُلْتَ : إِنْ وَفَّقَنِي .

أَصَمَّ اللَّهُ سَمْعَ الْهَوَى فَمَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا يَرِيدُ .

يَا مَلُولاً كُلَّمَا ثُقِفَ^(٥) بِالْعَذْلِ^(٦) التَّوَى^(٧)

عَتَباً تَطْلُبُ فِي فَاالْوُذْجِ^(٨) الْهَوَى نَوَى

مَا أَحْسَنَ قَوْلَكَ ! وَمَا أَقْبَحَ فَعْلَكَ ! كَمْ يَشْكُو حَزِيرَانُ^(٩) نُطْقَكَ مِنْ

(١) كَفَّ : مَنَعَ .

(٢) سِرْبَال : كُلُّ مَا يُلْبَسُ .

(٣) تَقَلَّصَ : قَصُرَ .

(٤) نَشْرَ : الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ .

(٥) ثُقِفَ : قُوِّمَ .

(٦) الْعَذْلُ : اللَّوْمُ .

(٧) التَّوَى : اعْوَجَّ .

(٨) فَاالْوُذْجُ : نَوْعٌ مِنَ الْحُلَى .

(٩) حَزِيرَانُ نَطَقَكَ : الشَّهْرُ السَّادِسُ مِنَ الشُّهُورِ الْمِيلَادِيَّةِ وَفِيهِ شِدَّةُ الْحَرِّ ، نَطَقَكَ :

لِسَانِكَ ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الشُّكْرِ .

كانون^(١) عزيمك ! .

ويحك ! بادِرْ دُرَّ الأرياح ما دام يُشتر، فسينادي عن قليل : «يا سماء
أقلعي» ، أتَحَسَبُ تحصيلَ المعالي سهلاً؟ ! نيلُ سُهَيْلٍ^(٢) أسهلُّ، مَنْ أدلجَ في ليلِ
الصبرِ فاتَ المَكَّاسُ^(٣) ، يا مَنْ يتعبُ في التعبِ ولا يجدُ له لَذَّةً، أَنْتَ بعدُ في سوادِ
البلدِ^(٤) ، اخرجْ إلى الباديةِ تجدُ نسيمَ نَجْدٍ .

الاعتبارُ عندنا بالأعمالِ القَلْبِيَّةِ .

غَلَبَتْ حراراتُ الخوفِ قلبَ داودَ فصارَ كَفَّهُ كَيْراً ﴿وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبا :
١٠] ، وقويت روحانية محمد ﷺ فنبعَ الماءُ من بين أصابعه .

لولا مدامُ عُشاقٍ ولوعُتهم لبانَ في النَّاسِ عِرُّ الماءِ والنارِ
فكلُّ نارٍ فَمِنْ أنفاسِهِمْ قَدَحَتْ وكلُّ ماءٍ فَمِنْ طَرَفٍ لَهُمْ جَارٍ

أيُّها المُصَلِّي ! طَهِّرْ سِرَّكَ قبلَ الطُّهورِ^(٥) ، وفَتِّشْ على قلبِكَ الضائعِ قبلَ
الشروعِ ، حضورُ القلبِ أوَّلُ منزلٍ ، فإذا نَزَلَتْهُ انتَقَلَتْ إلى باديةِ المعنى ، فإذا
انتَقَلَتْ عنها أُنْحَتَ بِيابِ المُنَاجَى ، وأولُ قَرَى^(٦) الضيفِ اليَقِظِ كَشْفُ الحجابِ
لعينِ القلبِ ، وكيفَ يَطْمَعُ في دخولِ مَكَّةَ منقطعاً قبلَ الكوفةِ .

هَمُّكَ في الصلاةِ مُتَشَبِّثٌ^(٧) ، وقلْبُكَ بمساكنةِ الهوى متَلَبِّثٌ ، ومن كان
متَلَطِّخاً بالأقدارِ لا يُغْلَفُ ، أُدْخِلْ دارَ الخلوةِ لِمَنْ تُنَاجِي ، وأخْضِرْ قلبَكَ لفهمِ ما
تتلو ، ففي خَلَوَاتِ التلاوةِ تُرَفُّ أبكارُ المعاني ، إذا كانت مشاهدةً مخلوقِ يومَ

(١) كانون عزيمك : كانون : الشهر الثاني عشر من الشهور الميلادية ، وفيه شدة البرد ،
عزيمك : همتك ، وفيه كناية عن فتور العزم .

(٢) سهيل : نجم عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ .

(٣) المكاس : من المكس : وهو جامع الضرائب .

(٤) سواد البلد : قراها .

(٥) الطهور : مصدر بمعنى التطهر واسم لما يُتَطَهَّرُ به .

(٦) قرى : طعام الضيف .

(٧) متشبث : متعلق .

﴿ أَخْرِجْ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف : ٣١] استغرقت إحساس الناظرات ﴿ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف : ٣١] ؛ فكيف بالباب عُلِقَتْ فَعُقِلَتْ على الباب ؟ ١٩ .

لها بوجهك نورٌ تستضيء به ومن نوالك في أعقابها حادٍ
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزادِ
لو أحببت المخدمَ لحضرَ قلبك في الخدمة .

ويحك ! هذا الحديدُ يعشقُ المغناطيس ، فكيف ما التفتت التفت ، إن كنت
ما رأيت هذا الحجر فانظر إلى الحرايبي^(١) تواجه الشمس فكيف مالت قابلتها .
(للشريف الرضي)^(٢) :

وإني إذا اصطكت رقابُ مطيكم ونورَ حادٍ بالرفاقِ عجولُ
أخالفُ بين الراحتين على الحشى وأنظرُ أنى ملثمٌ فأميلُ

قيل (لعامر بن عبد قيس) : أما تسهو في صلاتك ؟ .

قال : أوحديثُ أحب إليَّ من القرآن حتى اشتغل به ؟ ١٩ .

هيهات ! مناجاةُ الحبيبِ تستغرقُ الإحساس .

كان (مسلم بن يسار) لا يلتفت في صلاته ، ولقد انهدمت ناحية من
المسجد فزع لها أهل السوق فما التفت ، وكان إذا دخل منزله سكت أهل بيته ،
فإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا علماً منهم أن قلبه مشغول .

وكان يقول في مناجاته : إلهي ! متى ألقاك وأنت عني راضي .

إذا اشتغلَ اللاهونَ عنك بشغلهم جعلتُ اشتغالي فيك يا مُنتهى شغلي
فَمَنْ لي بأن ألقاك في ساعة الرضا ومَنْ لي بأن ألقاك والكلُّ لي مَنْ لي ؟

كان (القُضيل) يقول : أفرح بالليل لمناجاة ربي ، وأكره النهارَ للقاء الخلق .

(١) الحرايبي : جمع حرباء : دوية تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون ألواناً .

(٢) من شعره في النسيب . انظر : الديوان : ٢ / ٢٢٠ .

الموتُ ولا فراقَ مَنْ أهواهُ هذي كَيْدي تَذوبُ مِنْ ذِكْراهُ
واشوقي مَتى تُرى ألقاهُ ما مَقْصودي مِنَ المُنَى إلا هو

كان (أبو يزيد) يقول : وَدِدْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ حِسَابَ الخَلْقِ عَلَيَّ .

قيل : لماذا؟ .

قال : لعلَّه يقول في خلال ذلك : يا عبدي . فأقول : لييك ، ثم لِيَضْنَعُ
بي ما شاء .

هل الطَّرْفُ يُعْطِي نَظْرَةً مِنْ حَبِيبِهِ أم القلبُ يَلْقَى رَوْحَةً مِنْ وَجِيبِهِ
وهل لِلْيَالِي عَظْفَةٌ بَعْدَ نَفْرَةٍ تَعُودُ فَتُلْهِي نَاضِراً عَنْ غُرُوبِهِ
أَجِزْ إِلَى نَوْرِ^(١) الرُّبَى فِي بَطَاحِهِ وأظْمَأْ إِلَى رَيَا اللُّوى^(٢) فِي هُبُوبِهِ
وذاك الحِمَى يَغْدُو عَلِيلاً نَسِيمُهُ وَيُنْسي صَاحِباً ماؤُهُ فِي قَلْبِهِ
هو الشَّوْقُ مَدْلُولٌ عَلَى مَقْتَلِ الْفَتَى إِذَا لَمْ يَعُدْ قَلْباً يَلْقِيا حَبِيبِهِ

يا واقفاً في صلاته بجسده والقلب غائب ، ما يصلح ما بذلته من التَّعَبُّدِ مهراً
للجنة ، فكيف يصلح ثمناً للمحبة ؟ ١٩ .

رأتْ فَاَرَةً جَمَلاً فَأَعْجَبَهَا ، فَجَرَّتْ خِطَامَهُ فَتَبِعَهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ بَيْنِهَا
وَقَفَ ، وَنَادَى بِلِسَانِ الْحَالِ : إِمَّا أَنْ تَتَّخِذِي دَاراً يَلِيقُ بِمَحْبُوبِكَ ، أَوْ مَحْبُوباً يَلِيقُ
بِدَارِكَ .

خُذْ هَذِهِ إِشَارَةً إِمَّا أَنْ تَصْلِي صَلاةَ تَلِيقٍ بِمَعْبُودِكَ ، أَوْ تَتَّخِذِ مَعْبُوداً يَلِيقُ
بِصَلَاتِكَ .

* * *

(١) النُّور : بفتح النون ؛ الزهر .

(٢) اللوى : منقطع الرمل ، والجدد بعد الرملة .

الفصل الثاني والبعشرون

عجباً لمن رأى فعل الموتِ بصحبه ثم ينسى قربَ نَحْبِهِ^(١)، واستبداله ضيقَ المكانِ بعد رَحْبِهِ، مَنْ لم ينتبه بِوَكْزِهِ فسيُتَبِّه بِسَخْبِهِ :

ما لبني الدُّنيا غَدَوَا	أهل ضلالٍ وعمّة ^(٢)
بصيرُهم مِنْ جَهْلِهِ	كأَنَّهُ جُلْفُ كَمَةٍ ^(٣)
أَنْتَ مَقِيمٌ سَائِرُ	فلا تَقُلْ لِمِ وَلَمَةٍ
ولا تُكَلِّمْ أَحَدَا	في غَيْرِ بِرٍّ كَلَمَةٍ
فكُلُّ مُعْطَى مَهْلٍ	أوقائِهِ مُنْصَرِمَةٍ
ولا تَدُومُ للفتى	شُرُوءُهُ المنتظَمَةِ
يأتي على الأرضِ مَدَى	وما عليها نَسَمَةٍ ^(٤)
ضاقَ رَحِيبُ العَمْرِ عَنْ	حاجاتنا المزدجَمَةِ

أين الأقران ؟ أين سلكوا ؟ تالله لقد فنوا وهلكوا، اجتمع الأضدادُ في الأحادِ واشتركوا، وخانهم حبلُ الأملِ بعدما امتسكوا، ونُوقشوا على ما خَلُفُوا وتركوا، وصارَ غايةَ الأمانِ أن لو تُرِكُوا.

تالله لقد سَعِدَ مَنْ تَدَبَّرَ، وَسَلِمَ من الأذى من تَصَبَّرَ، وهلك مؤثرُ الهوى وأدبر، فكأنكم بالفراقِ يا رُغَابَ المَعْبَرِ.

يا نائماً في لَهْوِهِ وما نام الحافظُ، لاحظْ نورَ الهدى فلا حظَّ إلا لِمُلاحِظٍ، ولا تَغْتَرَّ بِبَرْدِ العيشِ^(٥) فزمانُ الحسابِ قايظُ، يا مُدْبِراً أمرَ دُنْيَاهُ ينسى أخراهُ فخف

(١) نَحْبِهِ : يقال : قضى نَحْبَهُ، أي : مات.

(٢) العمّة : التردد في الضلال، والتحير في منازعة أو طريق أو أن لا يعرف الحجة.

(٣) الكمة : العمى يولد به الإنسان.

(٤) نسمة : إنسان.

(٥) برد العيش : سعته.

النداء اللافت^(١)، وعجائب الدنيا تُغني عن وعظ كل واعظ.

يا مَنْ قد رأينا يدَ التفريط قد وَلَعَتْ به، فأتينا لِلْوَمه وَلِعْتِه، أما مصيرُ
السلف نذيرُ الخلف، أما مهدُ الطُّفلِ عنوانُ اللُّحدِ، يا مَنْ لَمَعَ له سرابُ الأملِ،
فبَدَدَ ماءَ الاحتياطِ، أَتَرَكَ ما عَلِمْتَ أَنَّ الأمانِيَّ قِمَارٌ^(٢)، مَدَّ نَهْرُ الهوى وقلْبُكَ
على الشاطئِ، فمرَّ به، صُمَّ مَسْمَعُ اليقظةِ فَصَمَّمَتْ على الزَّلَلِ، أَكَلُ الزمانِ
﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]؟ أما تقع في يوم ﴿فَأَسْتَقْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]؟.

الورعُ عن الذنوبِ يُوجبُ قوةَ قلبية. قال بعضُ السَّلفِ: ارتكبتُ صغيرةً،
فغضبَ عليَّ قلبي، فلم يرجع إليَّ إلا بعدَ سنة.

إخواني! إطلاقُ البصرِ سيفٌ يقعُ في الضارب:

يا للرجالِ لنظرةِ سفَكَتْ دماً ولِحادثٍ لَمْ أَلْقِه مُسْتَسْلِماً
وأرى السهامَ تؤمُّ^(٣) مَنْ يرمى بها فعلامَ سَهْمِ اللَّخْظِ يُضْمِي^(٤) مَنْ رَمَى

المحرّماتِ حَرَمٌ، ونَظَرُ المملوكِ إلى حرمِ المالكِ مِنْ أَقْبَحِ الخِيَانَةِ.
يا بني آدم! تَلَمَّحُوا تأثيرَ ﴿وَعَصَى﴾ [طه: ١٢١]، لقمةٌ أَثَرَتْ إن عَثَرَتْ،
فَعَرِيَ المُكْتَسِبِ، ونَزَلَ العَالِي، وبكى الضاحك، وقامَ المترَفُّ يخدمُ نفسه،
فاشْتَدَّ بكاؤُه، فنزل جبريلُ يُسْلِيه، فزاد برويَّتِه وَجْدُهُ.
(للشريف الرضي)^(٥):

رأى على الغورِ وَمِئْضاً فاشتاق ما أَجْلَبَ البرقَ لماءِ الآفاقِ
ما للوميضِ والفؤادِ الخَفَّاقِ قد ذاقَ مِنْ بَيْنِ الخليطِ ما ذاقَ
داءُ غرامٍ ماله من إفراقِ قد كَلَّ آسِيهِ وَقَدْ مَلَّ الراقِ

(١) النداء اللافت: صيحة الصور التي يُلَفِّظُ بها الأمواتُ من قبورهم.

(٢) قمار: كل لعب فيه مراعاة.

(٣) تؤم: تقصد.

(٤) يُضْمِي: من أصمى الرمية: أنفذ فيها السهم.

(٥) مطلع قصيدة يهنئ فيها الملك قوام الدين بالنيروز سنة (٤٠١هـ). انظر: ديوان
شعره: ٤٢/٢-٤٥.

قلبي وطرفي من جوى وإملاق في غرقٍ ما ينقضي وإحراق^(١)
يا ناق^(٢) أذاك المؤذي يا ناق ماذا المقام والفؤاد قد تاق^(٣)

هل حاجة المأسور إلا الإطلاق

كان آدم كلما عاين الملائكة تصعد إلى السماء وجناحه قد قص زاد قلقه .

وأصبحث كالبازي المنقب ريشه يرى حشرات كلما طار طائر
يرى خارقات الجو يخرقن في الهوى فيذكر ريشاً من جناحيه وافر
وقد كان دهرأ في الرياض منعماً على كل ما يهوى من الصيد قاذر
إلى أن أصابته من الدهر نكبة فأصبح مقصوص الجناحين حاسر

أعظم البلايا تردد الركب إلى بلد الحبيب يودعون عند فراقهم الزمين^(٤) :

ولم يبق عندي للهوى غير أنني إذا الركب مروا بي على الدار أشهق
كانت الملائكة إذا نزلت إليه ، استنشق ريح الوصال من ثياب الواصلين ،
وتعرف أخبار الديار من نسيمات القاصدين .

خبراني عن العقيق خبيراً أنتما بالعقيق أحدث عهداً
يا ناقضي العهود! دوّموا على البكاء ، فمن أشبه أباه فما ظلم .

(١) جاء في الديوان تكملة الشطر : الهالك عن ليل السرى والإعناق .

(٢) يا ناق : نداء مرخم على لغة من ينتظر إذا قلت : يا ناق ، وعلى لغة من لا ينتظر إذا قلت : يا ناق . وللترخيم حذف الحرف الأخير ، وهو هنا التاء المربوطة من المنادى ، فكان «ناقة» وصار «ناق» ثم تنقل علامة الإعراب إلى القاف ، وهي (الضمة) أو تبقى الفتحة على ما قبل التاء المحذوفة .

(٣) تاق : اشتاق .

وهذا البيت لم يذكر في القصيدة الواردة في الديوان لكن جاء على الشكل التالي :

من منصفني من الملوك المذاق قلبي وطرفي من جوى وإقلاق
في غرق ما ينقضي وإحراق يضرني حتى بالخيال الطراق

(٤) الزمين : المقتد .

كانت عابدة من أحسن النساء عيناً، فأخذت في البكاء، فقيل لها: تذهب عيناك!.

فقلت: إن يكن لي عند الله خيرٌ فسيُبدلني خيراً منهما، وإن تكن الأخرى فوالله لا أحزنُ عليهما.
(للمتبي) (١):

قد علّمَ البينُ منا البينَ أجفانا تدمى وألّفَ في ذا القلبِ أحزانا
قد كنتُ أشفقُ من دَمعي على بصري فالיוםَ كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا
تُهدي البوارقُ أخلافَ المياهِ لكم وللمحبِّ من التذكارِ نيرانا

من سعى إلى جنابِ العزِّ بأقدامِ المسكنة، ووقفَ ببابِ الكرمِ على أخصِ
المسألة، ووصفَ ندمه على الذنبِ بعبارةِ الدُّلِّ، لم يُعُدْ بالخيبة.

ملكْتُمُ قلبي فمما لي عنكم مُنْصَرَفُ
فَوُدُّكُمْ مِنْهُ مَكَا نَ كِبْدي أو الطَّفْ
فلا بَرى وجدي بكم ولا أَفْراقَ الشَّغْفِ
[لسْتُ وإن أعرضْتُمُ أَيْسُ مَنْ أن تعطفوا] (٢)
وصبرُ يعقوبَ معي حتّى يُردَّ يوسُفُ

يا معاشِرَ التائبين (٣)! اسمعُوا وصيّي، إذا قُمْتُم من المجلس فادخلوا دارَ
الخلوة، وشاورُوا نصيحَ الفكر، وحاسبوا شريكَ الخيانة، وتلمَّحُوا تفريطَ
التواني في بضاعةِ العمر، ويكفي ما قد مضى، فليحذر الأعورُ الحَجَرَ.

إذ نَقِيَ خاطرُ المذكَرِ من دَغَلٍ (٤) هوى، وصُفِّي مَعِينُ معنى كلامه من كدر
طَمَعٍ، انكشفَ الغشاءُ عن عينه، فرأى بالفِطنة موضعَ قُطْنةٍ مَرَّهمِ العافية، فرئى

(١) مطلع قصيدة يمدح فيها أخاه أبا سهل. انظر: الديوان، ص ١٦٧.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ب): المذنبين.

(٤) دغل: مثل الدخل: الفساد.

حشائش الحِكم، ورُكِبَ فيها معاجينَ الشفاء، ففتحتْ سُدَدَ الكَسَلِ، واستفرغتْ
أخلاطَ الشواغل.

فأما مجتَلِبُ الدنيا بنطِقِهِ، فإنه كُلُّما حَفَرَ قَلِيبَ قلبه، فأمعنَ لاستنباطِ معنى
طَمِّ الطمَعِ، إذا صَدَرَ العلمُ من عاملٍ به كان كالعربية يَنْطِقُ به البدويُّ، وأحلى
أبياتِ الشَّعْرِ ما أخرجَ من أبياتِ الشَّعْرِ.

جَمَعْتُ بين الكتاب والسُّنة، ففتحا لي هذه المعاني، فهي تنادي السامعين
«وُلِدْتُ مِنْ نِكَاحٍ لَا مِنْ سِفَاحٍ»^(١).

ومن جَمَعَ بين الجهل والبدعة هذى الهذيان، فكلامه في مرتبة ابن زانية.
إذا فَتَحَتْ الوردَةُ عَيْنَهَا رَأَتْ الشُّوكَ حَوْلَهَا، فلتصبرْ على مجاورته قليلاً،
فوحدها تُجَتِّنِي وتُقَبِّلُ.

واعجباً لألفاظي وعملها، بطلَ السحرُ عندها، كلُّ المذكرين رَجَالَةٌ وأنا
فارس، أخرج إلى المعاني في كمينٍ، فأصيدها لا بأخْبُولَةٍ، إذا حَضَرْتُ ملكْتُ
العيونَ، وإذا غِبْتُ اسْتَرْهَنْتُ القلوبَ.
(لمهيار)^(٢)؛

طَرَفُ نَجْدِيَّةٍ وَظَرْفُ ^(٣) عِرَاقِي	أَيُّ كَاسٍ يَدِيرُهَا أَيُّ سَاقِ
سَنَحَتْ وَالْقُلُوبُ مَطلَقَةٌ تَرعى	غَابَتْ ^(٤) وَكُلُّهَا فِي وِثَاقِ
لَمْ تَزَلْ تَخْدَعُ الْعَيُونََ إِلَى أَنْ	عَلَّقْتُ دَمْعَةً عَلَى كُلِّ مَاقِ



(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِلَفْظٍ: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ لَا مِنْ سِفَاحٍ» فِي الدَّلَائِلِ، عَنْ أَنَسٍ: ١/١١٨،
وَابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ: ٢/٢٥٥، وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا.

(٢) مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي تَهْنِئَةِ نَقِيبِ النِّقْبَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ بِعَقْدِ النِّكَاحِ. انْظُرْ: دِيْوَانُ شَعْرِهِ:
٢/٢٩٠.

(٣) ظَرْفٌ: الْحَسَنُ وَالْأَدَبُ وَالْكِياسُ.

(٤) فِي الدِّيْوَانِ: «وَعَاشَتْ» بَدَلًا مِنْ «غَابَتْ».

الفصل الثالث والثمانون

إخواني! أعجب العجائب أنَّ النقاد^(١) يخافون دخول البهرج في أموالهم، والمُبهرجُ آمن.

هذا الصديق رضي الله عنه يمسكُ لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وهذا عمر رضي الله عنه يقول: يا حذيفة! هل أنا منهم؟^(٢).
والمُخلطُ على بساط الأمن.

الناسكون يحاذرون	نَ وما يسيئوا
كانوا إذا رأوا كلاماً	مُطلقاً خطُّوا ورُموا
إن قيلت الفحشاء أو	ظهرت عَمُوا عنها وصَمُّوا
فمَضُّوا وجاءَ معاشِرُ	بالمُنكراتِ طَمُّوا وطُمُّوا ^(٣)
فهمٌ لطغَمٍ فاغَرُّ	يبدُّ على مالٍ تُضَمُّ
عدلوا عن الحسن الجميل	وللخنأ عمَدُوا وأثَمُوا
وإذا هم أَعَيْتَهُمْ	أعمالُهُمْ ^(٤) كذبوا وأثَمُوا
فالصدرُ يغلي بالهوا	جسٍ مثل ما يغلي المُحمُّ

لله دُرُّ أقوامٍ شغلهم حُبُّ مولاهم عن لذاتِ دنياهم، اسمع حديثهم إن كنتَ ما تراهم، وخوفهم قد أزعجَ وأقلقَ، وجذرهم قد أتلَفَ وأحرقَ، وحادي جذهم

(١) النقاد: من يعمل في الصرافة وبيع النقود.

(٢) أي: من المنافقين، إذ إنَّ النبي ﷺ أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، فلم يكن غيره يعرفهم.

(٣) طَمُّوا: خفوا وأسرعوا. طَمُّوا: أكثروا حتى غيروا بها.

(٤) في (ب): شنعاءهم.

مُجِدِّ لَا يَتَرَفَّقُ، كُلَّمَا رَأَى طُولَ الطَّرِيقِ نَصْرًا وَأَعْنَقَ^(١)، وَكَيْفَ يَحْسِنُ الْفَتُورَ
أَوْقَاتُ السَّلَامَةِ تُسْرِقُ؟ دُمُوعُهُمْ فِي أَنْهَارِ الْخُدُودِ تَجْرِي وَتَتَدَفَّقُ، يَشْتَاقُونَ إِلَى
الْحَبِيبِ، وَالْحَبِيبُ إِلَيْهِمْ أَشْوَقُ، يَا حُسْنَهُمْ فِي الدُّجَى وَنُورُهُمْ قَدْ أَشْرَقَ،
وَالْحَيَاءُ فَانْصُرْ وَالرَّأْسُ قَدْ أَطْرَقَ، وَالْأَسِيرُ يَتَلَطَّى وَيَتَرَجَّى أَنْ يُعْتَقَ.

إِذَا جُنَّ اللَّيْلُ تَغَالَبَ النَّوْمُ وَالسَّهَرُ، وَالْخَوْفُ وَالشَّوْقُ فِي مُقَدَّمِ عَسْكَرِ
الْبَقِظَةِ، وَالْكَسَلُ وَالتَّوَانِي فِي كَتِيبَةِ الْغَفْلَةِ، فَإِذَا حَمَلَ^(٢) الْعِزْمُ حَمْلًا عَلَى الْقِيَامِ
فَانْهَزَمَتْ جُنُودُ الْفَتُورِ، فَمَا يَطْلُعُ الْفَجْرُ إِلَّا وَقَدْ قَسِمَتِ الشُّهُمَانُ^(٣)، سَفَرُ اللَّيْلِ لَا
يَطِيقُهُ إِلَّا مُضْمَرُّ الْمَجَاعَةِ، النَّجَائِبُ فِي الْأَوَّلِ، وَحَامِلَاتُ الزَّادِ فِي الْآخِرِ.

قَامَ الْمَتَهَجِّدُونَ عَلَى أَقْدَامِ الْجِدِّ تَحْتَ سِتْرِ الدُّجَى يَبْكُونَ عَلَى زَمَانٍ ضَاعَ
فِي غَيْرِ الْوَصَالِ.

سَقُوا بِمِيَاهِ أَعْيُنِهِمْ هُنَاكَ الضَّالَّ وَالرَّئِذَا
بِأَنْفَاسٍ كَبْرَقٍ فِي أَنْيُنٍ يُشْبِهُ الرَّرْعَا

إِنْ نَامُوا تَوَسَّدُوا أَذْرَعَ الْهِمَمِ، وَإِنْ قَامُوا فَعَلَى أَقْدَامِ الْقَلْقِ، لَمَّا امْتَلَأَتْ
أَسْمَاعُهُمْ بِمَعَاتِبَةِ «كَذِبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي، فَإِذَا جَنَّةُ اللَّيْلِ نَامَ عَنِّي» حَلَفَتْ
أَجْفَانُهُمْ عَلَى جَفَاءِ النَّوْمِ.

إِنْ كَانَ رِضَاكُمْ فِي سَهْرِي فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَى وَسْنِي^(٤)

مَا زَالَتْ مَطَايَا السَّهْرِ تَذَرَعُ بِيَدِ^(٥) الدُّجَى، وَعَيُونَ أَمَالِهَا لَا تَرَى إِلَّا الْمَنْزَلَ،
وَحَادِي الْعِزْمِ يَقُولُ فِي إِنْشَادِهِ: يَا رِجَالَ اللَّيْلِ جُدُّوا، إِلَى أَنْ نَمَّ النَّسِيمُ بِالْفَجْرِ،
فَقَامَ الصَّارِخُ يَتَعَى الظَّلَامَ، فَلَمَّا هَمَّ اللَّيْلُ بِالرَّحِيلِ، تَشَبَّهُوا بِذِيْلِ السَّحَرِ.

(١) نص وأعنع: ضربان من السير.

(٢) حمل: أغار.

(٣) الشُّهُمَان: جمع سهم، وهو النصيب والقسم.

(٤) الوسن: شدة النوم أو أوله، أو النعاس.

(٥) تذرع: تسير وتقطع. بيد: جمع بيداء، وهي الصحراء.

فاستوقف العيسَ لي فلانَ على خَلَبٍ^(١) فؤادي تشدُّ أزحلها
إن دُثِرَتْ دارُها فما دُثِرَتْ منازلُ في القلوبِ تنزلها

قال علي بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوعُ الفجر.

لو قمتَ في السَّحَرِ لرأيتَ طريقَ العُبادِ قد عُصَّ بالزحام، لو وردت ماء
مدين، وجدتَ عليه أمةً من الناسِ يسقون.

بانوا وخُلِفْتُ أبكي في ديارهم قل للديار: سفاكِ الرائح الغادي
وقل لأظعانهم: حَيَّيتَ من ظعنٍ وقل لوادِيهم: حَيَّيتَ من وادٍ
يا بعيداً عنهم! يا مَنْ ليسَ منهم! ألك نيةٌ في لحاقهم؟ أَسْرِجْ كُمَيْتَكَ،
واجرُرْ زِمَامَكَ، يقف بك على المرعى.

يا مَنْ يَسْتَهْوِلُ أحوالَ القومِ! تَنَقَّلْ في المرافِئِ تَعْلُ.

قال أبو يزيد: ما زلتُ أسوقُ نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سُقْتُها وهي
تضحك.

(للمتنبي)^(٢):

ما زلتُ أَضْحِكُ إبلي كُلَّما نَظَرْتُ إلى من اختَضِبَتْ أخفافُها بدمٍ
مَنْ اقْتَضَى بِسِوَى الهندي حاجته أجابَ كلَّ سِوَالٍ عَنْ هَلٍ يَلَمُ

قال أبو يزيد: كنتُ اثنتي عشرة سنة حداد نفسي، وخمسين سنة مرآة قلبي،
ولقد أحببتُ اللهَ حتى أبغضتُ نفسي.

(للخفاجي):

نَوَّزَها ناشِطَةً عِقالَها قَدْ مَلَأَتْ مِنْ بَذَنِها جِلالَها
فلم تزلْ أشواقُها تسوقُها حتى رَمَتْ من الوَجَى رحالَها

(١) خَلَب: حجاب ما بين القلب والكبد.

(٢) من قصيدة قالها بعد خروجه من مصر عام (٣٥٢هـ). انظر: الديوان، ص ٥١٠-٥١٣.

ماذا على الناقة من غرامه
 أراد أن تشرب ماءً حاجر
 إن لها على القلوب ذمّة
 كانت لها على الصّبا تحية
 وامتدّت الفلاة دون خطوها
 فعلّوها بحديث حاجر
 لو أنّه أنصف أو رثى لها
 أريّها تطلب أم كلالها؟
 لأنّها قد عرفت بلبّالها
 أعجلها السائق أن تنالها
 كأنّها قد كرهت زوالها
 ولتصنع الفلاة ما بدا لها

* * *

الفصل الرابع والعشرون

إخواني! قد دنا رحيلكم، وقد بان سيلكم وسيهجركم خليلكم، وقد نصحكم دليلكم.

يا مقيمين ارحلوا للذهاب
نعموا هذه الأوجه الحسان
والبسوا ناعم الثياب ففي
قد نعتكم الأيام نعيًا صحيحاً
بشفير القبور حط الركاب
فما صتموها إلا لعفر^(١) التراب
الحفرة تعرفون عن جميع الثياب
بفراق الإخوان والأصحاب

تذكر يا من نسي^(٢) ركوب الجنازة، وتصور ما من مأوى في طول المفازة، ودع الدنيا مودعاً للحلاوة والمزاة^(٣)، ارقم من قلبك ذكر الجزاء على جزاة^(٤)، كم ظالم تعدى وجار، فما رعى الأهل ولا الجار، [حل به الموت فحل الأزار^(٥)، وأدبر عن الأوامر فأحاط به الإدبار^(٦)]، ودار عليه بالدوائر^(٨)، فأخرجه من الدار، وخلا بعمله ﴿ثَانِي أَشْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] ولكن لا ﴿فِي الْفَكَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، فانتبهوا فإنما هي جنة أو نار:

تَعَلَّقْتُ بِآمَالٍ طَوَالِ أَيِّ آمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا مُلِحّاً أَيِّ إِقْبَالٍ

(١) العفر: ظاهر التراب، والعفر كذلك.

(٢) في (ب): جنى.

(٣) المزاة: بين الحموضة والحلاوة.

(٤) جزاة: الوريقة تكتب فيها قطعة من صوف.

(٥) حل الأزار: كناية عن خلع الثياب المحيطة استعداداً للكفن.

(٦) الإدبار: الهزيمة.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) الدوائر: الدواهي.

فيا هذا تجهّز لـ فراق الأهل والمال
 فلا بدّ من الموت على حال من الحال
 يا من يحدثه الأمل فيستمتع، ويخوفه الأجل فلا يرتدع، وصل الصالحون
 إلى المنى يا منقطع، وجوزوا على صبرهم - إي والله - لم يضيع، تلمح العواقب
 فتلمحها للعقل وضع، كأنه ما جاع قط من شبع.
 إذا تلاقحت غروس المجاهدة تلاحقت ثمار المدائح.

أفلح قوم إذا دعوا وثبوا لا يخسبون الأخطار إن ركبوا
 سارون^(١) لا يسألون ما فعل الـ فجر، ولا كيف مالت الشهب
 عودهم هجرهم مطالبة الراحة أن يظفروا بما طلبوا
 أشراف الأوصاف أوصاف الأشراف، وسادات العادات عادات السادات،
 أحرار الشيم^(٢) شيم الأحرار، أقدموا على الفضائل وتأخرت، وقدموا الأهم
 وأخرت، الشجاع يلبس القلب على الدرع، والجبان يلبس الدرع على القلب.
 (للمتنبي)^(٣):

وتكاد الظبا^(٤) لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق
 وإذا أشفق الفوارس من وقع القنا^(٥) أشفقوا من الإشفاق
 ومعالي لو ادّعاها سواهم لزمت جنائبة الشراق
 لوخ للقوم فأجابوا، وكزّر الصياح بك وما تلتفت، إذا سمعوا موعظة
 غرست في قلوبهم نخيل العزائم، ونبات عزمك عند الزواجر كنبات الكشوثة^(٦)،
 كم بين ثلاثة الأثافي^(٧) وسادسة الأصابع! يغ باعاً من عيشك يفتر من حياتهم، لو

(١) سارون: جمع سار، والسرى: سير عامة الليل.

(٢) الشيم: جمع شيمة، وهي الطبيعة والميزة والعادة.

(٣) من قصيدة قالها يمدح بها أبا العشائر. انظر: الديوان، ص ٢٢٤-٢٢٧.

(٤) الظبا: جمع ظبة، وهي حدّ السيف والسنان والخنجر.

(٥) القنا: الرماح مفردها قناة.

(٦) الكشوثة: بالقصر وبالمد: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.

(٧) الأثافي: جمع أثفية: أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر، وثلاثة الأثافي: حرف
 الجبل يجعل إلى جنبه أثفيتان، ويقال: رماه بثلاثة الأثافي، أي: بدهية كالجبل.

صَدَقَ عَزْمُكَ قَدْ فَتَكَ دِيَارَ الْكَسَلِ إِلَى بَيْدَاءِ الطَّلَبِ ، كَانَ سَلْمَانُ أَعْجَمِيًّا فَلَمَّا سَمِعَ
بَنِيَّ عَرَبِيٍّ صَارَ بِدَوِيِّ الْقَلْبِ .

(لمهيار)^(١) :

وَلَقَدْ أَجِنُّ إِلَى زُرُودٍ وَطَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ مَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ زُرُودُ
وَيَشُوقُنِي عَجْفُ^(٢) الْحِجَازِ وَقَدْ ضَمًّا رَيْفُ الْعِرَاقِ وَظُلُّهُ الْمَمْدُودُ
وَيُطْرِبُ الشَّادِي وَلَيْسَ يَهْرُنِي وَيُنَالُ مِنِّي السَّائِقُ الْغَرِيدُ

أَيْنَ وَصَفَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ؟ أَيْنَ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ مِنْ شَجَرِ
الصَّفَصَافِ ؟ صَعَدَ الْقَوْمُ وَنَزَلَتْ ، وَجَدُّوا فِي الْجَدِّ وَهَزَلَتْ .

شُمُ^(٣) الْعِرَانِيِّنَ فِي آنَافِهِمْ^(٤) أَنْفٌ مِنْ الْقَبِيحِ وَفِي أَغْنَاقِهِمْ صَيْدُ^(٥)
إِنْ تَلَقَّهْمُ تَلَقَّ مِنْهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ قَوْمًا إِذَا سُئِلُوا جَادُوا بِمَا وَجَدُوا
نَالُوا السَّمَاءَ وَحَطُّوا مِنْ نَفْسِهِمْ إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا انْحَطُّوا فَقَدْ صَعَدُوا

إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقَوْمِ كَمَا بَيْنَ الْيَقَظَةِ وَالنَّوْمِ ، أَيْنَ مِنْكَ مِنْ حَمَاةٍ^(٦) ؟
وَبُخُورٍ مِنْ بُخَارٍ ؟ وَصَفْوَةٍ مِنْ قَذَى ؟ !

دَخَلُوا عَلَى عَابِدٍ فَقَالُوا لَهُ : لَوْ رَفَقْتَ بِنَفْسِكَ .

فَقَالَ : مِنَ الرَّفَقِ أُتِيتُ .

اسْمَعْ يَا كَسَلَانُ ! كَانُوا فِي طَلَبِ الْعُلَا يَجْتَهِدُونَ وَلَا يَرْضُونَ بِدُونِ ، عَلَى
أَنَّهُمْ يُعَانُونَ فِيمَا يُعَانُونَ ، الْقَوْمُ مَعَ الْحَقِّ حَاضِرُونَ ، عَنِ الْخَلْقِ غَائِبُونَ ، فَقُولُوا
لِعَاذِلِهِمْ : لِمَنْ تَعَذِّلُونَ ؟ .

(١) من قصيدة كتب بها إلى الوزير كمال الملك أبي المعالي . انظر : ديوان شعره :
٣٢٦/١ - ٣٣٠ .

(٢) عَجْف : قحط .

(٣) شم العرانيين : مرتفعو الأنوف ، كناية عن العزة والشموخ .

(٤) أنف : حمية . والآناف : جمع أنف .

(٥) صيد : جمع أصيد : المتكبر المزهو بنفسه .

(٦) حماة : الطين الأسود المتين .

(المهيار)^(١) :

كُثِرَ فِيكَ اللَّوْمُ فَأَيْنَ سَمِعِي مِنْهُمْ؟
قَلْبِي وَاللَّوْمُ عَلَيَّ لَكَ مُنْجِدٌ وَمُنْهَمٌ
قَالُوا: سَهَرْتَ وَالْعِيْرُ نَ السَّاهَرَاتُ نَوْمٌ
وَلَيْسَ مِنْ جَسْمِكَ إِلَّا لَا جِلْدَةٌ وَأَعْظَمُ
وَمَا عَلَيْهِمْ سَهْرِي^(٢) وَلَا رُقَادِي لَهُمْ
وَهَلْ سَمَاتُ الْحَبِّ إِلَّا لَا سَهَرٌ وَسَقَمٌ
[خُذْ أَنْتَ فِي شَأْنِكَ يَا دَمْعِي، وَخَلِّ عَنْهُمْ]^(٣) ^(٤)

كانِ بِشَرِّ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ، وَيَقُولُ: أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ أَمْرٌ وَأَنَا نَائِمٌ.

رَقَدَ الشَّمَّارُ وَأَرْقَاهُ هُمٌ لِلْبَيْتَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النُّجُومُ وَرَقَّ لَهُ مِمَّا يَرْعَاهُ وَيَرْضُودُهُ
وَعَدَا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ
يَهْوَى الْمَشْتَاقُ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُقَيِّدُهُ

بَقِيَ بِشَرِّ خَمْسِينَ سَنَةً يَشْتَهِي شَهْوَةً، فَمَا صَفَا لَهُ دَرَاهِمُهَا، وَبِضَائِعُ أَعْمَارِكُمْ
كُلُّهَا مُنْفَقَةٌ فِي الشَّهَوَاتِ مِنَ الشَّبَهَاتِ، أَبْشَرُوا بِطَوْلِ الْمَرَضِ يَا مُخَلِّطِينَ.

وَاوِيْلَاهُ مِنْ ضِيَاعِ كُلِّ الْعُمَرِ قَدْ مَرَّ جَمِيعُهُ بِمُرِّ الْهَجْرِ
ضَاعَتْ حَيْلِي وَضَلَّ عَنِّي صَبْرِي يَا قَوْمُ عَجَزْتُ عَنْ تَلَاوِي أَمْرِي

يَا مَنْ فَاتُوهُ وَتَخَلَّفَ، بُلَّ ثَرَاهُمُ مِنْ دَمْعِ الْأَسْفِ.

دَغْ شَأْنُ عَيْنِكَ يَا حَزِينُ وَشَانَهَا وَضَعَ الْيَدَيْنِ عَلَى الْحَشَا وَتَمَلَّمَلْ

(١) مطلع قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب ويهته بالمهرجان. انظر ديوان شعره:
٣٢٢/٣ - ٣٢٦.

(٢) في الديوان: (أرقي).

(٣) في الديوان: (وخذ ودعهم).

(٤) زيادة من (ب).

هذا أوانٌ فراقهم ولعلَّ ما يُغني وقوفك ساعةً في المنزل
 جُزْ بنادي المحبة، ونادٍ بالقوم تراهُم كالفراسِ تحت النيرانِ .
 (للشريف الرضي)^(١):

يا دارٌ مَنْ قَتَلَ الهوى بعدي وَجَدُوا ولا مثلَ الذي عندي
 لو حَزَّكَتْ ذاكَ الرَّمَادَ يدُ لَرَأَتْ بقايا الجَمْرِ والوَقْدِ
 يشتدُّ عليهم حرُّ الخوفِ، فيسرفون على التلف «لولا نسيمٌ بذكراهم
 يروِّحني» يَبْسِطُونَ انبساطَ المحبِّ، ثم ينقبضون انقباضَ الخائفِ .

هذا اللينُوفَرُ^(٢) ينشرُ أجنحةَ الطَّربِ في الدُّجى، فإذا أحسَّ بالفجرِ جمعَ
 نفسه، واستحيى من فارط^(٣)، فإذا طلعتِ الشمسُ نكَّسَ رأسه في الماءِ خَجَلًا من
 انبساطه:

أَبَاسَطُهُ عَلَى جَزَعٍ كَشُرْبِ الطَّائِرِ الْفَزَعِ
 رَأَى مَاءً فَأَطْمَعَهُ وَخَافَ عَوَاقِبَ الطَّمَعِ
 فَصَادَفَ قُرْصَةً فَدَنَا وَلَمْ يَلْتَذْ بِالْجَرَعِ

كلُّما جاء كلامي صَعَدَ، كلُّما زادتِ الوقودُ فاحتَ ريحُ العودِ، أفيكُم
 مُسْتَشْشِقُ؟! أَوْ كَلِّكُمْ مَزَكُومٌ؟! «إني لأجدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ»^(٤).

(١) مطلع قصيدة قالها في أبي سعيد بن خلف . انظر ديوان شعره: ٣٢١ / ١ .

(٢) اللينوفر: جنس من نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية يُزرع في الأحواض، وينبت على ضفاف الأنهار .

(٣) الفارط: السابق المتقدم، السابق إلى الماء ليهيته ويُعده .

(٤) أخرجه أحمد بلفظ: «وأجدُ نَفْسَ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ» عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال الحافظ العراقي: رجاله ثقات . وبالرجوع إلى إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد: ١٠٣ / ١، وجدنا تخريج الحافظ العراقي المذكور، وفي الإحياء: ٢١٧ / ٣: جاء تعليق العراقي التالي: أشار به (أي: نفس الرحمن) إلى أويس القرني، وقد تقدَّم في كتاب قواعد العقائد، ولم أجد له أصلاً ١١ علماً أنه هناك قال: أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة . ولعل الطابع الأول للكتاب وضع تخريج حديث آخر، هذا وقد ذكر بعض =

باح مجنون عامر بهواه .

وما بُخْتُ حتى استنطقَ الشوقُ أدمعي وأذكّرني عهدَ الحمى المتفادِمِ

أتجدونَ يا إخواني ما أجْدُ من رِيحِ النسيمِ؟ .

ألا يا نسيمَ الريحِ ما لكَ كُلَّما تجاوزتَ ميلاً زادَ شركَ طيبا
أظنُّ سُليمي خُبِرَتْ بِسقامِنا فأعطتَكَ رِثاءَها فَجِثَّتْ طيبا

* * *

= الفضلاء أن المقصود «بنفس ربكم» تلك الكتابات اليمنية المجاهدة التي انطلقت إلى الشام داعية مجاهدة. انظر: إتحاف السادة المتقين: ١٣٠/٢ ، للزبيدي، شرح الإحياء .

الفَصْلُ الْخَامِسُ وَالْبِمَانُونَ

يَا مَنْ كُلَّ يَوْمٍ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْقَبْرِ فَارِطٌ^(١)، لَا تَغْتَرَّ بِالسَّلَامَةِ فَرُبَّمَا قَبَضَ الْبَاسِطُ،
انْهَضَ لِلنَّجَاةِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ وَجَاشٍ^(٢) رَابِطٌ، قَبْلَ أَنْ يَكْفِكَ^(٣) عَلَى بَسَاطَةِ الْعَجْزِ
خَابِطٌ^(٤)، وَنَفْسُ النَّفْسِ تَخْرُجُ مِنْ سَمِّ إِبْرَةِ خَائِطٍ.

قُلْ لِلْمُؤْمِلِ: إِنَّ الْمَوْتَ فِي أَثَرِكَ وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ الْأَمْرُ مِنْ نَظَرِكَ
فَيَمُنْ مَضَى لَكَ إِنَّ فَكَّرْتَ مَعْتَبِرٌ وَمَنْ يَمُتْ كُلَّ يَوْمٍ فَهُوَ مِنْ تُذْرِكَ
دَارٌ تَسَافِرُ عَنْهَا مِنْ غَدٍ سَفَرًا فَلَا تُؤَوِّبُ إِذَا سَافَرْتَ مِنْ سَفَرِكَ
تُضْحِي غَدًا سَمَرًا لِلذَّاكِرِينَ كَمَا صَارَ الَّذِينَ مَضَوْا بِالْأَمْسِ مِنْ سَمَرِكَ

أُخِلْ بِنَفْسِكَ فِي دَارِ الْمَعَاتِبَةِ، وَأَخْضِرْهَا دَسْتَوْرَ الْمَحَاسِبَةِ، وَازْفَعْ عَلَيْهَا
سَوْطَ الْمُعَاقِبَةِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ خَسِرْتَ فِي الْعَاقِبَةِ.

خُلِقْتَ جِنْسًا سَوِيًّا ثُمَّ زُرْتَ ثَرَى فَصِرْتَ خَطَاً وَطَالَتْ مَدَّةُ فُحْيِ
قِفْ بِالْمَنَازِلِ مِنْ عَادٍ وَغَيْرِهِمْ فَمَا تَرَى ثُمَّ مِنْ شَخْصٍ وَلَا شَبَحٍ
كُلُّ مُجَازِي بِمَا أَسْدَاهُ مِنْ حَسَنِ وَسَيِّئِي فَاهْجُرِ السَّوْءَاتِ وَأَنْتَرِحِ

لَقَدْ وَعَظَكَ أَمْسُ وَالْيَوْمُ، وَأَنْتَ مِنْ سَنَةِ^(٥) إِلَى نَوْمٍ! أَيْنَ الْعَشَائِرُ؟ أَيْنَ الْقَوْمُ؟
اشْتَرَاهُمُ الْبَلَى بِلا سَوْمٍ^(٦)، لَا فِطَرَ عِنْدَهُمْ وَلَا صَوْمَ، بَلْ بِلَابِلِ الْعِتَابِ وَاللُّؤْمِ، هَذَا
رَشَاشُ الْمَوْجِ يَتَذَرُّ بِالْعَوْمِ، وَيَخْبِرُ بِالْحَادِثَاتِ إِشْمَامُهَا^(٧) وَالرَّؤْمِ^(٨).

(١) الفارط: السابق المتقدم.

(٢) جاش: القلب.

(٣) في (ب): يلقىك.

(٤) خابط: نازلة تلقبه في المرض أو العجز.

(٥) سنة: الناس من الوسن.

(٦) سوم: يقال: سام المشتري السلعة: طلب بيعها.

(٧) إشمامها: الإشمام في علم التجويد هو تحريك الشفتين بلا صوت، إشارة إلى الضمة المحذوفة بعيد الوقف على الكلمة، ولا يكون إلا على الضم.

(٨) الرؤم: هو إسماع الحركة للقريب دون البعيد ولا يكون إلا في الكسرة أو الضمة.

اغْتَنِمْ صَفْوَ اللَّيَالِي إِنَّمَا الْعَيْشُ اخْتِلَاسُ
تَلِيسُ الدَّهْرِ وَلَكِنْ مَتَعَةٌ ذَاكَ اللَّبَّاسُ

يا جامعَ الحطام ولا يدري ما جَنَى ، كُلَّمَا نَقَضَ الوَاعِظُ أَصْلًا مِنْ حَرِيكَ
بنى^(١) ، بادرِ القَوْتَ^(٢) فَإِنَّ الموتَ قد دنا ، هذا بَشِيرُ القَبُولِ وإِيَّاكَ عَنَا ، النَّثَارُ^(٣)
كثير فما هذا التَّوَقُّفُ والْوَنَى^(٤) ؟! امْدُدْ يَدَ الصَّدَقِ وقد نلتَ كُلَّ المَنَى ، هذه
الخَيْفُ وهَاتِيكَ مِنَى .

أَمَا تَهْزُكَ هذه المَوَاعِظُ أَيُّهَا المَهْزُوزُ ؟! أَمَا يوقِظُكَ التَّصْرِيحُ ولا الرموز ؟!
أَمَا كُلُّ وَقْتٍ عودُ الهلاكِ مغمورٌ ؟! أَمَا كُلُّ سَاعَةٍ غصنٌ مقطوعٌ ومَخْزُوزٌ ؟! أَمَا
تراهم بين مدفوعٍ وموكوزٍ ؟! كُلُّ أفعالِكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ ما لا يجوز ، أين أربابُ
القصور ؟! أين أصحابُ الكنوز ؟! هَلَكَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وضاع المكنوز ، وَحِيزٌ فِي
حُفْرَةِ اللَّيْلِ مَنْ كَانَ لِلْمَالِ يَحُوزُ^(٥) ، بينا تغرهم الإِنَاءُ وَقَعَتِ النِّوَاءُ فِي الكوزِ ! أين
كِسْرَى ؟! أين قَصِيرٌ ؟! أين فيروز ؟! عَزَوْا عَنِ الأكْفَانِ وما كانوا يَرْضَوْنَ
الخُزُوزَ^(٦) ، وأبرزَ الموتُ أوجهاً عَزَّ عليها البروز ، وسأوى بين العرب والعجم

-
- (١) بنى : من البناء ، أي : بنى الحرص .
(٢) القوت : الفراغ والعمر .
(٣) النَّثَار : ما نثر في حفلات السرور من حلوى أو نقود .
(٤) الوَنَى : الضعف والفتور .
(٥) مغموز : معصور ومعضوض ، يقال : غمز المَتَّيْفُ القَنَاةَ : عضها وعصرها (المعجم
الوسيط) .
(٦) موكوز : المضروب بجمع اليد على ذقنه (المعجم الوسيط) .
(٧) يحوز : يجمع ويملك .
(٨) قصير : هو قصير بن سعد صاحب جذيمة الأبرش ، ومن المثل : (لا يطاع لقصير أمر) .
(٩) فيروز : في كتاب الإصابة : ٣٥٠ / ٥ برقم (٧٠١٤) : فيروز الديلمي ، يكنى أبا الضاحك ،
ويقال : أبا عبد الرحمن ، يمانى كناني من أبناء الأساورة من فارس ، كان كسرى بعثهم
إلى قتال الحبشة ، وفي الصفحة (٣٨٠) : وقد على رسول الله ﷺ وأعان بعد ذلك على قتل
الأسود العنسي . وروى عنه أولاده الثلاثة . ومن شاء معرفة أوسع فليرجع إلى الإصابة .
(١٠) الخُزُوز : جمع خَز ، وهو الثياب المنسوجة من صوف وحرير .

والنَّبْطُ^(١) والخُوزُ^(٢)، ونَسَخَ^(٣) بِحَسْرَاتٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ لَذَاتِ النِّيرُوزِ^(٤)، وكشَفَ لهم نِقَابَ الدُّنْيَا فإذا المعشوقةُ عجوزٌ، ما رَضِيَتْ إِلَّا قَتْلَهُمْ، وكم تَدَلَّلَتْ بالنشورِ^(٥)، لقد أذاقتهم بردَ كانون الأول فإذا هُم في تموز، وإنَّما قَصَدَتْ غُرُورَهُمْ لَتَقْتُلَهُمْ فِي كَالُوزِ^(٦).

وا عجباً! بحرُ الوجودِ قد جمعَ الفنونَ: العلماءُ جوهرُهُ، والعبادُ عَنبرُهُ، والتجارُ حيتانُهُ، والأشرارُ تماسيحُهُ، والجهالُ على رأسِهِ كالزَّبَدِ، فيها مَنْ يجري به على هَوَاهُ، وهو عليه كالقَفْيا.

قِفْ يَا قَفِيًّا، كم تحضُرُ مجلساً وكم تتردّد، وكم تُخَوِّفُ عَقِبِي الذُّنُوبَ وكم تُهَدِّدُ! يَا مَنْ لَا يَلِينُ لَوَاعِظٍ وَإِنْ شَدَّدَ، يَا رَاحِلًا عَنْ قَرِيبٍ مَا عَلَيْهَا مُخَلَّدٌ، تَلْمَحُ قَبْرَكَ لَا قَصْرَكَ الْمُشِيدَ، وتَعْلَمُ أَنَّ الْمَطْلِقَ إِذَا شَاءَ قَيَّدَ، أُنْزِلُ تَقَعُ فِي شَرَكِي، فَإِنِّي جُنْتُ أَتَصَيَّدُ.

يَا مَنْ يَسْأَلُ عَنْ مَرَاتِبِ الصَّالِحِينَ مَا لَكَ وَلَهَا؟! تَسَاوَمُ فِي رَاحِلَةٍ، وَمَا تَمْلِكُ ثَمَنَ نَعْلٍ، تَجْمَعُ مِنْ جَوَانِبِ الْحَافَاتِ خُبَازِي^(٧) وَتُرِيدُ أَنْ تَطْعَمَ أَخْضَرَ، تَطْلُبُ سَهْمًا مِنَ الْغَنِيمَةِ وَمَا رَأَيْتَ الْحَرْبَ بَعَيْنِكَ!.

يَحَاوِلُ نَيْلَ الْمَجْدِ وَالسِّيفُ مُغَمَّدٌ وَيَأْمَلُ إِدْرَاكَ الْعُلَى وَهُوَ نَائِمٌ
الْبَلَايَا تُظْهِرُ جَوَاهِرَ الرِّجَالِ، وَمَا أَسْرَعَ مَا يُقْتَضَحُ الْمُدَّعَى.

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَتَشْكُو الْهَوَى لَوْ كُنْتَ صَبًا لَمْ تَكُنْ نَائِمًا
رَأَى فَقِيرٌ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ امْرَأَةً فَتَبِعَهَا فَقَالَتْ: مَا لَكَ؟.

-
- (١) النبط: جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين كالنبيط والأنباط.
(٢) الخوز: جيل من الناس واسمٌ لجميع بلاد خوزستان.
(٣) نسخ: أزال.
(٤) النيروز: عيد من أعياد الفرس يكون في أول فصل الربيع.
(٥) النشور: الترفع والتمنع.
(٦) كالوز: قوم يخرجون بالسلاح للماء إذا تشاحوا عليه.
(٧) خبازي: جنس نبات من الفصيلة الخبازية، منه نوع يطهى ورقه فيؤكل.

فقال : قد سَلَبَ حُبُّكَ قلبي .

قالت : فلو رأيت أُختي ؟ فالتفت فلم يرَ أحداً .

فقالت : أيها الكاذب في دَعْوَاهُ، لو صدقتَ ما التفتَ .

والله لو عَلِمْتَ رُوحِي بِمَنْ عَلِقْتَ قَامَتْ عَلَى رَأْسِهَا فَضلاً عن القدم

إذا كنتَ تشتغلُ اليومَ عنا بسوداءَ، فكيف تذكُرنا إذا أعطيناك الحور؟ ! .

يا مؤثراً ما يَفْنَى على ما يَبْقَى، هذا رَأْيُ طَبِيعِكَ، هَلَّا استشرتَ عقلَكَ
لتسمع أصحَّ النصائح، مَنْ كان دليله اليومَ كان مأواه الخراب .

ويحك ! اعزِمْ على مجنون هواك بعزيمة، فَرُبَّ شَيْطَانٍ هَابَ الذِّكْرَ، تَلَمَّحَ
غَيْبٌ^(١) الخطايا لعله يَكْفُ الكَفَّ، لا تَحْتَقِرَنَّ يَسِيرَ الطاعات «فالدُّودُ إلى الدُّودِ
إِبِلٌ»^(٢)، وَرُبَّما احتيجَ إلى عويد^(٣) منبوذ. لا تَحْتَقِرَنَّ يَسِيرَ الذنوب، فإن العُشْبَ
الضعيف يُقْتَلُ منه الحبل القوي، فَيَحْتَنِقُ به الجملُ المغتَلِمُ^(٤)، أو ما نَقَذَتْ في
سَدِّ سَبَا حيلة جُرْذٍ^(٥)، مَنْ عَرَفَ شَرَفَ الحِياةِ اغْتَنَمَهَا، مَنْ عَلِمَ أَرْبَاحَ الطاعاتِ
لَزِمَهَا، العَمْرُ ثَوْبٌ ما كُفَّ، والأنفاسُ تَسْتَلُّ الطاقات، كَمْ قد غَرِقَتْ في بحرٍ
سَوَفَ سَفِينَةُ نَفْسٍ ! .

يا هذا ! أنتَ أَجِيرٌ وَعَلَيْكَ عَمَلٌ، فإذا انقضى الشُّغْلُ فالبَسْ ثيابَ الراحة .

قال رجلٌ لعامر بن عبدِ قَيْسٍ : كَلِّمْنِي، فقال : أَمْسِكِ الشَّمْسَ .

دخلوا على الجنيدِ عند الموت وهو يصلي، فقل له : في هذا الوقت ؟ !

فقال : الآنُ تُطَوَّى صحيفتي .

(١) الغَيْبُ : العاقبة .

(٢) الدُّودُ إلى الدُّودِ إِبِلٌ : مثلٌ عربي معناه : القليل يضم إلى القليل يصير كثيراً . و(إلى) في
العِبارَةِ بمعنى (مع) ، والدُّودُ : جمع لا واحد له من لفظه كالنعم .

(٣) عويد : تصغير عُود .

(٤) المغتَلِمُ : الهائج بسبب شدة الشهوة .

(٥) الجُرْذُ : الذكر من الفئران .

حُكُّوا المَطْيَّ فهذه نجدُ بلغ المَدَى وتجاوز الحدُ
يا حَبْذا نجدُ وساكنه لو كان يُنْفَعُ حَبْذا نجدُ

يا دارَ الأحبابِ! أين السَّكان؟ يا منازلَ العارفين! أين القُطَّان؟ يا أطلالَ
الواجدين! أين البُنيان؟.

تعامَدْتُكَ العُهَّادُ يا طَلَلُ خَبَّرَ عن الظَّاعِنينَ ما فَعَلُوا
فقال: ألا اتَّبَعْتَهُمْ أبداً إن نزلوا مَنْزِلاً وإن رَحَلُوا
تَرَكْتُ أيدي الهوى تقودُهُم وجِئْتَنِي عن حديثِهِم تَسَلُّ

رَحَلَ القومُ يا مُتَخَلِّف، وسبقوك بالعزائمِ يا مُسَوِّف، فَقِفْ على الآثارِ
وقوفَ مُتْلَهِّف، وصيخ بالدمعِ: سِرِّ يا مُتَوَقِّف.

(للشريف الرضي)^(١):

يا قلبُ جَدُّ كَمَداً فمَوعِدُ اليَئِسِ غَدا
لَم أَر فَزَقاً بَعْدَهُم بَينَ الفِراقِ والرَدَى
يا زَفَرَةً هَيَّجَها حادٍ مِنَ النَوْرِ حَدَا
أَزَعَى الحُمُولَ ناظِراً أو أُلْزِمُ القلبَ يَدَا
وأطَرَدُ الطَّرَفَ عَلى آثارِهِم ما انطَرَدَا
مُنْذُ أوقَدوا بأضلَعِي حَرَّ الجَوى ما بَرَدَا^(٢)
ومُنْذُ أذابوا ماءَ عَيني لئلا سى ما جَمَدَا
كُنْتُ أداوي كِبَدي لو تَرَكوْا لي كَبَدَا

* * *

(١) انظر: ديوان شعره: ٣٥٣-٣٥٦.

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت في الديوان: «جمع الغضا ما خمد». .

الفَصْلُ السَّاسُونَ وَالْبِمَاوُونَ

إخواني! المفروحُ بِهِ من الدنيا هو المحزونُ عليه، ويَقْدِرُ الالتذاذُ يَكُونُ
التأشُّفُ، وَمَنْ فَعَلَ ما شاءَ لَقِيَ ما ساءَ.

ما آلَ ما كانَ المُنَى ما آلمَا صارَ ما واصلته قد صارَ ما
بينَما أضحكُ مسروراً به سألَ ماءُ العينِ إذا ما سألَما
الدنيا فلاَّ فلا تَأْمَنِ الفلا^(١)، بل تَيَقَّنْ أنها مارستانُ بَلا^(٢)، ولا تَسْكُنْ
إليها، وإن أظهرتَ لكَ الولا^(٣)، على أنها تَخْفِضُ مَنْ عَلا.

فليَنظِرِ الإنسانُ يَمَنَةً فهل يرى إلا مِخْنَةً؟ ثم لِيَعْطِفْ يَسْرَةً فهل يرى إلا
حَسْرَةً؟!

أما الرنْبُ العامِرُ فقد دَرَسَ^(٤)، وأما أَسَدُ المماتِ ففَرَسَ^(٥)، وأما الراكِبُ
فكَبِتَ^(٦) به الفرس، وأما الفصيحُ فاستبدلَ الخَرَسَ، وأما الحكيمُ فما نفعه إن
احتَرَسَ، ساروا في ظلامِ ظُلْمِهِم ما عندهم قَبَسٌ، ووقفتْ سفينةُ نجاتهم لأنَّ
البحرَ يَبَسَ، وانقلبَتِ دَوَلُ النفوسِ كُلُّها في نَفْسٍ، وجاءَ (مُنْكَرٌ)^(٧) بآخرِ
(سِبا)^(٨)، و(نكير) بأولِ (عبس)، أفلا يقومُ لنجاتِهِ مَنْ طالَ ما جَلَسَ؟!

أِهْ لِنَفْسٍ رَفَلَتْ^(٩) مِنَ الغفلةِ في أثوابِها، فتَوَى بها الأمرُ إلى عدمِ ثوابِها، آه

(١) الفلا: الأرض الواسعة المقفرة، وأيضاً الفلا: الانقطاع.

(٢) مارستان: دار المرضى. بَلا: بلاء وفناء.

(٣) الولا: الولاء والمحبة.

(٤) الرنْب: الدار بعينها حيث كانت. دَرَسَ: عفا وذهب آثاره.

(٥) فرس: يقال: فرس الأسدُ فريسته: صادها وقتلها.

(٦) كبِت: عثرت.

(٧) منكر ونكير: ملكان يسألان الميت بعد دفنه.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [سبا: ٥٤].

(٩) رفلت: رفل في ثيابه: أطالها وجزَّها متبخترأ.

لعيونٍ أغشاها الأملُ، فسَرَى^(١) بها إلى سَرابِها، آهِ لقلوبٍ قَلَبَها^(٢) الهوى عن القرآنِ إلى ربابِها^(٣) فربا بها^(٤)، آهِ لمرضى قد علمَ الطبيبُ قَدَرَ ما بها، وقد رُمي بها.

(لأبي العتاهية):

يا نَفْسُ ما هي إلا صَبْرُ أيامٍ كَأَنَّ مُدَّتَها أضغاثُ أحلامٍ
يا نَفْسُ جُوزي عن الدنيا مبادِرَةً وخلَّ عَنْها فإنَّ العيشَ قُدَّامي
يا مغرورين بِحَبَّةِ الفَخِّ! ناسينَ خَنقَ الشَّرْكِ، تَذَكَّرُوا فَوَاتَ المُلْتَقَطُ^(٥) مع
حصولِ الذَّبْحِ ﴿فَلَا تَعْرَنَكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٢٣].

الحَذَرُ الحَذَرُ من صَيَّادٍ يسبقُ الطيرَ إلى مهايِطِهِ بِفَخاخٍ مختلفةِ الحِيلِ،
قَدَّرُوا أنكم لا تَرَوْنَ خَيْطَ فَخِّهِ، أما تُشاهدونَ ذبائحَهُ في خَيْطِ ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبُو نَكَمٍ
مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]؟! .

(للشريف الرضي)^(٦):

يا قلبُ كيفَ عِلِفْتَ في أَشْراكِهِم ولقد عَهِدْتُكَ تُفْلِتُ الأَشْرَكا
لا تَشْكُوَنَّ إِلَيَّ وَجداً بَعْدَها هذا الذي جَرَّتْ عَلَيْكَ يداكا
ألا يصبرُ طائرُ الهوى عن حَبَّةٍ مجهولةِ العاقبةِ! وإنما هي ساعةٌ ويصلُ إلى
بُرجِ أَقْنِيهِ، وفيه حَباتٌ.

فإنَّ حَتَّتْ لِلْحِمَى وَطِئِهِ فبالغَضاءِ ماءً وروضاتٍ أُخِرُ
وا عجباً أن يكونَ حاملُ الكتابِ من الطيرِ أقوى عزيمةً منك، لعلَّ وضعَكَ

(١) سرى: سار بها ليلاً. سرابها: أي سراب الدنيا، ما فيها من لذات فانية.

(٢) قلبها: صرفها.

(٣) ربابها: الرابطة آلة لهو، وفيه إشارة إلى نمو الهوى وتضخمه في تلك القلوب.

(٤) ربا: اشتد.

(٥) الملتقط: الحبة الملتقطة. الشرك: الفخ وشبكة الصيد.

(٦) انظر: ديوان شعره: ١٠٩/٢.

على غير الاعتدال، المخلوق يدك على الخالق، لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل، ولا الهمة الوافية إلا لنفس نقيسة.

لا يصلح لحمل الرسائل إلا الطير الأخضر أو الأنمر^(١)، لأنه إذا كان أبيض، كان كالغلام الصقلابي^(٢)، والصقلابي فطير^(٣) خام، لم ينضج في محل الحمل، وإذا كان الطائر أسود دل على مجاوزة حد النضج إلى الاحتراق، فإن اعتدل اللون على نقاسة النفس، وشرف الهمة، فحينئذ يعرف الطائر سر الجناح، فيقول بلسان الحال: عرفتوني الطريق بتدريج، ثم حملوني ما شئتم، فإذا أدرج فعرف، حمل فحمل، فصابر الغربة، ولازم بطون الأودية، وسار مع الفرات أو دجلة.

فإن خفيت الطريق تنسم الرياح وتلمح قرص الشمس، وتراه مع شدة جوعه يحذر الحب الملقى، خوفاً من دفينة فخ توجب تعرق الجناح، وتضييع المحمول، فإذا بلغ الرسالة أطلق نفسه في أغراضها داخل البرج.

فيا حاملي كتب الأمانة إلى عبّادان^(٤) التعب، أكثركم على غير الجادة، وما يستدل منكم من قد رآه حب حب، فتزل ناسياً ما حمل، فازتهن بفخ [قد نفخ]^(٥) فذبح، ومنكم من بان^(٦) لتعرق جناحه، وما قصده الذابح بعد، فلا الحبة حصلت، ولا الرسالة وصلت.

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

(١) الأنمر: ما فيه نمرة بيضاء، وأخرى على أي لون كان.

(٢) الصقلابي: الصقلاب: الرجل الأبيض، والصقالب: جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم.

(٣) فطير: كل ما أعجل قبل نضجه، يقال: رأي فطير: خطر في البال وأبدي بلا ثبت.

(٤) عبّادان: جزيرة أحاط بها شجبا دجلة ساكبتين في بحر فارس، وهي معبد العباد، وملقى عصي النساء، وفي المثل: «ما وراء عبّادان قرية» سميت بعبّادان بن الحصين التميمي. (تاج العروس).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) بان: من الأضداد: ظهر واختفى، وتأتي بمعنى: انقطع.

فلا في الليل نالت ما تمنت ولا في الصبح كان لها براخ
لو صابرتم مشقة الطريق لانتهى السفر ، فتوطينتم مستريحين في جنات عدن .

فيا مهملين النظر في العواقب اسلفوا وقت الرخص ، فما يؤمن تغير
السعر . سلسلوا سباع الألسن ، فإن انحلت افترستكم . لا تزموا بأسهم العيون
ففيكم تقع . رب راعي مقله أهملها ، فأغير على السرح . من رأى الحقائق رأى
عين غص طرفه عن الدارين . لو حضرتم حضرة القدس لعبقتم بنشر الأنس .

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا
قد وجدت لي سكنا ليس في هواه عنا
إن بعذت قرّبي أو قرّبت منه دنا

يا هذا ! إعرف قدر لطفنا بك ، وحفظنا لك ، إنما نهيناك عن المعاصي
صيانة لك ، لا لحاجتنا إلى امتناعك ، لما عرفتنا بالعقل حرّمنا الخمر لأنها تسترّه ،
ومثل يوسف لا يخبأ .

يا متناولاً للمسكر ! لا تفعل ، يكفيك سكر جهلك ، فلا تجمع بين
خليطين ، اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عنه ، وشكرك لمن لا تغيبك ^(١) نعمة ،
وطاعتك لمن لا ترجو خيراً إلا منه ، وبكاءك على قدر ما فاتك منه ، وارفع إليه يد
الدّل في طلب حوائج القلب تأتي وما تشعر .

يا هذا ! عندك بضائع نفيسة ، دموع ودماء ، وأنفاس وحركات ، وكلمات
ونظرات ، فلا تبدلها فيما لا قدر له ، أیصلح أن تبكي لفقد ما لا يبقى ؟ أو تتنفس
أسفاً على ما يفنى ، أو تبدل مهجة لصورة عن قليل تمحى ، أو تتكلم في حصول
ما يشين ويتوى ^(٢) .

واعجباً ! من مجنون بلا ليل ، ويحك ! دمة منك تظفي غضبنا ، وقطرة
من دم في الشهادة تمحو زللك ، ونفس أسف يشف ما سلف ، [وخطوات في

(١) تغيب : يقال : أغب في الزيارة : أتى يوماً وانقطع آخر ، فتغيب : فتقطع .

(٢) يتوى : توى : هلك ، والتوى : الهلاك .

رياضنا تَغْسِلُ الخطيئات^(١)، وتسييحه تَغْرِسُ لك أشجار الخلد، ونظرة بعبرة
تثمر الزهد في الفاني، ولكن تصحيح النقد شرط في العقد.

سِلْعٌ ﴿وَلِيَّ لَفْقَارٍ﴾ [طه: ٨٢] لا تُبَاعُ إلا بدينار ﴿لِمَنْ تَابَ﴾ [طه: ٨٢] إذا كان
خارجاً من سبيكة ﴿وَأَمَّنَ﴾ [طه: ٨٢] عن سِكَّة^(٢) ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [طه: ٨٢] من
دَارِ ضَرْبِ^(٣) ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

يا هذا! لو استشعرت زُمانقة^(٤) الزُّهد، تحت مُطَرَفِ^(٥) «رُبَّ أَشْعَثَ
أَغْبَرِ»^(٦)، وسُحَّتِ^(٧) في بادية «يُذْفَعُونَ» لأَفْضُنَا عليك خِلَعٌ^(٨) «إذا رؤوا ذَكَرَ
الله»^(٩).

يا هذا! إن لم تقدّر على كثرة العمل، فقف على باب الطلب، تعرّض بجذبة
من جذبات الحق، ففي لحظة أفلح السحرة.

لا تجزَعَنَّ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ عَرَا^(١٠) ولا تُري الأعداء ما يُسمِتُ
يا قوم بالصَّبْرِ يُبَالُ المُنَى إذا لقيْتُم فِتْنَةً فاثبتوا

(١) زيادة من (ب).

(٢) السِّكَّة: قالب لسك العملة.

(٣) دار ضرب: المكان الذي تسبك فيه الدراهم والدنانير.

(٤) زُمانقة: جبة من صوف، وفي الحديث: أن موسى عليه السلام كان عليه زُمانقة من
صوف يوم قال له ربه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢].

وفي الصحاح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أنه عليه السلام لما أتى فرعون أتاه
وعليه زُمانقة، يعني: جبة صوف. (انظر: لسان العرب).

(٥) مُطَرَف: رداء من خز مربع له أعلام.

(٦) رواه الحاكم وأبو نعيم في (الحلية)، وصححه السيوطي في (الجامع الصغير).

(٧) سحت: من ساح يسيح سياحة: ذهب في الأرض وسار، والسائح: المتنقل في البلاد
للتنزه والاستطلاع والبحث والاعتبار.

(٨) خِلَع: جمع خلعة، وهي المنح من ثياب وغيرها.

(٩) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «إن من الناس مفاتيح للذكر الله إذا
رؤوا ذَكَرَ الله». وذكره في (الجامع الصغير) برقم (٢٤٦٦).

(١٠) عرا: حلّ ووقع.

طريقُ الوصولِ صعبة، وفي رَجْلِكَ ضَعْفٌ، ويَحْك! دُم على السلوكِ
تَصِلُ، أَوَّلُ النَّخْلَةِ السَّحُوقِ^(١) فَسِيلَةً^(٢)، بدايةُ الآدمي الشريفِ مُضْغَةً، ثَمَنُ
المعالي جَدُّ الطالبِ، والفُتُورُ مُزْمِنٌ، بلدُ الرياضةِ سَحِيقٌ ﴿لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا
يَسِيقَ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧]، سحابةُ الصيفِ أثْبَتُ مِنْ قَوْلِكَ، والخطُّ على الماءِ
أَبْقَى مِنْ عَهْدِكَ.

مِنْ السَّلَـوَةِ فِي عَيْنَيْكَ كَ آيَاتٍ وَأَثَارٍ
أَرَاهَا مِنْكَ بِالذَّهْنِ وَفِي الْأَبَابِ أَبْصَارُ
إِذَا مَا بَرَدَ الْقَلْبُ فَمَا تُسَخِّنُهُ النَّارُ

يا هذا! إذا حضرَ قلبُكَ فَنَسِمْ الرِّيحِ يُذَكِّرُكَ، وإنْ غَابَ فَمِثَّةُ أَلْفِ نَبِيٍّ لَا
يُوصِلُونَ التَّذْكَرَةَ إِلَيْكَ، تَاللهِ لَقَدْ أَلْمَعْنَا الْمَعْنَى، وما أَلَزَمْنَا الزَّمَنِي^(٣).

ولي ألفُ بابٍ قد عرفتُ طريقَه ولكن بلا قلبٍ إلى أينَ أَذْهَبُ

* * *

(١) السَّحُوقُ: الطويلة.

(٢) فَسِيلَةٌ: النخلة الصغيرة.

(٣) الزَّمَنِي: جمع زَمِنَ، وهو المريضُ بداءِ عُضَالٍ.

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالْبِمَانُونَ

يَا مَنْ يَزْحَلُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ عَنِ الدُّنْيَا مَرْحَلَةً، وَكِتَابُهُ قَدْ حَوَى حَتَّى قَدَرِ
خَرَدَلَةٍ، كُنْ كَيْفَ شِئْتَ، فَبَيِّنْ يَدِيكَ الْحِسَابُ وَالزَّلْزَلَةُ، يَا عَجَباً مِنْ غَفْلَةٍ مُؤْمِنٍ
بِالْجَزَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ، أَيْقِظِينَ بِالنَّجَاةِ أَمْ غُرُورٌ وَبَلَهٌ؟

تَبْنِي وَتَجْمَعُ وَالْآثَارُ تَنْدَرِسُ
ذَا اللَّبِّ! فَكَّرْ فَمَا فِي الْخُلْدِ مِنْ طَمَعٍ
أَيْنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَمَنْ
وَمَنْ سَيُوقِفُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ
مَاتُوا جَمِيعاً وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ أَثَرٌ
أَضْحَكُوا بِمَهْلَكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ
وَعَمَّهُمْ حَدَثٌ وَضَمَّهُمْ جَدَثٌ
كَأَنَّهُمْ قَطُّ مَا كَانُوا وَمَا خُلِقُوا
وَاللَّهُ لَوْ نَظَرَتْ عَيْنَاكَ مَا صَنَعَتْ
مِنْ أَوْجِهِ نَاضِرَاتٍ حَارَ نَاطِرُهَا
وَأَعْظَمَ بِأَلْيَاتِ مَا بِهَا رَمَقٌ
وَالسِّنُّ نَاطِقَاتٍ زَانَهَا أَدَبٌ
لَسِبْتَهُمْ^(١) أَلْسُنٌ لِلذُّهْرِ فَاغْرَةٌ
عَرُّوا عَنِ الْوَشْيِ لَمَّا أَلْسُوا خُللاً
حَتَّامَ يَا ذَا النَّهْيِ لَا تَزْعَوِي سَفَهاً

وَتَأْمَلُ اللَّبِثَ وَالْأَرْوَاحُ تُخْتَلَسُ
لَا بَدَّ مَا يَنْتَهِي أَمْرٌ وَيَنْعَكِسُ
كَانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُوا هَيْبَةً جَلَسُوا؟
تُخْشَى، وَدُونَهُمُ الْحُجَابُ وَالْحَرَسُ
وَتَحْتَ أَطْبَاقِهَا فِي التُّرْبِ قَدْ دَرَسُوا
مَوْتِي وَمَاشِي الْوَرَى مِنْ فَوْقِهِمْ يَطْسُ^(٢)
بَاتُوا وَهُمْ جُثَّتْ فِي الرُّمَسِ قَدْ حُسِبُوا
وَمَاتَ ذِكْرُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا
يَدُ الْبَلَى بِهِمْ وَالِدُودُ يَفْتَرِسُ
فِي رَوْنَقِ الْحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ تَنْطَمِسُ
وَلَيْسَ تَبْقَى وَهَذَا وَهِيَ تُنْتَهَسُ
خَفَّتْ^(٣) وَمَا شَانَهَا^(٤) بِالْآفَةِ الْخَرَسُ
فَاهَا فَأَهَا لَهُمْ إِذْ بِالرَّدَى وَكُسُوا
مِنَ الرُّغَامِ عَلَى أَجْسَادِهِمْ وَكُسُوا^(٥)
وَدَمَعُ عَيْنِكَ لَا يَهْمِي وَيَنْجِسُ

(١) يطس: الوطس: الضرب الشديد بالخف وغيره.

(٢) في (ب): ما شأنها.

(٣) شأنها: عابها.

(٤) لسبتهم: يقال: لسبته الحية وغيرها: لدغته، واللسب واللسع واللدغ بمعنى واحد.

(٥) كسوا: من الكسوة، أي: الثياب.

أيها المطمئن إلى دنيا وهي تطلبه بدخل^(١)، قد مرضت عين بصيرته فيها
فما ينفع الكحل، يبتخر في رياضها وما يضح إلا في الوخل^(٢)، انتبه للرحيل،
ثم اشد الرخل^(٣)، واستبدل خضب المراد^(٤) عن قحل المخل، وتأمر على
نفسك فللتخل فخل.

اترك الشر ولا تأنس بشر
هذه الأجسام تُرب هامد
تواضع إنما أنت بشر
فمن الجهل افتخار وأشر^(٥)
جسد من أربع يلاحظها
سبعة من فوقها في اثني عشر
في حياة كخيال طارق
شغل الفكر وخلاك ومر

تالله! لقد كشفت الغير ما انسدل، فلم يبق وراء ولا جدل، [هذا حمام
الحمام قد هدل^(٦)] ^(٧)، فكم صرخ صوته وكم جدل^(٨)! يا جاثرين احذروا ممن
إذا قضى عدل، واعلموا أن الآخرة ليس منها بدل، هذا هو الصواب لو أن المزاج
اعتدل.

يا من عمره كزمان الورد، التقط واعتصر لا في زور، يا شمس العصر على
القصر، قد بلغ مركبك ساحل الحياة، ووقف بعيرك على ثنية الوداع، وقاربت
شمس عمرك الطفل^(٩)، وبقي من ضوء الأجل شفق، فاستدرك باقي الشعاع قبل
غروب الشمس.

(١) الدخل: المكر والخديعة، وفي (ب): الدحل: وهو طلب الثار أو طلب مكافأة بجنابة أو عداوة.

(٢) الوحل: الطين الرقيق.

(٣) الرحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٤) المراد: بفتح الميم: موضع التردد، يقال: مراد الإبل: موضع رعيها مقبلة ومدبرة فيه.

(٥) الأشر: البطر.

(٦) هدل: صرت.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) جدل: يقال: جدلته تجديلاً: ألقيته على الجدالة، وطعنه فجدله.

(٩) الطفل: يقال: طفلت الشمس: مالت إلى الغروب.

أَيُفَقُّ العُمُرُ في الدُّنْيَا مَجَازَفَةً والمَالُ يُتَفَقُّ فِيهَا بِالْمَوَازِينِ

البِدَارَ البِدَارَ قَبْلَ الفَوْتِ، الحَذَارَ الحَذَارَ قَبْلَ المَوْتِ، مَا فِي المَقَابِرِ مِنْ
دَفِينٍ إِلَّا وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مِنْ «سُوف»^(١).

يَا هَذَا! مَتَى تُبَيِّنَ بِلِسَانِكَ، وَمَا حَلَلْتَ عُقْدَ الإِصْرَارِ مِنْ قَلْبِكَ؛ لَمْ تَصِحَّ
التَّوْبَةُ، كَمَا لَوْ سَكَنْتِ الأَمْرَاضُ بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ اسْتِفْرَاحٍ، فَإِنَّ المَرَضَ عَلَى حَالِهِ.

يَا هَذَا! إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ قَصْدُ القَلْبِ لَمْ يُؤَثِّرِ النُّطْقُ بِاللِّفْظِ، إِنَّ المُكْرَهَ عَلَى
الْيَمِينِ لَا تَتَعَقَّدُ يَمِينُهُ «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٢) وَقَلْبُكَ كُلُّهُ مَعَ الهَوَى، «إِنَّ فِي البَدَنِ
مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ البَدَنُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ البَدَنُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»^(٣).

أَكْثَرُ الأَمْرَاضِ أَمْرَاضُ الهَوَى، وَأَكْثَرُ القَتْلِ بِسَيْفِهِ. أَرِبَابُ الهَوَى أَطْفَالٌ فِي
حُجُورِ العَادَاتِ وَإِنْ شَابُوا. [أَنحَدَرْتَ عَزِيمَتَكَ فِي جَرِيَانِ نَهْرِ الهَوَى، فَاصْبِرْ صَبْرَ
مَدَّادٍ لَعَلَّكَ تَرُدُّهَا]^(٤).

وَيْحُكَ! انْتَبِهْ لِإِصْلَاحِ عِيُوبِكَ، لَعَلَّ المُشْتَرِي يَرْضَى، تَاللهِ إِنَّ المُشْتَرِي مَا
يُحِبُّ تَبْطُّ زُحْلًا. اكْفُفْ ثَوْبَ الكَلَامِ بِالصَّمْتِ وَلَا تَنْسَلْ^(٥). إِطْفِئْ حَرِيقَ^(٦) الهَوَى
وَالْأَعْمَلِ. أَرَفُقْ بِزَجَاجِ العُمُرِ فَمَا يَنْشَعِبُ^(٧) إِذَا انْكَسَرَ.

وَاعْجَبَا! الظَّاهِرُ غَيْرُ طَاهِرٍ، وَالبَاطِنُ بَاطِلٌ. الأَمَلُ بِخَارٍ فَاسِدٍ. الرِّعُونَةُ عَلَةٌ
صَعْبَةٌ. مَنَامُ المُنَى أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ. رَائِدُ الآمَالِ كَذُوبٌ. مَرَعَى المَشْتَهَى هَشِيمٌ^(٨).
العَجْزُ شَرِيكُ الحَرَمَانِ، التَّفْرِيطُ مُضَارِبُ الكَسَلِ. دِيَجُورٌ^(٩) الجَهْلُ مُغْتِمٌ.

(١) سُوف: يَشِيرُ إِلَى التَّسْوِيفِ فِي الأَعْمَالِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ وَلَفْظُهُ: «وَأَنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً... وَإِذَا
فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ».

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (ب).

(٥) تَنْسَلُ: تَسَاقَطَتْ خِيوطُهُ وَانْقَطَعَتْ.

(٦) فِي (ب): حَرَّاقٌ.

(٧) يَنْشَعِبُ: يُقَالُ: شَعَبَ الصَّدْعُ: لَمَعَهُ وَأَضْلَحَهُ.

(٨) هَشِيمٌ: النَّبَاتُ الْيَابِسُ الْمُتَكَسِرُ.

(٩) دِيَجُورٌ: ظَلَامٌ.

سُور^(١) الهوى مُغْرِق . رَوْضُ اللّهُو وَبِيء^(٢) . غديرُ اللذاتِ غَدِير^(٣) .

ظَلَلْتُ أَكْرُ عَلَيْهِ الرُّقَى وَتَأْبَى عَرِيكَتُهُ^(٤) أَنْ تَلِينَا
كَمْ قَدْ لُمْتُكَ وَمَا نَفَعَا كَمْ قَدْ نَصَبْتُ لَكَ شَرَكَاءَ وَمَا تَقَعُ ، قُفْلُ قَلْبِكَ رُومِي
مَا يَقَعُ عَلَيْهِ فَشٌّ^(٥) .

يا هذا! المجاهدةُ حربٌ لا يصلحُ لها إلا بطل ، متى تَغَيَّرَ من جنودِ عَزْمِكَ
على الإنابةِ قلبٌ واحدٌ ، لَمْ آمَنْ قَلْبُ الهزيمة عليك .

وَإِذَا كَانَ فِي الْأَنْابِيبِ^(٦) خُلْفٌ وَقَعَ الطِيشُ^(٧) فِي رُؤُوسِ الصَّعَادِ^(٨)
أَيُّهَا الْمَرِيدُ! تَلَطَّفْ بِنَفْسِكَ فِي الرِّيَاضَةِ تَصِلْ . مَشْيُ الْقَطَا بِتَدْبِيرِ^(٩) ،
وَمَشْيُ الْعَصْفُورِ نَقْرَانِ ، الْعَنْكَبُوتُ الْفَطِنُ يَنْسُجُ فِي زَاوِيَةٍ ، وَالْمَغْفَلُ يَنْسُجُ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ .

كُنْ قِيَمًا عَلَى جَوَارِحِكَ ، وَفُهَا الْحِظْوْظَ ، وَاسْتَوْفِ مِنْهَا الْحَقُوقَ ، أَمَا تَرَى
حَاضِنَ الْبَيْضِ يَقْلِبُهُ بِمَنْقَارِهِ ، لَتَأْخُذَ كُلَّ بَيْضَةٍ حَفْظًا مِنَ الْحَضْنِ ، ثُمَّ أَكْثَرُ سَاعَاتِ
الْحَضْنِ عَلَى الْأَنْثَى ، لاشتغال الذَّكَرِ بِالْكَسْبِ ، فَإِذَا صَارَ الْبَيْضُ فَرَاخًا كَانَ أَكْثَرُ
الرِّزْقِ عَلَى الْأَبِ ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [طه : ١١٧] .

مَا لَقِيتُ حَوَاءَ عُشْرٍ مَا لَقِيَ آدَمَ ، لِأَنَّهَا وَإِنْ شَارَكَتَهُ فِي الْعِلْمِ بِفَقْدِ صُورَةِ
النَّعِيمِ ، فَهُوَ مَنْفَرْدٌ عَنْهَا بِمِلَاحِظَةِ الْمَعْنَى ، بَعْدَ عِزِّ ﴿ أَسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [طه : ١١٦]
يَقْبِضُ جَبْرِيلُ عَلَى نَاصِيَتِهِ لِلإِخْرَاجِ ، وَالْمَدَنِيُّ يَقُولُ : اِرْفُقْ بِي .

(١) سُور : بقية الماء .

(٢) وَبِيء : وخيم .

(٣) غدير : من الغدر والخيانة .

(٤) عريكته : طبيعته .

(٥) فش : يقال : فَشَّ القفلَ فَشًّا ، أَي : فتحه بغير مفتاح .

(٦) الأنابيب : جمع أنبوب : ما تصنع منه الرماح .

(٧) الطيش : يقال : طاش : عدل وانحرف .

(٨) الصَّعَاد : جمع صَعْدَة : وهي الرماح .

(٩) التدبير : النظر في عاقبة الأمر .

يا سائقَ البَكَراتِ^(١) استَبَقِ فَضْلَتَهَا على الغُويرِ^(٢) فظَهَرُ البَكْرِ معقُورُ
كان يتوقَّفُ في خروجه لو ترك، ويتشبَّث بذيلٍ لو نَفَعَ، ولسانُ الأسي
يصيحُ بمن آسا^(٣):

تَرَوُّدٌ مِنَ المَاءِ الثُّقَاخِ^(٤) فَلَنْ تَرَى بوادي الغَضَى^(٥) ماءٌ ثُقَاخاً ولا بَرْدَا
وَنَلٌّ مِنْ نَسِيمِ البَّانِ والرَّندِ نَفْحَةٌ فهَيَّاتِ وادٍ يُبِثُّ البَّانَ^(٦) والرَّندَا^(٧)
وَكُرًّا إِلَى نَجْدٍ بَطْرِفِكَ إِنَّهُ متى تَسِرُ^(٨) لا تَنْظُرُ عَقِيقاً^(٩) ولا نَجْدَا
ما زال مُذْ نَزَلَ، يرفعُ قِصَصَ الغُصَصِ، على أيدي أنفاسِ الأسفِ، فتصعد
به صُعداءُ اللَّهْفِ^(١٠):

ألا يا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ تَحْمَلُ إِلَى أَهْلِ الحِجَازِ سَلامِي
ولائي لَاهْوَى أَنْ أَكُونَ بِأَرْضِهِمْ على أَتْنِي مِنْهَا اسْتَفْدْتُ سِقامِي
واعجباً! مَنْ قلقَ آدَمَ بَلا مُعِينٍ على الحَزَنِ، هَوَامُ الأَرْضِ لا تَفْهَمُ ما يَقُولُ،
وملائكةُ السَّماءِ عِنْدَها بَقايا ﴿أَتَجَمَّلُ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ فهو في كَرَبَةٍ، وحيدٌ بِدارِ
غَرَبَةٍ:

ألا راحِمٌ مِنْ آلِ لَيْلَى فاشتَكِي غرامِي لَهُ حَتَّى يَكِلَ لِسانِيَا

* * *

-
- (١) البكرات: جمع بكرة: الفتية من الإبل.
(٢) الغوير: كزبير، ماء لبني كلب بن وبرة بناحية السماوة.
(٣) الأسي: الحزن. وآسا: أحزن، يقال: آسأه، أي: أحزنه.
(٤) الثُّقَاخ: بضم النون، الماء العذب الذي ينقح الفؤاد بيرده، أي: ينقحه، أي يكسره.
(٥) الغَضَى: شجر من الأثل خشبه أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ،
واحده غَضاة، وأهل الغَضَى أهل نجد.
(٦) البان: جمع بانة: ضرب من الشجر.
(٧) الرَّند: شجر طيب من شجر البادية.
(٨) تسر: السير في الليل.
(٩) العقيق: الوادي الذي شقَّه السيل قديماً فأنهره.
(١٠) صُعداء: تنفس ممدود. اللَّهْف: الحزن والتحسر.

الفَصْلُ الثَّامِنُ، وَالْبَعَثُوتُ

إخواني! أيامُ العافية غنيمة باردة، وأوقاتُ السلامة لا تُشبهُها فائدة،
فتناول ما دامتُ لديك المائدة، فليستِ الساعاتُ الذاهباتُ بعائدة:

مَضَى أَمْسُكَ الْمَاضِي شَهِيداً مُعَدَّلاً^(١) وَاتَّبِعْهُ يَوْمٌ عَلَيْكَ شَهِيدُ
فَإِنْ تَكُ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً فَبَادِرْ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ
وَلَا تُبْقِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ
إِذَا مَا الْمَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

كَأَنَّكُمْ بِالْقِيَامَةِ قَدْ قَامَتْ، وَبِالنَفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ قَدْ لَامَتْ، وَانْفَتَحَتْ
عَيُونٌ طَالَمَا نَامَتْ، تَحِيرُ قُلُوبَ الْعَصَاةِ وَهَامَتْ.

غَدًا تُوقَى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصَدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا
إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاؤُوا فَبُئْسَ مَا صَنَعُوا

شِبْكَةُ الْحِسَابِ ضَيْقَةُ الْأَعْيُنِ^(٢)، لَا يَعْْبُرُهَا شَيْءٌ، وَكَيْلُ الْمَطَالِبَةِ خَصْمُ
الْذِّ^(٣)، أَيْنِطَقُ بِأَقْلٍ^(٤) عُذْرَكَ بَيْنَ يَدَيَّ سَحْبَانَ^(٥) الْمُنَاقِشَةِ، كَلَّا أَيْقِنُ بِالسَّجَنِ.

يَا هَذَا! إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي حَبْسٍ: فَأُولُ الْحُبُوسِ: صُلْبُ الْأَبِ، وَالثَّانِي:
بَطْنُ الْأُمِّ، وَالثَّالِثُ: الْقِمَاطُ^(٦)، والرَّابِعُ: الْمَكْتَبُ، وَالْخَامِسُ: الْكَذُّ عَلَى

(١) شهيداً: أي شاهدأ على عملك. معدلاً: من العدالة وهو من قبلت شهادته.

(٢) الأعين: أي الفتحات.

(٣) الذِّ: شديد الخصومة.

(٤) اسم رجل من العرب، وكان اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فقيل له: بكم اشتريته؟ ففتح
كفيه، وفرق أصابعه وأخرج لسانه، يشير بذلك إلى أحد عشر، فضربوا به المثل في العي
فقالوا: «أعيان من باقل» يريد أن عذره لا يقوم للمحاسب الذي شبهه بسحبان.

(٥) سحبان: رجل من وائل مشهور بفصاحته وبلاغته.

(٦) القمط: ما يُشَدُّ به الصبي في المهد.

العيال، والسادس: الموت، والسابع: القبر، فإن وَقَعْتَ في الثامن^(١)، نسيْتَ مرارة كلِّ حَبْسٍ.

يا هذا! أَدْخُلْ حَبْسَ التقوى باختيارك أياماً، لِيَحْصُلَ لك الإِطْلَاقُ في الأغراضِ على الدوام، ولا تُؤَثِّرَنَّ إِطْلَاقُ نَفْسِكَ فيما تُحِبُّ، فَإِنَّهُ يورِثُ حَبْسَ الأبدِ في النار.

إلى متى تسجنُ عقلَكَ في مَطْمُورَةٍ^(٢) هَواك؟ أَوْ يُحْبَسَ طاووس في ناووس^(٣)!؟

ويحك! تفكّرْ فيما بينَ يديكَ، وقد هان الصَّبْرُ عليك، لما خفيتِ العواقبُ على المتقين، فزِعُوا إلى القلقِ، وأكثرُوا من البكاء، فعذَلَهُمْ من يشفقُ عليهم، وما يدري العاذلُ أَنَّ العذلَ على حَمْلِ الحُزْنِ عِلَاقَةٌ^(٤).

قيل لبعضِ العُبادِ: لِمَ تبكي؟

قال: إذا لم أبكِ فما أصنع؟

لو أنْ دَمَعِي لَمْ يَنْطِقْ بِتَبْيَانِ	ما كانَ يقرأ واشٍ سطرَ كِثْماني
ماءٌ تَوَلَّدُهُ مِنْ حَرِّ نيرانِ	ماءٌ، ولكنَّه ذَوْبُ النفوسِ، وهَلْ
سَدَّتْ سَبِيلَ امرئٍ في الحُبِّ يَلْحاني	ليْتَ النَّوى إذْ سَقَتْنِي سُمٌّ أَسودِها
ما أبعدَ الصبرَ ممن شوقُهُ دانِ	قد قلتُ بالجِرْعِ لما أنكَروا جَزَعي:
وفاضَ دَمَعِي فأرواهُ وأظْماني	عُجْنَا على الرَّبْعِ نستسقي له مطراً

قَوِيَ حَضْرُ الخَوْفِ، فاشتدَّ كَرْبُ القومِ، فكلُّما هَبَّ نسيمٌ من الرجاءِ وَلَّوْا وجوهَهُمْ شَطْرَهُ^(٥).

(١) الثامن: يشير إلى الموقف يوم الحساب.

(٢) مَطْمُورَةٌ: حفرة يطمر فيها الطعام، أي: يخبأ.

(٣) ناووس: صندوق من خشب توضع فيه جثة الميت عند النصارى.

(٤) عِلَاقَةٌ: ترقية.

(٥) شطره: نحوه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَوْلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠].

يا طرباً لنفحةٍ نَجْدِيَّةٍ أعدلُ حَرَّ القلبِ باستبرادِها
وما الصُّبا رِيحِي لولا أنَّها إذا جَرَتْ مَرَّتْ على بلادِها
عبارةُ النسيمِ لا يفهمها إلا الأحبابُ، وحديثُ البروقِ لا يروقُ إلا
للمشتاق .

ومرئجٌ^(١) فَطِنَ النسيمُ بوجودِهِ فروى له خبرَ العذِيبِ^(٢) مُعَرِّضاً^(٣)
العارِفُ غائبٌ عندَ ذِكْرِ الدنيا، وحاضرٌ عندَ ذِكْرِ الأخرى، وطائشٌ عندَ ذِكْرِ
الحبيبِ، ويحضرُ المجلسَ موثقاً بقيودِ الهمِّ، فإذا ذُكِرَ الحبيبُ قطعَ الوجدُ
السلاسلَ، إنَّ مداراةَ قيسٍ تمكُنُ^(٤)، ولكن لا عندَ ذِكْرِ ليلَى .
(للخفاجي):

رَمَتْ بِالْجَمَى أَبْصَارَهَا مَطْمَئِنَةً فَلَمَّا بَدَتْ نَجْدٌ وَهَبَتْ جَنُوبُهَا
بَخَلْنَا عَلَيْهَا بِالْبُرَى^(٥) فَتَقَطَّعَتْ وَقَلَّ لِنَجْدٍ لَوْ تَفَرَّتْ^(٦) قَلُوبُهَا
لو برزت ليلَى ليلاً، لصارَ الظلامُ عندَ قيسٍ أوضحَ من الضحَى .
إذا ما وَتَتْ^(٧) نادى الشوقُ فانبَرَتْ^(٨) تَجَدَّدُ^(٩)، وَمَنْ نادى به الشوقُ أسرعَا
مَنْ سَمِعَ ذِكْرَ الحبيبِ، ولم يَشُرْ قلبُهُ عن مستقرِّه فهو مدَّعٍ .

-
- (١) المرئج: المتمايل من السكر وغيره .
(٢) العذيب: تصغير العذب؛ ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة .
(٣) معروضاً: التعريض ضد التصريح، يقال: عرض لفلان: إذا قال قولاً وهو يعنيه . والمعارض في الكلام: التورية .
(٤) تمكُن: أي ممكنة .
(٥) البرى: جمع بُرة، وهي حلقة من نحاسٍ في أنف البعير، أي: أنه لما بدت نجد شلدنا على النوق أزمتها فتقطعت .
(٦) تفرَّت: تشققت .
(٧) وتَّت: ضعفت وفترت وكلت .
(٨) فانبَرَتْ: تعرضت وتصدت .
(٩) تجدد: تجتهد في السير .

(لمهيار):

إذا ذُكِرَ المحبوبُ عندَ مُحِبِّهِ تررَّحَ نشوانٌ وجُنَّ طُروبُ
إذا قيل: مَيَّ لم يسْغني لذكْرِها خِباءٌ، ولم يحسِن بُكايَ رقيبُ
كلامي صحيحُ المزاج، خفيفُ الرُّوح، أنا صائغٌ صائغٌ بابلي^(١)، لفظي
يُبَلِّلُ^(٢)، أنا ماشطة^(٣) القوم، أنا لسان الوقت.

فكانَ قُسًا في عكاظ^(٤) يخطُبُ وكانَ ليلي الأخيلىةَ تنْدُبُ
وكثيْرَ عَزَّةٍ يومَ يَئِنِ يُطْنِبُ وابنَ المقفَّعِ في (اليتيمة) يُسْهِبُ
أنا طبيبٌ لبيب، أمزجُ التحذيرَ بالتشويقِ للعاملين، وأجعلُ كأسَ التخويفِ
صِرْفًا للغافلين، وأجتهدُ في التَّلَطُّفِ جَهْدِي بالعارفين.

الخام^(٥) يعجِبُ البدوي، وأما الحضري فِدِقُ^(٦) مِضْرَ. الأوديةُ الحادَّةُ
تؤذي الأبدانَ النَّحيفةَ. الزاهدُ مَلَّاحُ الشَّطِّ. والعارفُ ناتاني^(٧) المركَّبِ.
الزاهدُ مُقْتَبِ^(٨)، والعارفُ في مَحْمِلِ^(٩)، نفسُ الزاهدِ تسيرُ به، وقلبُ العارفِ
يطيرُ به. العارفُ خالٍ في الزحمة، غريبٌ في الوطن، خلوته بمغرُوفه، طوره^(١٠)
متى تقاضاه^(١١) الشوقُ، حَضَرَ لا عن ميعاد، إذا وطئ بساطَ الانبساط قال:
﴿أَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا سمع صاعقةَ الهَيِّةِ قال: ﴿بُتُّ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:
١٤٣].

- (١) بابلي: نسبة إلى بابل، يريد أن لبيانه سحراً كسحر بابل.
- (١) يبلبل: من بلبل: فرق وبذد، ويريد أن عبارته تؤثر في النفوس.
- (٣) ماشطة: امرأة تحسن المشط وتتخذ حرفة.
- (٤) عكاظ: سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة يتناشدون الأشعار.
- (٥) الخام: النبات الغض الرطب.
- (٦) الدق: الخلطة من الأبرار والتوابل.
- (٧) ناتاني: أي النوتي، وهو الملاح الذي يدير السفينة في البحر، جمعه نواتي.
- (٨) مقتب: مأخوذ من القتب: وهو الرجل الصغير على قدر السنام.
- (٩) المحمل: الهودج.
- (١٠) طوره: يشير إلى جبل الطور الذي خوطب عنده موسى عليه السلام.
- (١١) تقاضاه: طلب منه أن يقضيه حقه.

ويأبى الجوى^(١) أن أُسرَّ الهوى إذا امتلأ القلبُ فاضَّ اللسانُ
إذا رأيتم ناطقاً بالحكمة قد طرب لها فاعذروه، فإنه قد صدر ولم تردوا
بعد^(٢).

العالمُ المُحقِّقُ قد اعتَصَرَ مِنْ كروم المعارفِ خَنْدَرِيسَ^(٣) المعاني، فشرب
منها حتى غلب، فإذا عَزَبَ بالطرب، فلم يَعْذُرْهُ الصاحي، أمرَ ساقِي النطقِ أن
يدوّرَ بكأسِ اللَّفْظِ على أربابِ الألباب، فإذا القومُ نشاوى من الثمل^(٤)، فيصبح
حينئذٍ موافقٌ ﴿تَرَوُدُ فَتَنَهَا﴾ [يوسف: ٣٠]، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي لَمُنَنِي فِيهِ﴾ [يوسف:
٣٢]، عَبَرْنَاكُمْ يا منقطعين، وَعَلَيْنَا أَنْ نَرُدَّ.

لا بدَّ لِلْأَمِيرِ أَنْ يَقِفَ لِلسَّاقَةِ^(٥)، عودوا إلى أوكارِ الكسل، فنحنُ على نية
دخولِ الفلاة.

اسمعوا وصايانا يا مُودَّعِينَ، إذا جُنَّ الليلُ فسيروا في بوادي الدُّجى،
وأنيخوا بوادي الدُّلِّ، واجلسوا في كِسْرِ^(٦) الانكسار، فإذا فُتِحَ البابُ للواصلين
دُونَكُمْ، فاهجموا هجوماً الكذابين، وابسطوا كفَّ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٨٨]
لعلَّ هاتِفَ القبولِ يقول: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وإذا جِثُّمُ ثِيَّاتِ اللَّوَى فليجُوا رَبْعَ الْجَمَى فِي خَطَرِي^(٧)
وصفوا شوقي إلى سُكَّانِهِ واذكروا ما عندكم من خَبَرِي
وَاحْنِنِي نَحْوَ أَيَّامِ مَضَّتْ بِالْجَمَى لَمْ أَقْضِ مِنْهَا وَطَرِي
كُلَّ مَا اسْتَفْتُ تَمَيُّنُكُمْ ضَاعَ عُمْرِي بِالْمُنَى وَاعْمُرِي

* * *

(١) الجوى: الحرقه وشدة الوجد.

(٢) صدر: رجع بعد شربه. تردوا: من الورد على الماء.

(٣) الخندريس: الخمر القديمة.

(٤) الثمل: بقية الكأس.

(٥) الساقة: ساقه الجيش: مؤخره.

(٦) كسر: بكسر الكاف وتسكين السين: جانب الخباء.

(٧) خطري: يقال: خطر في مشيته خطراً، أي: اهترأ وتبختر.

الفصل التاسع والبنماتون

أه لنفسٍ أقبلت على العدو وقبّلت، وبادرت إلى ما يؤذيها من الخطايا
وعجّلت، مَنْ لها إذا سُئِلت عن قبيحها فخرجت، وسُئِل عليها سيفُ العتابِ
فَقُتِلَتْ ١٩.

ما لِنَفْسِي عَنْ مَعَادِي غَفَلْتُ ١٩
أيها المغرورُ في لهوِ الهوى
أفْ لَدُنْيَا فكم تخذعنا
رُبَّ رِيحٍ لَأَنَاسٍ عَصَفَتْ
فكذلك الذّفرُ في تصرّيفه
أينَ مَنْ أَصْبَحَ في غفلته
أصبحت آماله قد خسرت
جُزْ على الدارِ بقلبٍ حاضِرٍ
أوجهُ كانت بُدُوراً طُلُعاً
قالتِ الدّارُ: تفانوا ومضوا
عائثوا أفعالهم في تُربهم
إنما الدُّنيا كظلٍّ زائلٍ

أتراها نسيّت ما فعلت
كلُّ نفسٍ ستري ما عملت
كم عزيزٍ في هواها خذلت
ثمَّ ما إن لبثت أن سكنت
قدّم زلت وأخرى ثبتت
في سُرورٍ ومُراداتٍ خلّت
وديارُ اللهوِ منه خربت
ثم قل: يا دارُ ماذا فعلت؟
وشموساً طالما قد أشرقَتْ
وكذا كلُّ مُقيمٍ إن ثبت
فسلِّ الأجدات^(١) عمّا استودعت
أو كأحلامٍ منامٍ ذهبَتْ

يا مَنْ هوَ في هُوةِ الهوى قد هوى^(٢)، كم مَسلوبٍ بكفِّ النوى^(٣) عمّا
نوى، أين المستقرُّ عيشُهُ، أدركه النوى فالتوى^(٤) ١٩.

أين الجبّارُ الذي إذا علّق بالشوى شوى^(٥) ١٩! أين شبعانُ اللذاتِ أدركه

(١) الأجدات: القبور.

(٢) هوى: تردّى وسقط.

(٣) بكف النوى: كناية عن الموت.

(٤) النوى: الهلاك. فالتوى: ذهب وهلك.

(٥) الشوى: الرّجلان وسائر الأطراف. شوى: أخرق.

الطوى لما طوى^(١)، ليت له ذهب الأصل، تيقظ الفرع^(٢) فارعوى^(٣)، إلى متى خلف^(٤) ووعد الدنيا كله خلف؟!

يا مُتَعَباً نَفْسَهُ بِالْحِرْصِ وَالْقَدَرِ مَا يَتَغَيَّرُ، الرَّاظِي مُرَقَّةً، كم غرقت سفينة مهجة في لُجَّةِ حِرْصٍ، الطَّمَعُ يَخْنُقُ الْعَصْفُورَ قَبْلَ الْفَتْحِ، لما قَنَعَتِ الْعَنْكَبُوتُ بِزَاوِيَةِ الْبَيْتِ سَبَقَ لَهَا الْحَرِيصُ وَهُوَ الذَّبَابُ، فصار قوتاً لها، وَصَوَّتَ بِهَا لِسَانُ الْعِبْرَةِ: رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ.

ترسلُ قَلْبَكَ مع كل مطلوبٍ من الهوى، ثم تبعثُ وراءه وقتَ الصلاةِ ولا يلقاه الرسولُ، فَتُصَلِّيْ بِلا قَلْبٍ.

خَلَقْتَ قَلْبَكَ فِي الْأَطْعَانِ إِذْ نَزَلْتَ بِالْمَازِمِينَ زَمَانَ النَّفْرِ بِالنَّفْرِ^(٥) وَرُحْتَ تَطْلُبُ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ ضُحَى مَا ضَاعَ عِنْدَ مِنِّي فَأَعَجَبْتُ لَذَا الْخَبْرِ لَمَّا طَرَفْنَا النَّقَا كَانَ الْفَوَازُ مَعِي يَا أَرْجَلَ الْعَيْسِ تُهْنِيكَ الرَّمَالُ فَمَا فَضَّلْتُ عَنِّي بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّمْرِ أَغْدُو بِوَجْدِي غَدَاً إِلَّا عَلَى الْأَثَرِ

عليَّ تفصيلُ الأمورِ والجُمَلِ، وما يُرَضَى لِلْقَبْرِ بِهَذَا الْعَمَلِ، يا مَنْ قَدْ حَمَلَ الْخَطَايَا وَبَشَسَ مَا حَمَلَ، أَفِي سَكْرٍ أَنْتَ أَمْ فِي ثَمَلٍ^(٦)؟! لَوْ عَلِمْتَ أَنَّ مَكَاوِي الْحَدِيدِ قَدْ أُخِمِيتَ لِلسَّمَلِ^(٧)، وَلَمْ تَفَرِّقْ مِنَ اللَّبَاسِ بَيْنَ الْجَدِيدِ وَالسَّمَلِ^(٨)، يَا ثَقِيلَ الطَّبَعِ كَالرَّمَلِ^(٩)، فَمَا يَطْرِبُهُ الثَّقِيلُ^(١٠) وَلَا

(١) الطوى: الجوع. طوى: كناية عن الموت.

(٢) الأصل: إشارة إلى الآباء والأجداد. الفرع: الأبناء.

(٣) فارعوى: انزجر.

(٤) خلف: متخلف عن الأولين.

(٥) المازمين: موضع بين المشعر الحرام وعرفة، والأصل في المأزم: كل طريق ضيق بين جبلين. وزمان النفرة: اليوم الذي ينفر الناس فيه من منى بعد الرمي. بالنفر: عدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة.

(٦) ثمل: الثمل: من سكر فأخذ فيه الشراب.

(٧) للسمل: يقال: سمل العين: فقأها بحديدة محمأة.

(٨) السمل: المخلق من الثياب.

(٩) كالرمل: فتات الصخر.

(١٠) الثقل: ضرب من النغم.

الرَّمْلُ^(١)، تعصي ثم تُصِرُّ فتضيف إلى صفينَ الجَمَلِ^(٢)، يا مَنْ قَدْ فَقَدَ قَلْبَهُ لَا تَيْشُنْ مِنْ عَوْدِهِ.

وقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّيْئَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ الْأَتْلَاقِيَا

الهوى قاطن^(٣)، والصوابُ خاطئٌ، وقلْعُ القاطنِ صعبٌ، وإمساكُ الخاطرِ أصعبُ، الهوى متدِيرٌ^(٤)، والمواعظ نَزَالَةٌ^(٥)، ومع مداراةِ الجملِ تصلُ^(٦).

لما تَزِينَتْ زَخَارِفُ الدُّنْيَا، تَوَاثَبَتْ جُهَاَلُ الطَّبَعِ لِاتِّبَاعِ الهوى، فَبُعِثَ الْعَقْلُ كَافًّا لَهُمْ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ، مُوَكَّلًا بِهِمْ، وَكَلَّمَا زَادَ فِي قِيودِهِمْ فَكُّوا السَّلَاسِلَ، وَكَلَّمَا تَلَا عَلَيْهِمُ النَّصَائِحَ، أَسْمَعُوا الْقَبَائِحَ.

فَوَا عَجَبًا لِمَعْرِفِ بُلْبِي بِمَقَاسَةِ أَنْذَالِ، مَا يَزَالُ الْعَقْلُ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ، وَيُشْرَحُ الْعَوَاقِبَ، وَلَكِنْ مَنْ يَسْمَعُ؟! اخْضُرْ مَعَهُ فِي خَلْوَةٍ، وَاسْتَحْضِرْ صَدِيقَ الْفِكْرِ، فَإِنَّهُ ثَقَّةٌ، فَإِنْ خَرَجْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ قَوِيَ دَلِيلُ النَّصْحِ، مَرَّوًا^(٧) بِقُصُورِ الْمَذْنِبِينَ، تَجَدُّوْا طَعْمَ أَخْبَارِهِمْ مُرًّا^(٨)، وَجُوزُوا عَلَى قُبُورِ الصَّالِحِينَ، فَقَدْ جُوزُوا^(٩) فِي الْعَاجِلِ ذِكْرًا، «إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ بَكَى عَلَيْهِ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ، وَمُصْعَدُهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(١٠)،

-
- (١) الرمل: إشارة إلى بحور الشعر، وقد زاد شيوعه في العصر الحديث.
- (٢) صفين: إشارة إلى معركة صفين بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما. والجمل: أي معركة الجمل بين أم المؤمنين عائشة وسيدنا علي رضي الله عنهما.
- (٣) قاطن: مقيم.
- (٤) متدير: من تدبير المكان اتخذهُ داراً، يشير إلى تمكن الهوى من النفس.
- (٥) نزالة: كثرة النزول.
- (٦) إشارة إلى حسن سياسة النفس.
- (٧) مروا: من المرور.
- (٨) مرأ: من المرو وهو العلقم.
- (٩) جوزوا الأولى: مروا. وجوزوا الثانية: أثبوا.
- (١٠) رواه ابن المبارك في الزهد، وعبدُ بن حُميد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن المنذر دون قوله: «أربعين صباحاً» بلفظ: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَكَى عَلَيْهِ مُصَلَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَمُصْعَدُ عَمَلِهِ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ قُرَأَ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]» كنز العمال (٤٢٩٦٦).

واعجباً للبقاع تبكي عليهم ، وتبكي منكم^(١) .

أما الوقوف فقد وَقَفْتُ بدارهم وسألْتُها لو أنَّ داراً تفهمُ
وإذا رأيتُ طولَهم أيقنْتُ أنَّ نَ الدَّارَ يُخْرِبُها البلى ويتمُّ
نَحَلْتُ لِيَينهم ولم أَكُ عارفاً أنَّ الدِّيارَ بهم تصحُّ وتسقمُ
يا له من عدل ، لو كان للمعاتبِ فهم ، لقد نفختُ - والله - لو كان ثمَّ فحم .

(للشريف الرضي)^(٢) :

والحُرُّ مَنْ حَذَرَ الهَوَانَ يُزايِلُ^(٣) الأمرَ الجسيماً
والعاجزُ المأفُونُ^(٤) أقعدُ ما يكونُ إذا أُقيما

. العباراتُ حظُّ النفوس ، والإشاراتُ قوَّةُ القلوب .

نزلَ بعضُ أرباب المعاملة إلى الشطِّ فصاح : يا ملاحُ تحملني ؟ .

فقال : إلى أين ؟ .

قال : إلى دار الملك ؟ .

فقال : معي ركاب إلى القطيعة^(٥) .

فصاح الفقير بالملاح : لا بالله لا بالله ، أنا منذُ سبعينَ سنةً أفرُّ منها .

دخل ذو فطنة إلى دار قوم ، فرأى حُبّاً^(٦) ، وإلى جانبه مَرَكَنُ^(٧) قد زُرِعَ فيه صَبْرٌ ، فتواجد فقال : حُبٌّ إلى جانبه صَبْرٌ .

(١) في (أ) : تبكي منهم .

(٢) من قصيدة عاتب فيها الوزير البرقومي . انظر : ديوان شعره : ٤٢٨ / ٢ .

(٣) يزايِلُ : يحاذِرُ .

(٤) المأفون : الضعيف العقل .

(٥) الظاهر أنه اسم مكان ، وهذا المحب منعه الركوب في السفينة خوفاً من القطيعة حتى من ذكر اسمها .

(٦) حُبّاً : يضم الحاء : الخابية .

(٧) مَرَكَنُ : وعاء يغسل فيه الثياب .

يا نازلينَ الحِمَى رفقا بقلبِ فتى إن صاحَ بالبينِ داعِ باحَ مُضْمَرُهُ
وقد يميلُ إلى المغنى يُسَائِلُهُ أخو الغرامِ ولكنَّ مَنْ يَخْبِرُهُ
وما ذكركمُ إلا وَهْمَتْ جوى وآفةُ المُبْتَلَى فيكمُ تذكُّرُهُ
ولا عزمْتُ على سُلوَانِ حُبِّكُمْ إلا ويخذلُنِي قلبي ويَضُرُّهُ

أين الذين كانوا نجوم الدنيا وأقمار الآخرة، قياماً كالأعلام^(١)، على جواد
الهوى، تقوى بأنفاسهم نفوس أنفاس أهل التقوى، يَصَوَّتُونَ بالمنقطع،
ويُرشدونَ المتحير، ما بقي في الديار ديار.

نسيمَ الصِّبَا إن زرتَ أرضَ أحبِّي فحُصَّهِمُ عَنِّي بكلِّ سلامٍ
وبَلَّغَهُمُ أَنِّي رهينٌ^(٢) صبايةً^(٣) وأنَّ غرامي فوقَ كلِّ غرامٍ
وَأَنِّي لَتَكْفِينِي طروقُ خيالِهِم لو أنَّ جفوني مُتَّعَتْ بمنامٍ
ولستُ أبالي بالجنانِ وباللظى إذا كان في تلكَ الديارِ مقامي
وقد صُمْتُ عن لذاتِ دَهْرِي كُلِّهَا ويومَ لِقَاكُمْ ذاكَ فِطْرُ صيامي

رحلَ القومُ وتخلَّفنا، وبَادَرُوا^(٤) أيامهم وسوَّفنا، وعرفنا طريقهم لكنَّا
انقطعنا، فسيروا بنا، فَإِنْ لحقنا وإلا نأسَفنا.

يا صاحبي إن كنتَ لي أو معي فعُدْ إلى روضِ الحِمَى نرتعِ
حيَّ كَثِيبَ الرملِ رملِ الحِمَى وقِفْ وسلِّمَ لي على لعلِ
وسلِّ عن الوادي وأربابه وانشُدْ فؤادي في رُبَى المجمعِ
وابكِ فما في العينِ من فضلةٍ وَنَبِّ^(٥) فَدَتِكَ النفسُ عن مَدْمَعِي
واسمعَ حديثاً قد رَوَّته الصِّبَا تُسَيِّدُهُ عن بانهٍ^(٦) الأجرعِ
وانزلْ على الشَّيخِ بواديهِمُ واشممَ عُشْبَ البلدِ البَلقعِ
بَلِّغْ تحيَّاتي إلى رَبِّعِهِم وقلْ ديارَ الظاعنينَ اسمعي

(١) الأعلام: الجبال.

(٢) رهين: مرهون، وهو ما وضع عندك ليتوب مناب ما أخذ منك.

(٣) صباية: عشق.

(٤) بادروا: سارعوا وسابقوا.

(٥) نَبِّ: فعل أمر من ناب ينوب نيابة.

(٦) بانه: ضرب من الشجر.

رَفَقًا يَنْضَوِ^(١) قَدْ بَرَاهُ^(٢) الْأَسَى
لَهْفِي عَلَى طَيْبِ لِيَالٍ خَلَّتْ
إِذَا تَذَكَّرْتُ زَمَانًا مَضَى
أَرَايَ لِي وَصْلَهُمْ بَعْدَهَا
يَا نَفْسُ كَمْ أَتْلُو حَدِيثَ الْمُنَى
يَا قَلْبُ لَا تَسْكُنْ عَلَى بُغْدِهِمْ

يَا عَاذِلِي لَوْ كَانَ قَلْبِي مَعِي
عُرْدِي تَعُودِي^(٣) مُدْتَفًا قَدْ نَعِي
فَوَيْحَ أَجْفَانِي مِنْ أَدْمُعِي
يَا نَفْسُ إِنْ لَمْ يَصِلُوا وَدَّعِي
ضَاعَ زَمَانِي بِالْمُنَى فَاقْطَعِي
وَأَنْتِ يَا عَيْنُ فَلَا تَهْجَعِي



(١) نضو: مهزول، بال.

(٢) براه: أنحله وجعله هزيباً.

(٣) تعودي: من عيادة المريض، وهو مجزوم بالطلب. (عودي) بمعنى: ارجعي.

الفصل في التسبُّح

إخواني! ألا ذو سمع وبصر، يعلم أن الأعمار فيها قصر، ألا مُتْلَمَّح ما في
الغَيْر من العَبَر، ألا ذا كُرْبَيْتِ الترابِ والمدَر.

تَنْبَهُ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو فَجَعَاتٍ وَشَمَلُ جَمِيعِ صَائِرِ لِسْتَاتٍ
نُخْلَفُ مَامُولَاتِنَا وَكَأَنَّا نَسِيرُ إِلَيْهَا لَا إِلَى الْغَمَرَاتِ^(١)
هَلِ الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ نَاطِرٌ سَوَى فَقْدِ حُبٍّ أَوْ لِقَاءِ مَمَاتٍ
وَمَا حَرَكَاتُ الدَّهْرِ فِي كُلِّ طَرْفَةٍ بِلَاهِيَةٍ عَنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ
سَيُسْقَى بَنُو الدُّنْيَا كُزُوسَ حَتُوفِهِمْ^(٢) إِلَى أَنْ يَنَامُوا لَا مَنَامَ سُبَاتٍ
وَمَا فُوجِئَتْ نَفْسٌ يَتَلَوَّى وَقَدْ رَأَتْ عِظَاتٍ مِنَ الْأَيَّامِ بَعْدَ عِظَاتٍ
إِذَا بَغَتْ أَشْيَاءٌ قَدْ كَانَ مِثْلُهَا قَدِيمًا فَلَا تَغْتَدِّهَا بَغَاتٍ
وَأَعْقَبَ مِنَ النَّوْمِ التَّنْبَهُ رَاشِدًا فَلَا بَدَّ لِلنَّوَامِ مِنْ يَقْظَاتٍ

يَا مَنْ يَجُولُ فِي الْمَعَاصِي قَلْبُهُ وَهْمُهُ! يَا مَعْتَقِدًا صِحَّتَهُ فِيمَا هُوَ سَقَمُهُ! يَا مَنْ
كَلَّمَ طَالَ عَمْرُهُ زَادَ إِنْمَهُ! أَيْنَ لَذَّةُ الْهَوَى؟ رَحَلَ الْمَطْعُومُ وَطَعَمُهُ، يَا مَنْ سَيَجْمَعُهُ
الْلَحْدُ عَنْ قَرِيبٍ وَيَضْمُهُ، كَيْفَ يُوعِظُ مَنْ لَا يَعِظُهُ عَقْلُهُ وَلَا فَهْمُهُ! كَيْفَ يُوقِظُ مَنْ
قَدْ نَامَ قَلْبُهُ لَا عَيْنُهُ وَلَا جِسْمُهُ!؟

وَيَحَكْ! تَدَارِكْ أَمْرَكَ قَبْلَ الْفَوْتِ، أَتَنْفَعُ الْإِسْتِغَاثَةَ وَالسُّمُّ قَدْ وَصَلَ إِلَى
الْقَلْبِ!؟ إِنَّ الدُّرْيَاقَ^(٣) يَضْلُحُ قَبْلَ اللَّسَعِ، وَمَذْهَبُ ابْنِ سُرَيْجٍ يُسْتَعْمَلُ قَبْلَ
الطَّلَاقِ^(٤).

(١) الغمرات: الشدائد: كناية عن شدائد الموت.

(٢) حتوفهم: جمع حتف، وهو الموت.

(٣) الدرياق: دواء السموم، (فارسي معرب).

(٤) مذهب ابن سريج: يشير إلى مذهب ابن سريج في المسألة المشهورة بالشريجية،
وصورتها أن يقول الزوج لزوجته: «متى طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثاً، فطلقها» فمذهبه =

لَمْ أَحْدِثْ وَالْقَلْبُ غَائِبٌ ۱؟ لَمْ أَعَاتِبْ وَالْفَكْرُ ذَاهِلٌ ۱؟ وَ أَسْفَا مِنْ ضَرْبِ
الْخِرَاجِ^(١) عَلَى بَلَدٍ خَرَابٍ .

ويحك! أجماد أنت أم حيوان؟ ۱ هذا الفهدُ على خُساسةٍ خُلِقَ يُصَادُ بالصوتِ
الحسنِ، ومتى وثبَ على الصيدِ ثلاثَ مراتٍ ولم يدركه، غضبَ على نفسه، كم قد
وثبتَ على هواك مرة فلم تقدر عليه، فأينَ غضبك على التقصيرِ؟! هيهات، ليس
عند الطاووس إلا حُسنُ الصورة، تُفِيقُ في المجلسِ لحظةً، ثم تذكر الشهواتِ
فُيغْمى عليك، وإنَّ الغرابَ إذا سَكِرَ بِشَرَابِ الْحِرْصِ تَنَقَّلَ بِالْجَيْفِ، فإذا صحا من
خُماره نَدَبَ عَلَى الطَّلَلِ^(٢)، لما عَزَّتْ نَفْسُ الْبِغَاءِ زَاخَمَتِ الْآدَمِيْنَ فِي النَّطْقِ،
وهي تتناول بكفها مِنْ جِنْسٍ مَطَاعِمِهِمْ .

وَ اعْجَباً لِبَهِيمٍ يَتَشَبَّهُ بِالنَّاسِ، وَلِإِنْسَانٍ يَتَشَبَّهُ بِبَهِيمٍ، كُلُّ هَذَا سَبَبُ الْهَمَّةِ^(٣)،
لَا يَطْمَعَنَّ الْبَطَالُ^(٤) فِي مَنَازِلِ الْأَبْطَالِ، إِنَّ لَذَّةَ الرَّاحَةِ لَا تُتَنَاوَلُ بِالرَّاحَةِ^(٥)، مِنْ زَرْعِ
حَصْدٍ، وَمِنْ جَدِّ وَجْدٍ .

(لأبي فراس):

وَ كَيْفَ يُنَالُ الْمَجْدُ وَالْجِسْمُ وَادِعٌ^(٦) وَ كَيْفَ يُحَازُ الْحَمْدُ وَالْوَفْرُ^(٧) وَافِرٌ^(٨)

= عدم وقوع الطلاق المعلق ولا المنجز، وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في (منهاج
الطالبين) ثلاثة أقوال: وقوع المنجز فقط، وقيل: ثلاث، وقيل: لا شيء. وقال الشيخ
عز الدين بن عبد السلام: لا يجوز التقليد في عدم الوقوع. وقال ابن الصاغ: وددت لو
مُحيث هذه المسألة، وابن سريج بريء مما نُسِبَ إليه. انظر: مغني المحتاج شرح
المنهاج، للخطيب الشربيني: ٣/٣٢٤.

- (١) الخراج: ما تفرضه الدولة على الأرض المفتوحة غلة يؤدونها مع إقرار أهلها عليها.
- (٢) التنقل: أكل الثقل، والنقل: المكسرات. خُماره: سكره. ندب: يقال: ندب الميت:
بكى عليه وعدد محاسنه. الطلل: بقايا الديار.
- (٣) الهمة: العزم القوي.
- (٤) البطال: المتعطل عن العمل.
- (٥) الراحة: ضد التعب.
- (٦) وادع: أي ذو دعة وراحة، أي: مستريح.
- (٧) الوفرة: المال الكثير.
- (٨) وافر: مخزون، مدخر موفر، والموفر: التام.

أي مطلوب يتل من غير مشقة؟ وأي مرغوب لم تبعد على مؤثره الشقة؟
المال لا يحصل إلا بالتعب، والعلم لا يدرك إلا بالنصب^(١)، واسم الجواد لا يناله
بخيل، ولقب الشجاع بعد تعب طويل.

(للمتبي):

لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفرق والإقدام قتال

يا أعجمي الفهم! متى تفهم؟ يا فرحاً بلذة عقباها جهنم! ستدري متى تبكي
ومتى تندم؛ إذا جثا الخليل وتزلزل ابن مريم^(٢) يا عاشق الدنيا كم مات متيم!
ما للفلاح فيك علامة، والله أعلم. إن كان ثم^(٣) عذر، فقل وتكلم.

غاب الهدد عن سليمان ساعة فتواعده^(٤)، فيا غائباً عنا طول عمره، أما
تحذر غضبنا؟!

خالف موسى الخضر في طريق الصحبة ثلاث مرات، فحل^(٥) عقدة الوصل
بكف ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]، أما تخاف يا من لم يق لنا قط، أن
نقول في بعض زلاتك: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذب، لو صحت معرفتهم بالمالك،
لما استغاثوا ﴿يَمْلِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧]^(٦).

وقع بينهم شخص ليس من الجنس^(٧)، كانت في باطنه ذرة من المعرفة،

(١) النصب: التعب.

(٢) الخليل: أي إبراهيم عليه السلام. وابن مريم: سيدنا عيسى عليه السلام، وذلك عندما
يؤتى بجهنم يوم القيامة، فتزفر زفرة تجثو لها الأمم في أرض المحشر.

(٣) ثم: هناك.

(٤) تواعده: هذبه.

(٥) حل: أي حل الخضر عليه السلام عقد المصاحبة.

(٦) سورة الزخرف، الآية ٧٧: ﴿وَنَادَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

(٧) وقع بينهم: أي بين أهل النار. ليس من الجنس: ليس من الكافرين المخلدين.

فكلّما حملت عليه^(١) النار اتقاها يذرع «يا حنان يا منان»^(٢) كان موته في المعاصي سكنته، فقبر في جهنم، فلمّا تحرّك الروح في الباطن أخرج، رأى الأسباب بيد المسبّب، فتعلّق بالأصل.

إخواني! اليوم رجاؤنا للرحمة قويّ، فكيف نصنع غداً إن ضعف؟!

هذا جزئي وما خلا معناكم ما أصنع يوم بينكم حاشاكم
أقسمت بكم لكم وحسبي ذاكم لا أذكر غيركم ولا أنساكم

أزعجتموني بتقلقلكم يا تائبين، أخرجتموني عن الحد يا خائفين.

يا صبا نجد وبانات الغضى أرفقا بي في التثني^(٣) والهبوب^(٤)

يتقوّمون بمقالي، ويقومون على حرّ المقالي^(٥)، ويخرج عاطل البطالة وهو خالي، وأنا أدري ما حالي ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزَفِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

يا غادياً نحو هضاب الحمى بلغ رسوم الدار ما عندي
كم لي بتلك الدار من وقفة أشكو من الهجران والصّد

يا ركب التوبة! إن تزودتم فالتقوى، وإن سرتم إلى الله فاحملوا معكم

(١) حملت عليه: أغارت.

(٢) أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسملي عن أنس، وأبو ظلال ضعيف، ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء بلفظ: «إن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي: يا حنان يا منان! فيقول الله تعالى لجبريل: اذهب فأنتي بعدي، قال: فيجيء به، فيوقفه على ربه، فيقول الله تعالى: كيف وجدت مكانك؟ فيقول: شرّ مكان، قال: فيقول: رُدّوه إلى مكانه. قال: فيمشي ويلتفت إلى ورائه، فيقول الله عز وجل: إلى أي شيء تلفت؟ فيقول: لقد رجوت ألا تعيدني إليها بعد إذا أخرجتني منها! فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة، ورواه البيهقي في (الشعب) وضعفه، وابن أبي الدنيا في كتاب (حسن الظن بالله).

(٣) التثني: إشارة إلى حركة البان بهبوب الصبا عليه.

(٤) الهبوب: يشير به إلى حركة الصبا.

(٥) المقالي: جمع مقلاة، وهي ما يلقى فيها.

رسالة متلهف تحتوي على حسرة مُخَصَّر^(١).

يا حادي العيس ترفق واستمع	مني وبلغ إن وصلت عني
وقف بأكناف الجواز ناشداً	قلبي فقد ضاع الغداة مني
وقل إذا وصلت نحو أرضهم	ذاك الأسير موثق بالحزن
عرض بذكري عندهم عساهم	إن سمعوك سائلوك عني
قل: ذلك المحبوس عن قصدكم	معدب القلب بكل فن
يقول: أملت بأن أزوركم	في جملة الوفد فخاب ظني

يا معاشر التائبين! بحرمة الصحبة لا تنسوني غداً، بايعتكم علي الملك فلا تنسوا كرامة الدلال، أعود بك يا إلهي أن تجعل حظي لفظي، وأصفي أصف وأصفي، ويشرب غيري.

(للشريف):

فَعِنْدِي زَفِيرٌ مَا تَرْقَى إِلَى الْحَشَى وَعِنْدِي دَمُوعٌ مَا بَلَّغْنَ الْمَاقِيَا

وا حسرتا! أأكون كالقوس دفعت السهم فمّر ولم تبرخ؟! أأصير كالإبرة تكسو غيرها وهي غريانة؟! أشبه حال الشمعة أضاءت غيرها باحتراق نفسها!.

أثرى يرجع لي دهر مضي أثرى ينفعني قولي ثرى
وَيْكَ يَا عَيْنُ أَعْيَنِي قَلْقِي إِنَّ تَوَاتَيْتُ فَلَا ذُقْتُ الْكَرَى

إلهي! أيقظتني في الصبا، وأقمتني أدلّ الخلق عليك، ومزجت كأس نطقي بعدوبة، وجعلتني في إخباري معروفاً بالأمانة، فركن إليّ أهل المعاملة، ولو عرفتوا إفلاسي ما عوملت.

إلهي طال ما اجتذبت العصاة بعد أن تهافتوا في النار، أفتصدرون وأردو!.

سيدي إن لم أصلح للرضا فالعفو العفو.

* * *

(١) محصّر: الذي حبس عن أداء النسك.

الفصل الحادي والتسعون

إخواني! أما يُنبه على استعداد الزادِ سلبُ الآباءِ وأخذُ الأجدادِ؟ أما يُحرِّكُ إلى التيقُّظِ ونفي الرقادِ عكسُ المُشْتَهِي ورُدُّ المرادِ؟! .

(للشريف الرضي) (١):

لنا كلُّ يومٍ رنةٌ خَلَفَ ذاهِبٍ ومُسْتَهْلِكٌ بين النوى (٢) والنوابِ (٣)
وناملُ مِنْ وَعْدِ المُنَى غيرَ صادقٍ ونأمنُ مِنْ وَعْدِ الرَّدَى غيرَ كاذِبٍ
نُراغُ إذا ما شَبِكَ (٤) أحمصُ بغضنا وأقدأنا ما يَبِنُ شوْكُ العقاربِ
نَعَمُ إنها الدُّنيا سَمَامٌ لطاعِمٍ وخَوْفٌ لمطلوبٍ وهمٌ لَطالِبِ
وإنَّا لنهواها على الغدرِ والقِلَى (٥)

أي مطمئنٌ لم يُزعج؟! أي قاطنٌ لم يُخرج؟! فرسُ الرَّحِيلِ لنا مُسْرَجٌ، وما جرى على الأقرانِ أنموذج .

يا مختالاً في ثوبِ الصُّبا مُعْجَباً بِمُرْطِه (٦)، شَرَطُ المَقامِ الرَّحِيلُ، وقد تقاضى بشرطه، أما لك عبرةٌ في رَفْعِ الزَّمانِ وخطه، أما ترى رُقومَ (٧) المنايا مكتوبةً بخطه، أما أعْرَبَ (٨) المسطورُ بِشَكْلِ المرضِ ونقْطه، هلاً تصوّر العاصي

(١) من قصيدة قالها يرثي خاله أحمد بن الحسين الناصر، سنة (٣٩١هـ). انظر: ديوان شعراء: ١٣٦/١.

(٢) النوى: البعد.

(٣) النواب: المصائب.

(٤) شيك: غزته شوكة: أي دخلت في أحمصه.

(٥) القلى: البغض.

(٦) مرطه: المرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به.

(٧) رقوم: جمع رقم، وهو النقش.

(٨) أعرب: أفصح وأبان.

ساعة إنزاله إلى القبر وخطه، أفلا يتذكّر الفتى أخذ ماله على رَغْمِهِ وَمِنْ أَضْلٍ قَرَطَهُ.

يا مَنْ قد قاده بلا خِزَامَةٍ^(١)، لو قبلت مشورة العقل لم تتجرّع مرّاً (لو) و(ليت)^(٢)، قدّر أنّ الزَّلَل يَخْفَى على الخلق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، صور أنّه قد عفا عنك فأين الحياء مما جنيته؟!

هَبِ البعث لم تَأْتِنَا رُسُلُهُ وجامحة النار لم تُضَرَمِ
أليس من الواجب المُستَحِق حياءُ العبادِ مِنَ الْمُنْعِمِ؟!
أقلّ نعمه أن أوسع عَرَصَةَ^(٣) الوجود، لئلا يضيق نفسُ النَّفسِ بالحَضَرِ،
وأجرى بَحْرَ الهواءِ في جوِّ الفضاءِ يُقْتَسَمُ بمكاييلِ الخياشيمِ، فيَصِلُ بِالْعَدْلِ إلى
ذواتِ الذواتِ، وا عجباً للغافلين عن هذا المنعم!

بماذا اشتغلوا؟! أجهلاً بوجوده؟! فهو أوضح من ضحى. أم ميلاً إلى
الدنيا؟ فهي أغدر من تاء بتمتّام^(٤)؛ إن سَلِمْتَ فَتَنَتْ، وإن تَلِفْتَ أَهْلَكَ!
وقع نخلٌ على نيلوفر^(٥) منتشر الورق، فأحبّ ريحهُ، فأقام، فلمّا تقبّضَ
الورقُ وغاصَّ؛ هَلَكَ العاشقُ.

إخواني! إيّاكم والذنوبَ، فإنّها أذلت عزيزَ ﴿أَسْجُدُوا﴾ [البقرة: ٣٤]،
وأخرجت مَقْطَعَ ﴿أَسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥]، لولا لطفُ ﴿فَلَقَى﴾ [البقرة: ٣٧] كان
العجب، استراح آدمُ إلى بعضِ العناقيدِ، فإذا به في العنا^(٦) قيد.

جاء جبريلُ فسَلَّمَ عليه فبكى وبكى جبريلُ، ثم قال: يا آدمُ! ما يبكيك؟
قال: كيف لا أبكي وقد حولني ربي من دارِ النعيمِ إلى دارِ البؤسِ؟! وا عجباً
بمجيء جبريل زاد المريض المأ.

(١) الخِزَامَة: حلقة من الشعر تُجعل في وَتَرَةِ أنفِ البعيرِ يُشدُّ بها الزمام.

(٢) (لو، وليت): حرفان للتمني، وهو تعلق القلب بمرغوب مع تعذر نواله.

(٣) عَرَصَة: كل بقية بين الدور واسعة ليس فيه بناء، جمعها: عراض وعرصات.

(٤) التمتّام: من يتعثر لسانه بالنطق بحرف التاء.

(٥) النيلوفر: نبات ذكي الرائحة.

(٦) العنا: التعب.

آه لَيْسَ رِزْقِي لَمَعَا
 أَتَقَطُّ مَنِّي لِلْفَرَا
 فَيْتُ مِنْ إِيْمَاضِهِ
 يَا بَرِّقْ أَمَا تُرِينِي
 فَحَيِّي عَنِّي أَرْبَعَا^(١)
 يَا نَاطِرًا أَقْسِمُ مِنْ
 كَبَّرَ مُذْ فَارَقَهُمْ
 كَمُ كَبِدٍ قَطَعَهَا
 حَمَلٌ وَجَلْدِي جَلْدِي
 مَاذَا يَقْلِبُنِي صَنَعَا
 مُمْسِتُهُمَا مَا مُوْجَعَا
 أَشْكُتُ دَمْعِي دُفَعَا
 لِلصَّنْبَعِ مَوْضِعَا
 أَكْرِمَ بِهِنَّ أَرْبَعَا
 بَعْدَ النَّوَى لَا هَجَعَا
 عَلَى الرُّقَادِ أَرْبَعَا
 يَتْنُ الْحَبِيبِ قَطَعَا
 أَكْثَرَ مَمَّا وَسَعَا

خرج آدم يوم الكعبة، فلما وصل طاف أسبوعاً^(٢)، فما أتمه حتى خاض في
 دموعه.

دُمُوعُ عَيْنِي مُذْ جَدَّ بَيْنَهُمْ مِثْلُ الدَّوَالِي وَهِيَ الدَّوَالِي^(٣)

فَسَمِيتَ بِهِ إِبْلِيسُ حِينَ نَزَلَ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ نَزْوَلَهُ إِلَى دَارِ التَّعَبُّدِ صُعُودٌ، كَنَزُولِ
 الْغَائِصِ خَلْفَ الدَّرِّ صُعُودٌ. رَأَى فِي بَدَايَتِهِ طِينًا قَدْ صَلَّصَلَ، وَبَذَارٍ قَدْ عَفِنَ،
 وَنَسِيَ أَنَّهُ سَتَهَرْتُ طَاقَاتُهُ فِي رِبْعٍ ﴿فَلَقَّيْ﴾ [البقرة: ٣٧].

وَيَلَاكَ يَا إِبْلِيسُ! مَا جَرَى عَلَى آدَمَ هُوَ الْمَرَادُ مِنْ وَجُودِهِ «لَوْ لَمْ تَذْنُبُوا»^(٤)،
 قَدْحٌ أَرِيدَ كَسْرُهُ فَسُلِّمَ إِلَى مُرْتَعِشٍ.

(لمهيار):

فَلَوْلَا غَلِيلُ الشُّوقِ أَوْ لَوْعَةُ الْأَسَى لَمَا خُلِقْتُ لِي أَعْيُنٌ^(٥) وَجَفُونُ

(١) أربع: جمع ربع: وهي الدار.

(٢) أسبوعاً: سبعة أشواط.

(٣) الدوالي الأولى: العرائش. والثانية: أي: الدواء المناسب لي.

(٤) رواه الإمام أحمد في (المسند)؛ ومسلم في (صحيحه) في كتاب التوبة بلفظ: «والذي
 نفسي بيده! لو لم تذنبا للذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم».

(٥) في (ب): أضلع.

لا يَهُولَنَّكَ قَوْلُهُ: ﴿ أَهْبِطُوا مِنْهَا ﴾ [البقرة: ٣٨] فَلَكَ خَلْقُهَا، وَإِنَّمَا أُخْرِجْتَ إِلَى مَزْرَعَةِ الْمَجَاهِدَةِ، فَإِذَا حَصَدْتَ فَقُدْ.

إِنْ قِيلَ لَكَ مَرَّةً: ﴿ أَهْبِطْ ﴾ [هود: ٤٨] فِي كُلِّ يَوْمٍ تُنَادِي أَلْفَ أَلْفِ مَرَّةٍ ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس: ٢٥]، إِنْ أَبْعَدْتَ عَنِ الْحَضْرَةِ مَرَّةً، فزِيَارَةُ الْحَبِيبِ مَا تَنْقُطِعُ «هَلْ مِنْ سَائِلٍ»^(١).

الْكُرَّةُ تُتَلَقَّى مِنْ صَاحِبِ الصَّوْلِ جَانِ صَوْلِ جَانٍ، ثُمَّ هُوَ يَطْلُبُهَا.

تَرْجُو فِي الْمُحِبِّ عَتَقَ مَنْ أَنْتَ لَهُ إِنْ كَانَ كَذَا الْحُبِّ فَمَا أَغْدَلَهُ
هِيَاتَ الْحُبِّ يَعْتَرِيهِ وَلَهُ مِنْ حُكْمِهِ قَضَى عَلَيْهِ وَلَهُ

يَا آدَمُ! قَدْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ الذَّنْبِ، وَتَطَعَّمْتَ مَرَارَةَ النَّدَمِ، فَهَلْ وَفَّتْ هَذِهِ بَتْلَكَ؟ أَيْنَ لَذَائِكَ إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ؟ أَيْفَ حَسْرَاتِكَ إِذَا وَقَعَ الْفَوْتُ؟!

مَا أَسْرَعَ مَا انْقَضَى زَمَانُ الْوَصْلِ هَلْ يَرْجِعُ مَا مَضَى بِرَدِّ الشَّمْلِ
مَنْ لِي بِهِمْ وَهَلْ مَفِيدٌ مَنْ لِي يَكْفُ مَا بِي فَلَا تَزِدْ فِي عَذْلِي

يَا صَبِيانَ التَّوْبَةِ! اشْكُرُوا مَنْ نَجَّاهُمْ بِالْإِنَابَةِ ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، تَذْكُرُوا عَظَمَةَ مَنْ عَاهَدْتُمْ ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١].

لَا تَزِدُّوا أَثْوَابَ الْفَقْرِ فَعَلَيْهَا أَنْوَارُ الْمَهَابَةِ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦]، لَا يَضَعِبَنَّ عَلَى الْخَيْلِ تَضْمِيرُهَا، فَسْتَفْرِحْ بِهِ يَوْمَ السَّبَاقِ.

إِنْ قَالَ لَكَ رُفَقَاؤُكَ: امْشِ مَعَنَا سَاعَةً، فَقُلْ: أَقْعَدَنِي الْخَوْفُ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ (١٧٠ - ١٧٢)، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ: ١/ ٣٨٨ وَ ٣/ ٣٤ وَ ٤/ ٢٢، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ بَلْفُظٍ: «إِنَّ اللَّهَ يَمْهَلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ».

يا نديمي صَحَا القلبُ صَحَا فاطرُدا عَنِّي الصُّبَا والمَرَحَا
شُمُرا بُردي للثُّشِكِ ولا تَعَجِّبا مِن فاسِدٍ اِنْ صَلَحَا
زَجَرَ الحُلُمُ فؤادا فازَعَوَى وَلَحَا الذَّهْرُ امراً في مَن لَحَا

أيها التائب! قل لقلبك الراعي في رياض الهدى، احذر من لفتة إلى خضراءٍ
دَمَنِ الهوى^(١)، فَمَرَعَاكَ أَطِيبُ، وشرائبك أعذبُ ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَاءُ امْرُؤٍ لَيْسَ جَنَنٌ﴾
[يوسف: ٣٢]، نسيمُ الريحِ يقوِّي الروحَ ما لم يختلط به بخارٌ ردي، كذلك كلامُ
المذكَّرين، إذا سَلِمَ مِنْ بدعةٍ كان قوتاً للنفس، وإن مازجه هوى، هوى^(٢)
بصاحبه إلى العلل.

كلامي نهرٌ يأخذُ من بحر الكتاب والسُّنة، صافٍ ما تغيَّرَ قطُّ، فلا احتاجُ أن
أُكرى^(٣)، يَسْقِي قلوبكم سَيْحاً بلا كَلَفٍ^(٤)، وقد قنع من الخراج^(٥) بالدعاء، هل
في مجلسي نقصٌ فيقال: لو أنه؟ أو عيبٌ إلا أنه؟ أو رأيتم مثله فيقال: كأنه؟ أه لو
كان أعجمي ولكنه^(٦).

أبلغُ بلفظي منزلة المعنى وما طال سَفَرُ العبارة.

المعاني واسعةُ الفيافي، والألفاظُ ضيقةُ العِراض^(٧)، وما يقدرُ على حَشْوِ
العُرْصة فوق ما تَسَعُ إلا مهندسٌ. لآلئ هذه المعاني لَطَافٌ، فأَيُّ سِلَكٍ فَهَمُ دَقٌّ
انتظمت فيه، وإِنَّمَا يُنظَمُ اللؤلؤُ في خيطٍ لا في حَبَلٍ.

كلامي ثوبٌ فُصِّلَ على قَدَرِ أسماعِكُم، فهو لا يصلحُ إلا لكم، لا تنكروا

(١) خضراء الدمن: ما ينبت على المزابل من أعشاب.

(٢) هوى: سقط.

(٣) أكرى: كرى النهر: عزَّله من الأحوال والأوساخ.

(٤) سَيْحاً: الماء الجاري. بلا كلف: بلا مشقة.

(٥) الخراج: أجرة الأرض ببعض غلتها يؤديها الفلاحون من النبط الذين أقروا عليها.

(٦) لَكُنْه: لَكِنْ كَفَرِحَ لَكُنْا، فهو أَلَكُنْ: لا يقيمُ العربيةَ لِعُجْمَةِ لسانه، أو «ولكنه» استدراك،
أي: ولكنه عربي.

(٧) العراض: جمع عرصة؛ وهي البقية بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

مدحي لأهل بغداد فهُمْ فهُمْ^(١) ، ألهذا البلد بَدَل ؟ إذا مرضتِ الأفهامُ السليمةُ من
وباءِ طعامِ العباراتِ الركيكةِ عَمِلَ لفظي في شفائها ، ولا رُقَى^(٢) الهندِ ، كَلِمٌ
تُداوي كلَّ كَلِمٍ ، ظَلَمَ قياسُها بِعُدْوَةِ الظلمِ^(٣) .

جَوَاهِرُ كُلِّهَا يُتَمُّ تُوجَدُ مَفْقُودَةُ المِثَالِ
تَجَنَّبَ الغائضون عنها عَجَزَ وجاشت بحارُها^(٤) لي

* * *

(١) فهُمْ فهُمْ : أي هم الناس الأكياس .

(٢) رقى : جمع رقية .

(٣) الظلم : ماء الأسنان وبريقها .

(٤) جاشت : جاش الماء جيشاً : تدفق وجرى ، وجاش البحر : هاج فلم يُستطع ركوبه .

الفصل الثاني والتسعون

يا دارَ الأحبابِ أقوى^(١) جديدها، أين أسودها؟ أم أين غيدها^(٢)؟ أين
ظباء الهوى مرث؟! ومن يصيدها؟! تساوى في القبور موالها وعبيدها.

قف يا حبيبي بالرسوم، وانظر نسخ النسيم بالسُموم^(٣)، وتبدل الأفراح
بالغموم، هيهات إن الدنيا لا تدوم، إنها على قتلك تحوم، إيثار مثل هذه لوم.

(للخفاجي):

سَلْ يَغْمَدَانْ ^(٤) أين ساكنه سيفُ	وَقُلْ لِنُعْمَانْ ^(٥) أين أين السدير ^(٦)
أيها الظاعنون لا زال للغيث	رواح عليكم وبكمـ وور
قد رأينا دياركم وعليها	أثر من عفائكم ^(٧) مهجور
وسألنا أطلالكم فأجابت	ومن الضمت وأعطت ونذير
عجبا كيف لم تمت في مغانيها ^(٨)	أسى ما القلوب إلا صخور
يا ديارَ الأحبابِ غيترك الدهر	وكانت بعد الأمور أمور

أيها الباكي على أقاربه الأموات، ابك على نفسك، فالماضي قد فات،
وتأهب لنزول البلايا، وحلول الآفات، وتذكر قول من إذا ذكرك قال: مات،

(١) أقوى: خلا.

(٢) غيدها: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة.

(٣) نسخ: أزال. النسيم: الريح الطيبة اللينة. السُموم: الريح الحارة.

(٤) غمدان: حصن في اليمن، معروف. وسيف: هو سيف بن ذي يزن ملك اليمن.

(٥) نعمان: أي نعمان بن المنذر بن ماء السماء.

(٦) السدير: قصر قريب من الخورنق، اتخذته النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم (معجم البلدان: ٢٠١/٣).

(٧) عفائكم: العفاء: ما كثر وطال من الشعر والوبر والريش.

(٨) مغانيها: جمع مغنى، وهو المنزل الذي غني به أهله.

كَأَنَّكَ بِمَا أَتَى الْمَاضِينَ^(١) قَدْ أَتَاكَ، وَلَقَدْ صَاحَ بِكَ نَذِيرُهُمْ: أَنْتَ غَدًا كَذَاكَ،
وَلْيُخْرِسَنَّ الْمَوْتُ بِسَطْوَتِهِ فَأَكْ إِذَا وَافَاكَ^(٢)، إِنَّمَا الْيَوْمُ لِهَذَا وَغَدًا لَذَاكَ، قُرِئَ عَلَى
قَبْرِ:

أَنَا فِي الْقَبْرِ وَحِيدٌ قَدْ تَبَرَّأَ الْأَهْلُ مِنِّي
أَسْلَمُونِي بِذُنُوبِي خَبِثْتُ إِنْ لَمْ تَغْفُ عَنِّي

يَا هَذَا! لَاحَتِ الْغَايَةُ^(٣) عَيْنَ الشَّيْبِ فَصِيخٌ بِخَيْلِ الْبِدَارِ، مَرَحَلَةُ الشَّيْبِ
تَحْطُ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ «وَقَدْ أَنْجَدَ مِنْ رَأْيِ حُضْنًا»^(٤)، أَتَحْمِلُ مَشَاقَّ السَّفَرِ مِنْ
وَرَاءِ النَّهْرِ، وَتَخَاطِرُ بِالْوَقْفَةِ مِنْ نَخْلَةٍ؟!

يَا هَذَا! إِذَا رَكِبْتَ مَرْكَبَ الْهَوَى، فَاجْعَلِ نَاتَانِي^(٥) الْمَرْكَبَ لِمَحَاسِبَةِ
النَّفْسِ، فَإِنَّهُ يَشْمُ كُلَّ يَوْمٍ رِيحَ ثَرَى الْأَرْضِ، فَيَعْلَمُ هَلْ هُوَ عَلَى خَطَأٍ أَوْ صَوَابٍ؟
وَمَتَى لَمْ يَعْرِفِ الطَّرِيقَ صَدَمَهُ حَجَرٌ فَغَرِقَ.

يَا مَنْ يُحَدِّثُ وَكَأَنَّهُ مَا يَسْمَعُ، مَتَى لَمْ يُنْصِتْ سَمْعُ الْقَلْبِ ضَاعَ الْحَدِيثُ،
أَتُرَى يَنْطَبِعُ فِي سَمْعِ سَمْعِكَ مِنْ هَذَا حَرْفٍ، تَحْضُرُونَ الْمَجْلِسَ فَرْجَةً! وَتَجْعَلُونَ
رَجَاءَ النَّفْعِ حُجَّةً، وَلَا تَسْلُكُونَ إِلَى الْعَمَلِ مَحَجَّةً^(٦) ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي﴾ [يوسف:
٥٣].

وَاعْجَبًا! تَجْتَمِعُ الْعِزَائِمُ فِي الْمَجْلِسِ اجْتِمَاعَ الثَّرِيَا^(٧)، فَإِذَا خَرَجْنَا صَارَتْ

-
- (١) مَا أَتَى الْمَاضِينَ: كِتَابَةُ عَنِ الْمَوْتِ.
(٢) فَأَكْ إِذَا وَافَاكَ: أَيِ فَمَكَ إِذَا جَاءَكَ الْمَوْتُ أَخْرِسَ.
(٣) الْغَايَةُ: نِهَايَةُ الشَّوْطِ، إِشَارَةٌ إِلَى نِهَايَةِ طَرِيقِ الْحَيَاةِ.
(٤) فِي كِتَابِ: مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ، لِلْمِيدَانِيِّ، بِرَقْمِ (٤٢١٢) مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي الدَّلِيلِ عَلَى
الشَّيْءِ: أَيِ: قَدْ ظَهَرَ حَصُولُ الْمَرَادِ وَقَرِيبُهُ، وَ(أَنْجَدَ): بَلَغَ نَجْدًا مِنْ رَأْيِ (حُضْنًا)،
وَحُضْنًا: اسْمُ جَبَلٍ، وَعَلَيْهِ وَجْهُ الْفَارَسِيِّ رَوَايَةً مَنْ رَوَى قَوْلَ الْأَعَشَى:
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدًا
(٥) نَاتَانِي: أَيِ النَّوْتِي، وَهُوَ الْمَلَّاحُ الَّذِي يَذِيرُ السَّفِينَةَ فِي الْبَحْرِ، جَمْعُهُ: نَوَاتِي.
(٦) مَحَجَّةٌ: طَرِيقًا.
(٧) الثَّرِيَا: نَجْمٌ سَمِيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ أَنْجَمِهِ مَعَ صَفَرِ مَنْظَرِهِ.

كِبْنَاتِ نَعَشٍ^(١)، لو تَأَمَّلْتُمْ غَيْبَ الدُّنْيَا لِهَانَ طَلَاقُهَا:

سُرُورُ الدَّهْرِ مَقْرُونٌ بِحُزْنٍ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ
فَفِي يُمْنَاهُ تَاجٌ مِنْ نُضَارٍ^(٢) وَفِي يُسْرَاهُ قَيْدٌ مِنْ حَدِيدٍ

آهٍ لِلدُّنْيَا! مَلَكَتِ الْقَلْبَ حِينَ مُلِكَتْ، وَأَبَقَتْ الْهَمَّ ثُمَّ أَبَقَتْ^(٣).

(للشريف الرضي):

تَزُوذُنَ مِنَّا كُلَّ قَلْبٍ وَمُهْجَةٍ وَزَوَّدْنَا لِلْوَجْدِ عَضَّ الْأَبَاهِمِ^(٤)

كَمْ تَأَلَّفْتَ بِحُلُوِّ مَذَاقِهَا، ثُمَّ أَتَلَّفْتَ بِمُرِّ فِرَاقِهَا.

(للشريف الرضي):

فَلَيْتَ عَهْدَكَ إِذْ لَمْ يَنْقَ لِي أَبَدًا لَمْ يَنْقَ عِنْدِي عِقَابِيلًا^(٥) مِنَ السَّقَمِ

لَمَا كَانَ الصَّانِعُ غَائِبًا عَنِ الْإِحْسَاسِ^(٦) سَطَرْتُ قَدْرَتُهُ فِي أَلْوَاكِ التَّكْوِينِ
عَجَائِبَ الْكَائِنَاتِ، ثُمَّ وُضِعَتْ الْأَلْوَاكِ فِي حُجُورِ^(٧) الْعُقُولِ، لِيَقْرَأَهَا أَذْهَانُ
أَطْفَالِ الطَّبَاعِ، فَإِذَا حَذَقَ^(٨) الصَّبِيَانُ، وَحُفِظَ الْمَكْتُوبُ مَحَا السُّطُورِ ﴿إِذَا الشَّمْسُ
كُوِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير].

إِخْوَانِي! عَيُونُ يَقِينِكُمْ رَمِدَةٌ^(٩)، وَالْفِكْرُ تَبْرِيدٌ^(١٠)، مَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ

(١) بنات نعش: سبعة كواكب تشاهدُ جهةَ القطب الشمالي، شُبِّهَتْ بحملةِ النعش، أي سرير الميِّت.

(٢) النُّضَارُ: الذهب.

(٣) أَبَقَتْ: تركت. وَأَبَقَتْ: هربت.

(٤) الْأَبَاهِمُ: جمع إبهام، وهي الإصبع الخامسة الغليظة.

(٥) عِقَابِيلُ: جمع عُقْبُول: بقية العلة والمرض.

(٦) أي: لا تدركه الحواس.

(٧) حُجُور: جمع حُجْر، وهو الكنف والحضن.

(٨) حَذَقَ الصَّبِيَّ الْعَمَلَ: إذا مهر فيه.

(٩) رمدة: فيها داء الرمد، يقال: رمدت العين رمداً، هاجت وانتفخت.

(١٠) تبريد: من برد عينه بالبرود كتحليلها به تكحيلاً.

يفرح ١؟ من علم قرب الحساب كيف يلهو ١؟ من عرف تقلب القلوب كيف يامن ١؟ .

كان سفيان الثوري من شدّة خوفه يبول الدّم، فحُمِلَ ماؤه إلى الطبيب فقال: هذا ماء زُهبان، هذا ماء رجلٍ قد فتّت الحزن كبدّه.

وحُمِلَ ماء سريّ إلى الطبيب، فلمّا نظر إليه قال: هذا بولُ عاشقٍ، قال حامله: فصعقتُ وغشي عليّ، ثم رجعتُ إلى سريّ فأخبرته فقال: قاتله الله ما أبصره! .

إذا أنا واجهتُ الصّبا عادَ برُدّها مِنْ حَرِّ أنفاسي عليه لَهيبُ
وقد أَكثَرَتْ في الأَطباء قولهم ومالي إلا أن أراك طيبُ
قيل لبعض عقلاء المجانين: لم سُميتَ مجنوناً؟ قال: لمّا طال حُبِّي عنه
في الدُّنيا صِرْتُ مجنوناً لخوفِ فراقه:

قلبي بِحُبِّكَ ما يُفِيقُ وَجَفَنُ عيني ما يَنَامُ
قد طالَ فيكَ الليلُ حتّى ما يُقالَ لَهُ انصرامُ
والنَّجْمُ فيه راكِدٌ والفجرُ يَمْنَعُهُ الظُّلَامُ
ليلٌ بغيرِ نَهايةٍ ولكلِّ مفتاحٍ خِتامُ
في وِصْلِكَ العيشُ الهنيئُ وهجرُكَ الموتُ الزَّوَامُ^(١)

إن لم تكن مع القوم في السّحر تَلَمَّحَ آثارُ الحبيبِ عليهم وقتَ الضحى،
تري في صحائفِ الوجوه سطورَ القبولِ بمدادِ^(٢) الأنوار:

وجوه زهاها الحسنُ أن تترفعا

قال أحدُ الصالحين: لقيتُ غلاماً في الطريق إلى مكة فقلتُ له: أما
تستوحشُ؟ .

فقال: إنّ الأنسَ بالله قطعَ عني كلَّ وحشة.

قلتُ: فأين ألقاك؟ .

(١) الزّوام: الموت السريع .

(٢) بمداد: بحبر .

قال : أمّا في الدنيا فلا تُحدّث نفسك بـلقائي ، وأمّا في الآخرة فإنّها مجمّع المتقين .

قلتُ : فأين أطلبُكَ في الآخرة .

قال : اطلُبْني في جملة الناظرين إلى الله .

قلتُ : وكيف علمتَ ؟ .

قال : يَغْضُ طَرْفي عن كلِّ محرّم ، واجتنابي فيه كلَّ مُنْكَرٍ ومأثم ، وقد سألتُه أن يجعلَ جَنَّتِي النظرَ إليه . ثم صاح ، وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري .
(للشريف الرضي) (١) :

وما تلوّمَ جسمي عن لقائكمُ	إلاّ وقلبي إليكم شيقٌ عَجِلُ
وكيفَ يَتَعُدُّ مشتاقٌ يُحرِّكُه	إليكم الحافزانِ الشوقُ والأملُ
فإنْ نهضتُ فما لي غيركم وطَرُ	وإنْ قعدتُ فما لي غيركم شغلُ
وكم تعرّضَ لي الأقوامُ بَعْدَكمُ	يستأذنونَ على قلبي فما وصلوا

* * *

(١) شعر كتبه إلى الملك بهاء الدولة وضياء الملة . انظر : ديوانه : ٢٢٨ / ٢ .

الفصل الثالث والسبعون

سبحان من فاوت^(١) بين القلوب، فمنها ما لا يصلح إلا لخدمة الدنيا،
ومنها ما لا يصلح إلا للتعبّد، ومنها روحاني مشغول بمحبة الخالق .
(للمتنبي):

أروحُ وقد ختمتُ على فؤادي بحبك أن يُحلَّ به سواكا
فلو أنّي استطعتُ غَضَضْتُ طرفي فلم أبصر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي بل بكلي وإن لم يبق حبك لي حراكا
ويقبحُ من سواك الفعلُ عندي فتفعّله فيخسُنُ منك ذاكا
وفي الأخابِ مُختَصُّ بوجودي وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا اشتبكتُ دُمُوعُ في خُدُودِ تبينَ من بكى ممن تباكا
فأما من بكى فيذوبُ شوقاً ويتطّقُ بالهوى من قد تباكى

النهارُ يزيد في كُربِ المُحبِّ ، والليلُ يروّحه السَّحرُ ، روضة نجدية يجدُ فيه
المحبُّ ضالّةً وجده ، شرابُ المناجاة يروي ظمأ العُشّاقِ .

لو رأيتَ المُحبَّ في الليلِ يتقلّقلُ ، ويناجي حبيبَه ثم يتملّملُ ، وكلّما
أزعجه الشوقُ تحيّرَ وتبلّبلُ^(٢) ، وما إلّا ما يصفُ حاله ولا يتعملُ^(٣) .

أحبّائي أمّا جفنُ عيني فمقروخُ وأما فؤادي فهو بالشوقِ مجروحُ
يذكّرُني مرُّ النَّسيمِ عهدكم فأزدادُ شوقاً كلّما هبَّتِ الريحُ
أراني إذا ما الليلُ أظلمَ أشرقَتْ بقلبي من نارِ الغرامِ مصابيحُ

(١) فاوت : جعلها متفاوتة متباينة في الاستعداد .

(٢) تبليل : تفرق وتبدد .

(٣) يتعمل : يتكلف الوصف .

أُصْلِي بِذِكْرَاكُم إِذَا كُنْتُ خَالِيَا أَلَا إِنَّ تَذْكَارَ الْأَحِبَّةِ تَسْبِيحُ
يَسُخُّ فَوَادِي أَنْ يَخَامِرَ سِرَّهُ سِوَاكُم وَبَعْضُ الشَّخِّ فِي الْمَرْءِ مَمْدُوحُ

لو لبس أحدُ المحبين حُلَّةً، عَلِمَ أَنَّهُ مِنَ الزَّهَادِ «كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا
طَالِعًا»، كَمَ بِالْغَوَا فِي كِتْمِ الْحَالِ، وَسَتَرِ الْحَبِّ مُحَالٌ:

أَسْأَلُ عَمَّنْ لَا أُرِيدُ وَإِنَّمَا أُرِيدُكُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ بِسْوَالي
فِيَعْتَرُ مَا بَيْنَ الْكَلَامِ وَرَجْعِهِ لِسَانِي بِكُمْ حَتَّى يَسْمَ^(١) بِحَالِي
وَأُطَوِّي عَلَى مَا تَعْلَمُونَ جَوَانِحِي وَأُظْهِرُ لِلْعُذَالِ أَنِّي سَالِ^(٢)

كَلَّمَا قَوِيَ حَامِلُ الْمَحَبَّةِ، زِيدَ فِي حِمْلِهِ «نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ
بَلَاءً ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ»^(٣)، فَوَرَأْنُ قَدْرِ الْقَلْبِ مِنْ قَدْرِ شِدَّةِ الْإِيْقَادِ.

كَانَ يُسَمَّعُ لَصَدْرِ الْخَلِيلِ^(٤) أَرِيْزٌ مِنْ بَعِيدٍ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ نَبِيْنَا
ﷺ يَصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَرِيْزٌ كَأَرِيْزِ الْمِزْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ^(٥)، كَانَ الْوَحْيُ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ،
وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَثَرٌ فِيهَا، فَرُبَّمَا وَتَدَّتْ يَدَيَّهَا فِي الْأَرْضِ، وَرُبَّمَا بَرَكَتْ لِثِقَلِ
الْوَحْيِ^(٦).

-
- (١) يَسْمَ: يَكْشِفُ.
(٢) جَوَانِحِي: ضُلُوعِي. سَالٍ: مِنْ سَلَاسِلُو: نَسِيهِ وَطَابَتْ نَفْسُهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ.
(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: ٦٤/٢ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ؛ وَابْنُ مَاجَهَ رَقْمُ (٤٠٢٣)؛ وَالدَّارِمِيُّ:
٣٢٠/٢؛ وَالتَّحَاوِيُّ: ٦١/٣؛ وَابْنُ حِبَّانَ بِرَقْمُ (٦٩٩)؛ وَالحَاكِمُ: ٤٠/١، ٣١؛
وَأَحْمَدُ: ١٧٢/١، ١٧٤ وَلَفْظُهُ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ».
(٤) الْخَلِيلُ: هُوَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ.
(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (الشَّمَائِلِ) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ،
وَصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ.
(٦) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي (المُسْتَدْرَكِ): ١١٨/٦، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَالحَاكِمُ
وَصَحَّحَهُ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ كَانَ لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ
فَتَضْرِبُ بِجَرَائِنِهَا (أَي: بِصَدْرِهَا) فَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَحَرَّكَ حَتَّى يُسْرَى عَنْهُ. وَتَلَّتْ قَوْلَهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا سَلَقْنَاهُ عَلَيْهِ قَوْلًا نَفِيْلًا﴾ [المزمل: ٥]. وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي
(الطَّبَقَاتِ): ١٩٧/١: عَنْ أَبِي أَرْوَى الدُّوسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ الْوَحْيَ يَنْزِلُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَتَرْغُو وَتَقْتُلُ يَدَيَّهَا حَتَّى أَظُنَّ أَنَّ ذِرَاعَهَا تَنْقُصُ، =

(للشريف الرضي):

أَحْسَتْ بِنَارٍ فِي ضُلُوعِي فَأَصْبَحْتُ يَحُبُّ بِهَا حَرَّ الْغَرَامِ وَيُوضِعُ^(١)
تَجْنِيزَ إِلَّا أَنَّ بِي لَا بِكَ الْهَوَى وَلِي لَا لِكَ الْإِلْفُ الْخَلِيطُ الْمُودَعُ
وَبَاتَتْ تَشْكِي تَحْتَ رَحْلِي ضَامِرًا كَلَانَا إِذْ يَا نَاقُ نِضْوٍ^(٢) مُفَجَّعُ

انماعت^(٣) قلوبهم بالخوف، فهابتهم الجوامد، «فالحجرُ يسلمُ على
الرسول ﷺ»^(٤)، والسكينُ لا تعملُ في الذبيح^(٥).

ما لك أيتها المُدِيَّةُ وعادتُكِ القطعُ؟!

قالت بلسان الحال: أخواتي تحزُّ رِقَابَ الْكُفَّارِ، وأنا قد ابْتُلِيتُ بِقَطْعِ عُنُقِ
إِسْمَاعِيلَ، فقد وقفتُ مدهوشةً بالبلوى فعندي شغلٌ.

قطع يد زليخى بجورٍ، فأما يدُ يوسُفَ فمُشْكِلٌ.

أتراك تحلو لك عباراتي؟ أو تفهمن إشارتي؟ كيف أجلو عليك عرائسَ
المحبة ولست كُفَوًّا؟ وإنما يحلُّ النظرُ لمن يعقد، أقلُّ أحوالِ القومِ رفضُ الهوى
وهذا كالمستحيل عندك، كانوا إذا ابتلوا صبروا، ثم صاروا إذا ابتلوا شكروا، ثم
رأوا في البلاء^(٦) المُبتلي فسكروا، أين الذين أصفهم؟ مرّوا وعبروا.

= فربما بَرَكْتُ، وربما قامت مائدةً يديها حتى يُسَرَّى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدّث منه
مثل الجمان. وروى الإمام أحمد في (المسند): ٤٥٥/٦؛ والطبراني وابن كثير في
السيرة: ٤٢٤/١، عن أسماء بنت يزيد: كنتُ آخذةً بزمام ناقة رسول الله ﷺ حين أنزلت
عليه سورة المائدة، فكاد ينكسر عضدُها من ثقل السورة.

(١) يخب ويوضع: الخب والإيضاع ضربان من السر.

(٢) النضو: البعير المهزول. يا ناق: نداء من يا ناقة، وهذا على لغة من لا ينتظر، لو
قلت: يا ناق، لكان على لغة من ينتظر.

(٣) انماعت: ذابت.

(٤) روى الإمام أحمد في مسنده: ٨٩/٥، ٩٥، ١٠٥؛ ومسلم في كتاب الفضائل حديث

رقم (٢)؛ والترمذي عن جابر بن سمرة، قال ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلمُ
عليّ قبل أن أبعث».

(٥) أي: إسماعيل عليه السلام.

(٦) البلاء: البلوى والبلاء.

ليسَ بالصَّبِّ مَنْ يُحَرِّكُ بالشَّكْوَى
أَيُّهَا الْوَاقِقُ الَّذِي جَعَلَ الْكُتْمَانَ
صَاحِ لَوْلَا صَوْنِي الْغَرَامَ لِأَجْرِي
قُلْ لِحَيٍّ عَلَى اللَّوَى وَالْكُثَيْبِ الْفَرْدِ
قَدْ وَقَفْنَا مِنْ بَعْدِكُمْ نَسْأَلُ الْبَانَ
أَيْنَ تَبَغِي يَا حَادِيَّ الرَّكْبِ أَفْنَيْتَ
قِفْ قَلِيلًا فِي الرَّبْعِ وَارْفُقْ فَمَا أَبْقَيْتَ
فَلِدَارِ الْهَوَى عَلَيْنَا حَقُوقُ
يَا بَنِي الْوَدِّ وَالْوَفَاءِ وَمَا أَسْمَعُ
كَمْ نَقَضْتُمْ مِنْ غَيْرِ جُزْمِ عَهودَا

لساناً ويؤدِّعُ الدَّمْعَ خَدًا^(١)
بَيْنَ الْوُشَاةِ وَالْحِبِّ سَدًا^(٢)
دموعاً تُوفِّي عَلَى الْبَحْرِ مَدًا
جَادَ الْحَيَا الْكُثَيْبَ الْفَرْدَا^(٣)
ضَلَالًا عَنْكُمْ وَنَشْكُو الرُّنْدَا^(٤)
الْمَطَايَا سَيْرًا ذَمِيلًا وَوَحْدَا^(٥)
مِنْهَا إِلَّا عِظَامًا وَجُلْدَا
إِنْ تَرَكْنَا أَدَاءَهَا كَانَ إِذَا^(٦)
إِلَّا قَوْلًا وَفَوَاءَ وَوُدَا
مَا نَقَضْنَا مِنْهَا عَلَى الرَّمْلِ عَهْدَا

كَمْ أَنْشُرُ بَرْ^(٧) الْمَحَبَّةَ وَلَا أَرَى إِلَّا مُفْلِسًا، تَنْزَّهُوا فِي السَّلْعِ، فَسَهْلٌ عَلَيَّ
طَيُّ الْمَنْشُورِ، مَا أَحْلَى ذَكَرَ الْأَحْبَابِ، مَا أَطْيَبَ حَدِيثَ أُولَى الْأَلْبَابِ !

(لِصُرْدُز)^(٨):

إِيهِ أَحَادِيثُ نَعْمَانٍ^(٩) وَسَاكِنِهِ
أَفْتَشُ الرِّيحَ عَنْكُمْ كُلَّمَا نَفَحَتْ
إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ
مَنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ نَكْبَاءُ مِعْطَارُ^(١٠)

- (١) الصب: المحب، وهو من لذته حرارة الشوق ورقته.
- (٢) الواقق: المحب. الوشاة: جمع واش، وهو هنا العذول الذي يفشي السر. الحب: المحبوب.
- (٣) اللوى: الملتوي والمنقطع من الرمال. الحيا: الغيث.
- (٤) البان: جمع بانة: ضرب من الشجر. الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية.
- (٥) ذميلًا ووحدًا: الذميل والوحد ضربان من سير الإبل.
- (٦) إذا: دامية وأمرًا فظيلاً.
- (٧) بر: البر الثياب.
- (٨) من قصيدة يمدح بها الوزير ابن فسنجس. انظر: الديوان، ص ٢٧.
- (٩) نعمان: واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، ويقال له: نعمان الأراك.
- (١٠) نكباء: ريح انحرقت ووقعت بين ريحين كالصبا والشمال. معطار: عطرة.

تمكّن الحبّ من حَبَاتٍ^(١) قلوبهم، فأخرجهم إلى الولّة^(٢) فلو رأيتموهم
لقلتم: مجانين .

قَدْ لَجَّ بِي الْغَرَامُ حَتَّى قَالُوا: قَدْ جُنَّ بِهِمْ وَهَكَذَا الْبِلْبَالُ^(٣)
الْمَوْتُ إِذَا رَضِيَتْهُ سِلْسَالُ^(٤) فِي مِثْلِ هَوَاكَ تَرْخُصُ الْآجَالُ

كانت رابعة تقول: لقد طالَّتْ عليَّ الأيامُ والليالي بالشوقِ إلى الله تعالى .

أَمِرْتُ عَنْكَ بِصَبْرٍ وَلَيْسَ لِي عَنْكَ صَبْرُ
يَا آمَرِي بِالتَّلْيِ مَا لِي مَعَ الشَّوْقِ أَمْرُ

قال الشبلي: رأيتُ جاريةً حبشيةً فقلتُ: من أين؟ .

قالت: مِنْ عِنْدِ الْحَبِيبِ .

قلت: وإلى أين؟ .

قالت: إلى الحبيب .

قلتُ: ما تريدِين من الحبيب؟ .

قالت: الحبيب .

وَجَدِي بِكُمُ وَصَفُوْهُ وَدِّي لَكُمُ وَالْقَلْبُ مَذْنَأَيْتُمْ عَنْدَكُمُ
عَيْنِي عَيْنُ^(٥) لُبْعِدِكُمُ لَوْ شَقُّوا قَلْبِي لَمَا رَأَوْا غَيْرَكُمُ

* * *

(١) حبات القلوب: سويداء القلوب .

(٢) الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد .

(٣) لج: تمادى . البلبال: شدة الهم والوسواس .

(٤) سلسال: يقال: ماء سلسال: سهل المرور في الحلق لعدوخته وصفائه .

(٥) عين: أي عين ماء جارية .

الفَصْلُ الْإِثْنَا عَشَرُ وَالْتِسْعُونَ

يا هذا! اشتغلت بفنونِ تعليلِكَ عن ذكرِ تخويلِكَ، وسُئِلْتُ من أخيك
وخليلِكَ، وعلى تخييطِكَ وتخييلِكَ.

كأَنَّكَ بالمضيِّ إلى سبيلِكَ وقد جَدَّ المجهَّزُ في رَحيلِكَ
وجيءٌ بغاسلٍ فاستعجلوه بقولِهِمْ لَهُ افرغْ مِنْ غَسيلِكَ
ولم تخمِلْ سِوى كَفَنٍ وَقُطْنٍ إِلَيْهِمْ مِنْ كَثِيرِكَ أَوْ قَلِيلِكَ
وقد مَدَّ الرُّجَالُ إِلَيْكَ نَعْشاً فَأَنْتَ عَلَيْهِ ممدودٌ بِطُولِكَ
وصلَّوا ثُمَّ إِنَّهُمْ تَدَاعَوْا لِحَمْلِكَ فِي بَكُورِكَ أَوْ أَصِيلِكَ^(١)
ولمَّا أسلموكَ نزلتَ قبراً وَمَنْ لَكَ بِالسَّلامَةِ فِي نَزولِكَ
أعانَكَ يَوْمَ تَدْخُلُهُ رَجِيمٌ رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ عَلَى دُخُولِكَ
فسوفَ تجاورُ الموتى طويلاً فدعني مِنْ قَصِيرِكَ أَوْ طَوِيلِكَ
أخي إِنِّي نَصَحْتُكَ فاستمعْ لي وبِاللَّهِ اسْتَعْنْتُ عَلَى قَبُولِكَ
أَنْتَ تَرى المَنايَا كُلَّ يَومٍ تَصِيُّكَ فِي أَخِيكَ وَفِي خَلِيلِكَ

إخواني! ما مِنْ الموتِ بُدٌّ، بابُ البقاءِ فِي الدُّنْيَا قدْ سُدَّ، كَمْ قدْ فِي القَبْرِ قدْ
قُدَّ^(٢)! كَمْ خَذَّ فِي الْأَخْدودِ قدْ خُذَّ^(٣)! يا مَنْ ذَنْبُهُ لَا تُحْصَى! إِنْ شَكَّكَ عُدَّ،
يا مَنْ أَتى بابَ الْإِنَابَةِ كاذباً فَرَدَّ.

لقد حَمَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ ما يَثْقُلُهَا، فحسبُكَ ما قدْ مَضَى، أَتَقْتُلُهَا؟ يا طَوولَ
سَفَرَةٍ! الموتُ أَوَّلُهَا، أَيْنَ جَزَعُ النَفْسِ؟ أَيْنَ تَمَلُّمُهَا؟ كَأَنَّهَا بِالْمَرَضِ قدْ نَزَلَ

(١) أَصِيلُكَ: الْأَصِيلُ: الْوَقْتُ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرَبِ.

(٢) قُدَّ الْأَوَّلَى: الْقَامَةُ. وَقُدَّ الثَّانِيَةُ: شُقَّ وَقُطِعَ.

(٣) خَذَّ الْأَوَّلَى: وَجَنَةُ الْوَجْهِ. خُذَّ الثَّانِيَةُ: الشَّقُّ.

يزلزلُها، وبعثَ إليها رائدَ الأسفِ يستعجلُها، الحذرَ الحذرَ! فقد فوقَ السَّهامِ^(١) مُرسِلُها، الدُّرُوعَ الدُّرُوعَ فقد جلا السيوفَ صَيقلُها.

ما هذه الخصالُ المذمومةُ؟^(٢) أتؤثِّرُ العقولُ لذَّةَ مسمومةٍ؟ ما هذا الحرصُ والأرزاقُ مَقْسُومةُ؟^(٣) أنسيَتَ يومَ تُنشرُ الصحفُ المختومةُ؟^(٤) أما تَعْلَمُ أنَّها ستَظهرُ القبايحُ المكتومةُ؟^(٥) يا لها موعظةٍ بين المواعظِ كالأيامِ المعلومة، أحسنُ من اللَّآلئِ المنشورة، وأعجبُ من العقودِ المنظومة.

العلمُ والعملُ توءمانُ أمَّهما علوُ الهمة.

أيُّها المعلمُ تثبَّتْ^(٦) على المُبتدِي ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبا: ١١]، فللعالمِ رسوخٌ وللمُتعلِّمِ قلقٌ.

ويا أيُّها الطالبُ تواضِعْ في الطَّلَبِ، فإنَّ الترابَ بيِّنا هو تحتَ الأخمَصِ صار طهوراً للوجه، السهرُ مَرَقَى إلى أطيِّبِ مَرَقِدٍ.

الهُونُ في ظِلِّ الهَوِينَا^(٧) كامنٌ وجلالةُ الأخطارِ في الأخطارِ^(٨)

قلبُ العالمِ بحرٌ ما لِلجَنَّةِ قَرَارٌ، إذا نَزَلَ غواصُّ الفكرِ، تَرَقَّى إلى ساحِلِ اللسانِ قَدَرَ الممكنِ، مِياهُ المعاني مخزونةٌ في صَدْرِ العالمِ تَفْتَحُ منها لزَرعِ قلبِهِ، سِيحاً بعد سِيحٍ^(٩)، ويدْخِرُ أصفاهَا قوتاً للروحِ، فإذا تكاثرتْ عليه صاحَ السَّيلُ^(١٠).

العالمُ يَنْفُخُ في صُورٍ فِيهِ^(١١) بعبارةِ التخويفِ، فيموتُ هَوَى العاصي، ثم يَنْفُخُ في صُورِ التشويقِ، فيُحيي روحَ المعرفة، فيُخْرِجُ التائبَ من قَبْرِ غَفْلَتِهِ في كفنِ يَقْظَتِهِ، وقد بُدِّلَتِ الأرضُ غيرَ الأرضِ، فَيَفْتَحُ له رضوانُ الرُّضابِابِ جَنَّةَ الوَصْلِ.

(١) فوقَ السَّهامِ: وضع السهام في القوس ليرميها.

(٢) تثبَّتْ: يقال: تثبت في الأمر: تأثى ولم يتعجل.

(٣) الهُونُ: الخزي. الهَوِينَا: الخفض والدَّعة.

(٤) الأخطار الأولى: جمع خطر: الشرف والرفعة. الأخطار الثانية: جمع خطر: الإشراف على الهلاك.

(٥) سِيحاً بعد سِيحٍ: السَّيحُ: الماء الجاري.

(٦) صاحَ السَّيلُ: فاض.

(٧) صور فيه: الصور: القرن، فيه: الفم.

لا تظنوا العالمَ شخصاً واحداً، العالمُ عالمٌ تصانيف، العالمُ أولاده المخلّدون دون أولاده، من خُلِقَ للعلم شَفَّ جَوْهَرُهُ من الصُّغَر، فتراهُ يُنْفِقُ في الجِدِّ بضاعةَ الشَّيْبَةِ، ويُسابقُ سائقَ العَجَزِ، يصلُ الكَدُودُ^(١) ليلَه بِنهارِه، كَدُودِ القَرِّ في زَمَانِ الشَّدَّةِ، فإذا امتلأ وعاءُ قلبه بما وَعَى، نَسَجَ الفَهْمُ في زوايا الدهنِ من المعاني المستنبطة نَسَجَ القَرِّ^(٢).

فإذا رأى عُرياناً من العلم فأرادَ كِسْوَتَه، بَعَثَ الفكرَ، فسَلَّ من لطائفِ اللَّطْفِ طاقاتٍ، ثم أرسلها إلى صانِعِ القوَّةِ، فبالَغَ في تَحْسِينِها، وتَأَثَّقَ في تَلْوِينِها، ثم يَنْسُجُها اللسانُ على مِثْوَالِ البَلَاغَةِ، فَتَظْهَرُ رِقْمُ نَقُوشِها عَنْ شُدُودِ عُقْدَتِها الفِطَنِ الباطِنَةِ، فإذا الثوبُ نَسِيجٌ وَحِيدٌ. ومثلُ تلكِ المطارفِ^(٣) الطرائفِ^(٤) لا تبتذلُ إلا في عيدِ مجلسِ الذِّكْرِ.

ليسَ كُلُّ مَنْ رَبَّى دودَ القَرِّ سَلَالاً^(٥). ولا كُلُّ قَزَازٍ سَقْلَاطُونِيّاً^(٦). آه من اشتراكِ الأسماءِ، وتلقيبِ القَصْدِيرِ بالبيعِ، ليسَ كُلُّ مَعْدِنٍ عِرْقَ الذَّهَبِ، ولا في بَطْنِ كُلِّ غَزَالٍ مِسْكٌ.

ليسَ مَنْ غَاصَ^(٧) في قَرَارِ البحرِ حَتَّى وَقَعَ بالدُّرِّ اليتيمِ^(٨)، كمن قعدَ على الساحلِ يجمعُ الصَّدَفَ.

أمراءُ العباراتِ رعيةٌ لفصاحتي، وَيَكْ^(٩) إِنَّهُ كَيْلٌ بلا ثمنٍ.

-
- (١) الكدود: صيغة مبالغة من الكد: وهي الشدة في العمل.
 - (٢) القَرِّ: الحرير.
 - (٣) المطارف: جمع مِطْرَف: رداء من خَزْلٍ له أعلام.
 - (٤) الطرائف: جمع طُرْفَة، وهي كُلُّ مستحدث عَجِيب.
 - (٥) سَلَالاً: السَّلُّ: نزع الشيء برفق. والسلال: صانع السلال.
 - (٦) قَزَاز: بائع القَرِّ. سَقْلَاطُونِيّاً: السقلاط: الياسمين أو شيء من صوفٍ تلقيبه المرأة على هَوْدَجِها، أو ثياب كَثَّانٍ موشاة، وكانَ وشيه خاتم.
 - (٧) غَاصَ: نزل تحت الماء.
 - (٨) الدر اليتيم: الدر المتفرد بتفامته.
 - (٩) ويك: من وي: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب.

سَقَيْ فِصَاحَتِي سَبِيحٌ ، فَقَدْ تَضَاعَفَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ السُّكْرِ .

سَافِرَ لَفْظِي بِبِضَائِعِ فِكْرِي مِنْ أَرْضِ قَلْبِي إِلَى بَادِيَةِ فَمِي ، فَسَلَّمَ سِلْعَ التُّطْقِ
إِلَى مَنَادِي لِسَانِي ، هِيَهَاتَ ، فَوَاكِهُ الْأَلْفَاظِ اللَّذِيذَةِ فِي مَذَاقِ الْأَفْهَامِ السَّلِيمَةِ لَيْسَ
لَهَا ثَمَنٌ ؛ فَهُوَ يَتَرَضُّهَا فِي مَوْسِمِ التُّضْحِ عَلَى تُجَارِ الْإِرَادَةِ ، فَمَنْ مِنْكُمْ يَشْتَرِي
حِكْمَةً يَقْبُولُ ؟ .

قَدْ يَرَى عَلَوَّ مَكَانِي وَيَنْسَى الدَّرَجَ ، كَمْ خُضْتُ بَحْرًا مَلِحًا حَتَّى وَقَعْتُ
بِعَذْبِ كَمْ قَطَعْتُ مَهْمَهَا وَخَدِي حَتَّى سُمِّيتُ بِالذَّلِيلِ ! أَنْضَيْتُ^(١) مَرْكَبَ الْجِسْمِ ،
وَرَفَضْتُ شَهَوَاتِ الْحَسِّ ، وَوَاصَلْتُ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ فِي الْجِدِّ ، وَأَوْقَدْتُ فِي دُجَى
الْهَوَى نَارَ الصَّبْرِ ، فَإِنْ وَثَّقْتُمْ بِأَمَانَتِي فَهَذَا تَخْيِيرُ^(٢) الشَّرَاءِ :

شَرِبْتُ لِأَغْلَالِي رَجِيْقًا بِسَلْسَالِ	مِنْ الشَّاهِقِ الْعَالِي عَلَى غَيْرِ تَصْرِيدِ ^(٣)
فَأَصْبَحْتُ نَشْوَانًا مِنَ الشُّرْبِ سَكَرَانًا	وَأَطْرَبُ أَحْيَانًا بِلَا نَعْمَةِ الْعُودِ
وَكَمْ جُبْتُ ^(٤) مِنْ وَادٍ وَسِرْتُ بِلَا حَادٍ	وَبْتُ بِلَا زَادٍ سَوَى ذِكْرِ مَعْبُودِي

* * *

(١) أَنْضَيْتُ : أَهْزَلْتُ .

(٢) تَخْيِيرُ : هُوَ تَخْيِيرُ أَحَدِ الْمُتَابِعِينَ لِيَقْطَعَ خِيَارَ الْمَجْلَسِ .

(٣) أَغْلَالِي : حَرَارَةُ الْعَطَشِ . الرَّحِيقُ : صَفْوَةُ الْخَمْرِ . سَلْسَالُ : الْعَذْبُ الصَّاقِي سَهْلُ الْمُرُورِ
فِي الْحَلْقِ . تَصْرِيدُ : تَنَاوُلُ الْمَاءِ جُرْعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً .

(٤) جُبْتُ : قَطَعْتُ .

الفصل الخامس والتسعون

كم تُنذِرُ الدنيا ولا نَسْمَعُ! وكم تُؤَيِّسُ مُحِبَّهَا من وصلِها ويَطْمَعُ! فالعجبُ
من فِطْنِ غَرَّةِ سَرَابٍ يَلْمَعُ.

يأتي على الناس إصباح وإمساء وكلُّنا لصروفِ الدَّهْرِ نَسَاءُ^(١)
خَسِيسَتِ يا دارَ دُنْيَانَا وربَّتْما يَرْضَى الخسيسة أوباشُ أخْسَاءُ
إذا تَعَطَّفتِ يوماً كُنتِ قاسيةً وإن نظرتِ بعينٍ فَهِيَ شَوْسَاءُ^(٢)
وقد نَطَقَتْ بأصنافِ العظااتِ لنا وأنتِ فيما يراكِ الناسُ خرساءُ
أينَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ وَمَنْ كانتِ لهم عِزَّةٌ في المُلِكِ قَعْسَاءُ^(٣)
نالوا يسيراً من اللذاتِ وارتحلوا بِرَغْمِهِمْ فلماذا النِّعماءُ بأساءُ

الدنيا دارٌ كَدَرٍ، بذلك جرى القدرُ، فإنَّ صَفَا عيشٍ لحظةً نَذَرَ، ثم عادَ
التخليطُ فيذرُ الورودَ فيها كالصَّدرِ^(٤)، ودمٌ قَتيلها هَدَرَ^(٥).

المرءُ مِنْ دُنْيَاهُ في كَلَفٍ^(٦) ومأله فيها إلى التَّلَفِ
ولكلِّ شيءٍ فائتِ خَلَفٌ وحياتُنا فوتٌ بلا خَلَفِ

يا لاحقاً بآبائه وأمهاته! لا بدُّ أن يصيرَ الطَّلا إلى مهاتِهِ^(٧)، يا مَنْ جُلُّ
هَمَّتِهِ شَغْلُ خَيَّاطِهِ وطُهَاتِهِ^(٨)، يغلبُه الهوى وهو غالبُ دُهَاتِهِ^(٩)، إن كان

(١) نساء: كثير النسيان.

(٢) شوساء: يقال: شاس فلان: نظر بمؤخر عينه تكبراً وتغليظاً.

(٣) قعساء: يقال: عزة قعساء: ممتنعة ثابتة.

(٤) الورود: المجيء للماء. الصَّدْر: الرجوع عن الماء.

(٥) هدر: باطل لا قود فيه.

(٦) الكَلَف: المحبة والولع.

(٧) الطلا: ولد ذوات الظلف، مهاته: مفرد جمعها مها، وهي البقرة الوحشية.

(٨) طهاته: طبأخو طعامه.

(٩) دهاته: الرجل الداهية: جيد الرأي بين الدَّهَاءِ.

لك عذرٌ في تفريطك فهاتِه .

إخواني ! مرَّ الزمانِ وَعَظَّ الألبابَ ، ويكفي في الإنذارِ مَوْتُ الأصحابِ ،
كم ترى في التُّرابِ مِنْ أترابٍ^(١) ؟ أَعْمَدَتْ تِلْكَ السيوفُ في شَرِّ قِرَابٍ^(٢) ،
تناولتهم يَدُ البلى مِنْ كَفِّ اسْتِلابٍ^(٣) .

ويحك ! ضياءُ الدنيا ضباب ، وشرابُ الهوى سَراب ، أترضى أن يقال : قد
خَابَ ؟ أما لهذا عندك جواب ؟ كلُّما دخلنا من بابٍ خرجت من باب .

(للشريف الرضي) :

أَذْكُرُ تَصَابٍ والمشيْبُ نِقَابُ وغيرُ الغواني للمشيْبِ صِحَابُ
أَوْمَلُ ما لا يبلغُ العمرُ بعضَه كأنَّ الذي بعدَ المشيْبِ شِبابُ
وَطُعْمٌ لبازي الموتِ لا شكَّ مُهْجَتِي أَسَفٌ^(٤) على رأسي فطار غرابُ^(٥)
وَأَنْقُلُ محمولٍ على العينِ ماؤَها إذا بَانَ^(٦) أَحبابُ وعَزَّ إِيَابُ

لله دُرُّ أقوامٍ عَلِمُوا قُرْبَ الرحيلِ ، فهِيَؤُوا آلَةَ السَّفَرِ ، وَهَوِّنُوا بالدنيا ، فَفَنَعُوا
منها بما حَضَرَ ، واستوثقُوا بِقُفْلِ التَّقْوَى من أذى النطقِ والنَّظَرِ ! مالِكٌ خيرٌ بحالهم ،
ولا عِنْدَكَ منهم خير ، قامُوا في الجِدِّ وَقَعَدَتْ ، وسهروا في الدُّجَى ورقَدَتْ ،
طالما نَصَبُوا^(٧) في خدمة المالكِ ، وناقشوا أنفُسَهُم مناقشَةً مِمَّا حَكَ^(٨) ، وآثروا
بالزادِ فزادُوا على البرامِكِ ، واختَبَرُوا باليلا كالتَّبَرِّ عن السابِكِ^(٩) ، هذه طريقُهُم
فأين السالكُ ؟ ! أترضى بالتأخِرِ عنهم ؟ ! هذا برَأْيِكَ ، كأنَّكَ بهم وقد دَخَلْتَ على

(١) أتراب : جمع يَرْب ، وهو المماثل في السن .

(٢) قِرَاب : غمد السيوف ، والمقصود - هنا - القبر يضم الأجساد .

(٣) استلاب : اختلاس .

(٤) أسف : أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه .

(٥) غراب : طائر أسود ينعب .

(٦) بان : اختفى .

(٧) نصبوا : تعبوا .

(٨) مماحك : مجادل .

(٩) التبر : الذهب . السابك : الصانع .

الملا الملائك : كُلْ يَا مَنْ لَمْ يَأْكُلْ^(١) ، هذا بذلك .

لما أريدوا أفيدوا ، لما شكروا النعم زيدوا ، ولو فترؤا عن التعبد قيدوا .

نام (العلاء بن زياد) ليلة عن وزده فجذب في نومه بناصيته وقيل له : قم إلى صلاتك ، فما زالت الشَّعْرَاتُ قائمةً باقي حياته ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ [الواقعة : ٧٣] .

قال أبو سليمان : غلبتني عيني ، فإذا أنا بالهوراء قد ركضتني برجلها وهي تقول : أترقد عيناك والملك يقظان ؟ قال : ونمت ليلة أخرى ، وإذا بها توقظني وتقول : أتنام وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمئة عام ؟ ١٩ .

(للنابغة الذبياني)^(٢) :

أقول والنجم قد مالت أواخره إلى المغيب تبين نظرة حار^(٣)
المحة من سنا برقي رأى بصري أم وجه نغم بدا لي أم سنا نار
أثبثت نغماً على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري^(٤)

قلوب القوم في الدجى قلقة ، وأفئدتهم من الخوف مختربة ، والنفوس من هجر الحبيب فرقة^(٥) ، وجفونهم من البكاء غرقه ، وعروق المحبة في سويدائهم علقه ، شفاههم بكأس المناجاة مضطبعة مغتبة^(٦) ، والآمال إليه كل وقت منطلقة ، وما عادت قط إلا وهي بالرجاء عيقة .

(١) ورد أن بشراً الحافي روي في المنام جالساً على أريكته وملك يطعمه ويقول : كل يا من لم يأكل لأجله . من محاسن الإسلام ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري ، ص ٢٠ .

(٢) انظر : ديوان النابغة ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٣) حار : أصلها حارث ، وهو منادى بإسقاط أداة النداء على لغة من ينتظر ، و(حار) على لغة من لا ينتظر .

(٤) سقياً ورعياً : دعاء بالسقيا والرعاية . الزاري : المتهاون .

(٥) فرقة : وجلة خائفة .

(٦) مضطبعة مغتبة : الاصطباح : شرب الصبوح . والاعتباق : شرب الغبوق في المساء .

قُلْ لِلْمَقِيمِينَ عَلَى وَادِي الْحِمَى عَنِّي إِذَا أَتَيْتَهُمْ مُسَلِّمًا
 قَدْ صَارَ طِيبُ الْعِشْرِ مَذًى فَارَقْتُكُمْ عَلَيَّ مِنْ بَعْدِكُمْ مُحَرَّمًا
 وَكُلُّ شَهِيدٍ ذُقُّهُ فِي وَضْلِكُمْ قَدْ عَادَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ عَلَقْمَا
 لَا عِشْرَ لِي إِنْ غِبْتُمْ عَنْ نَاطِرِي وَإِنْ حَضَرْتُمْ رُبَّمَا وَرُبَّمَا
 إِنْ سَأَلُوكَ عَنْ سِقَامٍ قَدْ رَأَى لِي فِيهِ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَ أَهْلِ السَّمَاءِ
 فَقُلْ لَهُمْ مَا يَشْتَكِي مِنْ سَقَمٍ لِأَنَّهُ يَذْكُرُ فِيهِ الْمُسْقَمَا

وا حسرة مَنْ مَضَوْا وَخَلَفُوا، لَقَدْ اسْتَبْدَلَ بِالْعَسَلِ الْخَلَّ فَوْه^(١)، آه عَلَى عِشْرِ
 وَلِي وَلَا عَوْدَةَ، وَعَلَى حَادٍ سَرَى وَلَا وَقْفَةَ، تَالَلَّهِ لَوْ صَارَتِ الْعَيْنُ عَيْنًا^(٢) مَا وَفَّتْ.

(لمهيار)^(٣):

يَا لَنَسِيمٍ سَخِرَ بِحَاجِرٍ رَدَّتْ بِهِ عَهْدَ الصَّبَا رِيحُ الصَّبَا
 سَلَّ مَنْ يَدُلُّ النَّاشِدِينَ بِالْغُضَا عَلَى الطَّرِيقِ وَيُرُدُّ السَّلْبَا
 أَرَا جِعَ لِي وَالْمَنَى مَهْلَهُ أَوْ طَالَعَ نَجْمُ زَمَانٍ غَرَبَا
 إِذَا اطمَأْنَنْتُ أَضْلَعِي تَذَكَّرْتُ نَوَاكُ^(٤) فَاهْتَزَّتْ جَوَى لَا طَرَبَا

تَاللَّهِ مَا تُغَشِّقُ الْأَمَاكِنُ لَذَاتِهَا، بَلْ لِسَالِفٍ لَذَاتِهَا.

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ^(٥)

لِلْمُعَاهِدِ عَهْدٌ عِنْدَ الْمُعَاهَدَةِ، كُلَّمَا تَذَكَّرَهُ الصَّبُّ صَبَّ الدَّمُوعُ.

(للمتنبي)^(٦):

(١) بالعسل: بالباء دخلت على المتروك. فوه: فمه.

(٢) عيناً: نبع ماء.

(٣) من قصيدة كتب بها إلى صديقه أبي منصور الحسن بن علي بن مزروع. انظر: ديوان شعره: ١/١٢٠، ١٢٥.

(٤) نواك: بعدك.

(٥) صديريت للمتنبي، وعجزه: أقفرت أنتِ وهن منك أو اهل.

(٦) من قصيدة قالها عام (٣٤٢هـ)، الديوان، ص ٣٤٧-٣٥٢.

وما شَرَقني بالماءِ إلَّا تَذْخِراً لماءِ بهِ أهلُ الحبيبِ نُزولُ
وما عِشْتُ مِنْ بعدِ الأحيَّةِ سُلوَةً ولكتشي للنائباتِ حُمُولُ
أما في النُّجومِ السَّائِراتِ وغيرها لعيني على ضوءِ الصُّباحِ دليلُ
أَعْرِفُ النَّاسَ بالطريقِ مَنْ قَدْ سَلَكَ، إذا ذُكِرَتْ منازلُ مَكَّةَ حَنُّ الْحَاجِّ.
(المهيار)^(١):

وإذا هَبَّ صَبَا أَرْضِكُمْ حَمَلْتُ تُرْبَ الغَضَى باناً ورندا
رُدُّ لي يوماً على وادي مِنى^(٢) إن قَضَى اللهُ لَأَمْرِ فاتَ رَدًّا
عَجَباً لي كيفَ أَبْقَى بَعْدَهُمْ غيرَ أنْ قَدْ خُلِقَ الإنسانُ جَلْدًا^(٣)

* * *

(١) من قصيدة كتبها للوزير أبي المعالي يهثه بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٣٢ - ٣٣٦.

(٢) في الديوان: «كاظمة».

(٣) جَلْدًا: يقال: جَلَدَ جِلادة: قوي وصبر.

الفصل في السالكين والتسبيحون

يا مَنْ قَدْ مَلَكَتْهُ نَفْسُهُ، وَغَلَبَهُ حَسَنُهُ، وَقَدْ دَنَا حَبْسُهُ، وَسُكِّفَتْ خَمْسُهُ،
وَلَقَدْ أَنْذَرَهُ جِنْسُهُ، عَايَبَ نَفْسَكَ لَعَلَّهَا تَزْعُوي، وَسَلَّمَهَا إِلَى رَائِضِ الْعِلْمِ
عَسَاهَا تَسْتَوِي، أَخْضِرْ دَسْتَوْرَ الْمُحَاسِنَةِ وَحَاسِبِهَا، وَأَنْذِبْهَا إِلَى الْخَيْرِ فَإِنْ
أَبَتْ فَاذْذُبْهَا^(١).

(للمصنف):

يا وَيْحَ نَفْسٍ رَضِيَتْ بِالسَّقَمِ	يا وَيْحَ نَفْسٍ رَضِيَتْ بِالسَّقَمِ
تُسَرُّ بِاللَّهِوِ وَتَنْسَى حَقَّهَا	تُسَرُّ بِاللَّهِوِ وَتَنْسَى حَقَّهَا
وَكُلَّمَا أَصْبَحْتَ أَبْكِي فِعْلَهَا	وَكُلَّمَا أَصْبَحْتَ أَبْكِي فِعْلَهَا
تَفْرُحُ بِالْفَنَانِي فَمَا تَطْلُبُ مَا	تَفْرُحُ بِالْفَنَانِي فَمَا تَطْلُبُ مَا
أَقُولُ: يَا نَفْسُ اتَّقِي مَنْ لَمْ يَزَلْ	أَقُولُ: يَا نَفْسُ اتَّقِي مَنْ لَمْ يَزَلْ
كَمْ مِنْ ذَنْبٍ لَكَ قَدْ سَتَرَهَا	كَمْ مِنْ ذَنْبٍ لَكَ قَدْ سَتَرَهَا
وَكَمْ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ جَادَ بِهَا	وَكَمْ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ جَادَ بِهَا
كَمْ وَاعِظٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ زَاجِرٌ	كَمْ وَاعِظٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ زَاجِرٌ
وَكَمْ يَنَادِيكَ لِسَانٌ غَبِيرَةٌ	وَكَمْ يَنَادِيكَ لِسَانٌ غَبِيرَةٌ
أَيْنَ الَّذِينَ شَيَّدُوا وَاحْتَرَسُوا	أَيْنَ الَّذِينَ شَيَّدُوا وَاحْتَرَسُوا
مَضَى الْجَمِيعُ هَلْ تَرَى مِنْ أَثَرٍ	مَضَى الْجَمِيعُ هَلْ تَرَى مِنْ أَثَرٍ
تَبَدَّلُوا بِالْثَرْبِ تُزْبِأُ كُلَّهُمْ	تَبَدَّلُوا بِالْثَرْبِ تُزْبِأُ كُلَّهُمْ
وَفُضِّلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَخُصِّلَتْ	وَفُضِّلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَخُصِّلَتْ
وَبَاشَرُوا الثَّرَابَ بَعْدَ تَرْفٍ	وَبَاشَرُوا الثَّرَابَ بَعْدَ تَرْفٍ
وَفَرَّطَتْ فِي عُمْرٍ مُنْصَرِمٍ	وَفَرَّطَتْ فِي عُمْرٍ مُنْصَرِمٍ
وَتَوَثَّرَ الْبَعْدَ عَلَى التَّقَدُّمِ	وَتَوَثَّرَ الْبَعْدَ عَلَى التَّقَدُّمِ
أَضَحَّتْ عِنَادًا لِي فِي تَبَسُّمِ	أَضَحَّتْ عِنَادًا لِي فِي تَبَسُّمِ
يَبْقَى لَهَا فَمَنْ يَكُونُ حَكَمِي	يَبْقَى لَهَا فَمَنْ يَكُونُ حَكَمِي
مَعْرُوفُهُ يَفُوقُ وَكَفَ الدَّيَمِ ^(٢)	مَعْرُوفُهُ يَفُوقُ وَكَفَ الدَّيَمِ ^(٢)
وَعَادَ بِالْفَضْلِ وَبِالْكَرَمِ	وَعَادَ بِالْفَضْلِ وَبِالْكَرَمِ
وَكَمْ وَكَمْ أَوْلَاكَ طَيْبَ أَنْعَمِ	وَكَمْ وَكَمْ أَوْلَاكَ طَيْبَ أَنْعَمِ
وَكَمْ نَذِيرِ زَائِرٍ مُسَلِّمِ	وَكَمْ نَذِيرِ زَائِرٍ مُسَلِّمِ
وَأَنْتِ عَنْ قَوْلِ الْهُدَى فِي صَمَمِ	وَأَنْتِ عَنْ قَوْلِ الْهُدَى فِي صَمَمِ
وَأَيْنَ مَنْ كَانَ كَثِيرَ النَّعَمِ	وَأَيْنَ مَنْ كَانَ كَثِيرَ النَّعَمِ
لَهُمْ وَصَارُوا فِي بِيوتِ الظُّلَمِ	لَهُمْ وَصَارُوا فِي بِيوتِ الظُّلَمِ
فِي قَعْرِ لَخْدٍ ضَيِّقٍ مُنْهَدِمِ	فِي قَعْرِ لَخْدٍ ضَيِّقٍ مُنْهَدِمِ
أَعْمَالُهُمْ، وَأَصْبَحُوا كَالْعَدَمِ	أَعْمَالُهُمْ، وَأَصْبَحُوا كَالْعَدَمِ
وَشَرَفٍ وَحُجُبٍ وَخَدَمِ	وَشَرَفٍ وَحُجُبٍ وَخَدَمِ

(١) اندبها الأولى: ادعها. اندبها الثانية: ابك عليها.

(٢) وَكَفَ: سال وقطر. الديم: جمع ديمة، وهي السحاب الممطر.

وَسُرُورٍ وَدُرِّرٍ وَطُرُفٍ
وَلَذَّةٍ فِي شَهْوَةِ لَذِيذَةٍ
لَوْ قِيلَ: قُولُوا مَا مُنَاكُمْ طَلَبُوا
وَيَحْكُ يَا نَفْسُ إِلَّا تَيْقُظُ
مَضَى الزَّمَانُ فِي تَوَانٍ وَهَوَى
أَنْتَظِرِي الْمَوْتَ سِيَّاتِي بَغْتَةً
وَحُورِقِي وَفَرَقِي وَحَشِيرَةً
وَتَرْحَلِينَ عَنْ دِيَارِ أُلْفَةٍ
مَنْ لِي إِذَا نَزَلْتُ لِحَدًّا مُظْلَمًا
مَنْ لِي إِذَا قَرَأْتُ مَا أَمْلَيْتُهُ
مَنْ لِي إِذَا أَزَعَجَ قَلْبِي حَسْرَةً
كَيْفَ الْخَلَاصُ وَالْكِتَابُ قَدْ حَوَى
يَا نَفْسُ فَازِ الصَّالِحُونَ بِالتَّقَى
يَا حَسَنَهُمُ وَاللَّيْلُ قَدْ جَنَّهُمُ
تَرَنَّمُوا بِالدُّكْرِ فِي لَيْلِهِمْ
قُلُوبُهُمْ لِلدُّكْرِ قَدْ تَفَرَّغَتْ
أَسْحَارُهُمْ بِهِمْ لَهُ قَدْ أَشْرَقَتْ
سَارُوا وَعُدَّتْ عَنْ طَرِيقٍ وَاضِحٍ
دَعْنِي أَبْكِي مَا حِينْتُ أَبَدًا

وَتُخَفِّفِ وَصَوْلَةٍ وَكُرَمٍ
وِعِزَّةٍ فِي عَزْمَةٍ وَهَمَمٍ
حَيَاةٍ يَوْمَ لِيَتَوَبَّوْا فَاغْلَمِ
يَنْفَعُ قَبْلَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي
فَاسْتَدْرِكِي مَا قَدْ بَقِيَ وَاعْتَنِمِي
وَأَنْتِ بَيْنَ أَسْفٍ وَنَدَمٍ
وَفِيضِ دَمْعِ الْعَيْنِ فِي تَسْجُمٍ^(١)
فَانْتَبِهِي مِنْ رَقَدَاتِ النَّوْمِ
هَذَا وَكَمْ مِنْ نَازِلٍ لَمْ يَسْلَمْ
أَقْبَحَ مَسْطُورٍ جَرَى بِالْقَلَمِ
وَهَلْ تَرَى يُشْفَى بِفَوْزِي أَلَمِي
كُلَّ فِعَالِي وَجَمِيعِ كَلَمِي
فَأَبْصُرُوا الرُّشْدَ وَقَلْبِي قَدْ عَمِي
وَنُورُهُمْ يَفُوقُ نُورَ الْأَنْجُمِ
فَعَيْشُهُمْ قَدْ طَابَ بِالتَّرْتُمِ
دَمُوعُهُمْ كُلُّوْلُؤُ مُنْتَظِمِ
وَجَلَعَ الْغُفْرَانِ خَيْرُ الْقِسَمِ
دَلَّ عَلَى الرُّشْدِ دَلِيلُ الْعَلَمِ
فَحَقُّ لِي أَبْكِي فَلَا لَا تَلَمِ

يَا عَجَبًا لَكَ! تَتَسَمَّى بِاسْمِ تَاجِرٍ، وَتُخَاصِمُ عَلَى الدُّرْهَمِ وَتُشَاجِرُ، وَتُصَابِرُ
لِرَبِيعِ الْقِيَرَاطِ الْهَوَاجِرِ^(٢)، وَتَغْضَبُ لِأَجْلِ الْحَبَّةِ وَتُهَاجِرُ^(٣)، وَتَرْضَى فِي أَفْعَالِكَ
بِاسْمِ فَاجِرٍ، أَمَا لَكَ مِنْ عَقْلِكَ نَاهٍ وَلَا زَاجِرٍ! يَا مَنْ نَوْمُهُ كَثِيرٌ وَانْتِبَاهُهُ نَادِرٌ! إِنْ

(١) تسجم: هطول.

(٢) الهواجر: جمع هاجرة، والهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس، أي: وقت اشتداد الحر.

(٣) تهاجر: تقاطع.

دُعِيَتْ إِلَى التَّوْبَةِ سَوَّفَتْهَا، وَإِنْ قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ سَفَفَتْهَا^(١)، وَإِنْ لَاحَ وَجْهَ الدُّنْيَا تَرَشَّفَتْهَا^(٢)، أَمَا هِيَ دَارُ بُلْغَةٍ^(٣) لَضَيْفِهَا تَضَيَّفَتْهَا^(٤)، أَوَلَيْسَ قَدْ شَبِتَ وَمَا عَرَفْتُهَا؟ كَمْ بَادِيَةٍ فِي أَرْبَاعٍ غَيْرِ بَادِيَةٍ تَعَسَّفَتْهَا^(٥)، لَقَدْ اسْتَشَعَرْتَ مَحَبَّتَهَا إِيَّيَ وَاللَّهِ وَالتَّحَفَّتَهَا^(٦)، تَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتَ جَنَابَاتِهَا لِعَفَّتَهَا^(٧)، أَنْسَيْتَ تِلْكَ الذُّنُوبَ الَّتِي اسْلَفَتْهَا، أَوْ لِبِضَائِعِ عُمْرٍ بَذَرْتَ فِيهَا وَأَتْلَفَتْهَا، كَمْ تَعُدُّ بِالْإِنَابَةِ؛ وَكُلُّ الْوَعْدِ أَخْلَفَتْهَا.

فَمَا تَلِينُ قَنَاتَكَ لِقَامِزٍ^(٨)، وَلَا تَرَى مَا يُشْتَهَى فَتُجَاوِزَ، وَيَحْكُ! بَيْنَ يَدَيْكَ أَمْوَالٍ وَهَزَاهِزٍ^(٩)، كَمْ تُقَوِّمُ وَلَا تَسْتَوِي؟! مَنْ يُغَيِّرُ الْغَرَائِزَ؟!^(١٠).

إِبْكُ لِمَا بَلَكَ، وَانْدُبْ فِي شَيْبِكَ عَلَى شَبَابِكَ، وَتَاهَبْ لِسَيْفِ الْمَنُونِ فَقَدْ عَلَّقَ الشَّبَابُ^(١١) بِكَ:

قَدْ كَانَ عُمْرُكَ مَيْلًا فَاصْبَحَ الْمَيْلُ شُبْرًا
وَاصْبَحَ الشُّبْرُ عُقْدًا فَاخْفِزْ لِنَفْسِكَ قَبْرًا

عَجَبًا لِلطَّرْفِ كَيْفَ اغْتَمَضَ! وَلِمُكَلِّفِ مَا أَدَى الْمُفْتَرَضَ، يَا مَنْ كُلَّمَا بَنَى عَلَى أَنْ يَلُودَ بَنَانَقَضَ، يَا مَنْ إِذَا أَدَى حَقًّا فَعَلَى مَضْضٍ^(١٢)، يَا مَنْ إِذَا لَاحَ لَهُ صَيْدٌ

-
- (١) سَفَفَتْهَا: يُقَالُ: سَفَفَ الْعَمَلُ: لَمْ يَبَالِغْ فِي إِحْكَامِهِ.
(٢) تَرَشَّفَتْهَا: اشْتَفَتْ مَا فِيهَا وَاسْتَقْصَيْتَهُ.
(٣) الْبُلْغَةُ: مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ مِنَ الْعَيْشِ.
(٤) تَضَيَّفَتْهَا: نَزَلَتْ عَلَيْهَا ضَيْفًا.
(٥) الْبَادِيَةُ الْأُولَى: الصَّحْرَاءُ. غَيْرِ بَادِيَةٍ: غَيْرِ ظَاهِرَةٍ. تَعَسَّفَتْهَا: الْعَسَفُ: الْأَخْذُ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ.
(٦) اسْتَشَعَرْتَ: الشُّعَارُ: مَا يَلِي الْيَدَيْنِ مِنَ الْبِلَاسِ. التَّحَفَّتَهَا: جَعَلَتْهَا لِحَافًا.
(٧) لِعَفَّتَهَا: لَتَرَكْتُهَا كَرَاهِيَةً.
(٨) قَنَاتُكَ: رَمَحُكَ. لِقَامِزٍ: يُقَالُ: غَمَزَ الْمُثَقَّفُ الْقَنَازَةَ: إِذَا عَضَّهَا وَعَصَرَهَا لِيُخْتَبِرَهَا.
(٩) هَزَاهِزٍ: جَمْعُ هَزْهَزَةٍ: الْفَتْنَةُ يَهْتَزُّ فِيهَا النَّاسُ وَيُتَلَوْنَ.
(١٠) يُغَيِّرُ: يَبْدِلُ. الْغَرَائِزُ: جَمْعُ غَرِيزَةٍ: طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ وَشَهْوَاتِهِ.
(١١) الْمَنُونُ: الْمَوْتُ. الشَّبَابُ: جَمْعُ شَبَابَةٍ، وَهِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَدُّ طَرَفِهِ.
(١٢) الْمَضْضُ: الْأَلَمُ وَالْكَرَاهِيَةُ.

الفاني جَدَّ وَرَكَضَ ! يا مَنْ إذا قَدِرَ على جيفة الهوى جَثَمَ وَرَبَضَ ! يا مشغولاً عن
الجَوْهَرِ بفاني العَرَضِ ، إيثَارُ ما يَفْنَى أشدَّ المرض :

ألا يا غافلاً تُخَصِّي عليه	من العَمَلِ الصغيرة والكبيرة
يُصَاحُ به ويُنذَرُ كلَّ يومٍ	وقَدْ أنشأ غفلته مَصِيرَه
تَأْمَبُ للرحيلِ فقد تَدَانِي	وأنذَرَكَ الرحيلَ أخُ وجيره
وكم ذنبٍ أتيت على بصيره	وعَيْنُكَ بالذي تأتي قَريبَه
تحاذِرُ أن تَرَاكَ هُنَاكَ عَيْنُ	وإنَّ عليكَ لِلْعَيْنِ البَصِيرَه
وكم مِنْ مَذْخَلٍ لو مُتَّ فيه	لكنتَ بِهِ نكالاً في العشيرَه
وُقيتَ السوءَ والمكروءَ منه	ورُخِيتَ بِنِعْمَةٍ فيه سَتِيرَه

هذا حادي المماتِ قد أسرع ، هذه سيوفُ المُلِمَّاتِ تقطع ، هذه قصورُ
الإخوانِ بَلَقع ، إن وصلتِ الدُّنيا فعلى نَيَّةٍ أن تَقْطَع ، وإن بَدَلْتَ فعلى عَزمٍ أن
تَمْنَع ، أفيها حيلةٌ أم في وُضْلِها مَطْمَعٌ ؟ يا مُعْرِقاً^(١) في البلى قل لي : لِمَنْ تجمع ؟
إذا خَلَوْتَ وَتَخَلَّيْتَ فكيف تصنع ؟ ! أترى : أنتَ عندنا أو ما تَسْمَع ؟ !

يا محبوساً في سجنِ هَواه متى تَتَخَلَّص ؟ ! لو عَرَفْتُنَا أَلِفْتُنَا ، لنا أحبابٌ لهم
أَلِبابٌ هم اللَّباب^(٢) ، شَغَلْهم على الدوامِ المحراب ، حاضرون معكم بالأبدانِ
وبالقلوبِ غُيَّابٌ :

وشُغِلْتُ عن فهمِ الحديثِ سِوَى ما كانَ مِنْكَ فإِنَّهُ شُغِلِي
وأديمُ نحوَ محدثي نَظْري أنسي^(٣) فهِمَّتْ وعندَكَ معقلي

ما نالَ الصالحونَ ما نالُوا إلا بِتَرْكِ ما نَظَلُّبه وما نالُوا ، كانتِ هِمَمُهم في
طلبِ الفَضائلِ تَغْلِي في القلوبِ غليانَ الماءِ في القدورِ ، تخايلَ القومُ لَذَّةَ الثوابِ
فَسَهَّلَتْ عليهم مراراتِ الصبرِ ، وتَصَوَّرُوا خلودَ الأبدانِ فهانَ عليهم بذلُ النفوسِ ،

(١) يا معرقاً : يقال : أعرق فلان : له أصل ممتد في الكرم وغيره .

(٢) الباب : أي لهم عقول راجحة . اللَّباب : الخالص من كل شيء .

(٣) في نسخة : أن قد .

جَدُّوا في الجَدِّ فما سكنوا حتى سكنوا الجنة^(١)، وراحة المؤمن في الدنيا صفر من راحة^(٢)، فلو رأيتهم في رياض الجنان يسرحون، منطلقين في أغراضهم يترحون، لا يدرون بأي مطلوب يفرحون، بالنجاة من النيران؟ أم بالخلود في الجنان؟ أم بالخيرات الحسان؟ أم برضا المليك الديان؟ لقد نالوا بالمراد ما لم يكن في الحسبان، من تلمح جولان مضمر الصبر في لذيذ العافية، وفرحة المفطر بعد أنصاب^(٣) الصوم، وتناول العذب بعد عذاب الظما، وسلامة الغريق بعد الإغراق في أذى الأذى، وخلاص الشجر في مضر ماصر^(٤) المكس^(٥)، وتلاقي الأحباب على باب الطول بعد طول الفراق، رأى من قوة قوة العين ما لا يدخل تحت حد قياس، بعد أن حذق ياسر، وقد وصفنا ما حصل للقوم، وجُملة المبدول من الثمن ﴿بِعَاصِرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤].

قف بالمحصب^(٥) واسأل أيها الرجل تلك الرسوم عن الأحباب ما فعلوا
فما أسألك عن آثارهم أحداً إلا أجاب غراب البين: قد رَحَلُوا

* * *

-
- (١) سكنوا الأولى: اطمأنوا. سكنوا الثانية: استقروا.
(٢) صفر من راحة: إشارة إلى استحالة راحة المؤمن في الدنيا.
(٣) أنصاب: جمع نصب، أي: متاعب ومشاق.
(٤) مضر: ناحية ومكان. ماصر: الجبل يلتقى في الماء ليمنع السفن من السير حتى يؤدي صاحبها حق السلطان. المكس: الجباية وما يأخذه العشار من الضرائب.
(٥) المحصب: موضع رمي الجمار بمنى.

الفصل السابع والسبعون

مَنْ رَكِبَ الْهَوَى هَوَى^(١) به، والنفس إذا امْتَعَمَلَتِ التَّقْوَى تقوى به^(٢).

إِنْ كُنْتَ يَا صَاحِبَ لَيْبٍ حَازِمًا فَكُنْ لِأَسْبَابِ الْهَوَى مُرَاقِبًا^(٣)
لَا تَهْوِ دُنْيَاكَ فَإِنَّ حُبَّهَا رَأْسُ الْخَطَايَا تُكْسِبُ الْمَآثِمَا
غَدَارَةٌ فَكُلُّ مَنْ حَلَّتْ لَهُ لَا بُدَّ أَنْ تُذِيقَهُ الْعَلَاقِمَا^(٤)
وَأَنْهَا تَخْدِمُ مَنْ أَهَانَهَا كَمَا تُهِنُ مَنْ أَتَاهَا خَادِمًا
فَكُنْ بِهَا مِثْلَ غَرِيبٍ مُضْلِحٍ أَزْوَادُهُ عَلَى الرَّحِيلِ عَازِمًا
وَيَادِرِ الْأَيَّامَ قَبْلَ قُوَّتِهَا مَخَاصِمًا لِلنَّفْسِ أَوْ مُسَالِمًا
فَلَمَّا عَمِرُ الْفَتَى سُوقٌ لَهُ يَرُوحُ عَنْهَا خَاسِرًا أَوْ غَانِمًا

يَا مَنْ يُخْطِي^(٥) عَلَى نَفْسِهِ وَيُقْتَرِفُ! متى تندم وتتعرف؟! يا مَنْ يُحِبُّ
العَاجِلَ قَدْ كَلِفَ^(٦) سَتَعْلَمُ غَدًا جَفَنَ مَنْ يَكِفُ^(٧)، يا مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْهَوَى لَوْ
أَزَعَوَى أَنْفَ^(٨)، يا مَتَرَدِّدًا فِي التَّوْبَةِ سَارِعٌ وَلَا تَقِفْ.

إِلَى مَتَى أَعْمَالُكَ كُلُّهَا قِيَاحٌ!؟ إِلَى كَمْ فَسَادٍ! متى يَكُونُ الصَّلَاحُ!؟ سَتَفَارِقُ
هَذِهِ الْأَجْسَادَ الْأَرْوَاحَ، إِمَّا فِي غَدٍ وَإِمَّا فِي رَوَاحٍ، سَيَفْنِي هَذَا الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ،
وَسَيُخْلُو الْبَلَى بِالْوَجْهِ الصَّبَاحِ^(٩)، أَفِي هَذَا شَكٌّ وَالْأَمْرُ صُرَاحٌ^(١٠)!؟ أَيْنَ

(١) هوى: سقط.

(٢) تقوى به: صارت به قوة.

(٣) مراغمًا: مغاضبًا.

(٤) العلاقم: جمع علقم: الشيء المر.

(٥) يخطي: يقع في الخطيئة والآثام.

(٦) كلف: أحب وعلق.

(٧) يكف: يسيل.

(٨) ازعوى: كف وارتدع. أنف: ترفع.

(٩) الصباح: الحسان.

(١٠) صراح: ظاهر بين.

شارب الراح^(١)؟ راح إلى القبر تسفي^(٢) عليه الرياح، حلّ للبلى وللدود مباح،
 لهما اغتباق به ثم اضطباح^(٣)، عليه نطاق من التراب وشاح^(٤)، عنوانه لا يزال
 مفهومه لا براح^(٥)، مشغول عمّن بكى عليه وناح، أما هذا لنا عن قليل؟ إنّا
 لوقاح^(٦)، كأنك بملك الموت قد صوّت^(٧) بالروح وراح، فنهضت للثقلّة على
 غفلة، إما في المساء أو في الصّباح.

لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعنًا كلّ الجمال قبيل الصّبح مزموّم^(٨)
 هذا حادي الرحيل قد استعجلكم، فالبدار البدار، خلّوا كسلكم، ودّعوا
 التواني^(٩)، فالتواني قد قتلكم، وا أسفي! سبق الصالحون، فماذا شغلكم
 ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ [غافر: ٤٤].

ما على حادي المطايا لو ترفق ريثما أسكب دمي ثم أغنق^(١٠)
 يا فراداً كلّما قلت خبت ناره الهبة الوجد فأخرق^(١١)
 ذلك العيش الذي فات به سائق الدهر فولّى أين يلحق^(١٢)
 زال إلا خطرة من ذكره كاد إنساني لها بالدفع يشرق^(١٣)

-
- (١) الراح: الخمر.
 (٢) تسفي: من سفت الريح التراب: أذنته.
 (٣) اغتباق واضطباح: شراب المساء والصباح.
 (٤) نطاق: حزام يشدّ الوسط. وشاح: نسيج عريض يرصّع بالجواهر وتشده المرأة بين
 عاتقها وكشحيها.
 (٥) مفهومه: مضمونه. لا براح: لا زوال.
 (٦) وقاح: من الوقاحة: الاجترأ على اقتراف القبائح.
 (٧) صوّت: صاح.
 (٨) مزموّم: وضع لها الزمام والخطام تأهباً للسير.
 (٩) البدار: المسارعة. التواني: التباطؤ والتكاسل.
 (١٠) حادي المطايا: سائق الإبل. أغنق: العنق: ضرب سريع من السير.
 (١١) خبت: سكنت. الوجد: المحبة.
 (١٢) فات به سائق الدهر: أخذ به الزمان.
 (١٣) إنساني: يؤبؤ العين. يشرق: ينص.

يلدغ القلب إذا غنى على فني أو ناح قمري مطوق^(١)

يا معدوداً مع الشيب في الصبيان! يا محبوساً مع البصراء في العُميان!
يا واقفاً في الماء وهو ظمآن! يا عارفاً بالطريق وهو خيران! أما وعظت بأي
القرآن؟! أما زجرت بنأي^(٢) الأقران؟! أما تعتبر بصروف^(٣) الرمان؟! أتعمر المنزل
وعلى الرحيل السكان؟! أما يكفي وعظ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]؟! .

تسافر ببضائع الأمانة وما تنزل إلا في خان من خان^(٤)، أفعالك كلها
مكتوبة فيما لئت ما كان ما كان^(٥)، تدفن الميت ولا وعظ كالعيان، ثم تعود غافلاً يا
قرب ذا النسيان، ويحك! أما تدري أن الهوى هوان^(٦) ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنْبِئَ
مَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠] .

نراع^(٧) إذا الجنائز قابلتنا ونسكن حين نخفى ذاهبات
كروعة ثلة لظهور ذئب فلما غاب عادت راتعات^(٨)

يا مستأنساً بظل متخلص^(٩)! يا حريصاً على الهوى، والموت عليه يحرص!
يا من إن كال فمطفف، وإن وزن فمتلصص^(١٠)، ما يتخلص من معامل إلا من
هو عند الله مخلص، تفكر فيمن أصبح مسروراً فأمسى وهو متنعص^(١١)،

(١) يلدغ: يحرق. فني: غصن. قمري: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت. مطوق:
الحمامة التي في عنقها طوق.

(٢) بنأي: النأي: البعد، وهو كناية عن الموت. الأقران: الأصحاب.

(٣) صروف: نوائب.

(٤) خان الأولى: النزول والفندق. خان الثانية: من الخيانة.

(٥) ما كان الأولى: الذي كان. ما كان الثانية: لم يكن.

(٦) هوان: ذل.

(٧) نراع: نفزع.

(٨) ثلة: جماعة. راتعات: لاعبات لاهيات.

(٩) ظل متخلص: أي ظل متقبض وناقص، وهذا إشارة إلى الدنيا وما فيها.

(١٠) مطفف: متقص من المكيال. متلصص: سارق.

(١١) متنعص: متكلتر.

ومتى ازددت لذة فاذكر قبلها المنعص، حاسب نفسك وخذ على يدها^(١) لا ترخص^(٢)، حائط الباطن خراب فلماذا تجصص^(٣) ١٩.

يا بن آدم! أنت بين ذنب لا تذري أغفر؟ وحسنة لا تعلم أقبلت؟ فابن الانزعاج؟ لما سترت عن الصالحين العواقب^(٤)، استراحوا إلى الأحزان، وفزعوا^(٥) إلى البكاء، كانوا يتزاورون فلا تجري في خلوة الزيارة إلا دموع الحذر، كان أشعث الحراني يزور حبيباً العجبي فيكيان طول النهار.

باحث برِّي في الهوى أذمعي ودلت الواشي على موضعي
يا قوم إن كنتم على مذهبي في الوجد والحزن فتوخوا معي
يحق لي أبكي على زلتي فلا تلوموني على أذمعي

إخواني! أتدرون ما أقلق هذا التائب؟ أعلمتم ما أقدم هذا الغائب؟

سرى نسيم الصبا من حاجر فصبا فبات يشكو إلى أنفاسه الوصبا^(٦)
ما يترجح البارق والنجدي^(٧) يذكركه نجداً ويُلْهِيه وجداً إذا التها

يحق لمن رأى الراحلين إلى الحبيب وهو قاعد أن يبكي، ولمن سمع بأخبار الواصلين وهو متباعد أن يقلق.

أبصر الركب على الجزع ضحى فتوالى دمعُه مُسْفِحاً
يا خليلي بجرعاء الحمى سائلاً من حلّ ذاك الأبطحاً
وخذا عني أحاديث الغضا بخل الراوي بها أو سمحاً

(١) خذ على يدها: أي امنعها.

(٢) لا ترخص: لا تأخذ بالرخص.

(٣) تجصص: تطلي بالجص.

(٤) العواقب: خواتم الأعمال.

(٥) فزعوا: لجؤوا.

(٦) نسيم الصبا: ريح مهبها من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. فصبا: جن واشتاق.

الوصب: المرض.

(٧) البارق: سحاب ذو برق. النجدي: من أنجدت السماء: إذا صحت.

وَاسْتَمِلَاهَا بِدَمْعِي وَانْكُتِبَا عَنْ أَخِي الشَّوْقِ إِذَا مَا شَرَحَا
وَإِذَا هَبَّ الصَّبَا قَوْلًا لَهُ : عُدْ فَقَدْ هَيَّجَتْ قَلْبًا مَا صَحَا
يَا أَهْيَلُ الْحَيِّ مِنْ كَاطِمَةٍ عَادَ مُسْتَوِرُ الْهَوَى مُفْتَضَحَا
إِذَا رَأَيْتُمْ قَلِقًا فَارْحَمُوهُ، وَإِذَا شَاهَدْتُمْ بَاكِيًا فَوَافِقُوهُ، وَإِذَا عَايَنْتُمْ وَاجِدًا
فَاتْرَكُوهُ .

خَلَّنِي مِنَ الْعَذْلِ مَا الْفُؤَادُ مِنْ قَيْلِي
لَا تَسَلْ فَفِي كَيْدِي شُغْلَةٌ مِنَ الشُّعْلِ
يَا أَطْفَالَ الْهَوَى أَيْنَ أَنْتُمْ وَالرِّجَالُ ١٢ .

كَمْ مَنْ حَتَّ وَمَا أَرَى غَيْرَ بَطَا^(١) لَوْ حَزَّكَتِ الْعَزَمَ نَحُونًا فَضَّلَ خُطَا
تَعْصِي قَضَاً وَتَدَّعِيهِ غَلَطَا تُضْمِي عَمْدًا وَتَزْعُمُ الْقَتْلَ خَطَا^(٢)
يَا هَذَا! إِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ لئَلَّا تُغْلَبَ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِشَرٍّ فَسَوِّفْ هَوَاكَ
لَعَلَّكَ تُغْلَبَ، ثَقَّفْ نَفْسَكَ^(٣) بِالْآدَابِ قَبْلَ صَحْبَةِ الْمُلُوكِ، فَإِنَّ سِيَاسَةَ الْأَخْلَاقِ
مِرَاقِي الْمَعَالِي .

قَالَ بُزْرَجَمَهْرُ^(٤) : أَخَذْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَ مَا فِيهِ، حَتَّى مِنَ الْكَلْبِ
وَالْهَرِّ وَالْغُرَابِ .

قِيلَ : مَا أَخَذْتَ مِنَ الْكَلْبِ ؟ .

قَالَ : ذُبُّهُ عَنْ حَرِيمِهِ وَالْفُتُوحَ لِأَهْلِهِ .

قِيلَ : مَا أَخَذْتَ مِنَ الْهَرِّ ؟ .

(١) بطا : من التباطؤ .

(٢) تُضْمِي : من أَصْمَيْتُ الصَّيْدَ : إِذَا رَمَيْتَهُ فَقَتَلْتَهُ . خَطَا : من الخطأ .

(٣) ثَقَّفَ : هَذَّبَ وَقَوَّمَ .

(٤) بزرجمهر : وزير كسرى أنوشروان ، كان حكيماً ، ومن أقواله : كن شديداً بعد رفق ، لارقيقاً
بعد شدة ، لأنَّ الشدة بعد الرفق عز ، والرفق بعد الشدة ذل . انظر : فيض القدير ، رقم
(٤٥٢٩ و ١٩١) .

قال : رفُّها عند المسألة ، ولينُ صيَّاحها .

قيل : ومن الغراب ؟ .

قال : شدَّةُ حذِّره .

لولا سَخَطُ نفسِ أبي بكرٍ عليه لمُفارقةِ هَواها ، ما نال مرتبةَ «أنا عنك راضٍ»^(١) .

لولا عَزِيُّ أُويسٍ ما لبسَ حُلَّةَ «يشفع مثل ربيعة ومضر»^(٢) .

يا كثيرَ الذنوبِ متى تُقْضي؟ يا مقيماً وهو في المعنى يَمْضي ، اتركِ الهوى
محموداً قبل أن يتركَكَ مذموماً ، إن فاتتَكَ قصباتُ السُّبْقِ في الزَّهْدِ ، فلا تُفوتَنَّكَ
ساعاتُ الندمِ في التوبة ، يا مَنْ كُلَّما حُرِّكَ إلى الجَدِّ^(٣) سوَّف ، يا مَنْ شَدَّدَ عليه
الوعيدُ وما تخوَّف ، يا مريضَ الهوى بل يا مُدْتَفِّ^(٤) ، إن كنتَ لا تعرفُ الدواءَ
فالطبيبُ قد عَرَفَ ، هذا مُمكنُ النصائحِ^(٥) ثم أنتَ بنفسك أعرف .

* * *

(١) رواه ابن حبان والعُقيلي في كتاب (الضعفاء) ، وقال الذهبي في (الميزان) : هو كذب ، وذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ، باب فضل الألفة والأخوة .

(٢) عن أبي برزة قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مِنْ أَقْتِي لِمَنْ يَشْفَعُ لَأَكْثَرِ مِنْ رِبِيعَةَ وَمَضَرَ» رواه الإمام أحمد في (المستد) ، وانظر : صفة الصفوة : ٤٩/٣ ، وذكره الحافظ في (ميزان الاعتدال) في ترجمة أُويس عن عمر : «يدخل الجنة بشفاعته - أي أُويس - مثل ربيعة ومضر» .

(٣) الجَدُّ : معالي الأمور وعظمتها .

(٤) مدنف : الدنف : المرض الملازم .

(٥) ممكن النصائح : ما تيسر من النصائح .

الفصل الثامن والتسعون

إخواني! من عَرَفَ ما بين يديه لم يُؤثِرِ الهوى ولم يَلْتَفِتْ إليه، ومن تَفَكَّرَ في رحيل مَنْ كان لديه صارَ النهوضُ للتزودِ متعيناً عليه.

رَحَلَ الْأَجْبَةُ عَنْ دِيَارِهِمْ أَهْوَنُ بِمَا أَخَذُوا وَمَا تَرَكَوا
وَعَلِمْتُ أَيْنَ مَضَى الْخَلِيطُ^(١) فَمَا أَرَى بِالْمَنَادِي آيَةً سَلَكَوا
وَنَفُوسُنَا كَحَمَائِمٍ رُفِعَتْ لِلصَّائِدِينَ وَدُونَهَا الشَّبَكُ
مُتَضَرِّبَاتٌ فِي حَبَائِلِهَا وَوَهَى جَنَاحُ ضَمَّةِ الشَّرْكَ
إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا هُمْ احْتَضِرُوا وَدُّوا هُنَالِكَ أَنَّهُمْ نَسَكُوا

كم فرح بشهر وإهلاله، مُتَهَلِّلٍ^(٢) لرؤية هلاله، إختطفه الموت في خلالِه،
كم مائل إلى جمع ماله، تركه تركة ومزَّ بأثقاله، هل رَجِمَ الموت مريضاً لضعفِ
أوصاله؟ هل ترك كاسباً لأجل أطفالِه؟ هل أمهل ذا عيالٍ من جَرَا^(٣) عياله؟ كم
راعٍ قَصُراً وماراعى عزَّ أبطله^(٤)، كم أشرفَ على شريفٍ فلم ينظر في جلالِه^(٥)، كم
خَرَقَ دِرْعاً نبيلاً^(٦) بوقعِ نباله، كم أَيْتَمَ طفلاً صغيراً ولم يُبالِه^(٧)، كم سَلَّ سَلِيماً
من سعةِ نعمائه وشماله، كم بَغَتْ عليلًا بالبلَى بعد التراقي إلى إبلاله^(٨) فرقَى

(١) الخليط: المخالط (يطلق على الفرد والجمع).

(٢) متهلل: فرح مسرور.

(٣) جرا: أصلها جراء: أي لأجل.

(٤) راع: أخاف. راعى: لاحظ واهتم.

(٥) جلاله: عظيمته.

(٦) نبيلاً: عظيماً.

(٧) يباله: لم يهتم به.

(٨) البلَى: الهلاك والقبر. بعد التراقي: من الرقي: أي ارتقى وتسامى. إبلاله: شفائه.

روحَه إلى التراقي^(١) ولم ينظر في حاله ! .

اليسَ إلى الآجالِ نَهَوِي وَخَلَفْنَا من الموتِ حادٍ لا يُغِبُّ عَجُولُ^(٢)
دع الفِكَرَ في حُبِّ البقاءِ وطولِه فهُمُكَ لا العُمُرُ القصيرُ يطُولُ
وَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بعَيْنِ حَقِيقَةٍ تيقَّنَ أنَّ العيشَ سوفَ يزولُ
وما هذه الأيامُ إلا فوارسُ تُطارِدُنَا والنائباتُ^(٣) خيولُ

بيننا محبُّ الدنيا في اختيالٍ ومَرَحٍ ، وكلُّما جاءَ باباً من أبوابِها فُتِحَ ، وكلُّما
عائى أمراً من أمرِها صَلَحَ ، قَبِينا هو في لذاتِه يُديرُ القَدَحَ^(٤) ، قَدَحَ زنادِ العمرِ في
حَرَاقِ القَدَحِ^(٥) ، فَمَنْ يَسْتَذِرُكَ ما فات ؟ ! وَمَنْ يُداوي ما جُرح ؟ ! .

بينما المرءُ غافلٌ إذ أتاهُ مِنْ يَدِ الموتِ سالبٌ لا يُصَدُّ
فتأهَّبَ لِمَالِه كلُّ نفسٍ عُرضَةُ الأسْرِ إنما الأمرُ جِدُّ

إلى كم تَغْصِي وتَمَرَّدُ ؟ ! وأقبُحُ من قبيحِكَ أنْكَ تَتَعَمَّدُ ، يا رَدِي العِزِّم !
يا سَيِّئِ المَقْصِدِ ! يا نَقِيَّ الثوبِ ، والقلبُ أسوداً ما هذا الأملُ ولستَ بِمُخْلِذٍ ؟
يا مسوراً على القبيحِ أَتَقَرُّ أم تَجْحَدُ ؟ ! أما الطريقُ طويلةٌ فمتى تَتَزَوَّدُ ؟ تَخْلُصُ مِنْ
أسْرِ الهوى فإلى كم مَقَيَّدُ ؟ ! أَتَشْتَرِي لَذَّةَ ساعةٍ بعذابٍ سَرْمَدٍ ؟ ! .

سَيِّلِكَ في الدُّنْيَا سبيلُ مُسافِرٍ ولا يُبْدُ من زادٍ لكلِّ مُسافرٍ
ولا بُدَّ لِلإنسانِ من حَمَلِ عُدَّةٍ ولا سِيَّما إنْ خِيفَ صَوْلَةُ قاهرٍ^(٦)

يا مَذْمُونِ الذُّنُوبِ منذ كانَ غلاماً ! عَلامَ عَوَّلْتَ قل لي علامَ^(٧) ؟ ! أَتَأْمَنُ
مأني^(٨) مَنْ أتى حراماً ؟ ! قَدْ تَرى ما حلَّ بهم إليك قَدْ تَرَامى ، أينَ المجتَمعون على

(١) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام المكتنفة نقرة النحر موضع الحشرجة .

(٢) لا يُغِبُّ : لا يقطع . عَجُولُ : صيغة مبالغة من العجلة .

(٣) النائبات : المصائب .

(٤) القَدَحُ : إناء يشرب به الماء .

(٥) القَدَحُ : قدح زنادِ العمر : القِدْحَة : اسم اقتداح النار . والزُّنْدُ : عودٌ يقدح به النار ، وكأنه
يشير إلى انتهاء العمر بإيرائه المستمر ، واستفاده في اللذات والغفلات .

(٦) عُدَّةُ : العدة ، ما أعددت له حوادث الدهر . صَوْلَةُ : وثوب .

(٧) علامَ : على أي شيء . عَوَّلْتَ : اعتمدت .

(٨) مأني : عاقبة .

خمرهم والندامي^(١) ١٩ كل القوم في قبورهم ندامي^(٢)، أما جرى على العصاة
يكفي إماماً^(٣) ١٩ لقد ضيّعنا حديثاً طويلاً وكلاماً، وما أرى ذلك إلا داء عقاماً^(٤) :

يا ليت شعري ما ادّخرت	ليوم بؤسك وافتقارك
فلتزلزلن بمنزل	تحتاج فيه إلى ادّخارك
أفنيّت عمرك باغترارك	ومناك فيه بانتظارك
ونسيّت ما لا بُدّ منه	وكان أولى بادّغارك ^(٥)
ولو اعتبرت بما ترى	لكفالك علماً باعتبارك
لك ساعة تأتيك من	ساعات ليلك أو نهارك
فتصير مختصراً بها	فتهي ^(٦) من قبل احتضارك
من قبل أن تقلّي ^(٧) وتقصي	ثم تخرج من ديارك
من قبل أن يتشاقل	الرؤاؤز عنك وعن مزارك ^(٨)

متى تُفيق من هذا المَرَضِ المُرَاضِ^(٩) ١٩ متى تستدرك هذه الأوقات الطوال
العِراضِ ١٩ يا غرضَ المنون كيف تنقي الأغراضِ^(١٠) ١٩ أما الأعمارُ في كل يوم في
انقراضٍ؟! لقد نبّهتُ قبل شكّة السّهمِ صكة المِعراضِ^(١١)، أما ترى الراحلين

(١) الندامي : جمع نديم : وهو المصاحب على الشراب المسامر .

(٢) ندامي : جمع ندمان : أي آسفون .

(٣) إماماً : مثلاً وعبرة .

(٤) عقام : أي عقيم : لا برة منه .

(٥) ادّكارك : تذكرك .

(٦) فتهي : فتها : استعد .

(٧) تقلّي : تهجر .

(٨) مزارك : قبرك .

(٩) المُرَاض : داء يقع في الثمر فتهلك .

(١٠) الغرض : الهدف الذي يرمى إليه والبغية والقصد . الأغراض : الأهداف التي تُصوّب

إليها المنايا سهامها .

(١١) شكّة : الغزّة ، يقال : شكّ فلاناً بالرمح طعنه . صكة : ضربة . المِعراض : سهم بلا ريش
غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حذّه .

ماضيًّا خلفَ ماضيٍّ^(١)؟ كم بُنيان ما تَمَّ حتى تَمَّ ماتَمَّ^(٢)؟ وهذا قد استفاضَ، إنَّ الموتَ إليك كما كان إلى أبويك في ارتكاضٍ^(٣)، إن لم تقدر على مشارعٍ^(٤) الصالحين فردَّ^(٥) باقي الحياض، إن لم يكن لك ابن لبون فلتكن بنت مخاض^(٦)، إلى متى؟ وحتى متى؟ أتعبت الرِّواض^(٧)، كلُّما بنينا نقضت، ولا بناء مع نقاض، يا مَنْ قد باع نفسه بلذة ساعة يبعاً عن تراضٍ، لبس ما لبست أتدري ما تغتاض؟ يا علة لا كالعلل! ويا مرضاً لا كالأمراض!

لقد أخبرتك الحادثات نُزولها ونادتك إلا أن سمعك ذو وقْرٍ^(٨) تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا ونفسك لا تبكي وأنت على الإثر^(٩)

يا مخالفاً مَنْ نهاء وأمره! يا مُضيعاً في البطالة عُمره! الزمانُ صولجان^(١٠) والعمرُ كُرّة، الدنيا بحرٌ والساحلُ المقبرة، احذر نوائبها فإن مشاربها كدرة، على أنها مزرعةٌ يحصد كلُّ ما بذره، فلا تحفِزْ معصيةً فربما أحرقت شجرة^(١١)، أما عرفتَ سِرَّ ﴿وَلَا تَقْرَأْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، لو اقتنع اكتفى، ولكن المحنة الشَّرة^(١٢).

إخواني! كلُّ مقاتلٍ ليس معه سلاحٌ عزم مغلوب، إذا برز شجاعُ اليقظةِ بسلاح الجِدِّ، هُشمَّ وجه الأمل، وهزم جيوش الزَّلَل، إذا استشعرت النفسُ

(١) ماضيًّا: ذاهباً.

(٢) ماتَمَّ: الجماعة من الناس في حزن أو فرح، وغلب استعماله في الأحزان.

(٣) ارتكاض: إسراع.

(٤) مشارع: جمع مشرع، وهو مأخذ الماء.

(٥) فردَّ: من الورود، أي: الإتيان إلى الماء.

(٦) ابن لبون: ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة، لأن أمه وضعت غيره، فصار لها لبن. بنت المخاض: ولد الناقة إذا استكمل الحول ودخل في الثانية.

(٧) الرواض: جمع راض: أي مُربٍّ ومهذَّب.

(٨) وقْر: ثقل.

(٩) الإثر: الأثر، أي على أعقابهم.

(١٠) صولجان: المِخجن، وهو عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة.

(١١) شجرة: أصغر ما يتطاير من النار.

(١٢) الشَّرة: غلبة الحرص.

زُرْمَانِقَةُ^(١) الرَّهْدِ، وَدَخَلَتْ مَتْرَهِنَةً^(٢) دَيْرَ الْعُزُوفِ^(٣)، وَجَدَتْ أُنَيْسَ «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرْنِي»^(٤).

الْخَلْوَةُ شَرَكٌ لَصِيدِ الْمُؤَانِسَةِ، فَاخْفَى الصَّيَادِينَ شَخْصًا، وَأَقْلَهُمُ حَرَكَةً أَكْثَرُهُمُ التَّقَاطُاَ لِلصَّيْدِ، مَا صَادَ هَرَّ صَاخَ.

وَحُلُّ الْمُخَالَطَةِ يُلْزِمُ الْمُتَهَذَّبَ الْمُتَمَذِّبَ رَفَعَ أَذْيَالِ قَمِيصِ الدِّينِ.

قِيلَ لِلْحَسَنِ: مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ بِاللَّيْلِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجُوهًا؟

قَالَ: لِأَنَّهُمْ خَلَوْا بِالرَّخْمَنِ فَأَلْبَسَهُمْ مِنْ نُورِهِ.

أَبْدَأْ نَفْسُ الطَّالِبِينَ	إِلَى طُلُوكِكُمْ تَجَرُّ
وَكَذَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِكُمْ	بَعْدَ الْمَخَافَةِ تَطْمَئِنُّ
جُنُتْ بِحُبِّكُمْ وَمَنْ	يَهْوَى الْحَيِّبَ وَلَا يُجِنُّ؟
بَحِيَا تِكُمْ يَا سَادَتِي	جَرِدُوا بِوَصْلِكُمْ وَمُشُوا ^(٥)

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا طَالَمَا نَصَبْتُ وَانْتَصَبْتُ^(٦)، جُنَّ عَلَيْهَا اللَّيْلُ، فَلَمَّا تَمَكَّنْ وَثَبْتُ وَثَبْتُ^(٧)، إِنْ ذَكَرْتُ عَذْلَهُ رَهَبْتُ وَهَرَبْتُ، وَإِنْ تَصَوَّرْتُ فَضْلَهُ فَرِحْتُ وَطَرِبْتُ، عَرَفْتُ إِذْ نَبْتُ^(٨) عَنْ خِدْمَتِهِ أَنَهَا قَدْ أَذْنَبْتُ، هَبْتُ عَلَى قُلُوبِهِمْ عَقِيمُ الْحَذَرِ، فَاقْشَعَرْتُ وَنَدَبْتُ^(٩)، فَبَكَتْ عَلَيْهَا سَحَابُ الرِّجَاءِ، فَاهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ،

(١) زُرْمَانِقَةُ: جَبَّةٌ صَوْفٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَتَى فِرْعَوْنَ أَتَاهُ وَعَلَيْهِ زُرْمَانِقَةٌ.

(٢) مَتْرَهِنَةٌ: سَلَكَتْ مَسَالِكَ الرُّهْبَانِ الْعَازِفِينَ عَنِ الدُّنْيَا.

(٣) الْعُزُوفُ: يُقَالُ: عَزَفْتُ نَفْسِي عَنْهُ: زَهَدْتُ فِيهِ، وَانْصَرَفْتُ عَنْهُ.

(٤) رَوَاهُ الدِّيلَمِيُّ بِلاَ سَنَدٍ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا، وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي (الشُّعَبِ) عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ

بَلَفْظًا: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ أَقْرَبُ أَنْتَ فَأَنَاجِيكَ، أَوْ بَعِيدٌ فَأَنَادِيكَ؟ فَقِيلَ لَهُ: يَا مُوسَى!

أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي» رَاجِعٌ: كَشَفَ الْخُفَاءَ: ٢٠١/١.

(٥) مُتُوا: تَكَرَّمُوا وَأَنْعَمُوا.

(٦) نَصَبْتُ: تَعَبْتُ، انْتَصَبْتُ: قَامَتْ لَهَا.

(٧) وَثَبْتُ الْأُولَى: مِنَ الثَّبَاتِ، وَثَبْتُ الثَّانِيَةَ: مِنَ الْوُثُوبِ.

(٨) نَبْتُ: مِنْ نَبَا: أَيُّ تَجَافَى وَتَبَاعَدَ.

(٩) نَدَبْتُ: بَكَتْ وَصَاحَتْ.

حَسْبُكَ أَنْ قَوْمًا مَوْتَى تَحْيَا بِذِكْرِهِمُ الثُّفُوسَ ، وَأَنْ قَوْمًا أَحْيَاءَ تَقْشَعُرُ بِرُؤْيَتِهِمِ
الْقُلُوبُ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَى تِلْكَ الْقُبُورِ ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ حَشْوُ تِلْكَ اللَّحُودِ .
(للغزي) :

طُلُولٌ إِذَا دَمَعِي شَكَى الْبَيْنَ بَيْنَهَا^(١) شَكَى غَيْرُ ذِي نُطْقٍ إِلَى غَيْرِ ذِي فَهْمٍ^(٢)
أَمَا كُنْ تَعْبُدُهُمْ بَاكِئَةً ، وَمَوَاطِنُ خَلَوَاتِهِمْ لِفَقْدِهِمْ شَاكِئَةً ، زَالَ التَّعَبُ وَبَقِيَ
الْأَجْرُ ، وَذَهَبَ لَيْلُ النَّصَبِ وَطَلَعَ الْفَجْرُ .

جاء في الحديث : «تَحْتَ شَجَرَةِ طُوبَى مُسْتَرَاخُ الْعَابِدِينَ»^(٣) ، إِنَّمَا يَطِيبُ
مَكَانَ الْإِسْتِرَاحَةِ بِأَجْرَاءِ حَدِيثِ التَّعَبِ ، وَإِنَّمَا يَلْدُ الظِّلُّ الْبَارِدُ لِمَنْ تَأْدَى بِحَرِّ
الْهَجِيرِ^(٤) .

إِخْوَانِي ! مَثَلُوا الْإِسْتِرَاحَةَ تَحْتَ شَجَرَةِ طُوبَى يَهْنُ عَلَيْكُمْ السَّفَرُ ، ادْأَبُوا فِي
السَّيْرِ ، فَقَدْ لَاحَ الْعَلَمُ :

لَمَّا وَرَدْنَا الْقَادِسِيَّةَ	حَيْثُ مُجْتَمَعُ الرِّفَاقِ
وَشَمْنَتْ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ	نَسِيمَ أَرْوَاحِ الْعِزِّاقِ
أَيَقَنْتُ لِي وَلَمْ أَنْ أَحِبُّ	بِجَمْعِ شَمْلٍ وَاتِّفَاقِ
وَضَحِكْتُ مِنْ طِيبِ الْوَصَالِ	كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ
مَا بَيْنَنَا إِلَّا تَصَرُّمٌ ^(٥)	هَذِهِ السَّبْعُ الْبَوَاقِي
حَتَّى يَطُولَ حَدِيثُنَا	بِصَنُوفٍ مَا كُنَّا نُلَاقِي

* * *

(١) بينها : أي فيما بين الطلول .

(٢) في (أ) : راحم .

(٣) لم نقف على هذا الأثر فيما رجعنا إليه من كتب الحديث .

(٤) الهجير : نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٥) تصرم : انقضاء .

الفصل الثالث والعشرون

يا هذا! هَوْنٌ بامرِ الدنيا تَهْنُ، وقدز أنها قطُّ لم تُكُنْ، واحفظ دينك من مكرها وصُنْ، فمتى وفَّتْ ١؟ ومتى لم تخُنْ ١؟.

(للمتنبي):

لا تلقَ دَهرَكَ إلا غيرَ مَكْتَرٍ
فما يدومُ سرورٌ ما سُرِزَتْ بهِ
مما أضَرَ بأهلِ العِشقِ أَنَّهُمْ
تَفَنَّى عيُونُهُم دمعاً وأنفُسُهُم
تَحَمَّلُوا حَمَلَتُكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ
ما في هَوادِجِكُمْ^(٢) مِنْ مُهْجَتِي عَوْضُ
سَهَزْتُ بعدَ رحيلي وحشةً لَكُمْ
ما دامَ يَصْحَبُ فِيهِ رَوْحَكَ الْبَدَنُ
ولا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
هَوُوا، وما عَرَفُوا الدُّنْيَا ولا فَطَنُوا
في إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ
فكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ^(١)
إِنْ مِثْ شَوْقاً ولا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ
ثم استمرَّ مَرِيرِي، وارعوى الوَسْنُ^(٣)

إِنَّمَا الدُّنْيَا حَلُمٌ نَائِمٌ، وَقَائِلَةٌ^(٤) رَاقِدٌ، وَمَغْبَرٌ مُغْتَبِرٌ، وَضِخْكَةٌ مُسْتَعْبِرٌ^(٥)،
تَاللَّهِ مَا أَعْجَبَ بِمَالِهَا مَنْ نَظَرَ فِي مَالِهَا^(٦)، وَلَا بَنَى قُصُورَهَا مِنْ عَرَفِ غُرُورَهَا،
وَلَا مَدَّ بَاعَ الْأَمْلِ فَبَاعَ وَشَرَى بِهَا مَنْ تَدَكَّرَ مَرَّ شَرَايِهَا، إِنَّهَا إِذَا طَغَتْ عَلَى الطَّغَامِ
تُطْفِي، وَإِذَا بُغِيَ نِكَاحُهَا عَلَى الْعَفَافِ تَبْغِي^(٧)، وَكَأَنَّهَا تَقْصُدُ هَلَاكَ مُحِبِّهَا

(١) ناجية: الناقة المسرعة. بين: فراق، ويقصد أن الفراق مؤتمن عليّ، أي: أرضى بحكمه، ولا تضرني غائلته، أي لا أحزن على فراقكم.

(٢) هودجكم: جمع هودج، وهو مركب النساء.

(٣) مريري: المريرة: جمع مريرة، وهي القوة من الحبل. استمر: استقام. ارعوى: انزجر. الوسن: النعاس.

(٤) قائلة: قيلولة: أي النوم عند الظهيرة.

(٥) مستعبر: بالك.

(٦) نظر في مالها: أي نظر فيم تصوير إليه.

(٧) تبغي: تتعدى وتظلم.

وتبغى^(١)، وكم عدلت في فتكها بالفتى الفتى وتلغى.

أَمَا دَرَّ دَرُّهَا^(٢) فَغَرَّتْ^(٣)؟ فَلَمَّا فَرَعَتْ^(٤) فَغَرَّتْ^(٥) فَاهَا فَرَعَتْ^(٦) لِلظَّلَمِ،
أَمَا سَحَبَتْ قُرُونًا قَارُونََ مَعَ أَقْرَانِهِ إِلَى الْقَرَارِ فِي قَرْنٍ^(٧)، أَمَا كَفَكَفَتْ^(٨) بِكَفِّهَا كَفًّا
مَكْفُوفٍ حُبِّهَا^(٩) فَأَرْتَكَ فَنَّ مَا يَكُونُ فِي كَفْنٍ، تَاللهِ لَقَدْ لَقِيَ الْغَبِيَّ غَبًّا^(١٠)
غَبَاوَتَهُ، فَلَمَّا انْجَلَى غَيْهَبُ عَيْبَتِهِ^(١١) رَأَى الْغَبْنَ وَالْغَبْنَ^(١٢).

يَا أَرْيَابَ اللَّمَمِ^(١٣) الشَّمَاطِ^(١٤) الْمَوْتُ بِكُمْ قَدْ أَحَاطَ، هَذَا الْعَدُوُّ مُنَازِلٌ^(١٥)
فَالزَّمُوا الرِّبَاطَ، مَا هَذَا الْفَتُورُ^(١٦)! وَمَهْرُ الْحَوْرِ الْجِدُّ وَالنَّشَاطُ، إِيَّاكُمْ وَالزَّلُّلَ فَكُمْ
مَنْ دَمَ أَشَاطُ^(١٧).

أَمَا سَمِعْتُمْ مَنَادِيَّ ﴿وَيْلَكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَهُمْ﴾ [الكهف: ٥٩]؟ أَمَا يُنْذِرُكُمْ
أَعْلَامُ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢]؟ أَمَا يَقْصِمُ غُرَى عَزَائِمِكُمْ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ
قَرِيرٍ﴾ [الأنبياء: ١١]؟ أَمَا يَقْصُرُ مِنْ قُصُورِكُمْ^(١٨) ﴿وَيَبِّرُ مَعْطَلَهُ وَقَصِيرُ

(١) تبغى: تقصد وتريد.

(٢) دَرَّ: كثر. درها: لبنها.

(٣) فَغَرَّتْ: خدعت.

(٤) فَرَعَتْ: انتهت.

(٥) فَغَرَّتْ: فتحت.

(٦) فَرَعَتْ: من رغا يرغو: أي صوت وضع.

(٧) الْقَرْنُ: الحبل يقرن به البعيران.

(٨) كَفَكَفَتْ: منعت.

(٩) مَكْفُوفٍ حُبِّهَا: الأعمى في حبها.

(١٠) غَبًّا: عاقبة.

(١١) عَيْبَتُهُ: وعاء من خوص ينقل فيه الزرع إلى الجرين، أو من آدم توضع في الثياب.

(١٢) الْغَبْنُ: بسكون الباء، وهو - في البيع - النقص، ويفتح الباء الْغَبْنُ يكون في الرأي: الضعف.

(١٣) اللَّمَمُ: جمع لعة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

(١٤) الشَّمَاطُ: جمع شَمَطَ: اختلاط بياض الشعر بسواده.

(١٥) مُنَازِلٌ: مقاتل.

(١٦) الْفَتُورُ: التقصير والضعف.

(١٧) أَشَاطُ: أهمل.

(١٨) يَقْصِرُ: يكف. قُصُورِكُمْ: تقصيركم.

مُسَيِّدٌ ﴿[الحج: ٤٥]؟﴾ أما سمعتم هاتفَ العَبْرِ ينادي ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾
 [العنكبوت: ٤٠]؟ إذا رأيتمَ المبارزينَ بالخطأ قد اتَّسَعَ لهم مجالُ الإمهالِ فلا
 تستعجل لهم ﴿إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، بينا القومُ على غرور سرورهم
 ﴿أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، يا سالكِ سبيلهم انحر فوا عن هذه الجادة.

يا هذا! ظَلُمْتَكَ لِنَفْسِكَ غَايَةً فِي الْقَبْحِ، إِلَّا أَنَّ ظَلُمْتَكَ لغيرِكَ أَقْبَحُ.

ويحك! إن لم تَنْفَعِ أَخَاكَ فلا تُوْذِهِ، وإن لم تُعْطِهِ فلا تأخُذْ منه، لا تُشَابِهَنَّ
 الحيةَ، فإنَّها تأتي إلى الحَفْرِ الذي قد حَفَرَهُ غَيْرُهَا فَتَسْكُنُهُ، ولا تَتَمَثَّلَنَّ بِالْعُقَابِ،
 فإنَّه يَتَكَاسَلُ عن طلب الرزق، وَيَضَعُدُّ على مَرْقَبٍ عَالٍ، فأَيُّ طَيْرٍ صاد صيداً
 اتَّبَعَهُ، فلا تَكُونُ له هِمَّةً إِلَّا إلقاءَ صَيِّدِهِ والنَّجاةَ بِنَفْسِهِ.

في الحيواناتِ أَخْيَارٌ وَأَشْرَارٌ كِبْنِي آدَمَ، فَالْتَقِطْ خَيْرَ الْخِلَالِ وَخُلْ خَسِيسَهَا،
 وَلَا تَكُنِ الْعَصَافِيرُ أَحْسَنَ مِنْكَ مَرُوءَةً، إِذَا أُوذِيَ أَحَدُهَا صَاحَ، فَاجْتَمَعْنَ لِنُصْرَتِهِ،
 وَإِذَا وَقَعَ فَرَحُهَا طَرَنَ حَوْلَهُ يَعْلَمُنَّهُ الطَّيْرَانِ.

يا هذا! تَخْلُقُ فِي إِعَانَةِ الْإِخْوَانِ بِخُلُقِ النَّمْلَةِ، فَإِنَّهَا قَدْ تَجَدُّ جَرَادَةً لَا تَطِيقُ
 حَمْلَهَا، فَتَعُودُ مُسْتَغِيثَةً بِأَخْوَانِهَا، فَتَرَى خَلْقَهَا كَالْخَيْطِ الْأَسْوَدِ قَدْ جُنَّ لِإِغَاثَتِهَا،
 فَإِذَا وَصَلْنَ بِالْمَحْمُولِ إِلَى بَيْتِهَا، رَفَعْنَهُ عَلَيْهَا^(١).

هيهات إنَّ الطَّبِيعَ الرَّدِيَّ لَا يَلِيقُ بِهِ الْخَيْرُ، هَذِهِ الْخَنَفَسَاءُ إِذَا دُفِنَتْ فِي الْوَرْدِ لَمْ
 تَتَحَرَّكْ، فَإِذَا أُعِيدَتْ إِلَى الرُّوْثِ رَتَعَتْ. وَمَا يَكْفِي الْحَيَّةَ أَنْ تَشْرَبَ اللَّبْنَ حَتَّى
 تَمِجَّ سَمَّهَا فِيهِ، وَكُلُّ إِلَى طَبْعِهِ عَائِدٌ، إِلَّا أَنَّ الرِّيَاضَةَ قَدْ تُزِيلُ الشَّرَّ جَمَلَةً، وَقَدْ
 تَخَفَّفَ، كَمَا أَنَّ غَسْلَ الْأَثَرِ إِنْ لَمْ يُزَلَّ خَفَّفَ، إِنْ دَمَتْ عَلَى سُلُوكِ الْجَادَةِ رَجَوْنَا
 لَكَ الْوَصُولَ، وَإِنْ طَالَ الشَّرَى^(٢).

يا هذا! الْفِيلُ وَالْجَمْلُ يَسْبَحَانِ، وَلَكِنَّ الْفِيلَ مَلِيحُ السِّبَاحَةِ، وَالْجَمْلُ يَسْبَحُ
 عَلَى جَنْبٍ فَيُقْتَضَحُ عِنْدَ سِبَاحَةِ الْفِيلِ، ثُمَّ كِلَاهُمَا يَغْبُرُهُ.
 إِذَا لَمْ تُطَقْ مَنَازِلَةُ الْحَرْبِ، فَكُنْ مِنْ حُرَّاسِ الْخَيْمِ.

(١) رَفَعْنَهُ: تَرَكَهُ طَعَاماً لَهَا.

(٢) الشَّرَى: سِيرَ اللَّيْلِ.

إذا رأيت الباب مسدوداً في وجهك، فأرض بالوقوف خارج الدار مع السؤال.

إذا لم تُظْفِرَكَ الحروب فسالم، أترى يصلح هذا القلب بعد الفساد؟ أترى يتبدل بالبياض هذا السواد؟ كم أقول: عسى أضلح ولعل! وكلما استوى قدمي زل، كم تتغير الأحوال وما أغير! كم تتضح لي الطريق وأتخير:

لله أمر من الأيام أطلبه هيهات أطلب شيئاً غير مطلوب
وحاجة أنقاضها وتمطلي كأنها حاجة في نفس يعقوب
إلى كم تقول سأتوب؟ متى يخجل اللسان الكذوب؟!

كلما أملت يوماً صالحاً عرض المقدور لي في أملي
أقطع الدهر بظن حسن وأجلي غمرة ما تنجلي
وأرى الأيام لا تُدني الذي أرتجي منك وتُدني أجلي

إذا كانت كرة القلب بحكم صولجان التقلب بطلت الحيل. لما قرب جبريل وميكائيل اهترت الملائكة فخرأ بقرب جنسها من جناب العزة، فقطع من بين أغصانها شجرة هاروت، وكسر فتن^(١) ماروت^(٢)، وأخذ من لبها كرة

(١) فتن: الغصن.

(٢) قال القاضي عياض في شأن القصة المذكورة على هاروت وماروت على اختلاف رواياتها: «وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما؛ فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يروها منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئاً يؤخذ من القرآن، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءاتهم. وقال الحافظ ابن كثير: وقد رويت قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. انظر تفسير: المحرر الوجيز، لابن عطية: ٤٢٠/١.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي﴾ [ص: ٧٨] ، فتزودت الملائكة في سفر العبودية بزاد الحذر ، وقادت في سُبُلٍ معروفها نُجِبٌ^(١) التطوع للمنقطعين ﴿وَرَسَّغْفُرُونَ﴾ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿[الشورى: ٥] ، نوذي مِنْ نَادِي الْأَفْضَالِ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ، فسارت نجائب الأعمال إلى باب الجزاء فَصِيحٌ بالدليل ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَكَ﴾ [الإسراء: ٧٤] فقال: «ما مِنْكُمْ مَنْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ»^(٢).

فيا لسانَ القَلْبِ تكلّم بعبارة الدَّمع ، لعلّه يقع في سَمْعِ القبول ، فمُرَادُ الْمُفْرِضِ أَنْيُنُ المبتلى . النظرُ في هذه الأمورِ أَقْلَقَ قُلُوبَ العارفين ، فكانوا يَبْكُونُ الدماء .

اجتمعت أحزانُ القوم على القلوب فأوقدت حولها نارَ الحذر ، وكان الدمعُ صاحبَ الخير فَنَمَ .

أَفْلَقَهُمُ الخوفُ والفرقُ ، أَطَافَتْ بِقُلُوبِهِمُ الحُرْقُ ، لِبَاسُهُمْ مَلْفَقَاتُ الحِرْقِ ، طَعَامُهُمْ مَا حَضَرَ وَاتَّفَقَ . يَانُورُهُمْ إِذَا جَنَّ الغسقُ ، يَا حُسْنَ دَمْعِهِمْ مُحَدِّقًا بِالْحَدَقِ ، انْقَطَعَ السِّلْكُ فَسَالَتْ عَلَى نَسَقٍ ، فَكَتَبَتْ عُذْرَهَا فِي الخدِّ لَا فِي الْوَرَقِ ، ذَابَتْ أَجْسَامُهُمْ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَمَقٌ ، فَلَا حَظَّهُمُ الْعَفْوُ لَطْفًا بِهِمْ وَرَفَقٌ ، لَوْ رَأَيْتَهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِذِيلِ الظَّلَامِ ، وَيَأْنِسُونَ بَنُوحِ الْحَمَامِ ، وَيَهْرُبُونَ إِلَى الْفُلُواتِ ، وَغَايَةِ لَذَاتِهِمُ الْخُلُواتِ .

نُوحِ الْحَمَامِ مُسَخَّرٌ لِلْمَشْتَاكِ ، لَا يَرِيدُ مِنْهُ أَجْرَةٌ ، بَيْنَهُمَا أَنْسٌ مَمْزُوجٌ بِمَنَافَرَةٍ :

إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ يَا حَمَامَ الْبَانِ لِلْبَيْنِ فَإِنَّ شَاهِدَ الْأَحْزَانِ
أَجْفَانُكَ لِلدُّمُوعِ أَمْ أَجْفَانِي لَا يَقْبَلُ مُدَّعٍ بِلَا بُرْهَانِ

* * *

(١) نجيب: جمع نجيب ، وهو الفاضل من كل حيوان ، ويطلق على البعير إذا كان كريماً عتيقاً خفيفاً سريعاً .

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ: «ما مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ» قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ» .

الفصل الثماني

يا مَنْ أنفاسه محفوظة، وأعماله ملحوظة، أتُنْفِقُ العمرَ النفيسَ في نيل
الهوى الخسيس ١؟ .

جَدَّ الزمانُ وأنتَ تلعبُ والعمرُ لا في شيءٍ يذهبُ
كمَ تقولَ غداً أتوبُ غداً غداً والموتُ أقربُ

أما عمرُك كل يومٍ يُتَهَبُ ١؟ أما المُعْظَمُ مِنْهُ قد ذَهَبَ ١؟ في أي شيءٍ؟ في
جمع الذهبِ ! تبخلُ بالمالِ والعمرَ تهَبُ، يا مَنْ إذا خلا تفكَّرَ وحَسِبَ، فأما نزولُ
الموتِ فما حَسِبَ، لك نوبةٌ لا تُشْبِهُ التَّوْبَ ^(١)، بين يديكَ كربةٌ ^(٢) لا كالكَرْبِ،
تطلبُ النجاةَ ولكن لا مِنْ بابِ الطَّلَبِ ^(٣)، تقفُ في الصلاة إنَّ صلاتَكَ عجبُ،
الجسمُ حاضرٌ والقلبُ في شُعْبٍ ^(٤)، الجسدُ بالعراقِ، والقلبُ في حَلَبٍ، الفهمُ
أعجمي واللفظُ لفظُ العربِ، أنا أعلم بك منك، حبُّ الهوى قد غَلَبَ، ومتى أَسَرَ
الهوى قلباً لم يُقْلِحْ وكتَبَ ^(٥).

يا آدمي أتذري ما مُنِيتَ بهِ أم دونَ ذِهْنِكَ سِتْرٌ ليس يَنجِبُ ^(٦)
يومٌ ويومٌ ويفنى العُمُرُ منظوياً عامٌ جَدِيبٌ وعامٌ فيه إخصابٌ ^(٧)
فلا تغرَّنك الدنيا بزُخْرِفِها فأرئِها أن يَلاها عاقلٌ صابٌ ^(٨)

(١) التوب: جمع نوبة: وهي النازلة.

(٢) كربة: شِدَّةٌ، وهي إشارة إلى سكرة الموت.

(٣) لا من باب الطلب: إشارة إلى النجاة الحقيقية تطلب بالإيمان والعمل الصالح وإعداد
العدة.

(٤) شُعْب: مفرق.

(٥) في (أ): ببب. وكتب: ربط وأوتق.

(٦) ما منيت به: ما ابتليت به. يتجانب: ينكشف.

(٧) جدیب: قاحل. إخصاب: نماء وبركة ورغد العيش.

(٨) عاقل: الواعي الحصيف. صاب: شجر مرّ له عصارة يفضاء كاللبن بالغة المرارة إذا =

والحزمُ يجني أموراً كلُّها شرفٌ والخُزقُ^(١) يجني أموراً كلُّها عابٌ^(٢)

كأنكم بالدُّنيا التي تولَّتْ قد تولَّتْ^(٣)، وبالنفوسِ الكريمةِ قد هانتْ وذلَّتْ،
وبكؤوسِ الأسى قد أنهلتْ وعَلَّتْ^(٤)، وبِحُمُولِ الظَّاعِنِينَ على الأسفِ قد
استقلَّتْ^(٥)، متى يُقالُ لهذه الغمرةِ التي جَلَّتْ: قد تجلَّتْ^(٦)؟ وا عجباً لنفسٍ ما
تتبهُ وقد زلَّتْ، كلما عَقَدْنَا عُقْدَةً تَنْفَعُهَا حَلَّتْ.

كم مستيقظٌ وقد فاتَ الوقتُ، ينظرُ إلى نفسه بعينِ المَقَتِ^(٧)، ويَصيحُ
بَنَصيحِهِ لقد صدَّقتْ، وينادي الكَسَلَ: أنتَ الذي عَوَّقتْ! فيجيبُه: أنتَ من
سُكِّركَ^(٨) ما أفقتْ، كم قديمٌ إلى القبورِ قادمٌ! كلُّهم على فراشِ النَّدَمِ نادم.

أطاعُوا ذَا الْخِدَاعِ وَصَدَّقُوهُ	وَكَمْ نَصَحَ النَّصِيحُ فَكَذَّبُوهُ
وَلَمْ يَرْضَوْا بِمَا سَكَنُوا مَشِيداً	إِلَى أَنْ فَضَّضُوهُ وَأَذْهَبُوهُ
أَلْظَمُوا بِالْقِيحِ وَتَابَعُوهُ	وَلَوْ أَمَرُوا بِهِ لَتَجَنَّبُوهُ
نَهَاهُمْ عَنْ طِلَابِ الْمَالِ زُهْدٌ	وَنَادَى الْحِرْصُ وَتِلْكَمُ اطْلُبُوهُ
فَأَلْقَاهَا إِلَى أَسْمَاعِ غُثْرٍ ^(٩)	إِذَا عَرَفُوا الطَّرِيقَ تَنَكَّبُوهُ ^(١٠)
وَحَبْلُ الْعَيْشِ مُتَنَكِّتٌ ضَعِيفٌ	وَنِعَمَ الرَّأْيِ أَنْ لَا تَجْذِبُوهُ
حَسْبُكُمْ يَا بَنِي حَرَوَاءَ شَيْئاً	فَجَاءَكُمْ الَّذِي لَمْ تَحْسُبُوهُ

= أصابت العين ألتفتها. والأري: العسل.

(١) الخُزق: الجهل والحمق.

(٢) عاب: وصعة.

(٣) تولَّتْ الأولى: من الولاية والسيادة. وتولَّتْ الثانية: من الذهاب والانصراف.

(٤) أنهلت: من النهل وهو الشرب الأول. علت: من العلل: وهو الشرب ثانية أو تياًعاً.

(٥) حمول: جمع حِمْل: وهو ما يُحمل على الظهر وغيره. الظاعنين: الراحلين، إشارة إلى
الرحيل عن الدنيا. استقلت: أي مضت وارتحلت.

(٦) الغمرة: الشدة. جلَّتْ: عظمت. تجلَّتْ: جلَّتْ وزالت.

(٧) المقت: أشد البغض.

(٨) سُكِّركَ: غيبوبة العقل.

(٩) غُثْر: جمع أغثر: وهو الأحمق.

(١٠) تنكبوه: حادوا عنه.

أَدِيل^(١) الشر منكم فاحذروه وماتَ الخيرُ فيكم فاندُبوه
إلى كَمِّ بالهوى تُغري وتُلَهِّج! أنسيتَ أنك عن محبوبك تُزَعِّج؟ تَفَكِّزُ في
حِلَّةٍ من البلى لك تُنْسِجُ، يا مَنْ بضاعته كلُّها بَهْرَج^(٢)، ضَيِّقَتْ على نفسك فلا
مَخْرَجَ، اتَّبِعْ سريعاً فالخيولُ تُسْرَجُ.
(للشريف):

ولم يَبْقَ من أيامِ جَمْعِ^(٣) إلى منى إلى موقفِ التَّجْمِيرِ^(٤) غيرُ أمانِي
يا عُيَيْدَ فُلْسِه! يا عِدُوَّ نَفْسِه! تُعَانِقُ الدنيا بيدَ الحِرْصِ عِنَاقَ اللامِ للألف!
وتُنْزِلُ الدرهمَ من القلبِ منزلةَ البُرءِ مِنَ الدَّنِفِ^(٥)، ترشُّ ماءَ الغِشِّ حَوْلَ الحانوتِ،
وتَنْظُرُ إلى الدرهمِ لا فيه، وتنصبُ ميزانَ البَخْسِ^(٦) وميكالَ التطفيفِ^(٧) والغَدْرُ
ثالِثةُ الأَثافي^(٨).

ويحك! أَتَبَحَثُ عن حَتَمِكَ بِظُلْفِكَ^(٩)؟ وتجدَعُ بسيفك مارِنَ^(١٠) أنْفِكَ.
ما أكرمَ نَفْسَه قَطُّ مَنْ لَمْ يُهِنْها، فاحذَرها فكلُّ ما يجري عليك منها، حاسِبُها
قَبْلَ يومِ الحسابِ وَزِنْها، وَخَفْ شَيْنَ شَيْنِها^(١١) إِنْ شَتَّ عِرْها وَزِنْها^(١٢)، واحفِزْ

(١) أديل: من الإدالة وهي الغلبة.

(٢) بهرج: مزيفة.

(٣) أيام جمع: أي ليلة مزدلفة لاجتماع الحجيج فيها بعد الإفاضة.

(٤) التجمير: رمي الجمار.

(٥) الدنف: من اشتد مرضه.

(٦) البخس: النقص.

(٧) التطفيف: الزيادة.

(٨) الأثافي: جمع أثفية: وهي ما يوضع عليه القدر، وإنما يوضع على ثلاثة أحجار.

(٩) الحتف: الموت. الظلف: يقال للبقرة والشاة والظبي: ذوات الظلف. وأصل هذا

المثل: أن رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به، فبحث

الشاة الأرض بظلفها فظهر فيها مُدِيَّة، فذبحها بها، فصار مثلاً لكل من أعان على نفسه

بسوء تدبيره.

(١٠) مارن: ما لَانَ مِنَ الأنف.

(١١) شين: عيب.

(١٢) وزنها: زينها بالتقوى والعمل الصالح.

لها زُبَيْة^(١) العزلة، وإن أَبَتْ فادْفِنِهَا، وَأَحْضِرْهَا عَلَى الرُّغْمِ^(٢) فِي رَغَامٍ^(٣) مَسْكِيهَا^(٤) وَمَسْكَنُهَا^(٥)، دِنَهَا^(٦) بِمَا التَّدَّتْ آلَاتُهَا لَا تَهَادِنَهَا. هَذِهِ قِصَصُ النَّجَاةِ، قَدْ أَمَلَيْتُهَا فَعَنُونَهَا، هَذِهِ جَوَارِ مَنَشَأَتِ الْمَوَاعِظِ قَدْ جَمَعْتُهَا فَأَعِجْنَهَا.

يَا مُؤْتَقَ الْأَقْدَامِ بَقَيْدِ الْعَوَاقِقِ، أَجُودُ مَا لِلْعَصْفُورِ قَطْعُ السَّبَاقِ^(٧)، لَوْ تَفَكَّرَ الطَّائِرُ فِي الذَّبْحِ مَا حَامَ حَوْلَ الْفَخِّ، مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي سَهَرَ اللَّيَالِي، لَوْلَا صَبْرُ الْمُضْمَرِّ عَلَى قَلَّةِ الْعَلْفِ مَا قِيلَ: سَبَاقٌ.

مَوْنٌ ^(٨) فِي اللَّيْلِ عَلَيْهَا الْغَرَارُ ^(٩)	إِنَّ الْعُلَى مَقِيدَاتٌ بِالسُّرَى ^(١٠)
فَرَكَبَتْ بِسُوقِهَا رُؤُوسَهَا	حَتَّى تَخَيَّلْنَا الْحَجُولَ الْغُرَارَ ^(١١)
عَلَّمَهَا النَّوْمَ عَلَى رِبَاطِهَا	ذَلِيلَةٌ أَنْ تَسْتَطِيبَ الشَّهْرَا
قَدْ تَرَكْتُ مَطْعَمَهَا لَشَوْقِهَا	تَقُولُ: كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(١٢)

(١) زُبَيْة: الحفرة تحفر للأسد، سُميت بذلك لأنهم يحفرونها في موضع عال.

(٢) الرُّغْم: الكره والذل والهوان.

(٣) رَغَام: تراب.

(٤) مَسْكِيهَا: جلدها.

(٥) مَسْكَنُهَا: منزلها.

(٦) دِنَهَا: حاسبها وألزمها.

(٧) السَّبَاق: قيد يوضع في رجل الطير.

(٨) مَوْن: خفف وسهل.

(٩) الْغَرَر: الخطر.

(١٠) السُّرَى: السير في الليل.

(١١) الْحَجُول: التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس كلها، ويقال: فرس محجل وفرس بادحجوله. وَالْغُرَر: جمع غُرَّة، وهي بياض في جبهة الفرس.

(١٢) كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا: الْفَرَا: الحمار الوحشي، وهذا مثل قاله النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي سَفْيَانَ

ابن الحارث، وَقَالَ السَّهْلِيُّ: إِنَّهُ قَالَ لِأَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ يَتَأَلَّفُهُ بِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْتَأْذَنَ

عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحُجِبَ قَلِيلًا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا كَذَبْتُ أَنْ تَأْذَنَ لِي

حَتَّى كَذَبْتُ أَنْ تَأْذَنَ لِحَجَارَةِ الْجَلْهَمَتَيْنِ (الجلهمتان: حاقة الوادي وناحيته) قَبْلِي. فَقَالَ

لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا سَفْيَانَ! أَنْتَ كَمَا قِيلَ: كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا، وَأَصْلُ الْمَثَلِ: أَنَّ

جَمَاعَةً صَادَ أَحَدُهُمْ: ظَبْيًا، وَالْآخَرُ: أَرْنَبًا، وَالثَّالِثُ: حِمَارٌ وَحْشٌ، فَاسْتَبَشَرَ الْأَوَّلَانِ =

سَيَنْقَشُ^(١) غَيْمُ التَّعَبِ عَنْ فَجْرِ الْأَجْرِ، كَمْ صَبَرَ بِشْرٌ عَنْ شَهْوَةِ حُلْوَةٍ، حَتَّى سَمِعَ كَلِمَةَ حُلْوَةٍ: «كُلْ يَا مَنْ لَمْ يَأْكُلْ»^(٢).

مَا مَدَّ سِجَافُ^(٣) ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤] عَلَى قُبَّةِ ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ﴾ [ص: ٤٣] حَتَّى جُرِّبَ فِي أَمَانَةٍ ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤].
مَنْ لَمْ تَبْكِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ لَمْ تَضْحَكِ الْآخِرَةُ إِلَيْهِ.

كَانَ بَعْضُ النُّجَّارِينَ يَبِيعُ الْخَشَبَ، وَكَانَ عِنْدَهُ قِطْعَةُ آبَنُوسَ مَلَقَاةٌ تَحْتَ الْخَشَبِ، فَاشْتَرَيْتْ مِنْهُ، فَدَخَلَ دَارَ الْمَلِكِ بَعْدَ مُدَّةٍ، فَإِذَا بِهَا قَدْ جُعِلَتْ سَرِيرًا لِلْمَلِكِ، فَوَقَفَ مَتَعَجِّبًا وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ لَا أَعْبَأُ بِهَذِهِ، فَكَيْفَ وَصَلْتُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ؟! فَهَتَفَ بِهِ لِسَانُ الْمُفْهِمِ نَائِبًا عَنْهَا: كَمْ صَبَرْتُ عَلَى ضَرْبِ الْفَوْوسِ وَنَشْرِ الْمَنَاشِيرِ، حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ!

* * *

= بَعَا نَالَاهُ، فَقَالَ الثَّالِثُ. يَعْنِي: أَنَّ مَا رُزِقَتْهُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا عِنْدَكُمَا لِأَنَّهُ أَعْظَمُ، ثُمَّ اشْتَهَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَانَ جَامِعًا لِغَيْرِهِ. انْظُرْ: كَشَفَ الْخُفَا وَالْإِلْبَاسَ، لِلْمَعْجَلُونِيِّ: ١٧٨/٢ رَقْم (١٩٧٧). هَذَا وَقَدْ رَوَاهُ الرَّامَهْرَمَزِيُّ فِي (الْأَمْثَالِ). وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ، لَكِنَّهُ مَرْسَلٌ، وَنَحْوُهُ عِنْدَ الْعَسْكَرِيِّ، وَذَكَرَهُ الدِّمِيرِيُّ فِي (حَيَاةِ الْحَيَوَانَ الْكَبِيرِ).

(١) سَيَنْقَشُ: سَيَنْكَشِفُ.

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ وَالتَّسْعِينَ.

(٣) سِجَافٌ: السِّتْرُ، وَجَمْعُهُ سِجُفٌ.

الفصل الأول [بَعْدَ الْمَنِيَّةِ]

إخواني! الموتُ مُقاتِلٌ، يَقْصِدُ المَقَاتِلَ^(١)، فما يَنْفَعُكَ أنْ تُقاتِلَ.
(للمتنبي)^(٢):

نُعِدُّ المَشْرِقِيَّةَ^(٣) والعَوالي^(٤) وتَرْتَبُ السَّوَابِقَ مُقَرِّباتٍ^(٥)
وَمَنْ لَمْ يَغْشَى الدُّنْيَا قَدِيماً؟
نَصِيئُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَيِّبٍ
يُدْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَتَمْشِي
وَكَمْ عَيْنٍ مُقْبِلَةَ النَّوَاحِي
وَتَقْتُلُنَا المَنُونُ بِلا قِتَالٍ
وَمَا يُنْجِيَنَّ مِنْ خَبَبٍ^(٦) اللِّيالي
وَلَكِنْ لَا سِيْلَ إِلَى الوِصَالِ
نَصِيئُكَ فِي مُنَامِكَ مِنْ خَيَالٍ
أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الأَوَالِي^(٧)
كَحِيلٍ بِالجَنَادِلِ^(٨) والرَّمَالِ

لقد وَعَظَ الزَّمَانُ وما قَصَرَ، وَتَكَلَّمَ الصَّامِتُ^(٩) وما أَقْصَرَ، ولاحَ الهُدَى
وَإِنَّمَا الشَّأْنُ فِيمَنْ أَبْصَرَ، وَنَطَقَتِ المَوَاعِظُ بِزَجَرٍ لَا يُخْصَرُ، هَلَكْتَ ثُمُودٌ بِصَبْحَةِ،
وَعَادَ بِرِيحٍ صَرْصَرُ^(١٠)، وَكُسِرَ كَسْرَى وَقُصِرَ^(١١) قَبِصَرُ، تَالَلَهُ مَا يِبَالِي مِيزَانُ

-
- (١) المقاتل: جمع مقتل، وهي المواضع الخطرة في الجسم التي يؤدي ضربها إلى الموت.
(٢) ديوان المتنبي: ٨/٣، رقم (١٧٥) يرثي والده سيف الدولة.
(٣) المشرقية: السيوف منسوبة إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف.
(٤) العوالي: الرماح.
(٥) مقربات: الخيول الكرام التي ترتبط لكرامتها أو لفرط الحاجة إليها.
(٦) الخبب: عدو لا يستفرغ الجهد.
(٧) هام الأوالي: رؤوس الأرائل.
(٨) كحيل: مكحلة. الجنادل: جمع جندلة، وهي الحجارة.
(٩) الصامت: الذهب والفضة، يقال: ما له صامت ولا ناطق، الصامت: الذهب والفضة، والناطق: الحيوان من الإبل والغنم، وفي الحديث: «على رَقِيَّتِهِ صامت»، أي: ذهب وفضة.
(١٠) صرصر: باردة.
(١١) قصر: من القصر، أي: الحبس، يقال: قصر بهم الليل: أي حبسهم.

الجزء أزيح أم أخسر ، ولا حاكم العدل من أفلس وأغسر ، هذا أمرٌ مجملٌ وفي غدي يُفسر .

أيها المتحرّك في الدنيا ! لا بدّ من سكون^(١) ، لا يغرنك سهّلها فبعد السهّل حُزون^(٢) ، كم سلبتكَ من حبيبٍ ! وبعضُ القُبْح يهُون ، ما فرَحُها مُستقيمٌ ، ولا ترَحُها^(٣) مأمون ، إنّها الدائرُ الغرور ودائرة الهُون^(٤) ، كم تَلَوْن^(٥) ، ولكن أين العقل من مجنون ؟ فهلا أضعنا الحديث ، قلب هذا مفتون :

أيُّها السكرانُ بالآمالِ	قد حان الرحيلُ
ومشيبُ الرأسِ والفِرْ	دين ^(٦) للموتِ دليلُ
فاتتبه من رَقْدَةِ الغف	لوة والعمرُ قليلُ
واطّرخ سوفَ وحثي	فهما داءٌ دخيـلُ

كأنّك بما يُزْعِجُ ويروّع^(٧) ، وقد قلّع الأصولَ وقطعَ الفروعَ ، يا نائماً في انتباهه ! كم هذا الهجوع^(٨) أينفعك حينَ الموتِ جزِيُ الدموعِ ؟ إذا رُشِقَ سَهْمُ الثَلَفِ فطاحتِ الدُّروعُ ، وأتى حاصدُ الزُّرعِ وأين الزروعُ ؟ ! وختلّت منك المنازلُ وفرغتِ الرُّبوعُ ، ونابَ غرابُ البينِ عن الوزقا السَّجُوعِ^(٩) .

قَرْنٌ مَضَى ثم نَمَى غيره	كأنّه في كلِّ عامٍ نباتُ
أقلُّ من في الأرضِ مُستيقظُ	وإنّما أكثرُهم في سُباتِ

-
- (١) سكون : إشارة إلى الموت .
(٢) حزون : جمع حزن : ما غلظ من الأرض .
(٣) ترَحُها : حزنها .
(٤) الهون : المذلة .
(٥) تَلَوْن : أي تلتون : لا تثبت على خلق .
(٦) الفودين : مشى فود ، وهو معظم شعر اللمة ، مما يلي الأذنين ، ويطلق على الضفيرة .
(٧) يروّع : يخيف .
(٨) الهجوع : الرقاد .
(٩) الورقا : أي الورقاء : وهي حمامة في لونها بياضٌ إلى سوادٍ . والسجوع : التي تردد صرتها على طريقة واحدة .

حَوْلَ خَصِيبٍ إِثْرُهُ مُجْدِبٌ فَادْخِرْ مِنَ الْمُخْصِبِ لِلْمُجْدِبَاتِ

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا غَدَارَةٌ؟ أَمَا بَرَزْتُ لَذَاتِهَا يَنْقَلِبُ حَرَارَةٌ؟ أَمَا رَيْحُهَا عَلَى
التَّحْقِيقِ خَسَارَةٌ؟ أَمَا يَنْقُصُ الدِّينُ كُلَّمَا زَادَتْ عِمَارَةٌ؟ أَمَا قَتَلْتُ أَحِبَّائَهَا وَإِلَيْكَ
الإِشَارَةُ؟ إِذَا قَالَ مُحِبُّهَا: هِيَ لِي وَمَعِيَ، أَهْلَكَتْهُ وَقَالَتْ: «اسْمَعِي يَا جَارَةَ».

إِنَّمَا الدُّنْيَا بِلَاءٌ لَيْسَ لِلدُّنْيَا ثَبَوْتُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا كَيْتٌ نَسَجْتُهُ الْعَنْكَبُوتُ
إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا أَيُّهَا الرَّاغِبُ قَوْتُ

يَا مَنْ عَاهَدْنَا عَلَى الطَّاعَةِ فِي الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ، كَيْفَ اسْتَحَلَّ حَلَّ^(١) عَقْدِ
التَّوْبَةِ، وَعَقَدَ الْإِصْرَارَ؟ مَتَى يَخْرُجُ الْعَاصِي مِنْ هَذِهِ الدَّارِ؟ شَيْبٌ وَعَيْنٌ وَنَهَايَةُ
الْإِدْبَارِ، ضِدَانِ بَعِيدَانِ: ثَلَجٌ وَنَارٌ، كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ! مَلَكَتْكُمْ الدُّنْيَا
وَمَلَكَوْهَا فَالْقَوْمُ أَحْرَارٌ، كَانَتْ لَهُمْ أَنْفَةٌ فَاحْتَمَوْا مِنَ الْعَارِ، وَعَرَفُوا قَدَرَ الزَّمَانِ
فَانْتَهَبُوا الْأَعْمَارَ، فَلَوْ مَدَدْتُمْ أَبْوَاعَكُمْ^(٢)، مَا كَانَتْ مِنْهُمْ كَأَشْبَارٍ، لَوْ أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِمْ
فِي أَوْقَاتِ الْأَسْحَارِ لَرَأَيْتُمْ نَجُومَ الْهُدَى لَا بِلَ هِيَ أَقْمَارٌ، قَامُوا جَمِيعَ الدُّجَى
عَلَى قَدَمِ الْإِعْتِدَارِ، ثُمَّ تَسَانَدُوا^(٣) إِلَى رَوَاحِلِ الْبُكَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَقَوِيَ كَرْبُهُمْ
فَهَبَّتْ لَهُمْ نَكْبَاءٌ^(٤) لَطْفٍ مِعْطَارٌ^(٥)، رَفَعُوا رَسَائِلَ الْجَوَى^(٦) فَعَادَ جَوَابُ الْأَبْرَارِ.

لَا تُوقِدُوا فِي الْقَلْبِ نَارَ الْجَحِيمِ كَفَى سِقَامِي لِقَوَادِي غَرِيمِ
مَا زِلْتُ^(٧) عَنْ حُبِّكُمْ لِحِظَةٍ وَحَقُّكُمْ إِنِّي عَلَيْهِ مَقِيمِ
وَكَلَّمَا هَبَّتْ نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ نَحْوِكُمْ عَشْتُ بِذَاكَ النَّسِيمِ

وَأَسْفَى! مَتَى رَخَلُوا؟ لَيْتَ شَعْرِي، أَيْنَ نَزَلُوا؟

(١) استحل: جعله حلالاً ومباحاً. حل: فك.

(٢) أبواعكم: جمع باع، وهو قلز مد الدين.

(٣) تساندوا: ركنوا إليه واعتمدوا عليه.

(٤) نكباء: ريح انعطفت وانحرفت ووقعت بين ريحين كالجنوب والشمال.

(٥) معطار: معطرة زكية.

(٦) الجوى: شدة الوجد من العشق.

(٧) ما زلت: لم أغير.

أَنْجَدَتِ الدَّارُ بِهِمْ وَأَتَهُمَ الْوَجْدُ مَعِي

مَالَتْ بِالْقَوْمِ رِيحُ السَّحْرِ مِيلَ الشَّجَرِ بِالْأَغْصَانِ، فَهَزَّ الْخَوْفُ أَفْنَانَ^(١)
الْقُلُوبِ، فَانْتَشَرَتِ الْأَفْنَانُ^(٢)، فَاللسانُ يَنْضَرَعُ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَالْوَقْتُ بَسْتَانُ،
خَلَوَتْهُمْ بِالْحَبِيبِ تَشْغَلُهُمْ عَنْ نِعَمٍ وَنِعْمَانٍ^(٣)، سَوَّرَهُمْ أَسَاوِرَهُمْ، وَالْخَشْوَةُ
يَتَجَانُ، خَضَوْعُهُمْ حُلَاهُمْ، فَمَا دُرٌّ وَمُرْجَانٌ! أَخَذُوا قَدْرَ الْبَلَاغِ^(٤)، وَقَالُوا: نَحْنُ
ضَيْفَانٌ، بَاعُوا الْحَرْصَ بِالْقَنَاعَةِ، فَمَا مُلْكُ أَنْوَشِرَوَانَ^(٥)؟ رَفَضُوا حَتَّى زِمَامَ
الْمَبِيعِ، وَمَا بَاعُوا بِثُنْيَانٍ^(٦)، طَالَتْ عَلَيْهِمْ أَيَّامُ الْحَيَاةِ، وَالْمَحَبُّ ظِمَانٌ. أَطْلَغَ مِنْ
خَوْخَةٍ التَّقِظُ بِعَيْنِ التَّأْمُلِ تَرَّ الرِّهْبَانِ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُمْ؟! مَا نَائِمٌ كَيْقُظَانُ، كَمْ يَبِينُكَ
وَبَيْنَهُمْ؟ أَيْنَ الشُّجَاعُ مِنْ جَبَانٍ؟!

مَا لِلْمَوَاعِظِ فِيكَ مَوْضِعٌ، الْقَلْبُ بِالْهَوَى مَلَانٌ، يَا هَذَا! قِفْ عَلَى بَابِ
النَّجَاحِ، وَلَكِنْ وَقِفْ لَهْفَانِ، وَارْكَبْ سَفِينَةَ الصَّلَاحِ، فَهَذَا الْمَوْتُ طُوفَانٌ،
أَيَكُونُ بَعْدَ هَذَا إِيْضَاحٌ؟ أَوْ مِثْلَ هَذَا تَيْيَانٌ؟ يَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ سَحَبَتْ ذَيْلَ الْفَصَاحَةِ
فَحَارَ سَخْبَانُ^(٧)، بَغْدَادِيَّةٌ إِمَامِيَّةٌ مُسْتَضِيئَةٌ لَا تَعْرِفُ ضَرْبَ خُرَاسَانَ^(٨).

* * *

- (١) أفنان: جمع فَنَن، أي: أغصان.
- (٢) الأفنان: جمع فَن، وهو النوع والحال.
- (٣) نَعَم: اسم المجبوبة من النساء. نَعْمَان: وادي قرب عرفة.
- (٤) البلاغ: من البلغة، وهو ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.
- (٥) أنوشروان: خسرو أنوشروان ملك ساساني (٥٣١ - ٥٧٩م) عقد هدنة مع البيزنطيين، استولى على اليمن سنة (٥٧٠م)، واستشهر بعدله وإصلاحاته.
- (٦) ثنيان: كرغفان: الاسم من الاستثناء، والثنيا المنهي عنها في البيع: أن يشتري منه شيء مجهول فيفسد البيع، وذلك إذا باع جزوراً بثمن معلوم، واشتري رأسه وأطرافه، فإن هذا البيع فاسد.
- (٧) سَخْبَان: اسم رجل من وائل، كان لَسِيناً بليغاً، يضرب به المثل في البيان والفصاحة فيقال: «أفصح من سَخْبَانٍ وائل» ومن شعره قوله:
- لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانِيُّونَ أَنِّي إِذَا قُلْتُ: أَمَا بَعْدُ، أَنِّي خَطِيبُهَا
- (٨) ضرب خراسان: أي بعيدة عن العجمة واللكنة.

الفصل الثاني [بَعْدُ الْمُنْبِذِ]

إخواني ! أين الذين سَلَبُوا؟ سَلَبُوا^(١) ! طال ما غَلَبُوا فغَلَبُوا ، عمروا ديارهم فلما تَمَّتْ خَرَبُوا ، وديفت^(٢) لهم كؤوسُ المنايا فأكْرَهُوا وشَرَبُوا :

سَيَّرُ الليالي إلى أعمارنا خَبَبُ^(٣) وهل يؤمِّلُ نيلَ الشَّمْلِ ملتئِماً وما إقامتنا في منزلٍ هَتَفَتْ وأَذَنَّتَا وقد تَمَّتْ عِمَارَتُهُ ليست سِيهَامُ قَسِي الموتِ طائشةً ونحنُ أغراضُ^(٨) أنواعِ البلاءِ بها أين الذين تَنَاهَوْا^(٩) في ابتنائهم

فما تَبَيَّنْ ولا يَعْتَاقُهَا^(٤) تَعَبُ سَفَرُ^(٥) لهم كلُّ يومٍ رِخْلَةٌ عَجَبُ فيه بنا قد سَكَنَّا رُبْعَهُ الثُّوبُ بأثْه عن قليلٍ دائِرُ^(٦) خَرِبُ وهل تطيشُ سِيهَامُ كُلِّهَا صَيِّبُ^(٧) قبلَ المماتِ فَمَرَمِيٍّ ومرْتَقِبُ صَاخَتْ بهم نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فأنْقَلَبُوا

أين أربابُ الأمانِي والأملِ؟ أُخِذُوا بين سُكْرِ الهوى والشَّمْلِ^(١٠) . والذي علا^(١١) على عُلَى^(١٢) العَلَا^(١٣) نزل . وكأنه في الدنيا لم يكن ، وفي القبر لم يزل .

- (١) سَلَبُوا: انتزعوا ما لغيرهم قهراً بغير حق . سَلَبُوا: انتزعوا قهراً، أي: أميتوا .
- (٢) ديفت: من داف، أي: خلط ومزج، وجاء في (ب): وديفت .
- (٣) خبيب: ضرب من المشي السريع .
- (٤) يعتاقها: يسبقها ويقدمها .
- (٥) سَفَرُ: مسافرون .
- (٦) دائِر: هالك فاني .
- (٧) صيب: من صاب السهمُ الهدفَ يصيبه، وجاء في لسان العرب: أن (صيب) من قولهم: صابت السماء الأرض: أصابتها بصَوْبٍ فكأنَّ المنيَّةَ كانت صابت الحميم فأصابته بصَوْبِهَا (مادة صوب) .
- (٨) أغراض: جمع غرض ، وهي الدريئة التي يُرمى إليها السهم .
- (٩) تناهوا: بلغوا النهاية والغاية .
- (١٠) الشمل: أن يأخذ الشراب منه كل مأخذ . والشمال: البقية في أسفل الإناء ونحوه .
- (١١) علا: صعد وارتقى .
- (١٢) عُلَى: جمع العُلَا .
- (١٣) العَلَا: المتزلة الرفيعة في الدنيا .

كُلُّ حَيٍّ فَقْصَارَاهُ^(١) الْأَجَلَ
 تُوبٌ^(٢) أَبَدَتْ لِعَادٍ قَبْلَنَا
 فَاثْتَنُوا عَنْ ذَلِكَ الشَّرْبِ الَّذِي
 أَلْبَسَتْ قَوْمًا سِوَاهُمْ حُلِيَّهُمْ
 فَاسْأَلِ الْإِيوَانَ عَنْ أَزْبَايِهِ
 نَقَلَتْهُمْ عَنْ فُضَاءٍ وَاسِعٍ
 نَحْنُ أَغْرَاضُ خُطُوبٍ إِنْ رَمَتْ
 وَإِذَا مَا أَخْلَفَتْ أَشْهُمَهَا

لَيْسَ لِلخَلْقِ بِذَا الْمَوْتِ قَيْلٌ^(٣)
 إِنَّ مِنْ ذَاتِ الْعِمَادِ الْمُرْتَحِلِ
 صَارَ عَلَاءً^(٤) لِسِوَاهُمْ وَنَهَلَ^(٥)
 ثُمَّ بَزَّتْهُ^(٦) فَعَادُوا بِالْعَطَلِ^(٧)
 كَيْفَ جَدَّتْ بِهِمْ تِلْكَ الرُّحُلُ
 يَمْرُحُ الطَّرْفُ بِهِ حَتَّى يَمَلُ
 عَادَتِ الْأَدْرُعُ لَيْنًا^(٨) كَالْحُلِّ^(٩)
 فَأَصَابَتْ بَطَلَ الْقَوْمِ بَطْلٌ^(١٠)

جُزْ عَلَى الْقُبُورِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ، وَسَلِّهَا مَا فَعَلَ الْوَجْهَ النَّاصِرُ؟ ثُمَّ افْتَحْ نَاطِرَ
 نَاطِرٍ، وَخَاصِمِ نَفْسِكَ عَلَى التَّوَانِي^(١١) وَنَاطِرِ^(١٢).

وَمُسْتَدُونَ^(١٣) تَعَاقَرُوا كَأْسَ الرَّدَى
 خُرْسٌ إِذَا نَادَيْتَ إِلَّا أَنَّهُمْ
 وَالذَّهْرُ يَفْتِكُ بِالنَّفُوسِ جِمَامُهُ

وَدَعَا بِسِيرِهِمُ الْجِمَامُ فَاسْرَعُوا
 وَعَظُّوا بِمَا يُرْضِي اللَّيْبَ فَاسْمَعُوا
 فَلَمَنْ تَعِدُّ كَرِيمَةً^(١٤) أَوْ تَجْمَعُ

- (١) فقصاراه: نهايته.
- (٢) قَيْلٌ: طاقة ووسع.
- (٣) تُوبٌ: جمع نوبة: نوازل ومحن.
- (٤) عَلَاءٌ: العلل: الشرب الثاني.
- (٥) النهل: الشرب الأول.
- (٦) بَزَّتْهُ: سلبته.
- (٧) العطل: الخلو عن الزينة.
- (٨) لَيْنًا: طرية ناعمة.
- (٩) الحلل: جمع حلة، ولا تكون إلا من ثوبين من جنس واحد.
- (١٠) بطل القوم: قوتهم. بطل: هلك.
- (١١) التواني: التقصير.
- (١٢) ناظر: من المناظرة، أي: المباحثة والمحااجة.
- (١٣) مستدون: جمع مستند، وهو الدعي.
- (١٤) كريمة: جمعها كرائم، وهي نفائس الأموال.

عَجَباً لِمَنْ تَبَقَى ذَخَائِرُ مَالِهِ وَيَنْظُلُّ يَحْفَظُهُنَّ وَهُوَ مُضَيِّعٌ
ولعاقلي ويرى بكل ثنية يُلْفَى لَهُ بَطْنُ الصَّفَائِحِ مَضْجَعٌ
أُتْرَاهُ يَحْسِبُ أَنَّهُمْ مَا أَسَارُوا^(١) مِنْ كَأْسِهِمْ أَضْعَافٌ مَا يَتَجَرَّعُ

كم صَاحَ بِكَ وَاعْظَا وَمَا تَسْمَعُ ، وَكَمْ حَصَلَتْ مَا يَكْفِي ! مَا تَقْنَعُ ، لَقَدْ
اسْتَفْرَضَكَ مَوْلَاكَ مَالَكَ ، فَمَا لَكَ تَجَمُّعُ ! وَضَمِنَ أَنَّ ثَبَّتَ الْحَبَّةَ سَبْعُمِثَّةً وَمَا تَزْرَعُ !
تَشْتَغِلُ عَنِ الْقُرْآنِ وَتَسْتَمِيعُ مِنْ مَغْنً يُتَغَزَّلُ ! تَمْشِي إِلَى نَجَاتِكَ مَشْيَ أَقْزَلِ^(٢) ،
وَتَخْرُجُ إِلَى الْحَرْبِ وَأَنْتَ أَعْزَلُ ! وَيَحْكُ ! إِنَّ وَالِي الْحَيَاةِ عَنْ قَلِيلٍ يَعْزِلُ ، كَأَنَّكَ
بِالسَّمَاءِ تَمُورُ ، وَبِالْأَرْضِ تُزْلَزَلُ ، تُنْصَبُ^(٣) ، وَلَا تَدْرِي أَيُّ الْكَفْتَيْنِ أَنْزَلُ .
إِخْوَانِي ! غَرَقْتَ السَّفِينَةَ وَنَحْنُ نِيَامُ ، أَبُوكُمْ لَمْ يُسَامَخْ فِي لُقْمَتِهِ ، وَدَاوُدُ
عُوتِبَ عَلَى نَظَرْتِهِ^(٤) .

يَا مَظْهَرِينَ ضِدَّ مَا بِهِ الْكِتَابُ وَارِدُ
إِلَى مَتَى تُبْهَرْجُو نَ وَالْبَصِيرُ نَاقِدُ
كَيْفَ يَكُونُ حَالُكُمْ وَهَوَ عَلَيْكُمْ شَاهِدُ
عَجَبْتُ مِنْ مُسْتَقِظٍ وَالْقَلْبُ مِنْهُ رَاقِدُ
مُضَيِّعٌ لِدِينِهِ وَلِلذَنُوبِ رَائِدُ
كَأَنَّهُ عَلَى مَدَا هُ مُهْمِلٌ وَخَالِدُ
فَحَسُّنُوا أَعْمَالَكُمْ فَهِيَ لَكُمْ قَلَائِدُ
وَلَا تُضَيِّعُوا وَاجِبَا وَاجْتَهِدُوا وَجَاهِدُوا

إِخْوَانِي ! أَفِيكُمْ عَازِمٌ عَلَى الصَّلَاحِ ؟ أَمِنْكُمْ مُحِبٌّ يَضِجُ مِنَ الْهَجْرِ ؟ أَفِيكُمْ ذُو
وَجْدٍ قَلِقٌ مِنَ الْبَيْنِ ؟ الْوَقْتُ يَقْتَضِيكَ^(٥) يَا عَاصِرُ ، مَنَادِي الْقَبُولِ عَلَى مَنَازِلِ

(١) أسار: إذا شرب فَتَرَكَ سَوْراً، أي: بقية الكأس .

(٢) مشية الأقرل: مشية المقطوع الرجل .

(٣) تُنْصَبُ: أي: تُنْصَبُ الموازين يوم القيامة .

(٤) ما ذكره المؤلف عن عتاب داود على نظرة ليس بثابت، وهو من الإسرائيليات التي تتنافى مع عصمة الأنبياء .

(٥) يقتضيك: يطالبك .

الوصول يقول: ﴿وَسَارِعُوا﴾ [آل عمران: ١٢٣].

الغَيْمُ رَطْبٌ يَنَادِي: يَا غَافِلِينَ الصَّبْرُوحُ
فَقُلْتُ: أَهْلاً وَسَهْلاً مَا دَامَ فِي الْجِشْمِ رُوحُ
قد قَيَّدَ الطَرْدُ قَدَمَيْكَ، وَغَلَّ^(١) الْإِبْعَادُ يَدَيْكَ، أَفَمَا لَكَ عَيْنٌ تَبْكِي
عليك؟! ١٩.

وفي نظَرِ الصَّادِي^(٢) إِلَى الْمَاءِ حَسْرَةً إِذَا كَانَ مَمْنُوعاً سَبِيلَ الْمَوَارِدِ
عَلَى نُوحٍ نَحْتُ^(٣) السَّفِينَةِ، وَأَنْ يَصِيحَ: ارْكَبُوا، فَمَا ذَنْبُهُ إِنْ تَخَلَّفَ
كُنْعَانُ؟!^(٤).

إِذَا وَقَعْتَ عَزِيمَةً الْعَاصِي عَلَى فِرَاقِ دَارِ الْمَعَاصِي، هَيَّا مَرْكَبَ الْقَصْدِ،
وَزَوَّدَ سَفَرَ الْعَزْمِ، وَقَامَ عَلَى أَقْدَامِ الْجَدِّ، وَسَعَى عَلَى طَرِيقِ الرِّجَاءِ، خَائِفاً مِنْ
عَارِضِ رَدٍّ، فَيَصِيحُ بِهِ حِينَئِذٍ هَاتِفُ الْقَبُولِ:

لَنْ قَدِمْتُ مِنْ سَفَرَةِ الْهَجْرِ عَيْشُكُمْ تَلْقِيئُهَا بِالْوَصْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِخْوَانِي! مَا قَعُودُكُمْ وَقَدْ سَارَ الرُّكْبُ؟! الْحَقُوهُمْ فِي الْمَنْزِلِ، النِّجَاءَ النِّجَاءَ
مِنْ شَرِّ الْخِلَافِ^(٥)، الْوَحَا الْوَحَا^(٦) قَبْلَ لِحَاقِ الْأَسْلَافِ، الْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ
خُطُورَاتِ الْخَطَايَا، الْهَرَبَ الْهَرَبَ قَبْلَ بَثِّ^(٧) الْأَمَانِيِّ بِالْمَنَايَا، قَبْلَ أَنْ تَنْزِلُوا
الْكَيْفَاتِ^(٨) وَتَلْحَقُوا الرُّفَاتِ^(٩)، وَمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَاذَا حَلَّ مِنْ آفَاتٍ آفَاتٍ، إِلَّا أَنْ
تَعَايِنُوا الْوَفَاةَ وَفَاتِ.

* * *

(١) غَلَّ: جَمَلَ الثَّلَّ فِي يَدَيْهِ، وَهُوَ الطُّوقُ مِنَ الْحَدِيدِ.

(٢) الصَّادِي: الْعَطْشَانُ.

(٣) نَحْتُ: صُنْعٌ.

(٤) كُنْعَانُ: وَلَدُ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي رَفَضَ الرُّكُوبَ مَعَ أَبِيهِ فِي السَّفِينَةِ.

(٥) الْخِلَافُ: التَّخْلُفُ.

(٦) الْوَحَا: السَّرْعَةُ.

(٧) بَثَّ: قَطَعَ.

(٨) الْكَيْفَاتُ: الْقَبْرِ.

(٩) الرُّفَاتُ: بَقَايَا الْعِظَامِ.

الفصل الثالث [بَعْدَ الْمَنِيَّةِ]

عباد الله! إنما الأيامُ طُرُقُ الجِدِّ، والساعاتُ ركائبُ المجد، وأيامُ العافية أوقاتُ تُسْتَدْرَكُ، وأحيانُ السلامةِ تنادي «مَنْ جَدَّ أَدْرَكَ»:

كَمْ لِلْمَنِيَّةِ مِنْ ضُرُوبٍ بَيْنَ الْحَوَادِثِ وَالْخُطُوبِ
تَدْعُ الْحَيِيبَ بِلَا مُجِيبٍ وَكَذَا الْمُحِبَّ بِلَا حَيِّيبٍ
لَا وَالَّذِي هُوَ قَادِفٌ بِالْحَقِّ عَالَمُ الْغُيُوبِ
وَبِحَكْمِهِ يُنْملِي^(١) لِمَنْ يُنْملِي^(٢) الْقَبِيحَ عَلَى الرَّقِيبِ^(٣)
مَا لِلنَّفُوسِ مَعَ الْمَنِيَّةِ فِي السَّلَامَةِ مِنْ نَصِيبِ
هِيَئَاتِ أَيْنَ يَفُوتُهَا لَا بَدَّ مِنْ سَهْمِ مُصِيبِ
مَنْ دَبَّ فَوْقَ الْأَرْضِ أَصْبَحَ دَارِجاً^(٤) بَعْدَ الدَّيِّيبِ
فَإِذَا تَغَيَّبَ تَحْتَهَا فَكَفَاهُ بُعْدُ الْمَغِيبِ
وَلَكُمْ طَوِيلُ الْعُمْرِ لَيْسَ لَعِيشُهُ بِالْمُسْتَطِيبِ
وَلَرَبُّمَا انْتَزَعَ الْقَصِيرُ الْعَمْرُ مِنْ سَعَةِ وَطِيبِ
وَلَا تَيْسَّرَنَّ مِنَ الْبَعِيدِ وَخَفَ مُبَاعِدَةَ الْقَرِيبِ
فَلَكُمْ حَمَلَتْ مَعَ الْمَرِيضِ إِلَى الثَّرَى نَعَشَ الطَّيِّبِ
إِخْوَانِي! احذروا دُنْيَاكُمْ فَإِنَّهَا خَادِعَةٌ، وانتظروا حُتُوفَهَا فَهِيَ لَا رَيْبَ
وَأَقْعَةً. أَيُّهَا الْعَبْدُ! إِلَى مَتَى تَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ مَوْلَاكَ وَهُوَ غَيُورٌ؟^(٥) وَكَيْفَ تَغْتَرُّ بِغَرِيرِ^(٦)
هَوَى يَغْرِي^(٧) وَيَغُورُ^(٧) ١٩ وَكَمْ عَدَلَتْ^(٨) عَنِ الْعَدْلِ وَحَاضَرَتْ^(٩) الْمَحْظُورَ!

(١) يُنْملِي: من أَمْلَى، أي أَمَهَلَ.

(٢) يُنْملِي: يقال: أَمَلْتُ الْكِتَابَ وَأَمَلَيْتُهُ عَلَيْهِ: أَلْقَيْتُهُ.

(٣) الرَّقِيب: الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِكِتَابَةِ الْأَعْمَالِ.

(٤) دَارِجاً: يقال: درج الصبي، أي: أَخَذَ فِي الْحَرَكَةِ وَمَشَى أَوَّلَ مَا يَمْشِي.

(٥) غَرِير: من غَرَّ، وَهُوَ الْخَدَاعُ وَالْإِطْمَاعُ بِالْبَاطِلِ.

(٦) يَغْرِي: يَخْدَعُ.

(٧) يَغُورُ: يقال: غَارَ الْمَاءُ: ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ.

(٨) عَدَلَتْ: انْحَرَفَتْ.

(٩) حَاضَرَتْ: قَارَفَتْ الْمَحْظُورَ وَتَوَعَّلَتْ فِيهِ.

أَنْظَرُ الْبَقَاءَ وَقَلَانْدُ الْفِرَاقِ^(١) كَالْأَطْوَاقِ فِي النُّحُورِ^(٢) ۱؟ أَمَا تَعْتَبِرُ بِأَقْرَانِ^(٣) قُرْنَوَا^(٤) بِقِرَائِنِ^(٥) أَعْمَالِهِمْ فِي الْقُبُورِ ۱؟ أَمَا مَوَاضِعُهُمْ تَضَعُكَ عَلَى وَضْعِ الْوَضَائِعِ^(٦) وَالْفُتُورِ ۱؟ أَمَا حَلُّوا^(٧) اللَّحُودَ^(٨) فَحَالَتْ^(٩) حُلَى^(١٠) تِلْكَ الْبُدُورِ ۱؟ أَمَا مَنَازِلَهُمْ نَازِلَهُمْ مُنَازِلُهُمْ^(١١) زَالٍ عَنْهُمْ السُّرُورِ ۱؟ أَبَالِي بِفَخْرِهِمُ الْمَوْتُ لَا بَلْ بَلْبَلِ^(١٢) تِلْكَ الْقُصُورِ ۱.

أَيْنَ هُمْ الْآنَ ۱؟ قُلْ لِي خَلَا خَالِيهِمْ^(١٣) بِالشُّبُورِ^(١٤) ، مَا لَ بِهِمْ عَنِ الْمَالِ مَا لَا يُرَدُّ^(١٥) ، وَصَرَفَهُمْ صَرَفُ الدُّهُورِ ، جَرَى^(١٦) بِهِمْ مَا جَارَ^(١٧) كَمَا جَارَى الْجَارَ^(١٨) جَارِي^(١٩) الْمَقْدُورِ ، أَصْبَحَتْ وَجُوهُهُمْ الصَّبِيحَةُ مُصْطَبِحَةً^(٢٠) شَرَابَ

- (١) قَلَانْدُ الْفِرَاقِ : شبه الفراق بالقلاند تحيط بالعنق ولا تفارقها ، إشارة إلى لزوم الفراق وتحققه .
- (٢) النُّحُورُ : جمع نحر ، وهو أعلى الرقبة .
- (٣) أَقْرَانُ : جمع قِرْن : الكفؤ والنظير في الشجاعة والحرب .
- (٤) قُرْنَوَا : شدوا وربطوا .
- (٥) قِرَائِنُ : جمع قرينة مأخوذة من قرن الشيء بالشيء ، وهي ما يدل على المراد من غير كونه صحيحاً . كما في قوله ﷺ : «وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ وَإِذْنُهَا سُكُوتُهَا» فجعل السكون قرينة دالة على الرضا .
- (٦) الْوَضَائِعُ : جمع وضعية ، وهي الحطيطة والخسارة والنقل .
- (٧) حَلُّوا : نزلوا واستقروا .
- (٨) اللَّحُودُ : جمع لحد ، وهو الشق يكون بجانب القبر للميت .
- (٩) فَحَالَتْ : تغيرت وتبدلت .
- (١٠) حُلَى : جمع حلية : كل حلية حليت بها امرأة ، والمقصود محاسن الوجه .
- (١١) مُنَازِلَهُمْ : بيوتهم . مُنَازِلَهُمْ : كناية عن الموت . وَالْمُنَازِلُ : المقاتل .
- (١٢) بَلْبَلٌ : أنزل فيها الافتراق والاضطراب .
- (١٣) خَالِيهِمْ : المغادر والتارك .
- (١٤) الشُّبُورُ : الهلاك .
- (١٥) مَا لَا يُرَدُّ : كناية عن الموت .
- (١٦) جَرَى بِهِمْ : أذهبهم .
- (١٧) وَمَا جَارَ : ما ظلمهم .
- (١٨) كَمَا جَارَى الْجَارَ : أي كما جرى مع الجار أي أخذه .
- (١٩) جَارِي الْمَقْدُورِ : ما يقع من المقادير (وهو فاعل الفعل جرى) .
- (٢٠) مُصْطَبِحَةً : شاربة شراب الصباح .

الدُّثُور^(١)، مَبَانِيهِمْ أَيْبِنْتَ، فَلَوْ أُبَيِّنْتَ لَمْ تَبَيِّنِ الْإِنَاثُ مِنَ الذُّكُورِ، انْفَصَمَتْ عُرَى الْأَوْصَالِ وَخَلَّوْا بِالْخِصَالِ، فَذُو الْوَصَالِ مِنْهُمْ مَهْجُورٌ، سَكَنُوا بَعْدَ الْوُدُودِ مَعَ الدُّودِ فِي اللَّحُودِ كَمَا سُورٌ، تَكَدَّرَ صَافِيهِمْ فَمُصَافِيهِمْ يُجَافِيهِمْ، وَمَا فِيهِمْ مَعْدُورٌ، عَلَا أَعْلَامُهُمْ عَلَاءُ تَرَابٍ كَثِيرٍ مَوْفُورٍ، وَسَكَنَ الْمَكِينُ فِي كَمِينٍ إِمَكَانِهِ فَاسْتَكَانَ فِي مَكَانٍ مَخْقُورٍ.

بَيْنَا مَتَرُفُهُمْ قَدْ اطمأنَّ و ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] ؛ إِذَا الْأَذَى كَالْحَذَا، وَكَذَا كُلُّ مُحْتَدٍّ الْغُرُورِ، وَكَمْ قَالَ وَاعْتَذَرَ، فَلَمَّا لَمْ يَذَرْ قِيلَ: هَذَا الْهَذَرُ زُورٌ.

صَبَّ الصَّابُ فِي فَيٍّ مَنْ صَبَا، فَالضَّبَا تَسْفِي عَلَى مَنَصِبِهِ وَالذُّبُورُ، وَسَيَاتِيكَ يَا فَتَى مَا أَتَى مَنْ عَنَا حَتَّى فِي الرُّوَا حِ أَوْ فِي الْبُكُورِ، فَانْتَبَهْ فَإِنَّ الْمَوْتَ يَدُورُ عَلَى سَاكِنِي الدُّورِ، وَيَلْتَقِطُ أَرْبَابَ الْقُصُورِ بِلَا فُتُورٍ وَلَا قُصُورٍ، وَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ فُصِّلَ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]، فَمَنْ جَارَ قَنْطَرَةَ الْهَوَى أَبَ بِتِجَارَةٍ لَنْ تَبُورَ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

أَيَّنَ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ	ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَثُمُودُ
بَيْنَمَا الْقَوْمُ فِي الثَّمَارِقِ وَالدِّيَابِجِ	أَفْضَتْ إِلَى التَّرَابِ الْخُدُودُ
وَأَطْبَاءُ بَعْدَهُمْ لِحَقْفِهِمْ	ضَلَّ عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ وَاللَّدُودُ ^(٢)
وَصَحِيحٌ أَضْحَى يَعُودُ مَرِيضاً	وَهُوَ أَدْنَى لِلْمَوْتِ مِمَّنْ يَعُودُ

يَا قَلِيلَ الْبُضَاعَةِ! بَلْ يَا مَفْلَسُ! تَرْجُو النِّجَاةَ بِالْمَعَاصِي؟! لَقَدْ وَسَّوسَ، أَتَلَيْسَ ثَوْبَ الشَّيْبِ؟ ثُمَّ تُلْبَسُ، جَاءَ الصَّبَاحُ فَنَسَخَ حُكْمَ الْخُنْدَسِ^(٣)، وَأَطْرَقَ النَّيْلُوفَرُ لَمَّا حَدَّقَ التَّرْجِسُ، يَا مَنْ يَقُومُ مِنَ الْمَجْلِسِ كَمَا يَجْلِسُ، كُنْ كَيْفَ شِئْتَ، فَإِنَّمَا تَجْنِي مَا تَغْرِسُ، أَلَيْكَ عَذْرٌ؟ قُلْ لِي؟ الْبَاطِلُ يُخْرِسُ:

(١) الدُّثُورُ: الْانْقِرَاضُ وَالزَّوَالُ.

(٢) اللَّدُودُ: مَا يُصَبُّ مِنْ دَوَاءٍ فِي أَحَدِ شِقِي الْقَمِ فَيَمِرُ عَلَى اللَّدِيدِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ اللَّدُودُ وَالْحِجَامَةُ وَالْمَشْيُ»، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: اللَّدُودُ: مَا سَقَى الْإِنْسَانُ فِي أَحَدِ شِقِي الْقَمِ.

(٣) الْخُنْدَسُ: اللَّيْلُ.

كَيْفَ الرَّحِيلُ بَلَا زَادَ إِلَى وَطَنِ مَا يَنْقُصُ الْمَرْءَ فِيهِ غَيْرُ تَقْوَاهُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَهُ التَّقْوَى فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذْرٌ عِنْدَ مَوْلَاهُ
يَا رَبِّ! إِلَيْكَ مِنَّا نَسْتَظِلُّ، أَحْوَالُنَا تَنْطِقُ عَنَّا وَمَا نَتَكَلَّمُ، وَقُلُوبُنَا مِنْ ذُنُوبِنَا
نَبْكِي وَتَتَأَلَّمُ، وَأَنْتَ الْعَالَمُ الَّذِي لَا تُعَلِّمُ.

أَتَتْرُكُنَا لِلْجَهْلِ؟ وَأَبُونَا مِنْكَ تَعَلَّمَ. يَا مَنْ أَخَّرَ مَا شَاءَ كَمَا شَاءَ وَقَدَّمَ. لَا تَجْعَلْنَا
مَمْنٌ إِذَا رَحَلَ تَنْدَمُ. يَا مَنْ نَبَّهَ الْفَضِيلَ وَابْنَ أَذْهَمَ. قَدْ تَرَكْنَا الذُّنُوبَ لَا نُشْتَرِي
بِدَرَاهِمَ:

يَا عِمَادِي فِي شِدَّتِي وَرَجَائِي عِنْدَ فَقْرِي وَكُوكْبِي فِي الْمَعَامِي
سَاعَتِي إِنْ تَأَيَّتَ يَوْمٌ وَيَوْمِي مِثْلُ شَهْرِ وَالشَّهْرِ مِثْلُ الْعَامِ
يَا صَاحِبَ الْخَطَايَا لَسْتَ مَعْنَا، يَا مُقْبِلًا عَلَى الْهَوَى مَا أَنْتَ عِنْدَنَا، ضَاعَتْ
حِيلِي فِي تَحْصِيلِ قَلْبِكَ، اِشْتَدَّتْ حَيْرَتِي فِي تَلَا فِي أَمْرِكَ، وَاعْجَبًا! أَخَوْفُكَ
عَوَاقِبَ الْأُمُورِ، وَمَا تَتُوبُ، وَأَشْرَحُ لَكَ أَحْوَالَ الصَّالِحِينَ وَمَا تَوْوَبُ، وَمَتَى
سَقَطَتْ شَهْوَةُ الْعَلِيلِ دَنَا الْمَوْتُ، قَدْ أَوْقَذْتُ نَارَ الْمَوَاعِظِ إِلَى جَانِبِ كَسَلِكَ،
وَنَفْسُ عَزِيمَتِكَ شَدِيدُ الْبُرُودَةِ، وَقَدْ اتَّفَقَ الْأَطْبَاءُ عَلَى أَنَّ النَّفْسَ الْبَارِدَةَ فِي الْمَرَضِ
الْحَادِّ دَلِيلُ الْهَلَاكِ:

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفْنََا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
كَأَنَّ مَا قَدْ رَأَيْنَا فِي أَجَبِّنَا مِنْ الرَّحِيلِ وَنَايِ الدَّارِ لَيْسَ لَنَا
وَاللَّهِ مَا فَازَ سِوَى الزَّاهِدِينَ، وَلَا نَالَ الرِّبْحَ غَيْرُ الْعَابِدِينَ، وَنَهَايَةُ الْكَمَالِ
لِلْمُحِبِّينَ، كَانَ هَمُّ الْقَوْمِ طَلَبُ النِّجَاةِ، وَكَانَتْ لَذَّتُهُمْ فِي الْمُنَاجَاةِ، فَارْتَفَعَ لَهُمْ
الْقَدْرُ وَعَلَا الْجَاهُ، لَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي الْأَسْحَارِ، وَقَدْ حَارَ الْخَائِفُ بَيْنَ اعْتِدَارٍ وَاسْتِغْفَارٍ
وَلَطَائِفَ، وَيتَخَلَّلُ ذَلِكَ دَمْعٌ غَزِيرٌ ذَارِفٌ^(١)، يَرْمِزُ إِلَى شَوْقٍ شَدِيدٍ مِتْكَائِفَ.

كَانَتْ عَابِدَةٌ تَقُومُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَتَقُولُ: تَشَاغَلَ النَّاسُ بِلَذَاتِهِمْ، وَقَدْ
جِئْتُ إِلَيْكَ يَا مُحِبُّوبُ:

(١) ذَارِفٌ: سَائِلٌ وَجَارٍ.

سُروري مِنَ الدَّهْرِ لِقِيَاكُمْ
وَأَنْتُمْ مَدَى أَمَلِي مَا حَيْثُ
جُنَابُكُمْ الرَّخْبُ مَزْعَى الْكِرَامِ
حِشَا الْبَيْنِ يَوْمَ رَحَلْتُمْ حِشَايَ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي وَمَنْ لِي بِأَنْ
إِذَا ازْدَحَمَتْ فِي فُؤَادِي الْهُمُومُ
وَأَسْتَشِيقُ الرِّيحَ مِنْ أَرْضِكُمْ
فَلَا تَنْسُوا الْعَهْدَ فِيمَا مَضَى
وَدَارُ سَلَامِي مَغْنَاكُمْ
وَمَا طَابَ عِشْيَ لَوْلَاكُمْ
فَلَا صَوِّحَ^(١) الدَّهْرُ مَزْعَاكُمْ
بِنَارِ الْهُمُومِ وَحَاشَاكُمْ^(٢)
أَعِيشْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ
أَعْلَلْ قَلْبِي بِذِكْرِكُمْ
لَعَلِّي أَحْظَى بِرِيَاكُمْ
فَلَسْنَا مَدَى الدَّهْرِ نَنْسَاكُمْ
تَاللَّهِ لَقَدْ حَصَلَ لِلْقَوْمِ فَوْزُ الدَّارَيْنِ ، وَرَضِيْتُمْ أَنْتُمْ بِالْبَيْنِ مِنَ الْبَيْنِ^(٣) .

تَنْبَهُوا يَا نِيَامُ! كَمْ ضَيَّعْتُمْ مِنْ عَامٍ! الدُّنْيَا كُلُّهَا مَنَامٌ، وَأَحْلَى مَا فِيهَا أَحْلَامٌ،
غَيْرَ أَنَّ عَقْلَ الشَّيْخِ بِالْهَوَى غُلَامٌ، عَلَامَ قَتْلِ النُّفُوسِ عَلَامٌ؟! هَلْ هُوَ إِلَّا ثَوْبٌ
وَطَعَامٌ؟! ثُمَّ يَتَسَاوَى خَزْ^(٤) وَخَامٌ^(٥)، وَلَذَاتٌ طَيِّبَاتٌ وَوِخَامٌ^(٦)، إِنَّمَا يَعْرِفُ
الْفُطْنَاءُ لَا الطَّغَامُ^(٧)، آهَ لِلْغَافِلِ! إِلَى كَمْ يَلَامُ! أَمَا تَوْقُظُكَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ؟! أَيْنَ
سُكَّانُ الْقُصُورِ وَالْخِيَامِ؟ دَارَتْ عَلَى الْكُلِّ كَأْسُ الْحِمَامِ^(٨) ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ
وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] .

إِلَى مَتَى مَزَا حِمَةُ الْأَنْعَامِ؟! رُدُّوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ بِزَمَانٍ، ازْجُرُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ
عَنِ الْآثَامِ، اقْرَؤُوا صَحَائِفَ الْعِبَرِ^(٩) بِالسَّنَةِ الْأَفْهَامِ^(١٠)، مَوْتُ الْجِيرَانِ شَكْلٌ^(١١)

- (١) صَوِّحَ: يَبْسُ.
- (٢) حِشَا: مَلَأَ. حِشَايَ: أَيِ أَحْشَائِي، وَهُوَ الْجَوْفُ. حَاشَاكُمْ: مِنْ حَاشَا وَهِيَ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، وَالْمَعْنَى: بَرَاءَةٌ وَمَعَاذًا.
- (٣) الْبَيْنِ الْأَوَّلَى: الْبَعْدُ. الْبَيْنِ الثَّانِيَةِ: الْوَصَالُ وَالْمُودَّةُ.
- (٤) خَزْ: مَا يَنْسَجُ مِنَ الثِّيَابِ مِنْ صُوفٍ وَحَرِيرٍ خَالِصٍ.
- (٥) خَامٌ: الْخَامُ مِنَ الثِّيَابِ الَّذِي لَمْ يُنَيِّضْهُ الْقَصَارُ.
- (٦) وَخَامٌ: غَيْرُ مُسْتَمَرٍّ مِنَ الطَّعَامِ. وَالطَّعَامُ الْوَحِيمُ: غَيْرُ الْمَوَافِقِ لِأَكْلِهِ.
- (٧) الطَّغَامُ: أَرَاذِلُ النَّاسِ وَأَوْغَادُهُمْ.
- (٨) الْحِمَامُ: قَضَاءُ الْمَوْتِ وَقُدْرُهُ.
- (٩) الْعِبَرُ: جَمْعُ عِبْرَةٍ مَوَاضِعُ الْإِتْعَازِ وَالْإِعْتِبَارِ.
- (١٠) الْأَفْهَامُ: جَمْعُ فَهْمٍ: حَسَنُ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى أَوْ جُودَةُ اسْتِعْدَادِ الذَّهْنِ لِلْإِسْتِنْبَاطِ.
- (١١) شَكْلٌ: الشَّكْلُ: الْحَرَكَةُ تَوْضِيعُ عَلَى الْحَرْفِ. يُقَالُ شَكْلَ الْكِتَابِ: ضَبَطَهُ بِالشَّكْلِ =

وأخذ الأقران^(١) إعجام^(٢)، يا مَنْ أَجَلُهُ خَلْفَهُ، وَأَمَلُهُ قُدَّامُ، رَبِّ يَوْمٍ لَهُ مِفْتَاحُ، مَا لَهُ خِتَامُ.

يا مقتحماً على الحرامِ أيَّ اقتحام، ستعلم مَنْ يبكي في العقبى عَقْبَى الإجمام^(٣)، ويشارك الندامى على الندامى^(٤) والمُدام، يا طویلَ المرض! متى يَبْرأ السَّقَامُ؟ يا مَنْ إِنْ قَعَدَ فَلِلدُّنْيَا، وَكَذَا إِنْ قَامَ، أَوَّلُ الدُّنْيَا هَمٌّ، وَآخِرُهَا مَوْتُ زُؤَام^(٥)، حَلَّ لَهَا الْفِرَاقُ، وَخُرَّمْ عَلَيْهَا الدَّوَامُ، سَحَابُهَا لَا يُمَطِّرُ، وَسَمَاؤُهَا قَتَام^(٦)، كُلُّهَا عَيْبٌ فِي عَيْبٍ، وَذَائِمٌ فِي ذَامٍ، أَتَعِيْبُهَا عِنْدَ مُحِبِّهَا؟! متى يَسْمَعُ الْعَدْلُ مُسْتَهَام^(٧) ١٩.

خَلَّهَا وَآخَرَجَ عَنْهَا بِسَلَامٍ إِلَى دَارِ السَّلَامِ؛ فَالْجَنَّةُ رَخِيصَةٌ^(٨) ثُمَّ مَا تَغْلُو عَلَى مُسْتَامٍ، خُذْهَا إِلَيْكَ نَصِيحَةً مِنْ طَبِّ^(٩) يَدَاوِي الْأَسْقَامِ^(١٠)، يَضَعُ الْهِنَاءَ^(١١) مَوْضِعَ النَّقَبِ^(١٢)، وَيَعْرِفُ أَصْلَ الْآلَامِ، وَيُرَتِّبُ الْمَرْهَمَ عَنْ خُبْرٍ، وَيَدِيرُ كَيْفَ شَاءَ الْكَلَامِ، مَا بَعْدَهَا^(١٣) نَصِيحَةٌ تَكْفِي وَالسَّلَامُ.

* * *

= لتسهيل قراءته.

- (١) الأقران: جمع قِرْن، وهو المثل في الشجاعة والعلم وغير ذلك.
- (٢) إعجام: يقال: أعجم الكتاب، أي: أزال إبهامه بالنقط.
- (٣) العقبى الأولى: الآخرة. وعقبى الثانية: العاقبة.
- (٤) الندامى الأولى: النادمين. والندامى الثانية: من المتأدبة والمسامرة.
- (٥) زؤام: عاجل سريع.
- (٦) القَتَام: الغبار الأسود.
- (٧) العدل: اللوم. مستهام: المشغوف محبةً.
- (٨) رخيصة: ناعمة وليّنة.
- (٩) طَبِّ: طيب.
- (١٠) الأسقام: الأوجاع.
- (١١) الهناء: القَطِرَان.
- (١٢) النقَب: الجرب يصيب الإبل.
- (١٣) ما بعدها: ليس وراءها.

آخر كتاب المدهش
الحمد لله عدد أنفاس أهل الجنة
وصلواته على محمد وآله ، وسلم كثيراً وشرف وكرم

وفرج منه ناظمه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي يوم الثلاثاء رابع عشر
جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمسمئة ، حامداً الله سبحانه ، ومصلياً على
رسوله محمد وعلى آله وسلم ، يرحم الله من نفع به وانتفع ، ودعا لمؤلفه بالعفو
والغفران^(١).

* * *

(١) جاء في خاتمة (أ): وافق الفراغ من نسخه في أواخر شهر ربيع الثاني لسنة (١١٤٢هـ)
اثنين وأربعين ومئة وألف على يد الفقير مصطفى بن بكتاش ، وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
وفي آخر (ب): تم كتاب المدهش بحمد الله وعونه ، وصلاته على خير خلقه سيدنا محمد
ﷺ ، وكان الفراغ من نسخه في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين
وسبعمئة ، غفر الله لكاتبه وقارئه ولجميع المسلمين يا رب العالمين ، وصلى الله على
سيدنا محمد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ملحق التراجع

الحمد لله الذي جعلَ في السماءِ نجوماً لِنَهْتَدِيَ بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ،
وجعلَ من البشرِ نجوماً لِنَهْتَدِيَ بها في ظلماتِ الغفلاتِ والأهواءِ والفتنِ .

والصلاة والسلام على النبيِّ الهادي، السراج المنير، وعلى آله وأصحابه
مصابيح الهدى، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

أما بعد : فعلى الصفحات القليلة التالية، نستعرض مقتطفاتٍ من سِيرِ أناسٍ
عاشوا فوق هذه الأرض، أشاعوا فيها الخيرَ، ونشروا فيها المعرفة، وأصلُّوا فيها
المنهاجَ التطبيقيَّ لحقائقِ الغيبِ في عالم الشهادة .

هم إشاراتٌ هدايةٌ على طريق السير إلى الله، هم أطواقُ نِجاةٍ للغارقين في
بحارِ الشهواتِ والبعدِ عن الله .

عرفوا اللهَ فأحبُّوه، وجعلوه في قلوبهم، وعرفوا الدنيا فجعلوها في أيديهم
وسيلةً للأنس بمحبوبهم .

هم بشرٌ . . إلا أنهم تخرَّجوا في مدرسة الإسلام، وتربوا على تعاليم وهدى
المصطفى رسول الله ﷺ .

* * *

● أبو علي لدقاق:

أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري.

كان يعظُ الناسَ، ويتكلَّمُ عن الأحوال والمعرفة، ومن كلامه:

- من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه، لأنَّه خضعَ له بلسانه وأركانه، فإن اعتقدَ تعظيمَه بقلبه، أو خضعَ له به؛ ذهب دينه كله.

- وقال في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]: اذكروني وأنتم أحياء، اذكركم وأنتم أموات تحت التراب، وقد تخلَّى عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب.

- وقال: البلاء الأكبر أن تريدَ ولا تُراد، وتدنو فتردَّ إلى الطرد والإبعاد.

- وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْتَاسِفُنِي عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضْتُ بَيْنَهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، أنشد يقول:

جُنِّتَا بِلَيْلَى وَهِيَ جُنَّتْ بَغِيرِنَا وَأُخْرَى بِنَا مَجْنُونَةٌ لَا نَرِيدُهَا

- وفي قوله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»^(١) قال: إذا كان هذا المخلوق لا وصولَ إليه إلا بتحمُّلِ المشاقِّ، فما الظنُّ بمن لم يزل؟!

- وقال في الحديث: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»:
يا عجباً لمن لم يَرِ مُحْسِناً غيرَ الله، كيفَ لا يميلُ بقلبه إليه؟!

قال ابن كثير في (البداية): «كلامه على هذا الحديث جيِّدٌ، والحديث لا يصحُّ بالكلية». توفي أبو علي سنة (٤١٢ هـ).

● أبو العتاهية:

أبو إسحاق، إسماعيلُ بنُ قاسم بن سُويد بن كيسان العنزي، رأسُ

(١) حديث صحيح.

الشعراء، الأديبُ الصالحُ الأوحُدُ، نزيلُ بغداد، لُقِّبَ بأبي العتاهية لاضطراب فيه، وقيل غير ذلك. سار شعره لجودته وحُسنه وعدم تقعره. وكان أبو نواس يُعظِّمُه، ويتأدَّبُ معه لدينه، ويقول: ما رأيته إلا وتوهَّمتُ أنَّه سماويٌّ، وأني أرضي. وهو القائل:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاحَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوتُ مَا أَكْثَرَ الْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمَنِي أَوْ قَدَرُ إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ

توفي أبو العتاهية في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومئتين. وقيل: سنة ثلاث عشرة ومئتين. وله ثلاث وثمانون سنة، أو نحوها، ببغداد.

● أبو العلاء المعري:

أحمدُ بنُ عبد الله بنِ سليمان.

وترجع أصولُ نسبه إلى النبيِّ هُود عليه السلام، التَّنُوخِيُّ المَعْرِيُّ الأعمى، اللُّغوي، الشاعرُ، صاحبُ التصانيف السائرة، والمُتَّهَمُ في نُحْلَتِهِ. شيخُ الآداب. وُلِدَ سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة.

وأضرَّ بالجُدَرِيِّ وله أربع سنين وشهر؛ سالت واحدة، وابتضت اليمنى، فكان لا يذكُرُ من الألوان إلا الأحمرَ لثوبِ أحمر البسوه إياه. وقد جُدَرَ، وبقي خمساً وأربعين سنة لا يأكلُ اللحمَ ترهُداً فلسفياً.

وكان قنوعاً متعقفاً، له وَقْفٌ يقومُ بأمره، ولا يقبلُ من أحدٍ شيئاً، ولو تكسَّب بالمديح لحصلَ مالاً ودنياً، فإنَّ نظمه في الذروة، يُعَدُّ مع المتنبي والبُحْثَرِيِّ.

وأخذ الأدبَ عن بني كوثر، وأصحابِ ابنِ خالويه، وكان يتوقَّفُ ذكاءً.

كان يَحْفَظُ كُلَّ ما مرَّ بسمعه، ويلازم بيته، وسمى نفسه رهين المَحْبَسِينَ، للزومه منزله والعمى، وقال الشُّعْرُ في حدائته، وكان يُمْلِي تصانيفه على الطَّلَبَةِ من صُدْرِهِ.

ودخل أبو الفتح القاضي عليه بَغْتَةً، فسمعه يُشَدُّ:

كَمْ غَوْدِرَتْ غَاةٌ كَعَابٌ وَعُمِرَتْ أُمَهَا الْعَجُوزُ

أَحْرَزَهَا الْوَالِدَانِ خَوْفًا وَالْقَبْرِ لَهَا جِرْزٌ حَرِيرُ
يَجُوزُ أَنْ تُخْطِئَ الْمَنَابِيا وَالْخُلْدُ فِي الدَّهْرِ [عَزِيرُ]
ثم تأوّه مرات، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾
ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٢٦﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿١٢٧﴾ يَوْمَ يَأْتِ
لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقِيَ وَسَمِيعٌ ﴿[مود]﴾. ثم صاح وبكى، وطرح
وجهه على الأرض زماناً، ثم مسح وجهه، وقال: سبحان مَنْ تكلّم بهذا في
القدم، سبحان مَنْ هذا كلامه. فصبرت ساعة، ثم سلّمت، ثم قلت: أرى في
وجهك أثر غيظ؟ قال: لا، بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق، وتلّوت شيئاً من
كلام الخالق، فلحقني ما ترى.

قال أبو المكارم - وكان من أفراد الزمان -: لما توفي أبو العلاء اجتمع على
قبره ثمانون شاعراً، وخُتِمَ في أسبوع واحد مثنا ختمة.

وفي الجملة: فكان من أهل الفضل الوافر، والأدب الباهر، والمعرفة
بالنسب وأيام العرب، قرأ القرآن بروايات، وسمع الحديث على ثقات، وله في
التوحيد وإثبات النبوات، وما يخصّ على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعر
كثير، والمُشْكِلُ منه فله على زعمه تفسير. مات في أوائل شهر ربيع الأول سنة
تسعين وأربعين وأربعمئة، عن ست وثمانين سنة.

● أبو بكر التّهشلي:

الكوفي: من علماء الكوفة، في اسمه أقوال، ولا يُعرف إلا بكنيته.
تكلّم فيه ابنُ جَبَّان، فقال: كان شيخاً صالحاً فاضلاً، غلبَ عليه التَّقَشُّفُ
حتى صارَ يَهم ولا يعلم، ويُخطئ ولا يفهم، فبطل الاحتجاجُ به.

قال الذهبي في (السير): «بل هو صدوق، احتجَّ به مسلم وغيره».
وكان صالحاً، يشب للصلاة في مرضه ولا يقدر، فيقال له، فيقول: أبادرُ
طَيِّ الصَّحِيفَةِ. توفي التّهشلي سنة ست وستين ومئة.

● أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي:

المقرئ، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، مولى واصل
الأحذب، وُلد سنة خمس وتسعين.

قرأ القرآن، وجوَّده ثلاثَ مراتٍ على عاصم بن أبي النجود.

سُئِلَ: قد بلغكَ ما كان من أمر ابنِ عُلَيَّة في القرآن.

قال: ويلك، مَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو عندنا كافِرٌ زنديقٌ عدُو الله لا نجالسُه ولا نكلُمُه.

مكثَ نحواً من أربعين سنة يَخْتِمُ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ مرَّةً.

لما حَضَرَتْ أبا بكر الوفاة، بكت أخته، فقيل لها: ما يُبْكِيكِ؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة.

مات أبو بكر في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومئة، عن ستِّ وتسعين سنة.

● أبو تمام:

حَبِيبُ بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي.

شاعر عصره، من حَوْران، من قرية جاسم. مدحَ الخلفاءَ والكُبراء. وشعره في الذُّرْوَة. كان أَسْمَرَ طَوَّالاً فصيحاً، عَذْبَ العبارة، مع تَمَنَّةٍ قليلة.

وُلِدَ في أيام الرشيد، وكان أولاً حدثاً يَسْقِي الماءَ بمصر، ثم جالسَ الأدباء، وأخذَ عنهم، وكان يتوقَّذُ ذكاءً. وَسَعَتْ قريحَتُه بالشعر البديع. فسمع به المعتصم، فطلبه، وقَدَّمَهُ على الشعراء، وله فيه قَصائِد. وكان يُوصَفُ بطيب الأخلاق والظُّرْف والسماحة. وقد كان البحترِيُّ يرفعُ من شأن أبي تمام، ويقدِّمُه على نَفْسِه، ويقول: ما أكلْتُ الخبزَ إلَّا به، وإنِّي تابعٌ له.

وهو القائل:

وَلَوْ كَانَتْ الْأَزْزَاقُ تُجْرَى عَلَى الْحِجَى هَلَكْنَ إِذَا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ
وَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالذَّرَاهِمُ
وله أيضاً:

أَلَمْ تَرْنِي خَلَيْتُ نَفْسِي وَشَأْنَهَا فَلَمْ أَخْفِلِ الدُّنْيَا وَلَا حَدَثَانَهَا

لَقَدْ خَوَّفَتْنِي الْحَادِثَاتُ صُرُوفَهَا وَلَوْ أَمْسَنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا
يَقُولُونَ: هَلْ يَبْكِي الْفَتَى لَخَرِيدَةٍ مَتَى مَا أَرَادَ، اغْتَاصَ عَشْرًا مَكَانَهَا؟
وَهَلْ يَسْتَعِضُ الْمَرْءُ مِنْ خَمْسٍ كَفَّهُ وَلَوْ صَاغَ مِنْ حُرِّ اللَّجَيْنِ بَنَانَهَا؟

لَمَّا مَاتَ رِثَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَزِيرُ فَقَالَ:

نَبَأَ أَلَمٌ مُقْلَقِلُ الْأَخْشَاءِ لَمَّا أَتَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْبَاءِ
قَالُوا: حَبِيبٌ قَدْ ثَوَى، فَأَجَبْتُهُمْ: نَاشِدْتُكُمْ لَا تَجْعَلُوهُ الطَّائِي

كَانَ وَاحِدَ عَصْرِهِ فِي دِيبَاجَةٍ لَفْظُهُ، وَفَصَاحَةٍ شِعْرِهِ، وَحُسْنِ أَسْلُوبِهِ. أَلْفَ
(الحماسة) فَذَلَّتْ عَلَى غَزَاةٍ مَعْرِفَتِهِ بِحُسْنِ اخْتِيَارِهِ، وَلَهُ كِتَابٌ (فحول
الشعراء)، وَقِيلَ: كَانَ يَحْفَظُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَرْجُوزَةٍ لِلْعَرَبِ.

مَاتَ فِي الْمَحَرَّمِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ.

● أَبُو جَنْدَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

اسْمُهُ: الْعَاصِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ
جَسَلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ الْعَامِرِيِّ الْقُرَشِيِّ.

كَانَ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ أَسْلَمَ، وَحَبَسَهُ أَبُوهُ وَقَيْدَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ صَلَاحِ
الْحُدَيْبِيَّةِ، هَرَبَ يَخْجُلُ فِي قَبْوَدِهِ، وَأَبُوهُ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ لِكِتَابِ الصَّلَاحِ.
فَقَالَ: هَذَا أَوَّلُ مَنْ أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: هَبْ لِي، فَأَبَى. فَدَّهَ وَهُوَ
بَصِيحٌ وَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُونَ أَرُدُّ إِلَى الْكُفْرِ؟ ثُمَّ إِنَّهُ هَرَبَ. وَلَهُ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ مَذْكُورَةٌ
فِي (الصَّحِيحِ) وَفِي الْمَغَازِي. ثُمَّ خَلَصَ وَهَاجَرَ، وَجَاهَدَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى جِهَادِ
الشَّامِ، فَتُوفِيَ شَهِيداً فِي طَاعُونِ عَمَّاسٍ بِالْأُرْدُنِّ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ.

● أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي:

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ، الْإِمَامُ الْكَبِيرُ، زَاهِدُ الْعَصْرِ، وُلِدَ فِي حُدُودِ الْأَرَبِيِّينَ
وَمِثَّةٍ. قَالَ يَعْجَبُ مِمَّنْ يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا: إِنَّ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ خُلُقاً لَوْ زَيْنَ لَهُمُ الْجَنَانُ مَا
اشْتَاقُوا إِلَيْهَا، فَكَيْفَ يُحِبُّونَ الدُّنْيَا وَقَدْ زَهَّدَهُمْ فِيهَا؟!

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِيِّ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ:

لَوْلَا اللَّيْلُ لَمَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا، وَلَرَبَّمَا رَأَيْتُ الْقَلْبَ يَضْحَكُ ضِحْكَاً.
قَالَ أَحْمَدُ: وَرَأَيْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّبِيَ عُشِّي عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ

قال: بَلَّغْنِي أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا حَجَّ مِنْ غَيْرِ وَجْهَةٍ، فَقَالَ: لَيْتِكَ، قِيلَ لَهُ: لَا لَيْتَكَ وَلَا سَعْدَيْكَ حَتَّى تَطْرَحَ مَا فِي يَدَيْكَ، فَمَا يُؤْمِنُ أَنْ يُقَالَ لَنَا مِثْلَ هَذَا؟ أَلَمْ لَبِّى .

وَمِنْ أَقْوَالِهِ: إِنَّ مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خَلْقِهِ، وَأَعْقَبَهُ الْجِلْمُ، وَسَخَّتْ نَفْسُهُ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ .

قال أحمد بن أبي الحواري: تَمَنَيْتُ أَنْ أَرَى أَبَا سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي فِي الْمَنَامِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ سَنَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا مَعْلَمُ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: يَا أَحْمَدُ دَخَلْتُ مِنْ بَابِ الصَّغِيرِ، فَلَقِيتُ وَسَقَّ شَيْخٍ، فَأَخَذْتُ مِنْهُ عَوْدًا، فَلَا أَدْرِي تَخَلَّلْتُ بِهِ أَمْ رَمَيْتُ بِهِ! فَأَنَا فِي حِسَابِهِ مِنْ سَنَةٍ .

توفي أبو سليمان سنة خمس عشرة ومئتين . وقال أحمد: مات سنة خمس ومئتين .

● أبو عبيدة الخواص:

هو عَبَادُ بْنُ عَبَّادٍ، واشتهر بأبي عبيدة، وإنما هو أبو عتبة، كما ذكره البخاري وغيره .

كتب مرة إلى إخوانه يعظهم فقال: إنكم في زمانٍ قد رَقَّ فِيهِ الْوَرَعُ، وَقَلَّ فِيهِ الْخُشُوعُ، وَحَمَلَ الْعِلْمُ مَفْسُدُوهُ، فَأَحْبَبُوا أَنْ يَعْرِفُوا بِحَمْلِهِ، وَكَرِهُوا أَنْ يُعْرِفُوا بِإِضَاعَةِ الْعَمَلِ بِهِ، فَتَنَطَّقُوا فِيهِ بِالْهَوَى لِيَتَرَيَتُوا مَا دَخَلُوا فِيهِ مِنَ الْخَطَرِ، فَذُنُوبِهِمْ ذُنُوبٌ لَا يُسْتَغْفَرُ مِنْهَا، وَتَقْصِيرُهُمْ تَقْصِيرٌ لَا يُعْتَرَفُ بِهِ، أَحْبَبُوا الدُّنْيَا، وَكَرِهُوا مَنَزَلَةَ أَهْلِهَا، فَشَارَكُوهُمْ فِي الْعَيْشِ، وَزَايَلُوهُمْ بِالْقَوْلِ .

وامتنع عن الضحك، فسئل: لِمَ لَا تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ أَضْحَكُ وَفِي أَيْدِي الْمَشْرِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ؟ .

وكان يمشي في طريق البصرة وهو يقول: واشوقاه إِلَى مَنْ يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ .

ونقل أحمد بن الحواري أَنَّ عَبَادًا دَخَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحٍ أَمِيرِ فَلَسْطِينَ، فَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ! عَظَمِي، فَقَالَ: يَمَّ أَعْظَمَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟ بَلَّغْنِي أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تَعْرُضُ عَلَى أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى، فَانْظُرْ مَا يَعْرُضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَمَلِكَ . فَبَكَى حَتَّى سَالَتِ الدَّمُوعُ عَلَى لَحْيَتِهِ .

وعن بشر بن الحارث قال: رأيتُ على جبالٍ عرفة رجلاً قد ولع به الوله، وهو يقول:

سبحانَ مَنْ سَجَدْنَا بِالْعِيونِ لَهُ على شِبا الشوكِ والمُحمى مِنَ الإبر
لم نبلغِ العُشرَ مِنْ مِغْشَارِ نَعْمَتِهِ ولا العُشِيرَ ولا عُشْرًا مِنَ العُشْرِ
هو الرَفِيعُ فلا الأبصارُ تُدْرِكُهُ سبحانَهُ مِنْ مَلِكٍ نافذِ القَدْرِ
سبحانَ مَنْ هو أنسى إِذْ خَلَوْتُ بِهِ في جوفِ ليلي، وفي الظُّلُماءِ والسَّحَرِ
أنتَ الحبيبُ وأنتَ الحبُّ يا أُملي مَنْ لي سِوَاكَ وَمَنْ أَرْجُوهُ يا ذُخْري

قال: ثم غاص في خلال الناس، فلم أره، فسألت عنه، ف قيل: هذا أبو عبيدة الخواص، منذ سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله عز وجل.

وسمع عقبه بن فضالة أبا عبيدة بعدما كبر وهو آخذٌ بلحيته يبكي ويقول: قد كبرتُ.. فأعتقني.

● أبو عمران الجوني:

عبدُ الملك بن حبيب البصري.

الإمام الثقة، كان الغالبُ عليه الكلامُ في الحُكم، وكان يقول: أما والله لئن ضيَعْنَا، إنَّ لله عباداً آثروا طاعةَ الله تعالى على شهواتهم.

ويقول: أجرى الله علينا وعليكم محنته، وجعلَ قلوبنا أوطاناً تَحِنُّ إليه.
توفي في سنة ثلاث وعشرين ومئة، وقيل: سنة ثمان وعشرين عن سنٍ عالية.

● أبو نواس:

أبو علي الحسن بن هاني الحُكَمي، وقيل: ابن وهب.

رئيسُ الشعراء، وُلِدَ بالأهواز، ونشأ بالبصرة. قيل: لُقِّبَ بهذا لِضَفَرَتَيْنِ كانتا تنوسان على عاتقيه، أي: تضطربان. وهو القائل:

سُبحانَ ذي الملكوتِ آيةُ ليلٍ مَخَضَتْ صَبِيحَتُها بِيَومِ الموقِفِ
لو أنَّ عَيْناً وَهَمَّتْها نَفْسُها ما في المَعادِ مُحَصَّلاً لم تَطْرُقِ

وله :

ألا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وابنُ هَالِكٍ وذو نَسَبٍ فِي الهَالِكِينَ عَرِيقٌ
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابٍ صَدِيقٌ

قال أبو العتاهية : قلت في الزهد عشرين ألف بيت ، ووددت أن لي مكانها
الآيات الثلاثة التي قالها أبو نواس ، وكانت مكتوبة على قبره :

يَا نُوَاسِي تَوَقَّرْ أَوْ تَغَيَّرْ أَوْ تَصَبَّرْ
إِنْ يَكُنْ سَاءَكَ دَهْرٌ فَلَمَّا سَأَرَكَ أَكْثَرُ
يَا كَثِيرَ الدُّنُوبِ عَفُوَ اللَّهُ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ

ومما يدلُّ على تمكُّنه في الشعر أنه سمع حديثَ سهيل عن أبي صالح ، عن
أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «القلوبُ جنودٌ مجتَدَةٌ ، فما
تعارَفَ منها ائْتَلَفَ ، وما تناكَرَ منها اختلفَ» فنظم ذلك في قصيدة له فقال :

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مُجْتَدَةٌ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ بِالْأَهْوَاءِ تَعْتَرِفُ
فَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلِفٌ وَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلِفٌ

وجلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل على دكان وراق ، فكتب على ظهر
دفتر هذه الآيات :

أَيَا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهِ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاوِدُ؟
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال : ما أحسنَ قائله والله ، والله لوددت أنها لي
بجميع شيء قلته ، لمن هذه ؟ قيل : لأبي العتاهية . فأخذ فكتب في جانبها :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ضَعْفٍ مَهِينٍ
يَسُوقُهُ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ
يَخْلُقُ شَيْئاً فَثِيئاً فِي الْحُجُبِ دُونَ الْعِيُونِ
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةً فِي سَكُونِ

قال ابن كثير في (البداية والنهاية) : ومن شعره المستجاد قوله :

انْقَطَعَتْ شِدَّتِي فَعَفْتُ الْمَلاَهِي	إِذْ رَمَى الشَّيْبُ مَفْرَقِي بِالذَّوَاهِي
وَنَهَيْتَنِي النَّهْيَ فَمِلْتُ إِلَى الْعَذْلِ	وَأَشْفَقْتُ مِنْ مَقَالَةِ نَاهِي
أَيْهَا الْغَافِلُ الْمَقَرُّ عَلَى السَّهْوِ	وَلَا عُذْرَ فِي الْمَعَادِ لِسَاهِي
لَا بِأَعْمَالِنَا نُطِيقُ خِلَاصاً	يَوْمَ تَبْدُو السَّمَاءُ فَوْقَ الْمِيَاهِ
عَلَى أَنَا عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالتَّفْرِيطِ	نَرْجُو مِنْ حُسْنِ عَفْوِ الْإِلَهِ

وقوله :

نَمُوتُ وَنَبْلَى غَيْرَ أَنَّ ذُنُوبَنَا	إِذَا نَحْنُ مِتْنَا لَا تَمُوتُ وَلَا تَبْلَى
أَلَا رَبِّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا تَتَفَعَّاهُ	وَمَا تَنْفَعُ الْعَيْنَانِ مَنْ قَلْبُهُ أَعْمَى

وذكر أنه لما أراد الإحرام بالحج قال :

يَا مَالِكاً مَا أَعْدَلَك	مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ
لِيكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ	وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ
عَبْدُكَ قَدْ أَهْلَ لَكَ	أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكَ
لَوْلَاكَ يَا رَبِّ هَلَكْتُ	لِيكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ

ومما أملاه قوله :

إِذَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقْلُ	خَلَوْتُ، وَلَكِنْ فِي الْخَلَاءِ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً	وَلَا أَثَمًا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

وعن الشافعي قال : دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو
يجود بنفسه ، فقلنا : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فأنشأ يقول :

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ	بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
--	--

مع أبيات .

ومما نقل أنه كان قد نقش على خاتمه « لا إله إلا الله مخلصاً » ، فأوصى أن
يجعل في فمه إذا غُسلوه ، ففعلوا به ذلك . ورآه بعض أصحابه في المنام بعد موته

فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بأبيات قلتها في النرجس :

تفكّر في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنّع المليك
عيون من لجين شاخصات بأبصار هي الذهب السّيك
على قُصْب الرُّبْرُجِدِ شاهِدات بأنّ الله ليس له شريك

مات رحمه الله سنة خمس أو ست وتسعين ومئة .

● أبو يزيد البسطامي :

طَيِّفُور بن عيسى بن شَرْوَسَان البِسطامي .

سُلْطَانُ العارفين ، أَحَدُ الزّهَاد ، وله كلامٌ نافع ، منه : ما وَجَدْتُ شيئاً أشَدَّ
عَلَيَّ مِنَ الْعِلْمِ وَمَتَابَعَتِهِ ، ولولا اختلافُ العلماء لَبَقِيْتُ حائِراً .

ومن مناجاته الربَّ تبارك وتعالى :

- هذا فَرَحِي بِكَ وأنا أَخافُكَ ، فكيفَ فَرَحِي بِكَ إِذَا أَمِثُكَ ؟ ! .

- ليسَ الْعَجَبُ مِنْ حُبِّي لَكَ ، وأنا عَبْدٌ فَقِيرٌ ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْ حُبِّكَ لِي ،
وَأَنْتَ مَلِكٌ قَدِيرٌ .

- الْجَنَّةُ لَا خَطَرَ لَهَا عِنْدَ الْمُحِبِّ ، لِأَنَّهُ مَشْغُولٌ بِمَحَبَّتِهِ .

- مَا دَامَ الْعَبْدُ يَنْظُرُ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ ، فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ .

قيل له : عَلَّمْنَا الْاسْمَ الْأَعْظَمَ .

قال : ليسَ لَهُ حَدٌّ ، إِنَّمَا فَرَاغَ قَلْبُكَ لَوْحَدَانِيَّتِهِ ، فإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ ، فَارْفَعْ لَهُ
أَيَّ اسْمٍ شِئْتَ مِنْ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ .

توفي أبو يزيد رحمه الله تعالى عن ثلاث وسبعين سنة بِبِسطَامَ ، سنة إحدى
وستين ومئتين .

● أسيد الضبي :

بكى أسيد الضبي حتى عمي ، وكان إذا عُوتِبَ عَلَى الْبُكَاءِ ، قال : الْآنَ حِينَ
لَا أَهْدَأُ وَأَنَا أَمُوتُ غَدًا ! وَاللَّهِ لَا بُكْيَنَ ، ثُمَّ لَا بُكْيَنَ ، ثُمَّ لَا بُكْيَنَ ، فَإِنْ أَدْرَكَتُ بِالْبُكَاءِ
خَيْرًا فَبِمَنْ اللَّهِ وَفَضْلِهِ عَلَيَّ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى فَمَا بِكَائِي فِي جَنْبِ مَا أَلْقَى

غدا؟ قيل : فكان ربما بكى حتى يتأذى به جبرائه من كثرة بكائه .

● أُوَيْسُ الْقَرْنِيِّ:

هو القدوة الزاهد، سيّد التابعين في زمانه . أبو عمرو، أُوَيْسُ بْنُ عامر بن جَزء بن مالك القرني المُرادي اليماني . كان من أولياء الله المتقين ، ومن عباده المُخلصين .

عن أُسَير بن جابر، قال : لما أقبل أهل اليمن، جعل عمر رضي الله عنه يستقرئ الرفاق فيقول : هل فيكم أحد من قرن؟ فوقع زمامُ عُمر أو زمام أويس فناوله - أو ناول أحدهما الآخر - فعرّفه، فقال عُمر : ما اسمك؟ قال : أنا أويس، قال : هل لك والدّة؟ قال : نعم . قال : فهل كان بك من البياض شيء؟ قال : نعم، فدعوتُ الله فأذهبه عني إلا موضعَ الدّزهم من سُرّتي لأذكّر به ربي . قال له عمر : استغفر لي . قال : أنت أحقُّ أن تستغفر لي، أنت صاحبُ رسول الله، فقال عمر : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ، فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدّزْهَمِ فِي سُرَّتِهِ» فاستغفَرَ لَهُ، ثُمَّ دَخَلَ فِي غِمَارِ النَّاسِ، فَلَمْ تَذَرِ أَيْنَ وَقَعَ ! قال : فَقَدِمَ الْكُوفَةَ . قال : فَكُنَّا نَجْتَمِعُ فِي حَلَقَةٍ، فَتَذْكُرُ اللَّهَ، فَيَجْلِسُ مَعَنَا . فَكَانَ إِذَا ذَكَرَ هُوَ وَقَعَ فِي قُلُوبِنَا، لَا يَقَعُ حَدِيثٌ غَيْرُهُ .

ذكر ابن القيم في كتاب (الروح) أنَّ أبا يعقوب القاري قال : رأيتُ في منامي رجلاً آدم طوالاً، والناس يتبعونه، قلت : مَنْ هذا؟ قالوا : أويس القرني، فاتبعته فقلتُ : أوصني يرحمك الله، فكلح في وجهي (كلح : عبس) فقلتُ : مسترشِدٌ فأرشِدني رَحِمَكَ اللهُ، فأقبل عليّ فقال : ابتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه في ذلك، ثم ولى وتركني .

اختلِفَ في وقت وفاته، فعن عبد الله بن سالم قال : غزونا أذربيجان زمنَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني، فلما رجعنا مرضَ علينا، فحملناه فلم يستمك فمات .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : نادى مناد يوم صفين : أفي القوم أويس القرني؟ فوجد في قتلى علي . قال ابن الجوزي : هذا هو الصحيح .

● ابن أبي ليلى:

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

العلامة، الإمام، مفتي الكوفة وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري، الكوفي . ولد سنة نيف وسبعين . ومات أبوه وهو صبي .

كان فقيهاً ونظيراً للإمام أبي حنيفة في الفقه، صاحب سنة، صدوقاً، جازز الحديث، وكان قارئاً للقرآن، عالماً به . قرأ عليه حمزة الزيات فكان يقول: إنا نعلمنا جودة القراءة عند ابن أبي ليلى . وكان من أحسب الناس، ومن أنقذ الناس للمصحف، وأخطه بقلم . وكان جميلاً نبيلاً .

مات ابن أبي ليلى رحمه الله في سنة ثمان وأربعين ومئة في شهر رمضان .

● ابن أدهم:

ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر .

القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد . كان من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبزاة . وكان أن أثار ثعلباً أو أرنباً، فهتف به هاتف: ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ فتزل، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ عباة، وأعطاه فرسه، وما معه، ودخل البادية، وصحب الثوري، والفضيل بن عياض . ومن أقواله:

- من أراد التوبة، فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد .

- وفي الزهد قال: الزهد فرض، وهو الزهد في الحرام . وزهد سلامة، وهو الزهد في الشبهات . وزهد فضل، وهو الزهد في الحلال .

- ويروى أنه كان مع جماعة في البحر، فهاجت ريح، واضطربت السفينة، وبكوا، فقالوا: يا أبا إسحاق ما ترى؟ فقال: يا حيّ حين لا حيّ، ويا حيّ قبل كلّ حيّ، ويا حيّ بعد كلّ حيّ، يا حيّ، يا قيّوم، يا مُحسن، يا مُجمل قد أريت قدرتك، فأرنا عفوك . فهدأت السفينة من ساعته .

- ومن حكمه قال: كلّ ملك لا يكون عادلاً، فهو واللصّ سواء، وكلّ عالم لا يكون تقيّاً، فهو والذئب سواء، وكلّ من ذلّ لغير الله، فهو والكلب سواء .

وتوفي سنة اثنتين وستين ومئة، وقبره يُزار، وترجمته في (تاريخ دمشق) في ثلاث وثلاثين ورقة.

● ابن المُعْتَز:

الشيخ أبو الحسن، عبيدُ الله بنُ المُعْتَز بن منصور بن عبد الله بن حمزة، النيسابوري. راوي الأجزاء الأربعة من حديث علي بن حُجْر.

توفي سنة سبع وأربعين وأربعمئة، وهو أخو منصور شيخ إسماعيل بن المؤذن.

● ابنُ مَرْزُوق:

الإمام المحدث الرِّحَال، أبو الخير عبدُ الله بن مَرْزُوق الهروي، مولى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري. قيل: وُلِدَ سنة إحدى وأربعين وأربعمئة.

قرأ العلم، ورُزِقَ الفهم، وسمِعَ الكثير، وسافر وكتب وحصل، وكان موصوفاً بالحفظ والمعرفة وحسن السيرة.

مات في جُمادى سنة سبع وخمسمئة.

● الأسودُ بنُ يَزِيد بن قَيْس:

الإمام، القدوة، أبو عمرو النَّخَعِي الكوفي. وقيل: يكنى أبا عبد الرحمن، وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد، ووالدُ عبد الرحمن بن الأسود، وابنُ أخي علقمة بن قيس، وخالُ إبراهيم النخعي. فهؤلاء أهلُ بيتٍ من رؤوس العلم والعمل.

وكان الأسودُ مُخْضِراً، أدركَ الجاهلية والإسلام. حجَّ الأسودُ ثمانين، من بين حجة وعُمرة. كان يقول في تلبيته: لَيْتَكَ غَفَّارَ الذنوب.

وكان يَخْتِمُ القرآنَ في رمضان في كُلِّ ليلتين، وينامُ بين المغرب والعشاء، وكان يَخْتِمُ القرآنَ في غيرِ رمضان في كُلِّ ستِّ ليالٍ. . . وكان إذا حضرت الصلاة، أناخَ بعبْرته ولو على حجر. وكان صَوَّاماً قَوَّاماً حَجَّاجاً.

توفي رحمه الله سنة خمسٍ وسبعين.

● الجُنَيْد (ت ٢٩٨هـ):

ابنُ مُحَمَّد بن الجُنَيْد النَّهَاوَنْدِي ثمَّ البغدادِي القَوَارِيرِي، والدُّهُ الخَزَّاز.

هو شيخُ الصُّوفِيَّة، وُلِدَ سنة تيفٍ وعشرين ومئتين.

عن الجُنَيْد قال : ما أخرجَ اللهُ إلى الأرضِ علماً ، وجعلَ للخلْقِ إليه سبيلاً ،
إلا وقد جعلَ لي فيه حظاً .

وقيل : إنَّه في سُوقِهِ وِزْدُهُ كلَّ يومٍ ثلاثُمئةَ رَكعة ، وكذا وكذا ألفَ تسبيحة .
وعنه غيرَ مرَّةٍ يقول : عَلِمْنَا مضبوطٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ ؛ مَنْ لم يحفظِ
الكتابَ ، ويكتبِ الحديثَ ، ولم يتفقْهُ ، لا يُقْتَدَى به .

وعنه قال : أعلى الكِبَرِ أن تَرى نفسَكَ ، وأدناه أن تخطرَ ببالك . يعني :
نفسَكَ .

وقيل : كان نقشُ خاتمِ الجُنَيْد : 'إِنْ كُنْتَ تَأْمُلُهُ فَلَا تَأْمَنَّهُ' .

● الحسن البصري :

هو الحسن بن أبي الحسن يسار ، أبو سعيد ، مولى زَيْد بن ثابت
الأنصاري ، ويُقال : مولى أبي اليسر كعب بن عَمْرٍو السَّلَمي .

ويسار أبوه من سَبِي مَيْسَانَ ؛ سكنَ المدينةَ ، وأُعْتِقَ ، وتزوَّجَ بها في خلافةِ
عمر ، فولدَ له بها الحسنُ رحمةُ اللهِ عليه لستينَ بقيتاً من خلافةِ عمر ، واسمُ أمه
خيرة ؛ ثم نشأ الحسنُ بوادي القُرى ، وحضرَ الجمعةَ مع عثمان ، وسمعه يخطب .
وروي أن ثُدِي أم سلمة دَرَّ عليه ورضعها غيرَ مرَّةٍ .

كان رجلاً تامَّ الشَّكل ، مَلِيحَ الصورة ، بَهِيَّاً ، وكان مِنَ الشُّجعانِ
الموصوفين .

وقال قتادة : ما جمعتُ عِلْمَ الحَسَنِ إلى أحدٍ من العلماء إلا وجدتُ له فضلاً
عليه ، غيرَ أنه إذا أشكلَ عليه شيءٌ ، كتب فيه إلى سعيد بن المسيَّب يسألُ ، وما
جالستُ فقيهاً قطُّ إلا رأيتُ فضلَ الحسنِ .

وقال فيه ابنُ المسيَّب ، وعُروة ، والقاسم وغيرهم : ما رأيتُ مثلاً
الحسن ، ولو أدركَ الصحابةَ وله مثلُ أسنانهم ما تقدَّموه .

وقال الربيعُ بن أنس يصفُ علمه : اختلفتُ إلى الحسنِ عشرَ سنين أو ما شاء
الله ، فليس مِن يومٍ إلا أسمعُ منه ما لم أسمعَ قبل ذلك .

— وعن الحسن قال : يا بنَ آدم ، والله إن قرأتَ القرآنَ ثم آمنتَ به ، ليطولنَّ

في الدنيا حُزْنُكَ ، وليستديمَ في الدنيا خَوْفُكَ ، وليكثرَ في الدنيا بكاؤُكَ .
وقال أحد الصالحين يصفه : ما أريْتُ أحداً أطولَ حُزْناً من الحسن ، ما رأيتُه
إلا حَسِبْتُهُ حديثَ عهدٍ بمصيبة .

ومن حِكَمِهِ :

- بشى الرفيقان : الدينار والدرهم ، لا ينفعانك حتى يفارقاك .
- ابن آدم ، إنما أنت أيامٌ ، كلما ذهب يومٌ ، ذهب بعضُك .
- فضح الموت الدنيا ، فلم يترك فيها لذي لب فرحاً .
- ضحك المؤمن غفلةً من قلبه .
- ابن آدم ، السكينُ تُحدُّ ، والكبشُ يُغلفُ ، والتثورُ يُسجَرُ .
- ومن أقواله : المؤمنُ مَنْ عَلِمَ أَنَّ ما قال الله كما قال ؛ والمؤمنُ أحسنُ
الناسِ عَمَلًا ، وأشدُّ الناسِ وَجَلًا ، فلو أنفقَ جَبَلًا من مالٍ ما أَمِنَ أن يُعابنَ ، لا
يزدادُ صلاحاً وبراً إلا غزاداً فَرَقاً ، والمنافقُ يقولُ : سوادُ الناسِ كثيرٌ ، وسيُغفرُ لي
ولا بأسَ عليّ ، فيسيءُ العَمَلُ ، ويتمنّى على الله .

مات الحسن رحمة الله عليه في رجب سنة عشر ومئة .

وقال عبد الله بن الحسن : إن أباه عاشَ نحواً من ثمانٍ وثمانين سنة .

قال صاحب (السير) : مات في أوّل رجب ، وكانت جنازته مشهودةً ، صلّوا
عليه عقيبَ الجمعة بالبصرة ، فشيعهُ الخلقُ ، وازدحموا عليه ، حتى إنَّ صلاةَ
العصرِ لَمْ تُقَمْ في الجامع .

● الحكم الكوفي :

الحكم بن عتيبة . الإمام الكبير عالمُ أهل الكوفة ، أبو محمد الكندي ،
أبو عمرو وأبو عبد الله . من أقران إبراهيم النخعي ، ولدا في عام واحد ، سنة ست
وأربعين .

قال الأوزاعي : حججتُ فلقيتُ عبدة بن أبي لبابة ، فقال لي : هل لقيتَ

الحكم؟ قلتُ : لا ، قال : فالفقه ، فما بين لأبنتها أفقه منه .
كان إذا قَدِمَ المدينة ، فُرِّغَتْ له ساريةُ النبي ﷺ يُصَلِّي إليها .
توفي سنة خمس عشرة ومئة .

● الخفاجي :

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (لم نجد له فيما بين أيدينا ترجمة) .

● الربيع بن خُثَيْم بن عائذ :

الإمامُ القدوةُ العابد ، أبو يزيد الثوري الكوفي ، أحدُ الأعلام .
أدركَ زمانَ النبي ﷺ ، وأرسلَ عنه .

وعن ابنة للربيع ، قالت : كنتُ أقول : يا أبتاه ، ألا تنام ؟ فيقول : كيف ينام مَنْ يخافُ البَيَات .

كان الربيعُ بن خُثَيْم يُقَاد إلى الصلاة وبه الفالج ، ف قيل له : قد رُخِّصَ لك ،
قال : إني أسمعُ (حيَّ على الصلاة) ، فإن استطعْتُ أن تأتوها ولو حنبواً .

وقيل له : لو تداويتَ ، قال : ذكرتُ عاداً وثمرودَ وأصحاب الرسّ ، وقروناً
بين ذلك كثيراً ، كانت فيهم أوجاع ، وكانت لهم أطباء ، فما بقي المداوي ولا
المداوي إلا وقد فني .

قال له رجل : دُلّني على مَنْ هو خَيْرُ منك . قال : نعم مَنْ كَانَ مُنْطِقُهُ ذِكْراً ،
وصفته تفكراً ، ومسيره تدبُّراً ، فهو خَيْرُ مني .

توفي الربيعُ بن خُثَيْم رحمه الله قبل سنة خمس وستين .

● السبتي :

هو ولد هارون الرشيد ، يقال : اسمه أحمد ، وكان من زبيدة ، وقد خرج
يوماً يتصيد فوعظه صالح المري فتزهد وتعلم القرآن والعلم ، ولما ولي أبوه
الخلافة تركه ولم ينل من دنياه شيئاً ، وقد كان برّاً بآمه .

وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٠٩ - ٣١٧) في قصة مطولة ،
وابن قدامة في كتاب التواوين (ص ١٧٠ - ١٧٣) .

● الشُّبْلِيُّ:

أبو بكر، الشُّبْلِيُّ البَغْدَادِيُّ . قيل : اسمه دُلْف بن جَحْدَر .
أصله من الشُّبْلِيَّة ، ومولده بسامراء . وكان أبوه من كبار حُجَّابِ الْخِلافة ،
وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق ، ثم لما عُزل أبو أحمد من الولاية حَضَرَ
الشُّبْلِي مجلسَ بعض الصَّالِحِينَ ، فتاب ، ثُمَّ صَحِبَ الْجُنَيْدَ وَغَيْرَهُ ، وصار مِنْ
شأنه ما صار . وكان فقيهاً عارِفاً بمذهب مالك ، وكتبَ الحديثَ عن طائفة ، وقال
الشعرَ ، وله ألفاظٌ وحِكَمٌ وحالٌ وتمكُّنٌ ، لكنَّهُ كان يحصلُ له جفافٌ دِمَاجٍ وسُكْرٌ .
- قيل : إِنَّه مرَّة قال : آه ، فقيل له : من أي شيء ؟ قال : من كل شيء .
- وعنه قال : ما قُلْتُ الله ، إِلَّا واستغفرتُ الله من قولي الله .
- وسُئِلَ : ما علامة العارف ؟ قال : صدره مشروحٌ ، وقلبه مجروحٌ ، وجسمه
مَطْرُوحٌ .

توفي ببغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة ، عن نيف وثمانين سنة .

● الشريف الرضي:

الشريف أبو الحسن ، محمد بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى ،
الحُسَيْنِيُّ المُوسَوِيُّ البَغْدَادِيُّ الشاعر . صاحبُ (الديوان) .
قال صاحبُ (السير) : وديوانه يكونُ أربعَ مجلِّدات . وله كتاب (معاني
القرآن) مُتمِّعٌ يدلُّ على سعة علمه . مات في المحرم ، وقيل : في صفر سنة ست
وأربعمئة وله سبع وأربعون سنة وكان شيعياً .
في ترجمة أخيه (الشريف المرتضى) قال صاحب (السير) : هو جامعُ كتابِ
(نهج البلاغة) المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه ، ولا أسانيدَ لذلك ،
وبعضُها باطلٌ ، وفيه حقٌّ ، ولكن فيه موضوعاتٌ حاشا الإمامَ من النطقِ بها ،
ولكن أين المُنْصِف ؟ ! وقيل : جَمَعَ أخيه الشريف الرضي .

● الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ رضي الله عنه:

صاحبُ النَّبِيِّ ﷺ ، كان سيداً مُطاعاً من أشراف العرب ، ودَّوس بطنٌ من
الأزد ، وكان الطفيل يلقب ذا الثَّور ، أسلم قبل الهجرة بمكة ، وذكر ابن إسحاق
عن عثمان بن الحويرث ، عن صالح بن كيسان : أنَّ الطُّفَيْلَ بن عمرو قال : كنتُ
رجلاً شاعراً سيداً في قومي ، فقدمتُ مكة ، فمشيتُ إلى رجالٍ قريش ، فقالوا :

إِنَّكَ امرؤٌ شاعرٌ سيّد، وإنّا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل، فيصيبك ببعض حديثه، فإنّما حديثه كالسحر، فاحذره أن يُدخِلَ عليك وعلى قومك ما أدخل علينا، فإنّه فرّق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وابنه. . . فوالله ما زالوا يُحدّثوني شأنه، وينهوني أن أسمع منه حتى قلتُ: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساذٌ أذنيّ، قال: فعمدت إلى أذنيّ، فحشوتهما كُزُفًا، ثم غدوتُ إلى المسجد، فإذا برسولِ الله ﷺ قائماً في المسجد، فقمْتُ قريباً منه، وأبى الله إلا أن يُسمِعني بعضَ قوله، فقلتُ في نفسي: والله إنّ هذا للمعجز، وإنّي امرؤٌ ثبّت، ما تخفى عليّ الأمورُ حسنُها وقبيحُها، والله لا أسمعُ منه، فإن كان امرأً رشداً أخذتُ منه، وإلا اجتنبته، فنزعت الكُزُفَةَ، فلم أسمع قطّ كلاماً أحسن من كلام يتكلم به، فقلتُ: يا سبحان الله ما سمعتُ كالיום لفظاً أحسن ولا أجملَ منه، فلمّا انصرف تبعته، فدخلتُ معه بيته، فقلتُ: يا محمد إنّ قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأخبرته بما قالوا، وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنّه حق، فأعرض عليّ دينك، فعرّض عليّ الإسلامَ فأسلمتُ، ثم قلتُ: إنّي أرجعُ إلى دّوس، وأنا فيهم مُطاع، وأدعوهم إلى الإسلام لعلّ الله أن يهديهم، فادعُ الله أن يجعلَ لي آية، قال ﷺ: «اللهم اجعل له آيةً تعينه».

فخرجتُ حتى أشرفتُ على ثنيةٍ قومي، وأبى هناك شيخٌ كبير، وامراتي وولدي، فلمّا علوت الثنية، وضع الله بين عيني نوراً كالشهاب يترأّاه الحاضِرُ في ظلمة الليل، وأنا منهبطٌ من الثنية، فقلتُ: اللهم في غير وجهي، فإنّي أخشى أن يظنوا أنّها مُثَلَّةٌ لفراق دينهم، فتحول فوقَ في رأس سوطي، فلقد رأيتني أسيرُ على بعيري إليهم، وإنه على رأس سوطي كأنه قنديلٌ معلق، قال: فأتاني أبي فقلتُ: إليك عني، فليستُ منك ولستَ مِنّي، قال: وما ذاك؟ قلتُ: إنّي أسلمتُ وأتبعْتُ دين محمد، فقال: أيّ بني ديني ودينك، وكذلك أمي، فأسلما، ثم دعوتُ دّوساً إلى الإسلام، فأبى عليّ، وتعاصتُ، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: غلبَ على دّوس الزنى والزنا فادعُ عليهم، فقال ﷺ: «اللهم اهْدِ دّوساً».

ثم رجعتُ إليهم، وهاجر رسولُ الله ﷺ، فأقمْتُ بين ظهرائهم أدعوهم إلى الإسلام، حتى استجابَ منهم من استجاب، وسبقني بدرٌ وأحد والخندق، ثم قدمتُ بشمانين أو تسعينَ أهل بيتٍ من دّوس، فكنْتُ مع النبي ﷺ، حتى فتح مكة

فقلتُ : يا رسولَ الله ابعثني إلى ذي الكَفَّين ، صَهِمَ عمرو بنُ حُمَمة ، حتى أحرَقه .
قال : «أجل ، فاخرجُ إليه» فأتيتُ ، فجعلتُ أوقدُ عليه النَّارَ ، ثم قدمتُ على
رسولِ الله ﷺ ، فأقمتُ معه حتى قبضَ .

ثم خرجتُ إلى بعثِ مسيلمة ومعِي ابني عمرو ، حتى إذا كنتُ ببعضِ
الطريقِ رأيتُ رؤيا ، رأيتُ كأنَّ رأسي حُلِقَ ، وخرَجَ من فمي طائرٌ ، وكانَ امرأة
أدخلتني في فرجها ، وكانَ ابني يطلُبني طلباً حثيثاً ، فحِيلَ بيني وبينه ، فحدثتُ بها
قومي ، فقالوا : خيراً ، فقلتُ : أمّا أنا فقد أَوَلْتُها : أمّا حلقُ رأسي فَقَطَعُهُ ، وأمّا
الطائرُ فروحي ، والمرأةُ الأرضُ أدفنُ فيها ، فقد رُوِّعْتُ أن أقتلَ شهيداً ، وأمّا
طلبُ ابني إياي ، فما أراه إلا سَيُعَذَّرُ في طلبِ الشهادة ، ولا أراه يلحقُ في سفره
هذا . قال : فَقُتِلَ الطَّفِيلُ يَوْمَ اليمامة ، ثم جُرِحَ ابنُه ، ثم قُتِلَ يومَ اليرموك .

● العاصمي :

الشيخُ ، العالمُ ، الصادقُ ، الأديبُ ، مُسَيِّدُ بَغداد في وقته ، أبو الحسين ،
عاصمُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ عليّ بنِ عاصمِ بنِ مهرانِ العاصميّ ، البَغدادي ،
الكَرخي ، الشاعر .

ولد سنة سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةً . كَانَ شَيْخاً مُتَقِناً ، أَدِيباً ، فَاضِلاً ، كَانَ
حُفَاطَ بَغدادَ يَكْتُبُونَ عَنْهُ ، وَيَشْهَدُونَ بِصَحَّةِ سَمَاعِهِ .

عن أبي عليّ بنِ سُكْرَةَ : كَانَ عَاصِمٌ ثَقَّةً فَاضِلاً ، ذَا شِعْرٍ كَثِيرٍ ، وَكَانَ
يَكْرُمُنِي ، وَكَانَ لِي مِنْهُ مِيعَادُ يَوْمِ الْخَمِيسِ ، لَوْ أَنَّهُ فِيهِ الْخَلِيفَةُ لَمْ يُمْكِنْهُ .
مَاتَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةَ بَغدادَ ، وَلَهُ بَيْتٌ
وِثْمَانُونَ سَنَةً .

● العَوْفي :

العلامةُ أبو عبد الله الحسينُ بنُ الحسنِ بنِ المُحَدِّثِ عَطِيَّةِ العَوْفي الكوفي
الفقيه ، قاضي الشَّرْقِيَّةِ بِبَغدادَ ، ثُمَّ قاضي عَسْكَرِ المَهدي .

قال ابنُ مَعِينٍ : كَانَ ضَعِيفاً فِي الْقَضَاءِ ، ضَعِيفاً فِي الْحَدِيثِ .
قال الحافظُ الذهبي : لَهُ حِكَايَاتٌ فِي الْقَضَاءِ ، وَفِيهِ دُعَابَةٌ ، وَكَانَ مُسِنَّاً
كَبِيراً .

توفي سنة إحدى ومئتين .

● الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر:

الإمام القدوة الثَّابِتُ، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليزبوعي الخراساني،
انمجاور بحرم الله، وَلِدَ بِسَمَرْقَنْدَ، ونشأ بآبيوزد، وارتحل في طلب العلم.

كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيوزد وسرخس، وكان
سببُ توبته أنه عشقَ جاريةً، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو:
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٦]، فلما سَمِعَهَا، قال: بلى
يارب، قد آن، فرجع، فأواه الليلُ إلى خربة، فإذا فيها سابلةٌ، فقال بعضهم:
نرحل، وقال بعضهم: أولى بنا أن ننتظر حتى الصباح، فإنَّ فضيلاً على الطريق
يقطع علينا. قال: ففكرتُ، وقلتُ: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من
المسلمين هاهنا، يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني
قد تبتُ إليك، وجعلتُ توبتي مجاورةً البيت الحرام.

قال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيتُ أحداً كان الله في صدره أعظمَ من الفضيل،
كان إذا ذكرَ الله، أو ذكِرَ عنده، أو سَمِعَ القرآن، ظهرَ به الخوف والحزن، وفاضتْ
عيناه، وبكى حتى يرحمه مَنْ يحضره، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيتُ
رجلاً يريدُ الله بعلمه وعمله، وأخذَه وعطائه، ومنعه وبذله، وبُغضه وحبّه،
وخصاله كلها، غيره. كنّا إذا خرجنا معه في جنازةٍ لا يزالُ يَعْظُ، ويذكرُ ويبكي
كأنه مودّع أصحابه، ذاهبٌ إلى الآخرة، حتى يبلغَ المقابر؛ فيجلس مكانه بين
الموتى من الحزن والبكاء، حتى يقومَ وكأنه رجع من الآخرة يخبرُ عنها.

● أبو الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ):

هو أحمد بن الحسين الجُعْفِي الكوفي الكندي، الشاعر العملاق، له
الأمثال السائرة، والحكم البارزة، والمعاني المبتكرة، ولد بالكوفة في محلة
تسمى (كندة)، وإليها نسبته، ونشأ بالشام، تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم
العربية وأيام الناس، قال الشعر صبيّاً، تنبأ في بادية السماوة [بين الكوفة والشام]
فسجن حتى تاب ورجع عن دعواه، ووفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب
حلب، ثم فارقه ومضى إلى مصر فمدح كافوراً الإخشيدي، وطلب منه أن
يوليّه، فلم يولّه كافور، فغضب عليه وهجاه، تنقل في بلادٍ كثيرة، وفي طريق
عودته إلى بغداد من شيراز، عرض له فائق الأسدي في جماعته، وجرى اقتال

قتل فيه المتنبي، وفاتك هذا هو خال ضبة بن يزيد الأسدي، الذي هجاه المتنبي بقصيدته البائية المعروفة.

● مهيار:

مهيار بن مَرْزَوْنَه، الأديب الباهر، ذو البلاغتين، أبو الحسن الدَّيْلَمِي، الفارسي.

قال فيه ابنُ بَرْهَان: انتقلتُ بِإِسْلَامِكَ فِي النَّارِ مِنْ زَاوِيَةٍ إِلَى زَاوِيَةٍ، كُنْتُ مَجُوسِيًّا، فَصِرْتُ تَسُبُّ الصَّحَابَةَ فِي شَعْرِكَ. لَهُ دِيْوَانٌ، وَنَظْمُهُ جَزَلٌ حُلُوٌّ، يَكُونُ دِيْوَانُهُ مِثْلَ مِثَّةِ كُرَّاسٍ.

توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمئة.

● بشر الحافي:

بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي. ولد سنة اثنتين وخمسين ومئة، وارتحل في العلم، كان يذم نفسه، فقد كان رأساً في الورع والإخلاص، ثم إنه دفن كته. وقل ما روى من المسندات. روي عن بشر أنه قيل له: ألا تحدث؟ قال: أنا أستهي أن أحدث، وإذا اشتيت شيئاً، تركته. وأنه سُمع يقول: حدثنا حماد بن زيد. ثم قال: أستغفر الله، إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء. ومن أقواله:

- شاطرٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من صوفيٍّ بخيل.

- أمس قد مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد. إذا أعجبك الكلام، فاضمت، وإذا أعجبك الصمت، فتكلم.

- قد يكون الرجلُ مُرائياً بعد موته، يُحبُّ أن يكثر الخلق في جنازته.

- لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات سداً.

- وعن حمزة بن دهقان، قال: قلت لبشر بن الحارث: أحبُّ أن أخلو معك. قال: إذا شئت فيكون يوماً. فرأيتُه قد دخل قُبَّةً، فصلَّى فيها أربع ركعات لا أحسنُ أصلي مثلاً، فسمعتُه يقولُ في سجوده: اللهم إني أعلم فوق عرشك أن الدُّلَّ أحبُّ إليَّ من الشَّرَف، اللهم إني أعلم فوق عرشك أن الفقر أحبُّ إليَّ من

الغنى، اللهم إني أعلم فوق عرشك أني لا أوثِرُ على حبك شيئاً. فلما سمعته، أخذني الشهيق والبكاء، فقال: اللهم إني أعلم أن هذا هاهنا، لم أتكلم.

- قيل: جاء رجلٌ إلى بشر فقبله وجعل يقول: يا سيدي أبا نصر. فلما ذهب، قال بشرٌ لأصحابه: رجلٌ أحبُّ رجلاً على خيرٍ توهمه، لعلَّ المُحبَّ قد نجا، والمحبوب لا يدري ما حاله.

مات بشرٌ الحافي رحمة الله عليه يومَ الجمعة في شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومئتين، قبل المعتصم الخليفة ستة أيام، وعاش خمساً وسبعين سنة.

● بلال بن رباح رضي الله عنه:

مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأمه حَمَامَة، وهو مؤدّن رسول الله ﷺ. من السابقين الأولين الذين عُذّبوا في الله، شهد بدرًا، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة، وحديثه في الكتب. يقال: إنه حبشي، وقيل: من مولدي الحجاز.

أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعقار، وأمه سُمَيَّة، وبلال، وصهيب، والمقداد رضوان الله عليهم جميعاً. فأما النبي ﷺ وأبو بكر فمَنَعَهُما الله بقومهما، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فلبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحدٌ إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال رضي الله عنه، فإنه هانث عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الصبح: «حدّثني بأرجى عملٍ عملته في الإسلام، فإنّي قد سمعتُ الليلة خشقةً نعليك بين يدي في الجنة» قال: ما عملتُ عملاً أرجى من أني لم أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليلٍ ولا نهارٍ إلا صلّيتُ لربّي ما كُتِبَ لي أن أصلي.

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهباً، فقالوا: لو أبيتُ إلا أوقيةً لبعناكه، قال: لو أبيتُ إلا مئة أوقية لأخذته.

وعن سعيد بن المسيّب: أن أبا بكر لما قعدَ على المنبر يومَ الجمعة، قال له

بلال: أعتقتني الله أو لنفسك؟ قال: لله، قال: فاذن لي في الغزو. فأذن له. فذهب إلى الشام. ثم إن بلالاً رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما أن لك أن تزورني. فانتبه حزينا، وركب راحلته، وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ، فجعل يبكي عنده، ويُمِرُّغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين، فجعل يَضُمُّهُمَا وَيَقْبَلُهُمَا، فقالا له: يا بلال نشتهي أن نسمع أذناك. ففعل، وعلا السطح، ووقف، فلما أن قال: الله أكبر، الله أكبر، ارتجت المدينة، فلما أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ازدادت رجَّتُها، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، خرجت العواتق من خُدورهنَّ، وقالوا: بُعث رسول الله، فما رُئي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

لما احتضر بلال قال: «غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه»، وقالت امرأته: «واويلاه» فقال: «وافرحاه». توفي سنة عشرين بدمشق. وقيل: سنة إحدى وعشرين. قال الواقدي: دُفِنَ بباب الصغير وهو ابنُ بضع وستين سنة. وقيل: مات بحلب، ودُفِنَ بباب الأربعين.

● جعفر الصادق:

جعفر بن محمد بن علي ابن الشهيد أبي عبد الله ربحانة النبي ﷺ وسبطه ومحبيه الحسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن شيبه، الإمام الصادق، شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلوي، النبوي، المدني، أحد الأعلام. وأُمُّه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأُمُّها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر مرتين.

ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة. قال زهير بن معاوية: قال أبي لجعفر بن محمد: إنَّ لي جاراً يزعمُ أنك تبرا من أبي بكر وعمر. فقال جعفر: برئ الله من جارك. والله إنِّي لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر. وقال: ما أرجو من شفاعتي علي شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعته أبي بكر مثله. وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلتا من ثمار الجنة.

أتى قوماً أرادوا أن يرتحلوا من المدينة، فقال: «إنكم إن شاء الله من صالحين

أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أنني إمامٌ معصومٌ مفترض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أنني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء».

قال صاحب (السير): إن قول جعفر: «برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر» هو «متواتر عن جعفر الصادق، وأشهد بالله إنه لبارئ في قوله غير منافق لأحد، فقبَّح الله الرافضة».

- ومما نقل عنه من الحكم: أنه سئل: لِمَ حرَّمَ الله الربا؟.

قال: لئلا يمتنع الناس المعروف.

- الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتُم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتهموهم.

- الصلاة قربانٌ كُلُّ تَقِيٍّ، والحجَّ جهادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ، وزكاةُ البدنِ الصيامُ، والدَّاعِي بلا عَمَلٍ كالرَّامِي بلا وَتَرٍ، واستزِلُّوا الرِّزْقَ بالصدقة، وحصِّنُوا أموالكم بالزكاة، وما عالَ من اقتصد، والتقديرُ نصفُ العيشِ، وقلةُ العيالِ أحدُ اليسارين، ومن أخزن والديه فقد عَقَّهما، ومن ضرب بيده على فخذِه عند مُصِيبَةٍ فقد خَيَّبَ أجره، والصَّنِيعَةُ لا تكون صَنِيعَةً إلا في حَسْبٍ أو دينٍ، والله ينزل الصبرَ على قدرِ المصيبة، وينزل الرِّزْقَ على قدرِ المؤونة، ومن قَدَّرَ معيشتَه، رزقه الله، ومن بذر معيشتَه، حرمه الله.

- ومن حِكْمِهِ: لا زادَ أَفْضَلُ من التقوى، ولا شيءٌ أَحْسَنُ من الصمت، ولا عَدُوٌّ أَضَرُّ من الجهل، ولا داءٌ أَدْوَأ من الكَذِب.

- لا يَمِّمُ المعروفُ إلا بثلاثة: بتعجيله، وتضغيره، وسُتْرِهِ.

- إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب، وتورث الثِّقَاق.

- سأله سفيان الثوري: لِمَ جُعِلَ الموقف من وراء الحرم؟ ولم يُصَيَّر في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبةُ بيتُ الله، والحرمُ حِجَابُهُ، والموقفُ بابُهُ. فلَمَّا قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرعون، فلَمَّا أُذِنَ لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلَمَّا نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهدهم رحمهم، فلَمَّا رحمهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلَمَّا قربوا قربانهم، وقضوا

تفثهم ، وتطهروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم ، أمرهم بزيارة بيته على طهارة .

قال : فلم كره الصوم أيام التشريق ؟ قال : لأنهم في ضيافة الله ، ولا يحب الضيف أن يصوم عند من أضافه .

قلت : جعلت فداك فما بال الناس يتعلقون بأستار الكعبة وهي خرق لا تنفع شيئاً؟ قال : ذاك مثل رجل بينه وبين رجل جُرم ، فهو يتعلق به ، ويطوف حوله رجاء أن يهب له ذلك الجُرم .

- رآه رجل يوصي ابنه : يا بني من قنع بما قسم له استغنى ، ومن مدَّ عَيْنَه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قُسم له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، ومن كشف حجاب غيره انكشفت عورته ، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به ، ومن اختفَر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه ، ومن داخل السفهاء حُقر ، ومن خالط العلماء وُقِر ، ومن دخل مداخل الشؤء أثيم .

يا بُني إِيَّاكَ أَنْ تُزَيِّرَ بِالرَّجَالِ فَيُزَيِّرَ بِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالِدُخُولَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ فَتَذِلَّ لَذَلِكَ .

يا بني قل الحق لك وعليك تُستشر من بين أقربانك ، كن للقرآن نالياً ، وللإسلام فاشياً ، وللمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولِمَنْ قَطَعَكَ واصلًا ، ولِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مبتدئًا ، ولِمَنْ سَأَلَكَ مُعطيًا .

وإِيَّاكَ وَالتَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّحْنَاءَ فِي الْقُلُوبِ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لَعُيُوبِ النَّاسِ ، فَمَنْزِلَةُ الْمُتَعَرِّضِ لَعُيُوبِ النَّاسِ كَمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ .

إذا طلبت الجود ، فعليك بمعادنه ، فإنَّ للجود معادن ، وللمعادن أصولاً ، وللأصول فروعاً ، وللفروع ثمرات ، ولا يطيب الثمر إلا بفَرْعٍ ، ولا فَرْعٌ إلا بأصلٍ ، ولا أصلٌ إلا بمَعْدِنٍ طَيِّبٍ . زُرِ الْأَخْيَارَ وَلَا تَزُرِ الْفُجَّارَ ، فَإِنَّهُمْ صَخْرَةٌ لَا يَتَفَجَّرُ مَآوِهَا ، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضِرُ وَرْقُهَا ، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا .

توفي جعفر الصادق سنة ثمان وأربعين ومئة ، عن ثمانٍ وستين سنة رحمه الله .

● جعفر الطيار رضي الله عنه:

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، السَّيِّدُ الشَّهِيدُ، الْكَبِيرُ الشَّانُ، عِلْمُ الْمُجَاهِدِينَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ أَسْنُ مِنْ عَلِيٍّ بِعَشْرٍ سَنِينَ، هَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَهَاجَرَ مِنَ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَافَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ عَلَى خَيْرٍ إِثْرٍ أَخَذَهَا، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ أَشْهُرًا، ثُمَّ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَيْشٍ غَزَوْهُ مَوْتَهُ بِنَاحِيَةِ الْكَرَّكَ، فَاسْتَشْهَدَ. وَقَدْ سَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا بِقُدُومِهِ، وَحَزَنَ وَاللَّهُ لَوَفَاتِهِ.

قال ابن إسحاق: وهو أول من عَقَرَ في الإسلام وقال:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ واقترباها طَيِّبَةٌ وبارد شرابها
والرُّومُ رومٌ قد دنا عذابها كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أنسابها
عليَّ إذ لا قِيَّتَها ضِرَابُها

عن ابن عباس: بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ قَرْيَةً إِذْ قَالَ: «يَا أَسْمَاءُ هَذَا جَعْفَرٌ مَعَ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ مَرًّا، فَأَخْبِرْنِي أَنَّهُ لَقِيَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَسَلَّمَ، فَرُدِّي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَقِيَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَصَابَهُ فِي مَقَادِيمِهِ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ، فَأَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى فَقَطَّعَتْ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِالْيَسْرَى فَقَطَّعَتْ. قَالَ: فَعَوَّضَنِي اللَّهُ مِنْ يَدَيَّ جَنَاحَيْنِ أَطِيرُ بِهِمَا مَعَ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فِي الْجَنَّةِ أَكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا».

عن ابن المسيب، قال رسول الله ﷺ: «مُثِّلَ لِي جَعْفَرُ وَزَيْدٌ وَابْنُ رَوَاحَةَ فِي خِيْمَةٍ مِنْ دَرٍّ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى سَرِيرٍ، فَرَأَيْتُ زَيْدًا وَابْنَ رَوَاحَةَ فِي أَعْنَاقِهِمَا صُدُودًا، وَرَأَيْتُ جَعْفَرَ مُسْتَقِيمًا لَيْسَ فِيهِ صُدُودٌ»، وَقَالَ: «فَسَأَلْتُ - أَوْ قِيلَ لِي: - إِنَّهُمَا حِينَ غَشِيَهُمَا الْمَوْتُ أَعْرَضَا، أَوْ كَانَهُمَا صَدَا بَوَجُوهِهِمَا، وَأَمَّا جَعْفَرُ فَإِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ».

قال الزبير بن بكار: كانت سن جعفر بن أبي طالب يوم قتل إحدى وأربعين

سنة.

● حبيب العجمي:

زاهد أهل البصرة وعابدهم، أبو محمد.

كان مجاب الدعوة، تؤثر عنه كرامات وأحوال، وكان له دُنْيَا، فوَقَعَتْ

موعظة الحسن في قلبه ، فتصدق بأربعين ألفاً ، وقنع باليسير . وعبد الله حتى أتاه اليقين . كان حبيب يرى بالبصرة يوم التروية ويرى بعرفة من الغد . ورد ذكره في (تاريخ الإسلام) للذهبي .

● حجاج بن قرافصة :

الباهلي ، البصري العابد . نقل عنه في بعض الكتب : مَنْ عمل بغير مشورة فذلك باطل يتعنى ، ومن لم ينتصر من ظالمه بيد ولا بلسان ولا حقد فذلك علمه باليقين ، ومن استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان .

كان يجلس عند أصحاب الأكفان في الشوق ، فإذا جاء إنسان يشتري كفاً يسأله : أين منزله ؟ وأين حبه ؟ فيأتي الجبان . ورؤي واقفاً بالشوق عند أصحاب الفاكة ، فسئل : ما تصنع هاهنا ؟ قال : أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة .

● خبيب بن يساف :

ابن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر الأنصاري الخزرجي .

عن خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف ، عن أبيه ، عن جدّه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزواً ، أنا ورجل من قومي لم نسلم ، فقلنا : إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده ، قال : «أسلمتما؟» قلنا : لا ، قال : «فلا نستعين بالمُشركين على المُشركين» قال : فأسلمنا ، وشهدنا معه . فقتلت رجلاً ، وضربني ضربة ، وتزوجت ابنته بعد ذلك ، فكانت تقول لي : لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح ، فأقول لها : لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار .

قال الواقدي : هو خبيب بن يساف ، تأخر إسلامه حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، فلحقه ، فأسلم ، وشهد بدرأ ، وأُخذاً ، قال : وتوفي في خلافة عثمان ، وقد انقرض ولده .

● خبيب بن عدي رضي الله عنه :

ابن عامر بن مجدعة الأنصاري الشهيد . ذكره ابن سعد فقال : شهد أُحداً ، وكان فيمن بعثه النبي ﷺ مع بني لحيان ، فلما صاروا بالرجيع غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم ، وقتلوا فيهم ، وأسروا خبيبا ، وزيد بن الدثنة ، فباعوهما بمكة ، فقتلوهما بمن قتل النبي ﷺ من قومهم ، وصلبوهما بالتنعيم .

قال مَوْهَب : قال لي حُبَيْب ، وكانوا جعلوه عندي : أَطْلُبُ إِلَيْكَ ثَلَاثًا : أَنْ تَسْقِيَنِي الْعَذْبَ ، وَأَنْ تَجْنِبَنِي مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ ، وَأَنْ تَوْذِنَنِي إِذَا أَرَادُوا قَتْلِي . قال ابن إسحاق : فلما خرجوا به ليقتلوه ، وقد نصبوا خشبته ليصلبوه ، فانتهى إلى التنعيم ، فقال : إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَدْعُونِي أَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ . فقالوا : دُونَكَ . فصلَّى . ثم قال : وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّمَا طَوَّلْتُ جَزْعًا مِنَ الْقَتْلِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ الْقَتْلِ . ثم رفعوه على خشبته ، فقال : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رَسُولَكَ ، فَبَلِّغْهُ الْغَدَاةَ مَا أَتَى إِلَيْنَا .

● دَاوُدُ بْنُ أَبِي هَنْدٍ :

واسم أبي هند : دينار بن عُدَافِر ، الإمام الحافظ ، الثقة ، أبو محمد الخراساني ثم البصري ، من موالى قُشَيْرٍ فِيمَا قِيلَ . وكان مُفْتًى أَهْلِ الْبَصْرَةِ . صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله . كان خَزَايَا يَحْمِلُ مَعَهُ غَدَاةً فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فِي الطَّرِيقِ . وسمع يروي : يقول : أَصَابَنِي الطَّاعُونَ فَأَغْمِي عَلَيَّ ، فَكَأَنَّ أَتْيِينَ أَتْيَانِي فَغَمَزَ أَحَدُهُمَا عَلْوَةَ لِسَانِي ، وَغَمَزَ الْآخَرُ أَحْمَصَ قَدَمِي ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ تَجِدُ؟ قَالَ : أَجِدُ تَسْيِيحًا وَتَكْبِيرًا ، وَشَيْئًا مِنْ خَطْوٍ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَشَيْئًا مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ . قال : وَلَمْ أَكُنْ أَخْذُ الْقُرْآنَ حِينَئِذٍ . قال : فَكَنتُ أَذْهَبُ فِي الْحَاجَةِ فَأَقُولُ : لَوْ ذَكَرْتَ اللَّهَ حَتَّى آتِيَ حَاجَتِي ، قَالَ : فَعُوفِيَتْ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى الْقُرْآنِ فَتَعَلَّمَتْهُ .

مات داود بن أبي هند سنة تسع وثلاثين ومئة . وقيل : أربعين ومئة .

● ذُو الْبِجَادَيْنِ = عَبْدُ اللَّهِ الْمَزْنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

● رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ :

أم عمرو ، رابعة بنتُ إسماعيل ، ولاؤها للعتكيين . البصرية ، الزاهدة ، العابدة ، الخاشعة .

عن عبدة بنت أبي شَوَّال ، وكانت تَخْدُمُ رَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ ، قالت : كانت رابعة تُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ ، هَجَعَتْ هَجْعَةً حَتَّى يُسْفِرَ الْفَجْرُ ، فَكَنتُ أَسْمَعُهَا تَقُولُ : يَا نَفْسُ كَمْ تَنَامِينَ ، وَإِلَى كَمْ تَقُومِينَ ، يُوشِكُ أَنْ تَنَامِيَ نَوْمَةً لَا تَقُومِينَ مِنْهَا إِلَّا لِيَوْمِ الشُّورِ .

وعن حمّاد، قال: دخلتُ أنا وسلام بن أبي مُطيع على رابعة، فأخذَ سلامٌ في ذكر الدنيا، فقالت: إنّما يُذكرُ شيءٌ هو شيءٌ، أما شيءٌ ليس بشيءٍ فلا.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة، فقد حمَلَتِ الناسَ عنها حكمةَ كثيرة، وحكى عنها سُفيانُ وشُعبةٌ وغيرُهما ما يَدُلُّ على بُطلانِ ما قيلَ عنها، أي بالنسبة لما فيها، وقد تمثّلت بهذا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي وَأَبْحَثَ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي
فَنَسَبَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى الْحُلُولِ بِنَصْفِ الْبَيْتِ، وَإِلَى الْإِبَاحَةِ بِتَمَامِهِ.

قال صاحب (السير): فهذا غُلُوٌّ وجهلٌ، ولعلَّ نَسَبَهَا إِلَى ذَلِكَ مُبَاحِيٌّ حلولي لِيَحْتَجَّ بِهَا عَلَى كُفْرِهِ كاحتجاجهم بخبر: «كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ». قيل: عاشت ثمانين سنة. توفيت سنة ثمانين ومئة.

● رباح القيسي:

هو رباح بن عمرو القيسي، العابد أبو المهاجر، بصري زاهد، مثأله، كبير القدر، سمع مالك بن دينار، وحسان بن أبي سنان، وطائفة، وهو قليل الحديث، كثير الخشية والمراقبة، نقل عنه أنه قال: لي نيف وأربعون ذنباً، وقد استغفرتُ لكلِّ ذنبٍ مئة ألف مرة.

وقال أبو معمر المَقْعَدُ: نظرت رابعةً إلى رباح يضم صبيّاً من أهله ويقبّله، فقالت: أتحبّه؟ قال: نعم، قالت: ما كنت أحسبُ أنّ في قلبِكَ موضعاً فارغاً لمحبة غيره، تبارك اسمه! فغشي عليه، ثم أفاق، وقال: رحمة منه تعالى ألقاها في قلوب العباد للأطفال.

● زجلة العابدة:

دخل عليها نفرٌ من القراء، فكلّموها في الرفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفق به؟ فإنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوتاه لأصلينّ ما أقلتني جوارحي، ولأصومنّ له أيام حياتي، ولأبكينّ له ما حملت الماء عياني. ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصّر فيه؟!.

هذا، وقال كليب بن عيسى: كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرباطين (أي: المجاهدين على الثغور في سبيل الله تعالى).

وقد سمع كليب سعيد بن عبد العزيز يقول : ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة ، وتعظيمها لله تعالى وخشيته منه دفعته إلى أن تقول : علمي بنفسي قرح فؤادي ، وكَلَمَ قلبي ، والله لو ددتُ أن الله لم يخلقني ، ولم أكن شيئاً مذكوراً .

● سحبان وائل :

الذي يُضْرَبُ به المثل في البلاغة ، ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال : بلغني أنه وَفَدَ على معاوية ، قال الذهبي : إن ثبت هذا فهو من أهل هذا القسم ، فإن المعروف أنه جاهلي . وقال أبو نعيم في كتاب (طبقات الخطباء) : كان سحبان خطيب العرب غير مدافع ، وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ولم يتلعثم ، ولم يتوقف ، ولم يتفكر ، بل كان يسيل سيلاً .

● سري السقطي :

السري بن المغلس ، أبو الحسن السقطي البغدادي ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو الحسن البغدادي ، ولد في حدود الستين ومئة ، حَدَّثَ عن الفضيل وهُشَيْم بن بشير وأبي بكر بن عتاش ، وغيرهم بأحاديث قليلة ، واشتغل بالعبادة ، وصحب معروف الكرخي ، وهو أجل أصحابه ، وروى عنه الجُنَيْد بن محمد ، وغيره .

وروى ابن شاکر عنه قال : صَلَّيْتُ وردي ليلة ، ومددتُ رجلي في المحراب ، فنوديت : يا سَرِيٌّ ! كذا تجالس الملوك ! فضممتها ، وقلتُ : وعزَّتْكَ لا مددُتها .
وقال أبو بكر الحربي : سمعت السري يقول : حمدتُ الله مرة ، فأن أستغفر من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة ! .

قيل : وكيف ذلك ؟ .

قال : كان لي دكان فيه متاع ، فاحترق السوق ، فلقيني رجل ، فقال : أبشر ، دكانك سَلِمَتْ ، فقلتُ : الحمد لله ، ثم فكَّرت ، فرأيتها خطيئة .
ويقال : إنَّ السري رأى جارية سقطت من يدها إناء ، فانكسر ، فأخذ من دكانه إناء ، فأعطاه ، فرآه معروف الكرخي ، فدعاه ، قال : بغض الله إليك الدنيا ، فهذا الذي أنا فيه من بركات معروف .

وقال الجنيد : سمعت سرياً يقول : أشتهي منذ ثلاثين سنة جزرة أغمسها في دبس وأكلها ، فما يصحُّ لي . وسمعتة يقول : أحبُّ أن أكل أكلة ليس لله عليَّ فيه

تَبِعَهُ ، وَلَا لِمَخْلُوقٍ فِيهَا مَنَّةٌ ، فَمَا أَجَدُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .

وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَقُلْتُ : أَوْصِنِي ، قَالَ : لَا تَصْحَبِ الْأَشْرَارَ ، وَلَا تَشْتَغَلَنَّ عَنِ اللَّهِ بِمَجَالِسِ الْأَخْيَارِ .

وَقَالَ الْفَرَخَانِيُّ : سَمِعْتُ الْجُنَيْدَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَعْبَدَ اللَّهَ مِنَ السَّرِيِّ ، أَتَتْ عَلَيْهِ ثَمَانٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً مَا رَأَيْتُ مُضْطَجِعًا إِلَّا فِي عِلَّةِ الْمَوْتِ .

وَيَقُولُ السَّرِيُّ : إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى أَنْفِي كُلَّ يَوْمٍ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ وَجْهِي قَدْ اسْوَدَّ ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَمُوتَ حَيْثُ أَعْرِفُ ، أَخَافُ أَنْ لَا تَقْبَلَنِي الْأَرْضُ ، فَأَفْتَضَحَ .

وَكَانَ السَّرِيُّ كَمَا ذَكَرَ السَّلْمِيُّ : أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ بَغْدَادَ لِسَانَ التَّوْحِيدِ ، تَكَلَّمَ فِي عُلُومِ الْحَقَائِقِ ، وَهُوَ إِمَامُ الْبَغْدَادِيِّينَ فِي الْإِشَارَاتِ ، تَوَفَّى فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِثْنِينَ .

● سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ :

بَنُ حَزْنٍ بَنُ أَبِي وَهَبٍ بَنُ عَمْرٍو بَنُ عَائِدٍ بَنُ عِمْرَانَ بَنُ مَخْزُومٍ بَنُ يَقْظَةَ .
الْإِمَامُ الْعَلَمُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ .

عَالِمٌ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَسَيِّدُ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِ . وَلِدَ لِسِتْنَيْنِ مَضْتًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقِيلَ : لِأَرْبَعٍ . رَأَى عُمَرَ ، وَسَمِعَ عُثْمَانَ ، وَعَلِيًّا وَغَيْرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ .

كَانَ يُقْنِي وَالصَّحَابَةَ أَحْيَاءً . وَيُقَالُ لَهُ : فَقِيهِ الْفُقَهَاءِ .

مَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَكَانَ يَقُولُ : مَا أَدَّانَ الْمُؤَدُّنَ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ .

حَجَّ أَرْبَعِينَ حِجَّةً . وَكَانَ يَسِيرُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ .

قَدِمَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْمَدِينَةَ فَامْتَنَعَتْ مِنْهُ الْقَائِلَةُ ، وَاسْتَيْقَظَ ، فَقَالَ لِحَاجِبِهِ : انْظُرْ ، هَلْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ مِنْ خُدَّائِنَا؟ فَخَرَجَ فَإِذَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ فِي حَلَقَتِهِ ، فَقَامَ حَيْثُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ غَمَزَهُ وَأَشَارَ بِأَصْبَعِهِ ، ثُمَّ وَلَّى ، فَلَمْ يَتَحَرَّكَ سَعِيدٌ ، فَقَالَ : لَا أَرَاهُ فِطْنًا ، فَجَاءَ وَدَنَا مِنْهُ ، ثُمَّ غَمَزَهُ وَقَالَ : أَلَمْ تَرْنِي أَشِيرُ إِلَيْكَ؟ قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِلَيَّ أَرْسَلُكَ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ قَالَ : انْظُرْ بَعْضَ خُدَّائِنَا ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَهْيَأَ مِنْكَ . قَالَ : اذْهَبْ فَأَعْلِمْهُ أَنِّي

لستُ من حُدَاثِهِ . فخرجَ الحاجبُ وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً ،
وذهبَ فأخبرَ عبدَ الملك ، فقال : ذاك سعيدُ بن المسيَّب فدعُه .

وكان سعيدُ بن المسيَّب يقول : لقد رأيتُني لياليَ الحرَّة وما في المسجد أحدٌ
غيري ، وإنَّ أهل الشام ليدخلون زُمرّاً يقولون : انظروا إلى هذا المجنون . وما
يأتي وقتُ الصلاة إلا سمعتُ أذاناً في القبر . ثم تقدَّمتُ فأقمْتُ وصلَّيتُ وما في
المسجد أحدٌ غيري .

● سفيان الثوري:

سُفْيَانُ بن سعيد بن مسروق بن حمزة بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن
موهبة بن أبي بن عبد الله . شيخ الإسلام ، إمامُ الحُفَظ ، سيِّدُ العلماء العاملين في
زمانه ، أبو عبد الله الثَّوري الكوفيُّ المجتهد ، مصنِّف كتاب (الجامع) . ولد سنة
سبع وتسعين . مات سنة ست وعشرين ومئة .

يقال : إنَّ عددَ شيوخه ستمئة شيخ ، وكبارُهم الذين حدَّثوه عن أبي هريرة ،
وجرير بن عبد الله ، وابن عبَّاس ، وأمثالهم .

ومن أقواله :

- أَحِبُّ أن يكونَ صاحبُ العلم في كفاية ، فإنَّ الآفاتِ إليه أسرعُ ، والألسنةُ
إليه أسرعُ .

- وِدِدْتُ أني أنجو من هذا الأمر كفافاً ، لا عليَّ ولا لي .

- ما أخافُ على شيء أن يَدْخلني النارَ إلا الحديث .

- وِدِدْتُ أني قرأتُ القرآن ، ووقفْتُ عنده لم أتجاوزَه إلى غيره .

- من يزدَدْ علماً يزدَدْ وجعاً ، ولو لم أعلم كان أيسرَ لحزني .

- وِدِدْتُ أنَّ علمي نسخ من صدري ، أَلَسْتُ أريدُ أن أسألَ غداً عن كل

حديث رويته : أَيْشَ أَرَدْتُ به؟ إن قلتُ : إني أحَدْتُكم كما سمعتُ ، فلا تُصدَّقوني .

- البكاء عشرة أجزاء : جزء لله ، وتسعة لغير الله ، فإذا جاء الذي لله في العام

مرة ، فهو كثير .

- وعنه أيضاً : مَنْ أَحَبَّ أفخاذَ النساءِ لم يُفْلِح .

- قَدِمَ سُفْيَانُ البصرةَ ، والسُّلطان يطلبه ، فصار إلى بُستان ، فأجَرَ نفسه

لحفظ ثماره، فمرَّ به بعض العَشَّارين فقال: من أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أَرُطِبُ البصرة أحلى أم رُطِبُ الكوفة؟ قال: لم أذق رطب البصرة. قال: ما أكذبك! البرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرُّطِبَ السَّاعة. ورَجَعَ إلى العامل، فأخبره ليعجبه، فقال: ثكلتك أمك أذركه، فإن كنت صادقاً، فإنه سُفيانُ الثوري، فخذهُ لتتقربَ به إلى أمير المؤمنين، فرَجَعَ في طلبه، فما قدَّرَ عليه، وأقام سُفيان في اختفائه نحو سنة.

- وعن البدع قال: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يُلْقَها في قلوبهم.

- وسئل سُفيان عن أحاديث الصِّفات، فقال: أَمِرُّوها كما جاءت.

- رَوَى الثَّورِيُّ بمكة، وقد كثروا عليه، فقال: إنا لله، أخافُ أن يكون الله قد ضَيَّعَ هذه الأمة، حيثُ احتاجَ الناس إلى مثلي.

- وسُمِعَ يقول: لولا أن أَسْتَدَلَّ، لسكنتُ بين قوم لا يعرفوني.

- قال عبد الرزَّاق: لما قدم سُفيان علينا، طبخت له قدر سِكباج، فأكل، ثم أتته زَيْبُ الطائف، فأكل، ثم قال: يا عبد الرزَّاق اعلف الحمار وكذِّه. ثم قام يُصَلِّي حتى الصباح.

أخرج بجنائزه على أهل البصرة بغتة، فشهدته الخلق، وصلى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي، بوصية من سُفيان، لصلاحه. مات رحمه الله في شعبان سنة إحدى وستين ومئة.

● صرْدَرُ بَغْر:

الشاعر المُفْلِق، أديبُ وقته، أبو منصور، عليُّ بنُ الحسين بن علي بن الفضل البغدادي، الكاتب. ويلقَّبُ بَصُرْدَرِ بَغْر. صاحبُ بلاغة وجزالة وريقة وحلاوة، وباع طويل في الأدب. مدَّحَ الخليفة القائم ووزيره أبا القاسم بن المُسلمة. لم يكُ في المتأخرين أرقُّ طبعاً منه، مع جَزَالَةِ وبلاغة.

وقال بعضُ الأدباء: هو أشعرُ من مِهيَّار. تَقَطَّرَ به فرسه، فهلك في ربيع الأول، سنة خمس وستين وأربعمئة. وقع به الفرس في زُبَيْة للأسد، فهلكا معاً.

● صلة بن أشيم:

هو الزاهد العابد القدوة أبو الصهباء العدوي البصري، زوج العالمه معاذة العدوية (وهي من رجال التهذيب، وحديثها في الكتب الستة)، ورد في صلة حديث عن ابن المبارك في (الزهد) عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أنَّ النبي ﷺ قال: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: صَلَّةٌ، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ كَذَا وَكَذَا»^(١). وجاء الخبر في (حلية الأولياء).

لقي صلة جماعة من الصحابة، وأسند عن ابن عباس وغيره.

وقالت زوجته معاذة: كان أبو الصهباء يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً.

وقال ثابت: جاء رجلٌ إلى صلة بنعي أخيه، فقال له: ادنُ وكُلْ، فقد نعي إليّ أخي منذ حين، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وجاء عن حماد بن سلمة: أنَّ ثابتاً أخبرهم أن صلة كان في الغزو ومعه ابنه، فقال: أي بني! تقدّم، فقاتل حتى أحسبكَ، فحمل فقاتل حتى قتل، ثم تقدّم صلة فقتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحباً إن كنتن جئتن لتهتني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

ومن كرامات صلة أنه خرج في قرية وهو على دابته، وسار يوماً لا يجد ما يأكل، يقول: فلقيني علجٌ يحمل على عاتقه شيئاً، فقلت: ضعه، فإذا هو خبز، فقلت: أطعمني، فقال: إن شئت ولكن فيه شحم خنزير، فتركته، ثم لقيت آخر، فقلت: أطعمني، فقال: هو زادي لأيام، فإن نقصته أجمعتني، فتركته، فوالله إني لأسير، إذ سمعت خلفي وجبة كوجبة الطير، فالتفت فإذا هو شيء ملفوف في سبب أبيض، فنزلت إليه، فإذا دُوخلة من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة، فأكلت منه، ثم لففت ما بقي، وركبت الفرس، وحملت معي نواهن، قال جرير ابن حازم: حدثني أوفى بن دلهم قال: رأيت ذلك السب مع امرأته في مصحف، ثم فقد بعد.

(١) قال الحافظ الذهبي: حديث معضل - والحديث المعضل: ما سقط من إسناده راويان على التوالي - انظر: سير أعلام النبلاء: ٤٩٧/٣.

كذلك روى ابن المبارك أنَّ جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة ، وفي الجيش «صلة» فنزلوا فقلت : لأرقيبن عملَه ، فصلَّي ، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس ، ثم وثب فدخل غيضة ، فدخلتُ ، فتوضَّأ وصَلَّى ثم جاء أسد حتى دنا منه ، فصعدتُ شجرة ، فدنا الأسد ، فقلت : الآن يفترسه ، لكن صلة جلس ثم سلَّم فقال : يا سبيع ، اطلب الرزق بمكانٍ آخر ، فولَّي وإنَّ له زئيراً يكاد يتصدع الجبل منه ، وعند الصباح جلس صلة ، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلهما ، ثم قال : اللهمَّ إِنِّي أسألك أن تجبرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟! . ذكر هذا أبو نعيم في (الحلية) والذهبي في (السير) .

قتل صلة شهيداً في أول إمرة الحجاج على العراق .

● طاووس اليماني :

طاووس بن كيسان ، الفقيه القدوة عالم اليمن ، أبو عبد الرحمن الفارسي ، ثم اليماني الجَنْدي الحافظ . كان من أبناء الفرس الذين جهَّزهم كسرى لأخذ اليمن له! .

وُلِدَ في دولة عثمان رضي الله عنه ، أو قبل ذلك . وكان مِنْ عُبَّاد أهل اليمن ، ومن سادات التابعين ، مستجاب الدعوة ، حجَّ أربعين حجة .

قال مجاهدٌ لطاووس : رأيتك يا أبا عبد الرحمن تصلِّي في الكعبة ، والنبِيُّ ﷺ على بابها يقول لك : اكشِفْ قِنَاعَكَ ، ويَبِّنْ قِرَاءَتَكَ ، قال طاووس : اسكت لا يسمع هذا منك أحد ، قال : ثم خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ انبسط في الكلام ، يعني فرحاً بالمنام . ويُرَوَّى أَنَّ طاووساً جاء في السَّحَرِ يطلبُ رجلاً ، فقالوا : هونائم ، قال : ما كنتُ أرى أَنَّ أحداً ينامُ في السَّحَرِ . وكان أصحابُه إذا صلَّوا العصر ، استقبلوا القبلة ، ولم يكلِّموا أحداً ، وابتهلوا بالدُّعاء .

- ومن حِكْمِهِ : قوله : خَفِيَ اللهُ مَخَافَةً لا يكونُ شيءٌ عندَكَ أخوفَ منه ، وارْجُهُ رجاءً هو أشدُّ من خوفِكَ إِيَّاه ، وأَحِبُّ للناسِ ما تُحِبُّ لنفسِكَ .
- وقال : البخلُ أن يبخلَ الرجلُ بما في يديه ، والشَّحْ أن يُحِبَّ أن يكونَ له ما في أيدي الناسِ .

توفي عام ستمئة رحمه الله .

● عامر بن عبد الله:

ابن الزبير بن العوام، الإمام الرباني أبو الحارث الأسدي المدني، أحد العباد.
قال أحمد بن حنبل: حدثنا سفيان أن عامر بن عبد الله اشترى نفسه من الله
سِتِّ مرات، يعني يتصدق كل مرة بدينه. كان يقف عند موضع الجنائز يدعو
وعليه قطيفة، فتسقط وما يشعر.

وعن مالك: رُبَّما انصرف عامر من العتمة، فيعرض له الدعاء، فلا يزال
يدعو إلى الفجر.

سمع عامر المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فليل: إنك
عليل! قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه! فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في
المغرب، فركع ركعة، ثم مات. توفي رحمة الله عليه سنة ثمان وعشرين ومئة.

● عبد الله المزني رضي الله عنه (ذو البجادين):

وهو ابن عبد نهم بن عفيف ابن سحيم بن عدي بن ثعلبة بن سعد بن عدي
بن عثمان بن عمرو. قديم على النبي ﷺ وكان اسمه عبد العزى، فسماه رسول الله
ﷺ عبد الله. وهو عم عبد الله بن مغفل ابن عبد نهم، ولقبه رسول الله ﷺ (ذو
البجادين)، لأنه لما أسلم عند قومه جردوه من كل ما عليه وألبسوه بجاداً - وهو
الكساء الغليظ الجافي - فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريباً منه شق
بجاده اثنين، فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ فليل له:
ذو البجادين. وقيل: إن أمه أعطته بجاداً فقطعته قطعتين، فأتى فيهما رسول الله
ﷺ.

صحب رسول الله ﷺ وأقام معه، وكان أوهاً فاضلاً كثير التلاوة للقرآن
العزیز.

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك،
وهو في قبر عبد الله ذي البجادين، وأبو بكر وعمر يدليانه، ورسول الله ﷺ يقول:
«أدنيا مني أخاكما»، فأخذه من قبل القبلة حتى أسنده في لحد، ثم خرج رسول الله
ﷺ وولياهما العمل، فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه يقول: «اللهم
إني أمسيتُ عنه راضياً فارضَ عنه». قال ابن مسعود: فوالله لو ددْتُ أني مكانه،
ولقد أسلمتُ قبله بخمس عشرة سنة.

وقد روي من طريق آخر فيه : فقال أبو بكر : وددتُ أني - والله - صاحب القبر - أخرجته الثلاثة .

توفي في حياة رسول الله ﷺ .

● عبد الواحد بن زيد :

الزاهد ، القدوة ، شيخ العبّاد ، أبو عبيدة البصري .
وَعَظَّ عَبْدُ الْوَاحِدِ ، فَنَادَى رَجُلٌ : كُفَّ ، فَقَدْ كَشَفْتَ قِنْدَعَ قَلْبِي ، فَمَا التَفَتَ ،
وَمَرَّ فِي الْمَرْعِظَةِ ، فَحَشَرَ رَجُلٌ وَمَاتَ ، فَشَهِدَتْ جَنَازَتَهُ .
وقال مِسْمَعُ بْنُ عَاصِمٍ : شَهِدْتُ عَبْدَ الْوَاحِدِ يَعْظُ ، فَمَاتَ فِي الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةً .
وعن الخُزَاعِيِّ قَالَ : صَلَّى عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدِ الصُّبَّاحِ بَوْضُوءَ الْعَتَمَةِ أَرْبَعِينَ
سَنَةً ، وَكَانَ صَاحِبَ فَنُونٍ ، دَاخِلًا فِي مَعَانِي الْمَحَبَّةِ وَالْخُصُوصِ ، قَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ
شَيْءٌ مِنْ رُؤْيَا الْاِكْتِسَابِ ، وَفِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ أَصُولِ أَهْلِ الْقَدَرِ .
وفي الجملة : عبد الواحد من كبار العبّاد ، وَالْكَمَالِ عَزِيز .
مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ الْخَمْسِينَ وَمِئَةً .

● عطاء السِّلَيمِي :

البصري العابد ، من صغار التابعين .
أَرَعَبَهُ فَرَطُ الْخَوْفِ مِنْ اللَّهِ . قِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ نَارًا أُشْعِلَتْ ، ثُمَّ قِيلَ : مَنْ
اِقْتَحَمَهَا نَجَا ، تَرَى كَانَ يَدْخُلُهَا أَحَدٌ ؟ قَالَ : لَوْ قِيلَ ذَلِكَ ، لَخَشِيتُ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي
فَرَحًا قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهَا .

قال نُعَيْمُ بْنُ مَوْزِعٍ : أَتَيْنَا عَطَاءَ السِّلَيمِي فَجَعَلَ يَقُولُ : لَيْتَ عَطَاءٌ لَمْ تَلِدْهُ
أُمُّهُ ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ حَتَّى اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ .

وكان يقول في دعائه : اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتِي فِي الدُّنْيَا ، وَارْحَمْ مَصْرَعِي عِنْدَ
الْمَوْتِ ، وَارْحَمْ قِيَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ .

وقيل : كان إذا بكى ، بكى ثلاثة أيام بلياليها .
وقيل : إنه بكى حتى عَمِشَ ، وَرَبِمَا غُشِيَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ .
وقيل : إِنَّهُ شَيَّعَ جَنَازَةً ، فغُشِيَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ . وَكَانَ إِذَا جَاءَ بَرْقٌ وَرِيحٌ
وَرَعْدٌ ، قَالَ : هَذَا مِنْ أَجْلِي يُصِيبُكُمْ ، لَوْ مُتُّ اسْتَرَأَخَ النَّاسُ .

● عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ابْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْوَدِيعِ . أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ،

والأعيان البدرين . وأمه : هي سُمَيَّة مولاة بني مخزوم ، من كبار الصحابيَّات أيضاً .

كان عمار يُعَذِّبُ حتى لا يدري ما يقول ، وكذا صهيب ، وفيهم نزلت : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ [النحل : ٤١] .

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عماراً ، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير ، فلما أتى النبي ﷺ قال : « ما وراءك ؟ » قال : شرٌّ يا رسول الله ! والله ما تركتُ حتى نلتُ منك ، وذكرت آلهتهم بخير ، قال : « فكيف تجدُ قلبك ؟ » قال : مطمئنٌ بالإيمان . قال : « فإن عادُوا فعُدْ » . وعن قتادة : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ . . . ﴾ [النحل : ١٠٦] نزلت في عمار .

عن خالد بن الوليد قال : كان بيني وبين عمار كلام ، فأغلظتُ له ، فشكاني إلى رسول الله ﷺ . فقال : « مَنْ عَادَى عَمَّاراً عَادَاهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّاراً أَبْغَضَهُ اللَّهُ » ، فخرجتُ ، فما شيء أحبُّ إليَّ من رضا عمار ، فلقيته فرضي . أخرجه أحمد والنسائي .

عن عبد الله بن سَلَمَةَ قال : رأيتُ عماراً يومَ صفينَ شيخاً آدم ، طويلاً ، وإنَّ الحربَ في يده لترعدُ ، فقال : والذي نفسي بيده لقد قاتلتُ بها مع رسول الله ﷺ ثلاثَ مراتٍ وهذه الرابعة ، ولو قاتلونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَاتِ هَجْرٍ ، لعرفتُ أننا على الحق ، وأنَّهم على الباطل .

عاش عمار رضي الله عنه ثلاثاً وتسعين سنة ، وكان لا يركبُ على سرجٍ ، ويركبُ راحلته .

قُتِلَ في صفينَ في صفر وبعض ربيع الأول سنة سبع وثلاثين .

● عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . الإمامُ الحافظُ العلَّامةُ المجتهدُ الزاهدُ العابدُ السيدُ أميرُ المؤمنين حقاً أبو حفص ، القرشيُّ الأمويُّ المدنيُّ ثم المصريُّ ، الخليفةُ الزاهدُ الراشدُ أشجُّ بني أمية .

حدَّثَ عن : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والسائب بن يزيد ، وسهل بن سعد ، واستوهبَ منه قدحاً شَرِبَ منه النبيُّ ﷺ ، وأمَّ بَأنس بن مالك ، فقال : ما

رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْفَتَى . كَانَ مِنْ أُمَّةِ الْاجْتِهَادِ ، وَمِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

أُمُّهُ هِيَ أُمُّ عَاصِمِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ، وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا ، لَهُ فِقْهُ وَعِلْمٌ وَوَرَعٌ ، وَرَوَى حَدِيثًا كَثِيرًا ، وَكَانَ إِمَامًا عَدْلًا رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ .

دَخَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى إِصْطَبَلِ أَبِيهِ ، وَهُوَ غُلَامٌ ، فَضْرِبَهُ فَرَسٌ ، فَشَجَّهَ ، فَجَعَلَ أَبُوهُ يَمْسَحُ عَنْهُ الدَّمَ ، وَيَقُولُ : إِنْ كُنْتَ أَشَجَّ بَنِي أُمَيَّةٍ إِنَّكَ إِذَا لَسَعِيدٌ . قِيلَ : إِنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : إِنَّ مِنْ وَلَدِي رَجُلًا ، بَوَاجْهُهُ شَتْرٌ ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا .
- بَكَى وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ ، وَقَالَتْ : مَا يُبْكِيكَ ؟ .

قَالَ : ذَكَرْتُ الْمَوْتَ . قَالَ : وَكَانَ يَوْمَئِذٍ قَدْ جُمِعَ الْقُرْآنُ ، فَبَكَتْ أُمُّهُ حِينَ بَلَغَهَا ذَلِكَ .

حَجَّ سَلِيمَانُ ، وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَصَابَهُمْ بَرَقٌ وَرَعْدٌ حَتَّى كَادَتْ تَنْخَلِيعُ قُلُوبُهُمْ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ : يَا أَبَا حَفْصٍ هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَطُّ ، أَوْ سَمِعْتَ بِهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا صَوْتُ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَكَيْفَ لَوْ سَمِعْتَ صَوْتَ عَذَابِ اللَّهِ ؟ !

- وَعَنْ زَوْجِهِ فَاطِمَةَ قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ فِي مُصَلَّاهُ يَدُهُ عَلَى خَدِّهِ ، سَائِلَةً دُمُوعَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّيْءُ حَدَثَ ؟ .

قَالَ : يَا فَاطِمَةُ إِنِّي تَقَلَّدْتُ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ؛ فَتَفَكَّرْتُ فِي الْفَقِيرِ الْجَائِعِ ، وَالْمَرِيضِ الضَّائِعِ ، وَالْعَارِيِّ الْمَجْهُودِ ، وَالْمَظْلُومِ الْمَقْهُورِ ، وَالْغَرِيبِ الْمَأْسُورِ ، وَالْكَبِيرِ ، وَذِي الْعِيَالِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي سَيَسْأَلُنِي عَنْهُمْ ، وَأَنَّ خَصَمَهُمْ دُونَهُمْ مُحَمَّدٌ ، فَخَشِيتُ أَنْ تُثَبَّتَ لِي حُجَّةٌ عِنْدَ خَصْمِ مَتِّهِ ، فَزَجَمْتُ نَفْسِي قَبْكَيتُ .

- كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رِسَالَةً فِيهَا : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ ، رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ ، وَمَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُهُ وَالسَّلَامُ .

- سَمِعَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ : النَّاسُ يَقُولُونَ عَنِّي : زَاهِدٌ ، إِنَّمَا الزَّاهِدُ

عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها .

- عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : دعاني المنصورُ فقال : كم كانت غلَّةُ عُمَرُ بن عبد العزيز حين استُخْلِفَ ؟ قلت : خمسين ألفَ دينار ، قال : كم كانت يومَ موته ؟ قلتُ : مئتي دينار .

- كان عُمَرُ بن عبد العزيز يجمعُ كلَّ ليلةٍ الفقهاء فيتذكرون الموت والقيامة والآخرة ويبكون .

- وكان إذا ذُكِرَ الموت اضطربت أوصاله .

- لما احتضرَ عُمَرُ بن عبد العزيز قال : اخرجوا عني ، فقعد مسلمة وفاطمة على الباب فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه إنسٍ ولا جانٍ ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] ، ثم هدا الصوتُ ، فقال مسلمةُ وفاطمة : قد قبضَ صاحبُك ، فدخلوا فوجدوه قبضَ .

● عمير بن هاني :

العبي الداراني الإمام أبو الوليد ، وقد ناب عن الحجاج بالكوفة ، ثم ولي الخراج لعمر بن عبد العزيز ، وقد كره ظلم الحجاج وفارقه ، وقال : كان إذا كتب إليَّ في رجل أحده حَدَّثْتُهُ ، وإذا كتبَ فيمن أقتله ، لم أقتله .

قال أبو داود : قتل عُمير صبراً بدارياً أيامَ فتنة الوليد ، لأنه كان يُحرِّضُ على قتله - يعني وقام ببيعة الناقص - قال : فقتله ابنُ مرة ، وسمط رأسه حلقة ، وأتى به مروان ابن محمد سنة سبع وعشرين ومئة .

● فتح الموصلي :

الزاهد الولي العابد أبو نصر ، فتحُ بن سعيد الموصلي . وهو من أقران إبراهيم بن أدهم ، وكلاهما من كبار المشايخ .
- وكان يقول : رَبِّ أَفْقَرْتُني ، وَأَفْقَرْتُ عِيالي ، بأيِّ وسيلةِ هذا ؟ وإنما تَفْعَلُ هذا بأوليائك .

- وعنه : من أدام النَّظَرَ بقلبه أورثه ذلك الفَرَحَ بالله .

قيل : إنه كان يَتَقَوَّتُ بِفُلْسٍ نُخَالَةٍ ، وقد قَدِمَ بغدادَ زائراً لِبِشْرِ الحافي ، فأضافه خُبْراً وَتَمَرًا بنصفِ درهم . توفي سنة عشرين ومئتين .

● فتح الموصلي (الكبير):

زاهد زمانه، فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي، أحد الأولياء، وله أحوال ومقامات وقدم راسخ في التقوى.

كان لا ينام إلا قاعداً. وكان بكاءً، خوفاً، متهجداً. قيل: أتاه متولي الموصلي، فخرج ابنه، وقال: هو نائم. فصاح: ما أنا نائماً، مالي ولك؟ قال: هذه عشرة آلاف خذها، فأبى.

توفي سنة سبعين ومئة، وقيل: سنة خمس وستين.

● فتح بن شخرف:

هو ابن شخرف بن داود بن مزاحم أبو نصر الكشي.

كان الفتح - كما شهد به الصالحون في عصره - صالحاً زاهداً عفيفاً! ذا أخلاق حسنة، وكان يطعم الفقراء ومن يزوره من الأصحاب الطعام الطيب، وكان حسن العبادة ورعاً.

قال البريهاري: سمعتُ ابن شخرف يقول: رأيتُ رب العزة - جلَّ وعزَّ - في النوم، فقال: يا فتح! احذر لا آخذك على غرة. قال: فتَهْتُ في الجبال سبع سنين.

وعن رويم بن أحمد قال: لقيني - يوماً - الفتح فقال: يا أبا أحمد! أنت أمينُ الله على نفسك، لا ترى عليَّ شيئاً أحتاج إليه، ولا عندي شيء ترحمك الحاجة إليه، فتتخلف عن أخذه. أي: أذن له يأخذ كل ما يحتاج إليه مما يلبسه أو يمتلكه.

وعن محمد بن المسيب قال: قال الإمام أحمد - رحمه الله - : ما أخرجتُ خراسان مثل فتح بن شخرف.

وقد كتب فتح على باب بيته: رحم الله ميتاً دخل على هذا الميت، فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير.

وقال أحمد بن عبد الجبار: سمعتُ أبي يقول: صحبت فتحاً ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء، ثم رفع رأسه مرة فقال: قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك.

وعن أبي الحسين الحمادي القاضي قال: سمعتُ الفتح يقول: رأيت أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت : يا أمير المؤمنين ! أوصني ! قال :
ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء ، وأحسن من ذلك تبة الفقراء على الأغنياء ،
قال : فقلت له : زدني ، فأوما إلي بكفه ، فإذا به مكتوب :

قد كنت ميتاً فصرتُ حيّاً وعن قليلٍ تصيرُ ميتاً
أغنى بدارِ الفناء بيت فابنِ بدارِ البقاء بيتاً

توفي يوم الثلاثاء للنصف من شوال (٢٧٣هـ) ، ودفن في مقبرة ببغداد ،
وقد صلي عليه ثلاثاً وثلاثين مرة ، أقل قوم كانوا يصلون عليه في المرة خمسة
وعشرون ألفاً إلى ثلاثين ألفاً .

وعن أبي محمد الحريري قال : غسّلنا الفتح فرأينا على فخذه مكتوباً « لا
إله إلا الله » فتوهمناه مكتوباً ، فإذا هو عِرْق داخل الجلد .

● فرقد :

فرقد بن يعقوب السبخي ، أبو يعقوب .

عن جعفر بن سليمان قال : قال فرقد السبخي : إنّ ملوك بني إسرائيل كانوا
يقتلون قراءهم على الدين ، وإن ملوككم إنما يقتلونكم على الدنيا ، فدعوهم
والدنيا . وقال : سمعته يقول : قرأت في التوراة : من أصبح حزيناً على الدنيا
أصبح ساخطاً على ربه عز وجل ، ومن جالس غنياً فتضعضع له ذهب ثلثا دينه ،
ومن أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربه عز وجل .

وسمعه عبد الواحد بن زيد يقول : ما انتبهت من نومي إلا خفت أن أكون قد
مُسخت .

وسمع جعفر بن سليمان فرقداً يقول : اتخذوا الدنيا ظئراً ، واتخذوا الآخرة
أمّاً ، ألم تروا إلى الصبيّ يلقي نفسه على الظئر ، فإذا ترعرع ، وعرف والدته ترك
ظئره ، وألقى نفسه على والدته ؟ ! وإن الآخرة والدتكم يوشك أن تجركم .

وقال مرة : إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل ، ألم تروا إلى الفاعل إذا
عمل كيف يلبس أدنى ثيابه ، فإذا فرغ اغتسل ، ولبس ثوبين نقيين ؟ ! وأنتم تلبسون
ثياب الفراغ قبل العمل .

وهذا، وقد أسند فرقد عن أنس بن مالك، وسمع من جماعة من كبار التابعين، كسعيد بن جبير ومرة وإبراهيم النخعي وأبي الشعثاء، وشغله التعبّد عن حفظ الحديث . . ومات فرقد في أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومئة .

● قيس بن ذريح:

الليثي من أعراب الحجاز، شاعرٌ محسنٌ، كان يُشَبَّبُ بأُمِّ مَعْمَرِ لُبْنَى بنت الحُباب الكَعْبِيَّة، ثم إنَّه تزوَّج بها. وقيل: كان أخاً للحُسين رضي الله عنه في الرضاعة.

وهو القائل:

وَكُلُّ مُلِمَّاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سِوَى فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ هَيِّنَةَ الْخَطْبِ
ونظمه في الذُّرَّة العُلَيَّا، رِقَّةً، وحلاوةً، وجزالةً. وكان في دولة يزيد.

● كَثِيرُ عَزَّة:

هو أبو صخر كَثِير بن عبد الرحمن بن الأسود الخُزاعي المدني. من فحول الشعراء، امتدَّح عبد الملك والكبار. وكان مولده سنة خمس وعشرين من الهجرة.

قال الزبير بن بَكَّار: كان شيعياً، يقولُ بتناسخ الأرواح، وكان سبئياً، يُؤمِّنُ بالرجعة، وكان قد تَتَمَّ يَعَزَّة، وشَبَّبَ بها، وبعضُهم يُقدِّمُه على الفرزدق والكبار.

ومات سنة خمس ومئة وهو ابن ثمانين سنة.

● كَهَمَس:

كهَمَس بن الحسن التميمي، الحنفي، البصري، العابد. أبو الحسن. من كبار الثقات.

كان كَهَمَس يُصَلِّي في اليوم والليلة ألف ركعة، فإذا ملَّ، قال: قومي يا مأوى كُلِّ سوء، فوالله ما رَضِيْتُكَ اللهُ ساعة.

وروي أنه أراد قتل عقرب، فدخلت في جُحْرٍ فادخل أصابعه خلفها فضربتة فقيل له، قال: خفت أن تخرج، فتجيء إلى أُمِّي تلدغُها. وكان رحمه الله بَرّاً بأمه، فلما ماتت، حجَّ وأقام بمكة حتى مات. وكان يعمل في الجص، وكان يؤذَن.

كان يقول في الليل : أترك مُعَذِّبِي ، وأنتَ فُرَّةُ عَيْنِي ، يا حبيبَ قلباه .
توفي كَهَمَسَ رحمة الله عليه في سنة تسع وأربعين ومئة .

● ليلي الأخيلية :

أورد صاحب (السير) ذكرها في معرض ترجمته لأmir المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في بعض أبيات لها ترثي فيها مقتله رضي الله عنه . ومما قالت فيه :

قُتِلَ ابْنُ عَفَّانِ الْإِمَامُ	وَضَاعَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ
وَتَشَتَّتْ سُبُلُ الرَّشَادِ	لصَادِرِينَ وَوَارِدِينَ
فَانْهَضَ مَعَاوِيَ نَهْضَةً	تَشْفِي بِهَا الدَّاءَ الدَّفِينَا
أَنْتَ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ	تُدْعَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

● محمد بن المُكْدِر :

ابن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث ابن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . الإمام الحافظ القدوة ، شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني . ولد سنة بضع وثلاثين .

- ومن أحواله : أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى ، فكثر بكاءه حتى فزع له أهله ، وسألوه ، فاستعجم عليهم ، وتمادى في البكاء ، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه ، فقال : ما الذي أبكاك ؟ قال : مرّت بي آية ، قال : وما هي ؟ قال : ﴿ وَيَدَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] فبكى أبو حازم معه ، فاشتدّ بكاءهما .

- ومنها : أنه كان يضع خدّه على الأرض ، ثم يقول لأمه : قومي ضعي قدمك على خدي .

- ومنها أيضاً : أنه جزع عند الموت ، فقبل له : لِمَ تَجْزَعُ ؟ قال : أخشى آية من كتاب الله : ﴿ وَيَدَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] فأنا أخشى أن يبدولي من الله ما لم أكن أحتسب .

- وعنه أنه قال : كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت .

مات ابنُ المكدر سنة ثلاثين ومئة .

● محمد بن النضر الحارثي:

أبو عبد الرحمن .

قال أبو أسامة : كان محمد بن النضر من أعبد أهل الكوفة .

وقال : قلتُ له : كأنك تكره أن تُزار ؟ .

فقال : أجل .

قلت : أما تتوحش ؟ .

قال : كيف أستوحش وهو يقول : «أنا جليسٌ مَنْ ذَكَرَنِي» ؟ ! .

- وسمعه خالد بن يزيد يقول : شغل الموتُ قلوب المتقين عن الدنيا ، والله ما رجعوا منها إلى سرور بعد معرفتهم بكرّبه وغُصصه .

وكان إذا ذَكَرَ الموتَ اضطربتْ مفاصلُه حتى تبين الرعدةُ فيها كما قال المبارك .

وقد صحبه من أولاد الزبير بن العوام من عبّادان إلى الكوفة فما سمعه يتكلّم بكلمة حتى افترقا .

وكان محمد بن النضر يرى الجوعَ يبعث على البر كما تبعثُ البُطنة على الأشر .

وذكر ابن الجوزي أن محمداً كان مشغولاً بالعبادة عن الرواية .

● محمد بن واسع:

ابن جابر بن الأحنس . الإمام الربّاني ، القدوة ، أبو بكر ، ويقال : أبو عبد الله الأزدي ، البصري . قال سليمان التيمي : ما أحدٌ أحبُّ أن ألقى الله بمثل صحيفته مثل محمد بن واسع .

- قال له رجل : أوصني .

قال : أوصيك أن تكونَ ملكاً في الدنيا والآخرة .

قال : كيف ؟ .

قال : ازهد في الدنيا .

- ومن أقواله : طوبى لمن وجدَ عشاءَ ولم يجدْ غداءً ، وجدَ غداءً ولم يجدْ عشاءَ ، والله عنه راضٍ .

- وقال : لو كان للذنوب ريحٌ ما جلسَ إليَّ أحدٌ .
 - وقال : إذا أقبلَ العبدُ بقلبه على الله ، أقبلَ اللهُ بقلوبِ العبادِ عليه .
 - وقال : يكفي مع الدعاء الورع يسيرُ العمل .
 - وقيل له : كيف أصبحتَ ؟ قال : قريباً أجلي ، بعيداً أُملي ، سيئاً عملي .
 - ونُقِلَ عنه وهو في الموت : يا إخوتاه ! تَدْرُونَ أين يَذْهَبُ بي ؟ والله إلى النار ، أو يعفو الله عني .

توفي محمد بن واسع سنة ثلاث وعشرين ومئة .

● مسروق بن الأجدع :

الإمام ، القدوة ، العَلَمُ ، أبو عائشة الوادِعي ، الهمداني ، الكوفي .
 يُقالُ : إنَّه سُرقَ وهو صغير ، ثم وُجِدَ فسَمِيَ مسروقاً . وعِدَّاهُ في كبار التابعين وفي المُخَضَّرِمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ . ومسروق هو ابنُ أختِ عمرو بن معدي كرب .

حجَّ مسروق فلم يَنَمْ إلاَّ ساجداً على وجهه حتَّى رجع .

وروى أنس بن سيرين ، عن امرأةٍ مسروق قالت : كان مسروق يصلي حتَّى تورمت قدماه ، فرُبَّمَا جَلَسْتُ أبكي ممَّا أراهُ يصنعُ بنفسه . شُلَّتْ يده يومَ القادسية ، وأصابته أمة .

فقالَتْ له ابنته يوماً : يا أبتاه أَفْطِرَ واشرب .

قال : ما أردتِ بي يا بُنَيَّةُ ؟ .

قالت : الرِّفْقُ .

قال : يا بُنَيَّةُ إِنَّمَا طَلَبْتُ الرِّفْقَ لِنَفْسِي في يومٍ كانَ مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنة .

كان لا يأخذُ على القضاءِ أجراً .

وكان يقول : كَفَى بالمرءِ عِلْماً أَنْ يَخْشَى اللهَ تعالى ، وكَفَى بالمرءِ جهلاً أَنْ يُعْجَبَ بعمله .

مات سنة اثنتين وستين .

● مصعب بن عمير رضي الله عنه :

ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب . السيد الشهيد السابق البذري القرشي العبدري .

قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ، فقلنا له : ما فعل رسول الله ؟ فقال : هو مكانه ، وأصحابه على أثري .

عن خباب قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئاً ، منهم : مصعب بن عمير قُتل يوم أُحد ، ولم يترك إلا نَمرة ، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا رجله بدا رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : « غَطُّوا رَأْسَهُ ، وَاجْعَلُوا عَلَى رَجْلَيْهِ مِنْ الْإِذْخِرِ » ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها .

قاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل ، قتله ابن قميئة الليثي ، وهو يظنه رسول الله ، فرجع إلى قريش ، فقال : قتلْتُ محمداً . فلما قُتل مصعب ، أعطى رسول الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن أبي طالب ، ورجالاً من المسلمين .

● مطرف بن عبد الله بن الشخير :

الإمام ، القدوة ، الحجة ، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري . كان ثقة ، له فضل وورع وعقل وأدب .

قال العجلي : كان ثقة لم ينجُ بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلا هو وابن سيرين ، ولم ينجُ منها بالكوفة إلا خيثمة بن عبد الرحمن ، وإبراهيم النخعي .

يروى عنه أنه كان بينه وبين رجل كلام ، فكذب الرجل ، قال : لا ، ولكنها دعوة وافقت أجلاً .

- وكان يقول : عقول الناس على قدر منازلهم .

- فضل العلم أحب إلي من فضل العباد ، وخير دينكم الورع .

- لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً .

- لأن يسألني الله تعالى يوم القيامة ، فيقول : يا مطرف ، ألا فعلت ، أحب

إلي من أن يقول : لم فعلت ؟ .

- إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ قَدْ أَفْسَدَ عَلَى أَهْلِ النِّعَمِ نَعِيمَهُمْ ، فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ .

- لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَصْعَدَ فَيُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْ شَاهِقٍ ، وَيَقُولَ : قَدَّرَ لِي رَبِّي . وَلَكِنْ يَحْذَرُ وَيَجْتَهِدُ وَيَسْتَقِي ، فَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ ، عَلِمَ أَنْ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ .

- لِأَنْ آخُذَ بِالثِّقَةِ فِي الْقَعُودِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْتَمِسَ فَضْلَ الْجِهَادِ بِالْتَعْزِيرِ .

- لَقَدْ كَادَ خَوْفُ النَّارِ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ .

- اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَّا ، فَإِنْ لَمْ تَرْضَ عَنَّا فَاعْفُ عَنَّا ، فَإِنَّ الْمَوْلَى قَدْ يَعْفُو عَنْ عَبْدِهِ وَهُوَ عَنْهُ غَيْرُ رَاضٍ .

وَلَمَّا أَتَتْ الْحَرُورِيَّةُ مُطَرِّفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَدْعُوهُ إِلَى رَأْيِهِمْ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، لَوْ كَانَ لِي نَفْسَانِ بَايَعْتُكُمْ بِأَحَدَاهُمَا وَأَمْسَكْتُ الْآخَرَى ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَقُولُونَ هُدًى أَتَّبَعْتُهَا الْآخَرَى ، وَإِنْ كَانَ ضَلَالَةً ، هَلَكْتُ نَفْسٌ وَيَقِثَ لِي نَفْسٌ ، وَلَكِنْ هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ لَا أَغْرُرُ بِهَا .

كَانَ مُطَرِّفُ يَكْبِرُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ بِعِشْرِينَ سَنَةً . وَتَوَفَّى فِي أَوَّلِ وَلَايَةِ الْحِجَابِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ .

● مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ابْنُ عَمْرٍو بْنُ أَوْسٍ بْنِ عَائِذٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو ، السَّيِّدُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ الْمَدَنِيُّ الْبَدْرِيُّ . أُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ سَهْلٍ مِنْ بَنِي رِفَاعَةَ ، ثُمَّ مِنْ جُهَيْنَةَ ، وَلَأُمُّهُ وَلَدَتْ مِنَ الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ . أَسْلَمَ مَعَاذٌ وَلَهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، شَهِدَ الْعَقِبَةَ شَابًّا أَمْرَدًا .

وَعَنْهُ قَالَ : لَمَّا بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ ، قَالَ لِي : « كَيْفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ قَضَاءٌ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : « فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : فَبِمَا قَضَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : « فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِمَا قَضَى بِهِ الرَّسُولُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو ، فَضَرَبَ صَدْرِي ، وَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لَمَّا يُرْضَى رَسُولُ اللَّهِ » .

وَقَدْ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ وَدَّعَهُ مَعَاذٌ ، قَالَ : « حَفِظَكَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ ، وَدَرَأَ عَنْكَ شَرَّ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » .

عن معاذ قال: لقيني النبي ﷺ فقال: «يا معاذ إني لأحبك في الله» قلت: وأنا والله يا رسول الله أحبك في الله. قال: «أفلا أعلمك كلمات تقولهن دبر كل صلاة: رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

عن أبي سعيد: أن معاذاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ ساجد، فسجد معه، فلما سلم، قضى معاذ ما سبقه، فقال له رجل: كيف صنعت؟ سجدت ولم تغتد بالركعة، قال: لم أكن لأرى رسول الله على حالٍ إلا أحببت أن أكون معه فيها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فسرّه، وقال: «هذه سنة لكم».

وعن الحارث بن عُميرة قال: إني لجالسٌ عند معاذ، وهو يموت، وهو يُغَمَّى عليه ويفيق، فقال: اخنق خنقك فوعزتك إني لأحبك.

قُبِضَ معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو ابنُ ثلاث أو أربع وثلاثين، سنة ثمانٍ عشرة.

● منصور بن المعتمر:

الحافظُ الثبت القدوة، أبو عتاب السلمي الكوفي أحدُ الأعلام.

قالت بنت لجار منصور بن المعتمر: يا أبتِ أين الخشبة التي كانت على سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنية ذاك منصور، كان يقوم الليل.

صامَ أربعين سنة، وقام ليلها، وكان يبكي، فتقول له أمه يا بني: قتلتَ قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلمُ بما صنعتُ بنفسي، فإذا كان الصبحُ، كحل عينه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه، وخرج إلى الناس.

قال العجلي: كان منصور أثبت أهل الكوفة، لا يختلف فيه أحدٌ، صالح متعبّد، أكره على القضاء فقضى شهرين، قال: وفيه تشيع قليل، وكان عمش من البكاء. قال فيه الحافظ الذهبي: تشيعه حُبٌ وولاء فقط.

● هشام بن حسان:

الإمام العالم، الحافظ، محدث البصرة، أبو عبد الله الأزدي، القُرْدُوسي، البصري، ويقال: هو من العتيك، ونزل في القرايس. وقيل: هو من مواليتهم، وهو أشبه، وقال أبو حفص الفلاس: هشام مولى العتك، نزل درب القرايس

فُنُسِبَ إليهم، فلم يُسم له جَدّ مع شهرة هشام ونبله. وقال سليمان بن أبي شيخ: إنما سُمي (قردوس) من جماله.

روى حماد عن هشام قال: كَتَّاني محمد بن سيرين أبا عبد الله ولم يُولد لي.
وروى حماد عن سعيد بن أبي صدقة: أن محمد بن سيرين قال: هشام منا أهل البيت.

وقال إبراهيم بن مهدي: سمعتُ حمادَ بن زيد يقول: أنبأنا أيوب وهشام. وحَسْبُكَ بهشام.

وقال حماد: وكان أيوبُ يقول: سل لي هشاماً عن حديث كذا.
قال سعيد بن أبي عروبة: ما رأيتُ، أو ما كان أحدٌ أحفظ عن محمد من هشام.

وعن إبراهيم بن المغيرة المَرُوزِيّ: قلتُ لهشام بن حسان: أخرج إليّ بعضَ كتبك، قال: ليس لي كتب. يعني كان يحفظ وقلما كتب.

● وهب المزني رضي الله عنه:

هو وهب بن قابوس المزني. أقبل وهب ومعه ابن أخته الحارث بن عتبة بغنم لهما من جبل مُزينة، فوجدا المدينة خالية، فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأحد خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين، فقالا: لا نسألُ أثراً بعد عين، فأسلما.
ثم خرجا، فأتيا النبي ﷺ بأحد، فإذا الدولة للمسلمين، فأغارا مع المسلمين في النهب، وقاتلا أشدَّ القتال، وكانت قد انفرت فرقة من المشركين، فقال النبي ﷺ: «من لهذه الفرقة؟» فقال وهب: أنا، فرماهم بالنبل حتى انصرفوا، ثم رجعت، فانفرت أخرى، فقال النبي ﷺ: «من لهذه؟» فقال المزني: أنا، فقام فذبتها بالسيف، حتى ولوا، ورجع المزني، ثم طلعت كتية أخرى، فقال ﷺ: «من يقوم لهؤلاء؟» فقال المزني: أنا، فقال ﷺ: «قم وأبشر بالجنة»، فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقيّل ولا أستقيّل، فجعل يضرب فيهم بالسيف حتى يخرج من أقصاهم، حتى قتلوه، ومثلوا به. ثم قام ابن أخته الحارث فقاتل كنحو قتاله حتى قُتل.

ووقف عليهما رسول الله ﷺ وهما مقتولان فقال: «رضي الله عنه فإني عنك راضٍ»، يعني وهباً. ولم يزل الرسول ﷺ قائماً على قدميه وقد ناله ما ناله

من الجرح حتى وضع المزني في لحده، فكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حالُ نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله على حال المزني.

● وهيب بن الورد المكي:

أخو عبد الجبار بن الورد، العابد الرباني أبو أمية، ويقال: أبو عثمان المكي، مولى بني مخزوم، ويقال: اسمه: عبد الوهاب.

قيل لو هيب: يجد طعم العبادة من يعصي؟ قال: ولا من يهمل بالمعصية.

وقيل: إنه حلف أن لا يضحك حتى تعلمه الملائكة بمنزله إذا احتضر.

توفي سنة ثلاث وخمسين ومئة.

● يحيى البكاء:

شيخ بصري، محدث، وهو يحيى بن مسلم، وقيل: يحيى بن سليمان، وقيل: ابن سليم، وهو يحيى بن أبي خليل. مات سنة ثلاثين ومئة رحمة الله عليه.

● يحيى بن معاذ:

الرازي، الواعظ. من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة. - وعنه أنه قال: لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن فاتت.

- لا يقلح من شئت رائحة الرياسة منه.

- مسكين ابن آدم، قلغ الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار.

- لا تستبطن الإجابة وقد سددت طريقها بالذنوب.

- وقال: الدرجات سبع: التوبة، ثم الزهد، ثم الرضا، ثم الخوف، ثم الشوق، ثم المحبة، ثم المعرفة.

● يزيد الرقاشي:

عن أشعث بن سوار قال: دخلت على يزيد فقال: يا أشعث! تعال نبيك على الماء البارد في يوم الظما. وجعل يقول: سبقني العابدون وقطع بي، والهفاه. وقد صام يزيد اثنتين وأربعين سنة.

وقال ثابت البناني: ما رأيت أحداً أصبر على طول القيام والسهر من يزيد ابن أبان.

وقال عبد الخالق بن موسى اللقيطي : كان يزيد يقول : غلبني بطني ، فما أقدر له على حيلة ! مع أنه جوع نفسه لله عز وجل ستين عاماً حتى ذبل جسمه ونهك بدنه ، وتغير لونه ! .

- وعن أبي إسحاق الخميسي قال : كان يزيد يقول في قصصه : ويحك يا يزيد ! من يترضى عنك عند ربك ؟ ! ومن يصوم لك أو يصلي لك ؟ ! ثم يقول : يا معشر من القبر بيته ! والموت موعده ، ألا تبكون ؟ ! .

- وكان يقول : اهلك يا يزيد على نفسك قبل حين البكاء .

- وقيل لابنه : أما كان أبوك يتمثل الشعر شيئاً ؟ قال : كان يتمثل :

إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم يمضي يدني من الأجل
هذا ، وأسند يزيد عن أنس بن مالك ، وروى عن الحسن وغيره ، إلا أن التعبد شغله عن حفظ الحديث ، فأعرضت الثقلة عما يروي .

● أبو فراس الأسلمي :

قيل : اسمه ربيعة بن كعب ، وقيل : إنه ربيعة بن كعب الأسلمي ، ولا خلاف أن ربيعة بن كعب يكنى أبا فراس ، والأغلب أنهما اثنان ، فمن جعلهما اثنين قال : أبو فراس الأسلمي ، في أهل البصرة ، وروى عنه أبو عمران الجوني .

أما الآخر فهو أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي . حجازي ؛ كان خادماً للنبي ﷺ ، وكان من أهل الصفة . فلما توفي رسول الله ﷺ نزل على بريد من المدينة ، ولم يزل بها حتى مات بعد الحرة ، سنة ثلاث وستين .

وروى إسماعيل بن عياش ، عن عبد العزيز بن عبيد الله ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن أبي فراس الأسلمي : أن فتى منهم كان يلزم النبي ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم : « سلني أعطك » . قال : ادع الله أن يجعلني معك يوم القيامة . قال : « إني فاعل ، فأعني على نفسك بكثرة السجود » .

● أبو فراس بن حمدان :

هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني التغلبي ، الأمير الشاعر المفلح .

ابن عمّ ناصر الدولة وسيف الدولة، وكان رأساً في الفروسية والجود وبراعة الأدب.

كان الصّاحبُ ابن عباد يقول: بُدئ الشعرُ بملكٍ وهو امرؤ القيس، وختم بملكٍ وهو أبو فراس.

قال الثعالبي: كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً، وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سيار، بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رواء الطبع وسمّة الظرف وعزّة الملك. ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز. وأبو فراس يُعدّ أشعر منه عند أهل الصنعة بنقد الكلام. وله ديوان مشهور.

كان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا يتبري لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته، وإنّما لم يمدحه ومدح مَنْ دونه من آل حمدان تهيأ له وإجلالاً له لا إغفالاً ولا إخلالاً.

أسرته الرُّومُ جريحاً، فبقي سجين قلعة بقسطنطينية أعواماً، ثمّ فداه سيفُ الدولة منهم بأموال، وأعطاه أموالاً جزيلة وخيلاً وممالك. وكانت له منبج، ثمّ تملّك حمص، ثم سار ليملك حلب فقتل بناحية تدمر سنة سبع وخمسين وثلاثمئة. وكلّ عمره سبع وثلاثون سنة.

● أبو الشّيص الخزاعي:

محمد بن عبد الله بن رزين. الشاعر المشهور الملقّب بأبي الشّيص، وهو ابن عمّ دعبل الخزاعي الهجاء، توفي سنة متين أو قبلها، قال ابن الجوزي: سنة ست وتسعين ومئة وقد كفت بصره، ومن شعره المشهور:

وَقَفَّ الهوى بي حيث أنتِ فليس لي	مأخراً عنه ولا متقدّم
أجْدُ الملامّة في هوائكِ لذيذة	حُبّاً لذكرك فليلمني اللّوم
أشبهت أعدائي فصيرت أحبهم	إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهتني فأهنت نفسي عامداً	ما من يهون عليك ممّن يكرم

وله أيضاً:

لا تُنْكِرِي صَدِّي وَلَا إِعْرَاضِي لَيْسَ الْمُقِيلَ عَنِ الزَّمَانِ بِرَاضٍ
شَيْئَانِ لَا تَصُبُّو النِّسَاءَ إِلَيْهِمَا حَلِيُّ الْمَشِيبِ وَحُلَّةُ الْأَنْفَاضِ
حَسَرَ الْمَشِيبُ قِنَاعَهُ عَنِ رَأْسِهِ فَرَمَيْتَهُ بِالْصَدِّ وَالْإِعْرَاضِ
وَلَرَبَّمَا جَعَلْتُ مُحَاسِنَ وَجْهِهِ لَجَفُونَهَا غَرَضاً مِنَ الْأَغْرَاضِ

● مسلم بن يسار:

القدوة، الفقيه، الزاهد، أبو عبد الله البصري، مولى بني أمية.
كان ثقة فاضلاً، عابداً، ورعاً. خامسُ خمسةٍ من فقهاء البصرة، لا يُفْضَلُ
عليه أحدٌ في زمانه.

وقال عليُّ بن أبي حملة: قَدِمَ عَلَيْنَا مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ دِمَشْقَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ، لَوْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ بِالْعِرَاقِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْكَ، لَأَتَانَا بِهِ؛ فَقَالَ: كَيْفَ لَوْ
رَأَيْتُمْ أَبَا قِلَابَةَ.

وعن العلاء بن زياد أنه كان يقول: «لَوْ كُنْتُ مَتَمِّئاً، لَتَمَنَيْتُ فِقَةَ الْحَسَنِ،
وَوَرَعَ ابْنِ سِيرِينَ، وَصَوَابَ مُطَرِّفٍ، وَصَلَاةَ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ».

كَانَ إِذَا صَلَّى كَأَنَّهُ وَتَدٌ لَا يَمِيلُ لَا هَكَذَا وَلَا هَكَذَا، وَإِذَا سَجَدَ كَأَنَّهُ ثَوْبٌ
مُلْقَى.

وكان يقول لأهله إذا دخل في الصلاة: تَحَدَّثُوا فَلَسْتُ أَسْمَعُ حَدِيثَكُمْ.
وَرُويَ أَنَّهُ وَقَعَ حَرِيقٌ فِي دَارِهِ وَأَطْفَى، فَلَمَّا ذُكِرَ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: مَا شَعَرْتُ.

قال قتادة: قال مسلم بن يسار في الكلام عن القدر: «هُمَا وَادِيَانِ عَمِيقَانِ،
يَسْلُكُ فِيهِمَا النَّاسُ، لَنْ يُدْرِكَ غُورُهُمَا، فَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُتَجَبَّكَ إِلَّا
عَمَلُكَ، وَتَوَكَّلْ تَوَكَّلَ رَجُلٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِيبُكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ».

قال سفيان بن عُيينة: إِنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ لَمَّا مَاتَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ:
وَأُعْلِمَاهُ.

له ترجمة حافلة في تاريخ الحافظ ابن عساكر. مات سنة مئة، وقيل: سنة
إحدى ومئة.

● عامر بن قيس الأشعري:

عامر بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو بُزْدَةَ، أخو
أبي موسى الأشعري.

ومن حديثه : عن النبي ﷺ أنه قال : «اللَّهُمَّ، اجعلْ فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون» .

● ابنُ الرُّومي (الشاعر):

شاعر زمانه مع البُخْترِي، أبو الحَسَن، عليُّ بن العَبَّاس بن جُرَيج، مولى آل المنصور .

له النَّظْم العَجيب، والتَّوْلِيد الغريب . رَتَّب شِعْرَه الصُّولي . وكان رأساً في الهجاء، وفي المديح، وهو القائل :

أَرَأَوْكُمْ، وَوُجُوهُكُمْ، وَسُيُوفُكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومُ
مِنْهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَى وَمَصَابِح تَجَلُّو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَّاتِ رُجُومُ

قيل : إنَّ القاسم بن عُبَيْد الله الوزير كان يخافُ من هَجْو ابن الرُّومي، فَدَسَّ عليه مَنْ أَطْعَمَهُ خُشْكُنَاكَ مَسْمُومَةً، فَأَحَسَّ بِالسُّمِّ، فَوَثَّبَ، فَقَالَ الوزيرُ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى مَوْضِعٍ بَعَثَنِي إِلَيْهِ . قَالَ: سَلِّمْ عَلَى أَبِي . قَالَ: مَا طَرِيقِي عَلَى النَّارِ . فَبَقِيَ أَيَّاماً وَمَاتَ .

ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين، ومات لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، سنة ثلاثٍ وثمانين، وقيل : سنة أربع .

● ابنُ الرُّومي (الزاهد):

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الرُّومي النيسابوريُّ الجيري، أبو محمد، شيخُ سعيد بن أبي سعيد العيَّار . الزاهدُ العابد .

قال الحاكم في (تاريخه) : كان أبوه أبو عبد الله الرُّومي محدثاً مذكوراً ثقة . ثم إنَّ أبا محمدٍ كان من الصَّالِحِينَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى سَمَاعَاتِهِ فِي كِتَابِ أَبِيهِ وَزَادَ فِيهَا، وَكَانَ سَمَاعُهُ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّرَّاجِ، فَارْتَقَى إِلَى ابْنِ خُزَيْمَةَ .

توفي رحمه الله يوم الإثنين السادس عشر من شهر رمضان سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة الحِيرة .

● ذو العُيُونِ المِصْرِيُّ:

ثوبان بن إبراهيم، وقيل : فيضُ بن أحمد، وقيل : فيضُ بن إبراهيم

النوبي الإخميمي، يُكنّى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياض. الزاهد، العالم،
الفصيح، الحكيم، شيخ الديار المصرية.

ولد في أواخر أيام المنصور.

قال يوسف بن الحسين الرازي: حضرتُ ذا النون، فقليل له: يا أبا الفيض،
ما كان سببُ تَوْبَتِكَ؟ قال: نمْتُ في الصحراء، ففتحتُ عيني فإذا قُبْرَةٌ عمياءُ
سقطتُ من وَكر، فانشقت الأرضُ، فخرج منها سُكْرُجَتَانِ ذهب وفضة، في
إحداهما سَمْسَم، وفي الأخرى ماء، فأكلتُ وشربتُ. فقلتُ: حسبي. فَتُبْتُ
ولزمتُ الباب إلى أن قبلني.

قال السُّلَمي في (محن الصوفية): ذو النون أولُ من تكلم ببلدته في ترتيب
الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، وهجره علماء
مصر. وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف.

وقال محمد بن الفَرَجِي: كنتُ مع ذي النون في زورق، فمرَّ بنا زورقُ
آخر، فقليل لذي النون: إنَّ هؤلاء يمرون إلى السلطان، يَشْهَدُونَ عليك بالكفر.
فقال: اللَّهُمَّ إنَّ كانوا كاذبين، فغَرِّقْهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلتُ له: فما
بال الملاح؟ قال: لِمَ حملهم وهو يعلمُ قصدهم؟! ولأنَّ يقفوا بين يدي الله غرقى
خيرٌ لهم من أن يقفوا شهود زور، ثم انتفض وتغيَّر، وقال: وعزَّتِكَ لا أدعو على
أحدٍ بعدها. ثم دعاهُ أميرُ مصر، وسأله عن اعتقاده، فتكلَّم، فرضي أمره. وطلبه
المتوكل، فلما سمع كلامه، وَلَعَ به وأحبَّه. وكان يقولُ: إذا ذُكر الصالحون،
فحيَّ هلا بذِي النون.

قال في الاستغفار: إنَّه جامع لمعانٍ:

أولها: التَّدُّمُ على ما مضى.

الثاني: العزمُ على الترك.

الثالث: أداء ما ضيَّعتَ من فرض الله.

الرابع: ردُّ المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها.

الخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام.

السادس : إذاقة ألم الطاعة كما وجَدَتْ حلاوة المعصية .

وعن عمرو بن السرح : قلتُ لذي النون : كيف خلصتَ من المتوكل ، وقد أمر بقتلك ؟ قال : لما أوصلني الغلامُ ، قلتُ في نفسي : يا مَنْ ليس في البحار قطراتٌ ، وفي ديلج الرياح ديلجاتٌ ، ولا في الأرض خبيثاتٌ ، ولا في القلوب خطراتٌ ، إلا وهي عليك ديلاتٌ ، ولك شاهداتٌ ، وبربوبيتك مُعترفاتٌ ، وفي قُدرتك متحيّراتٌ ، فبالقُدرَةِ التي تُجيرُ بها من في الأرضين والسماءات إلا صَلَّيتَ على محمد وعلى آل محمد ، وأخذتَ قلبه عني . فقام المُتوكل يخطو حتى اعتنقني .

لما مات ، أظَلَّت الطير جنازَتَه . مات بالعِيزة وهو في التسعين ، وعُدِّي به إلى مصر في مركبٍ خوفاً من زحمة الناس على الجسر ، لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومئتين .

● عتَبَةُ الغلام :

عتبة بن أبان البصري ، الزاهدُ ، الخاشعُ ، الخائفُ . كان يُشَبَّه في حُزنه بالحسن البصري . وكان من نُسَّاكِ أهل البصرة ، يصوم الدهرَ ، ويأوي إلى السواحل والجبَّانة .

قال رباح القيسي : باتَ عندي ، فسمعتَه يقول في سجوده : اللهم احشر عُتْبَةَ من حواصل الطير ويطون السُّباع .

كان رأسُ ماله فلساً ، يشتري به خُوصاً ، يعملُه ويبيعه بثلاثة فلوس ؛ فيتصدق بفلس ، ويتعشى بفلس ، وفلس رأس ماله . وكان يقول : لا يُعجبني رجلٌ ألاَّ يحترف . وقيل : نازَعَتْهُ نفسُه لحماً ، فمأطَلها سبع سنين .

رؤي يبكي فقال : إنَّما أبكي على تقصيري .

وعنه أنه قال : من عَرَفَ الله أَحَبَّه ، ومن أَحَبَّه أطاعه .

وذكرَ مَخْلَدُ بن الحُسَيْنِ عُتْبَةَ الغلام وصاحبه يحيى الواسطي فقال : كأنما رَبَّيْتَهُم الأنبياء .

وكان يقال : إنَّ الطير تُجيبه .

وقال مَخْلَدُ بن الحُسَيْن : جاءنا عُتْبَةُ الغُلام غازیاً ، وقال : رأيت أني آتي المَصْنِصَةَ في الثَّوم ، وأغزو فأستشهد . قال : فأعطاه رجل فرسه وسلاحه ، وقال : إني عَليْلٌ ، فاغزُ عني . فلقوا الرومَ ، فكان أول من استشهد . ولما غزا قال : لا تفتحوا بيتي . فلما قُتِلَ ، فتحوه . فوجدوا قبراً محفوراً ، وغُلَّ حديد .

● أبو الدرداء رضي الله عنه:

هو عويمرُ بنُ قيس بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج ، صاحبُ رسول الله ﷺ ، أبو الدرداء ، الإمام القدوة ، قاضي دمشق ، ويقال : عويمرُ بن عامر .

حكيم هذه الأمة . وسيدُ القراء بدمشق . ويُروى له مئة وتسعة وسبعون حديثاً . وهو معدودٌ فيمن تلا على النبي ﷺ ، وفيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ ، ثم تصدّر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان ، وقبل ذلك .

كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً ، وكان يعبدُ صنماً ، فدخل ابنُ رواحة ومحمدُ بن مسلمة بيته ، فكسرا صنمه ، فرجع فجعل يجمعُ الصنم ، ويقول : ويحك هلاً امتنعت ، ألا دفعت عن نفسك . فقالت أم الدرداء : لو كان ينفعُ أو يذفعُ عن أحد ، دَفَعَ عن نفسه ونفعها . فقال أبو الدرداء : أعدّي لي ماءً في المُغتَسَل . فاغتسل ، ولبسَ حُلَّتَهُ ، ثم ذهبَ إلى النبي ﷺ ، فنظر إليه ابنُ رواحة مُقبلاً ، فقال : يا رسولَ الله ! هذا أبو الدرداء ، وما أراه إلا جاء في طلبنا ؟ فقال : «إنما جاء ليُسَلِّمَ ، إنَّ رَبِّي وَعَدَنِي بأبي الدرداء أن يُسَلِّمَ» .

لما هُزِمَ الصحابة يومَ أُحد ، كان أبو الدرداء يومئذ فيمن فاءَ إلى رسول الله ﷺ في الناس ، فلما أظلمَ المشركون من فوقهم ، قال رسول الله ﷺ : «اللَّهُمَّ ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَغْلُونَا» ، فثابَ إليه ناسٌ ، وانتدبُوا ، وفيهم عويمرُ أبو الدرداء ، حتى أدخضوهم عن مكانهم ، وكان أبو الدرداء يومئذ حَسَنَ البلاء . فقال رسول الله ﷺ : «نِعَمَ الفارسُ عويمر» ، وقال : «حكيم أمتي عويمر هذا» .

وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء ؛ فجاءه سلمان يزوره ، فإذا أمُّ الدرداء مُتَبَدِّلَةٌ ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : إنَّ أخاك لا حاجة له في

الدنيا، يقوم الليل، ويصوم النهار. فجاء أبو الدرداء، فرحّب به، وقرب إليه طعاماً. فقال له سلمان: كُل. قال: إني صائم. قال: أقسمت عليك لتُفطرن. فأكل معه. ثم بات عنده، فلمّا كان من الليل، أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمان وقال: إنّ لجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً؛ صُم، وأفطر، وصلّ، وائتِ أهلك، وأعطِ كُلّ ذي حقّ حَقّه.

فلما كان وجهُ الصبح، قال: قُم الآن إن شئتَ؛ فقاما، فتوضّأا، ثم ركعا، ثم خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليُخبرَ رسولَ الله ﷺ بالذي أمره سلمان. فقال له: «يا أبا الدرداء، إنّ لجسدك عليك حقاً، مثل ما قال لك سلمان».

كان الصحابة يقولون: أرحمنا بنا أبو بكر؛ وأنطقنا بالحق عمر؛ وأميننا أبو عبيدة؛ وأعلمنا بالحرام والحلال معاذ؛ وأقرؤنا أبي، ورجلٌ عنده علمٌ ابنُ مسعود، وتبعهم عويمر أبو الدرداء بالعقل. وكانوا يقولون: أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء. كان ابنُ عمر يقول: حدّثونا عن العاقلين. فيقال: من العاقلان؟ فيقول: معاذ، وأبو الدرداء. ولمّا مات النبي ﷺ، لم يكن قد جمع القرآن غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ، وزيدُ بنُ ثابت، وأبو زيد.

ولّي القضاة بدمشق في دولة عُثمان، فهو أولُ من ذكِرَ من قضاتها. ودأبه بباب البريد، ثم صارت في دولة السلطان صلاح الدين تُعرفُ بدار العزّي.

وكان يُصلي الصبح ثم يُقرئ ويُقرأ، حتى إذا أراد القيام، قال لأصحابه: هل من وليمة أو عقيقة نشهدها؟ فإن قالوا: نعم، وإلا قال: اللهم، إني أشهدك أنّي صائم.

وكان الذين في حلقة إقراء أبي الدرداء أزيدَ من ألف رجل، ولكُلّ عشرة منهم ملقّن، وكان أبو الدرداء يطوفُ عليهم قائماً، فإذا أحكمَ الرجلُ منهم، تحول إلى أبي الدرداء - يعني يعرض عليه. وهو الذي سنَّ هذه الحلق للقرأة.

قال في العلم: ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجُهالكم لا يتعلمون، تعلّموا فإنّ العالم والمتعلم شريكان في الأجر.

وقال: ويل للذي لا يعلم مرّةً، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبعَ مرات.

وقيل لأم الدرداء: أي عبادة أبي الدرداء كانت أكثر؟ قالت: التفكير والاعتبار. وكان يقول: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

وقيل له - وكان لا يفتّر عن الذكر -: كم تسبح في كل يوم؟ قال: مئة ألف، إلا أن تُخطئ الأصابع.

وقال: لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيّد الكلام كما يُنتقى أطايب الثمر. قيل له: ما تُحب لمن تُحب؟ قال: الموت. قيل: فإن لم يمّت؟ قال: يَقلُّ ماله وولده.

وقال: ثلاثة أحبهنّ، ويكرههنّ النَّاس: الفقر، والمرض، والموت. أحبّ الفقر تواضعاً لربي، والموت اشتياقاً لربي، والمرض تكفيراً لخطيئتي.

وقال: أعوذ بالله من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يجعل لي في كل وإد مال.

جاءه رجلٌ فقال: أوصني. قال: اذكر الله في السراء يذكرُكَ في الصّراء؛ وإذا ذكرتَ الموتى، فاجعلْ نَفْسَكَ كأحدهم، وإذا أشرفتَ نَفْسَكَ على شيءٍ من الدُّنيا، فانظرْ إلى ما يصير. وقال: اعبد الله كأنك تراه وعُدّ نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلاً يُغنيك خيرٌ من كثيرٍ يُلْهِيك، وأن البرَّ لا يَبْلَى، وأن الإثم لا يُنسى.

وعنه: إياك ودعوات المظلوم؛ فإنهم يَصْعَدُونَ إلى الله كأنهن شرارات من نار.

وقال: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنون أنهم مثلنا عند الموت، ولا نتمنى أنما مثلهم حينئذ. ما أنصفنا إخواننا الأغنياء: يُجِبُّونَا على الدين، ويُعَادُونَا على الدُّنيا.

لما قُتِحَتْ قبرص، مُرَّ بالسَّيِّ على أبي الدرداء، فبكى، فقيل له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أَعَزَّ الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذ عَصَوْا الله، فلقوا ما ترى، ما أهون العباد على الله إذا هم عصوه.

وعن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تَبَسَّم،

فقلت : إني أخاف أن يُحَمِّقَكَ النَّاسُ . فقال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا تَبَسَّمَ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي (الْمُسْنَدِ) .

وعنها أيضاً : أنها قالت : كَانَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ سِتُونَ وَثَلَاثُمِئَةً خَلِيلٍ فِي اللَّهِ . يَدْعُو لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ رَجُلٌ يَدْعُو لِأَخِيهِ فِي الْغَيْبِ إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكَينَ يَقُولَانِ : وَلَكَ بِمِثْلِ . أَفَلَا أُرْغَبُ أَنْ تَدْعُوَ لِي الْمَلَائِكَةُ .

وَذَكَرَ الدَّجَّالَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَ نَوَفُ الْبِكَالِي : إني لغير الدجال أخوف مني من الدجال . فقال أبو الدرداء : وما هو؟ قال : أخاف أن أَسْتَلَبَ إيماني وأنا لا أشعر . فقال أبو الدرداء : ثكلتك أمك يا بن الكندية ! وهل في الأرض خمسون يَتَخَوَّفُونَ مَا تَتَخَوَّفُ؟ ثم قال : وثلاثون ، وعشرون ، وعشرة ، وخمسة . ثم قال : وثلاثة . كل ذلك يقول : ثكلتك أمك والذي نفسي بيده ما آمنَ عبدٌ على إيمانه إلا سُلِبَ ، أو انْتَزَعَ منه فيفقده . والذي نفسي بيده ما الإيمان إلا كالقميص يتقَمَّصُهُ مرةً ويضعه أخرى .

وعن أبي الدرداء ، قال : مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ قَلَّ فَرْحُهُ ، وَقَلَّ حَسَدُهُ .
لما احتضر أبو الدرداء ، جعل يقول : مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا؟ مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ مَضْجَعِي هَذَا؟ .

وَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ .

● مَا هَانَ الْحَنْفِيُّ :

أَبُو سَالِمٍ الْكُوفِيُّ الْأَعْوَرُ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : الْمُسَبِّحُ وَلَيْسَ بِأَبِي صَالِحِ الْحَنْفِيِّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ .

ذَكَرَهُ ابْنُ جَبَّانٍ فِي كِتَابِ (الثَّقَاتِ) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ أَبِيهِ : كَانَ مَا هَانَ الْحَنْفِيُّ يَلْقَى الرَّجُلَ ، فيقول : مَا يَسْتَحْيِي أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ دَابَّتُهُ الَّتِي يَرْكَبُهَا ، وَثَوْبُهُ الَّذِي يَلْبَسُهُ ، أَكْثَرَ ذِكْرًا لِلَّهِ مِنْهُ . وَكَانَ لَا يَفْتَرُ مِنَ التَّسْبِيحِ . قَالَ : فَأَخَذَهُ الْحَجَّاجُ فَصَلَبَهُ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ بَنِي حَنِيفَةَ وَكَانَ يُسَبِّحُ وَيَعْقِدُ . قَالَ : فَطُغِنَ وَقَدْ عَقَدَ تِسْعَةَ وَسِتِينَ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْأَجْرِيُّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ : حَدَّثَنِي الثُّقَّةُ عَنْ ابْنِ فَضِيلٍ ، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ مَا هَانَ الْحَنْفِيُّ حَيْثُ صَلَبَهُ الْحَجَّاجُ ، فَجَعَلَ

يُسَبِّحُ حَتَّى عَقَدَ عَلَى تِسْعَةِ وَعَشْرِينَ، فَطَعَنَ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَرَأَيْتَهُ بَعْدَ شَهْرٍ عَاقِدًا عَلَيْهَا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَكُنَّا نُؤَمِّرُ بِالْحَرَسِ عَلَى خَشْبَتِهِ فَنَرَى عِنْدَهُ الضُّوءَ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ عَمَّارُ الدُّهْنِيِّ: رَأَيْتُ مَاهَانَ حَيْثُ صُلِبَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَرْغَبُ بِكَ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ أَذْهَبَ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَطَعَ الْحِجَاجَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَصَلَبَهُ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سُئِلَ سُفْيَانُ عَنِ الرَّجُلِ يُقْتَلُ أَيْمَدَ رَقَبَتِهِ؟ فَقَالَ: قَالَ مَاهَانَ الْحَنْفِيُّ: احْمَلُونِي - أَيَّ عَلَى الْخَشْبَةِ. قَالَ: وَقَالَ الْحِجَاجَ لِأَبِي صَالِحٍ: زَرَعْتُمْ. قَالَ: حَرَرْنَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي مُسْلَمٍ: اقْتَلَهُ فَإِنَّهُ خَارِجِي.

قَتَلَ الْحِجَاجُ مَاهَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ.

● عمران بن حصين بن عبيد بن خلف:

صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الْقُدْوَةُ الْإِمَامُ، أَبُو نُجَيْدٍ الْخَزَاعِيُّ.

أَسْلَمَ هُوَ وَأَبُوهُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، سَنَةَ سَبْعٍ.

وَلِيَ قِضَاءَ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ عَمْرُ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِيَفْقَهُهُمْ؛ فَكَانَ الْحَسَنُ يَحْلِفُ: مَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْبَصْرَةَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ.

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: أَحَدْتُكَ حَدِيثًا عَنِ اللَّهِ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَلَمْ يَنْفَعْهُ حَتَّى مَاتَ، وَلَمْ يَنْزَلْ فِيهِ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ - يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ - قَالَ: فَلَمَّا اكْتَرَيْتُ، أَمْسَكَ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا تَرَكْتُهُ، عَادَ إِلَيَّ.

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: سَقَى بَطْنُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً، كُلُّ ذَلِكَ يُغَرِّضُ عَلَيْهِ الْكَبِيَّ، فَيَأْبَى؛ حَتَّى كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَتَيْنِ، فَاكْتَوَى.

وَقَدْ غَزَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، قَالَ: مَا مَسَسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مِنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

اتَّفَقَ الشَّيْخَانُ لَهُ عَلَى تِسْعَةِ أَحَادِيثَ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ، وَمُسْلِمٌ بِتِسْعَةٍ، وَمُسْنَدُهُ: مِئَةٌ وَثَمَانُونَ حَدِيثًا.

قَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ عِمْرَانَ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي رَمَادٌ تَذِرُونِي الرِّيحَ.

وَكَانَ مِمَّنْ اعْتَزَلَ الْفِتْنَةَ، وَلَمْ يَحَارِبْ مَعَ عَلِيٍّ.

وعن إبراهيم بن عطاء مولى عمران، عن أبيه؛ أنَّ عمران قضى على رجل بقضية، فقال: والله، قضيت عليَّ بجورٍ، وما ألوثُ. قال: وكيف؟ قال: شهد عليَّ بزور. قال: ما قضيت عليك فهو في مالي، والله لا أجلس مجلسي هذا أبداً.

عن أبي رجاء، قال: خرج علينا عمران في مطرف خَزْ لم نره قط، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً يُحِبُّ أَنْ تُرَى عَلَيْهِ».

وعن الحسن: أنَّ عمران بن حصين أوصى لأمهات أولاده بوصايا، وقال: مَنْ صَرَخْتَ عليَّ، فلا وصية لها.

توفي عمران رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين.

● العلاء بن زياد بن مطر بن شريح:

القدوة العابد، أبو نصر العدوي البصري.

وكان ربانياً تقياً قانتاً لله، بكاءً من خشية الله؛ بكى حتى غشي بصره. وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلم، جهشه بالبكاء.

كان قوته رغيفاً كل يوم، وكان له مالٌ ورقيق، فأعْتَقَ بعضهم، وباع بعضهم، وتعبَّد وبالغ، فكُلَّم في ذلك فقال: إنما أتدللُّ لله لعله يرحمني.

عن جعفر بن سليمان: سَمِعْتُ مَالَكَ بْنَ دِينَارٍ وَسَالَ هِشَامُ بْنُ زِيَادٍ الْعَدَوِيَّ فَقَالَ: تَجَهَّزَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لِلْحَجِّ، فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنْامِهِ: آتِ الْبَصْرَةَ، فَاتِ الْعَلَاءَ بْنَ زِيَادٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ رُبْعَةٌ، أَقْصَمُ النَّيَّةِ بَسَامَ، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ. فَقَالَ: رُؤْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ. فَأَتَاهُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ فِي الثَّالِثَةِ وَجَاءَهُ بِوَعِيدٍ، فَأَصْبَحَ وَتَجَهَّزَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ إِذَا الَّذِي أَتَاهُ فِي مَنْامِهِ يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا نَزَلَ فَقَدَهُ. قَالَ: فَجَاءَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْعَلَاءِ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَنْتَ الْعَلَاءُ؟ قُلْتُ: لَا، أَنْزَلَ رَحِمَكَ اللَّهُ، فَضَعَّ رَحْلَكَ. قَالَ: لَا، أَيْنَ الْعَلَاءُ؟ قُلْتُ: فِي الْمَسْجِدِ.

فجاء العلاء، فلمَّا رَأَى الرَّجُلَ، تَسَمَّ فَبَدَتْ ثَنِيَّتُهُ، فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ هُوَ. فَقَالَ الْعَلَاءُ: هَلَّا حَطَّطْتَ رَحْلَ الرَّجُلِ، أَلَا أَنْزَلْتَهُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ فَأَبَى. قَالَ الْعَلَاءُ: أَنْزِلْ رَحِمَكَ اللَّهُ. قَالَ: أَخْلِنِي. فَدَخَلَ الْعَلَاءُ مَنْزِلَهُ وَقَالَ: يَا أَسْمَاءُ تَحَوَّلِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ فَبَشَّرَهُ بِرُؤْيَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكِبَ، وَأَغْلَقَ الْعَلَاءُ بَابَهُ، وَبَكَى

ثلاثة أيام، أو قال: سبعة، لا يذوق فيها طعاماً ولا شرباً. فسمعتُه يقول في خلال بكائه: أنا، أنا. وكُنَّا نهابُه أن نفتحَ بابَه. وخشيتُ أن يموت، فأُتيتُ الحسن، فذكرتُ له ذلك، فجاء فدقَّ عليه، ففتح وبه من الضَّرْ شَيْءٌ اللهُ بِهِ عَلِيمٌ. ثم كَلَّمَ الحَسَنَ؛ فقال: وَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللهُ، أَفَقَاتِلُ نَفْسَكَ أَنْتَ؟ قال هشام: فحدَّثنا العلاءُ-لي وللحسن-بالرؤيا، وقال: لا تُحدِّثوا بها ما كنْتُ حَيًّا. قتادة: عن العلاء بن زياد، قال: ما يضرُّكَ شهدتُ على مسلم بكفر أو قتلته.

عن العلاء بن زياد، قال: رأيتُ الناسَ في النَّومِ، يتبعُونَ شَيْئاً، فتبعته، فإذا عجوزٌ كبيرة هُتَمَاءُ عوراء، عليها من كلِّ حَلِيَّةٍ وزينة، فقلتُ: ما أَنْتِ؟ قالت: أنا الدنيا. قلتُ: أسألُ الله أن يُبَغِّضَكَ إِلَيَّ، قالت: نعم، إن أبغضتُ الدراهم.

وعن هشام بن زياد أخو العلاء: أن العلاء كان يُحيي ليلة الجمعة، فنام ليلة جُمُعَةٍ، فأتاه من أخذ بناصيته، فقال: قم يا بن زياد، فاذكُر الله يذكُرُكَ. فقام، فما زالت تلك الشعراتُ التي أخذها منه قائمة حتى مات.

ذكر أبو حاتم ابن حَبَّان أنَّ العلاء بن زياد توفي في آخرَةِ ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين.

● حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنانِ البَصْرِي:

أَحَدُ الْعَبَّادِ الْوَرَعِينَ. قال عنه البخاري: كان من عُبادِ أهل البصرة. كان حسان بن أبي سِنان يفتح باب حانوته فيضع الدَّوَاةَ، وينشر حسابَه، ويُرخي سِتْرَهُ، ثم يصلي، فإذا أَحَسَّ بإنسان قد جاء، يقبل على الحساب يريه أنه كان في الحساب، وكان يقول: لولا المساكين ما اتَّجَرْتُ.

مَرَّ حسان بن أبي سِنان بِغُرْفَةٍ، فقال: مذ كم بُنيتُ هذه؟ قال: ثم رَجَعَ إلى نفسه، فقال: وما عليكِ مذ كم بُنيتُ، تسألين عَمَّا لا يَعْنِيكَ؟! فعاقبها بصوم سنة.

ذكره البخاري في البيوع، قال: وقال حَسَّانُ بْنُ (أبي) سِنان: ما رأيتُ شَيْئاً أهونَ من الورع، دَعَّ ما يريُّكَ إلى ما لا يريُّكَ.

● محمد بن كعب القُرظي:

مدني، تابعي ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن. منسوب إلى بني قريظة الطائفة المعروفة من اليهود، وهو تابعي جليل من كبار التابعين وأئمتهم، وهو

أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد المدني من حلفاء الأوس ، وكان أبوه من سبي قريظة ، سكن الكوفة ثم عاد إلى المدينة . ولد في حياة رسول الله ﷺ وسمع ابن عباس وزيد بن أرقم ومعاوية . وقيل : سمع ابن مسعود ورأى ابن عمر . قال ابن سعد : كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً .

توفي سنة ثمان ومئة ، قيل : سنة سبع عشرة ومئة .

● إبراهيم النخعي :

إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود النخعي ، اليماني ثم الكوفي أبو عمران الإمام ، الحافظ ، فقيه العراق ، مفتي أهل الكوفة ، قال فيه سعيد بن جبيرة : أتستفتوني وفيكم إبراهيم ؟ ! وقال فيه الإمام أحمد بن حنبل : كان إبراهيم ذكياً ، حافظاً ، صاحب سنة .

أحد الأعلام ، كان بصيراً بعلم ابن مسعود ، واسع الرواية ، فقيه النفس ، كبير الشأن ، كثير المحاسن ، رحمه الله تعالى . لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ ، وقد أدرك منهم جماعة ، ورأى السيدة عائشة رضي الله عنها . قال إبراهيم : تكلمت ، ولو وجدتُ بداً لم أتكلّم ، وإنّ زماناً أكونُ فيه فقيهاً لزمانٌ سوء .

جاءه رجلٌ فقال : يا أبا عمران ، إنّ الحسن البصريّ يقول : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار . فقال رجل : هذا من قاتل على الدنيا ، فأما قتال من بغى ، فلا بأس به ، فقال إبراهيم : هكذا قال أصحابنا عن ابن مسعود ؛ فقالوا له : أين كنت يوم الزاوية ؟ قال : في بيتي ؛ قالوا : فأين كنت يوم الجماجم ؟ قال : في بيتي ؛ قالوا : فإنّ علقمة شهد صفين مع عليّ ؛ فقال : بخ بخ ، من لنا مثل عليّ بن أبي طالب ورجاله .

مرّ الشّعبيّ - وهو من ثقات التابعين - بإبراهيم النخعي ، فقام له إبراهيم عن مجلسه ، فقال له الشّعبيّ : أما إنني أفقه منك حياً ، وأنت أفقه مني ميتاً ، وذلك أنّ لك أصحاباً يلزمونك ، فيُخَيِّونَ عِلْمَكَ .

فلما مات إبراهيم النخعي قال الشّعبيّ : أما إنّه ما ترك أحداً أعلم منه ، أو أفقه .

وقيل : إنّ إبراهيم لما احتضر ، جَزَعَ جَزَعاً شديداً ؛ فقيل له في ذلك ، فقال : وأيّ خطرٍ أعظم ممّا أنا فيه ، أتوقّع رسولا يردّ عليّ من ربّي إما بالجنة وإما

بالتَّارِ؛ والله لَوَدِدْتُ أَنهَا تَلَجُلُجُ فِي حَلْقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
توفي سنة ستٍّ وتسعين وله تسع وأربعون سنة، وقيل : ابن نَيْفٍ وخمسين
بعد الْحَجَّاجَ بأربعة أشهر أو خمسة .

● العباس بن أحمد بن علي القحطبي :

أبو الفضل ، جرجاني ، كان رئيس جرجان في أيامه ، روى بسنده عن ابن
عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «احتجموا لخمس عشرة ، أو سبع عشرة ، أو
تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين ، لا يتبيخ بكم الدم فيقتلكم» . ورد ذكره في
(تاريخ جرجان) .

● أبو قلابة :

عبد الله بن زيد الجرهمي ، أبو قلابة .
مما نقل عنه : أنه قال : أي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيالٍ له
صغار يُعْفَهُمُ اللهُ بِهِ وَيَغْنِيَهُمْ .
وقال : إذا أحدث الله عزَّ وجلَّ لك علماً ، فأحدث له عبادة ، ولا يكن همَّك
ما يحدث به الناس . قال : وقال لي : الزم سوقك فإن الغنى من العافية .
وقال حُميد الطويل : قال أبو قلابة : إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه ،
فالتمس له العذر جُهدك ، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك : لعل لأخي عذراً لا
أعلمه ، وكان رجل بالبصرة من بني سعد قائداً من قواد عبيد الله بن زياد فسقط عن
السطح فانكسرت رجلاه ، فدخل عليه أبو قلابة يعوده فقال له : أرجو أن تكون لك
خيرة ، فقال : يا أبا قلابة ! وأي خير في كسر رجلَيَّ جميعاً ، فقال : ما ستر الله عليك
أكثر ، فلمَّا كان بعد ثلاث ورد عليه كتابُ ابن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين رضي
الله عنه ، فقال للرسول : قد أصابني ما ترى ، فما كان إلا سبعة حتى وافى الخبر بقتل
الحسين رضي الله عنه ، فقال الرجل : رحم الله أبا قلابة لقد صدق ، إنه كان خيرة لي .
هذا ومرض أبو قلابة ومات بالشَّام سنة أربع أو خمس ومئة رحمه الله تعالى .

● الغزي :

هو ربعي بن الأفكل ، كان على مقدمة جيش أميره عبد الله بن المعتم وجعله
على المقدمة بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أرسل عمر إلى سعد بن أبي
وقاص رضي الله عنه بعدما فتح الله على المسلمين المدائن أن يجهز جيشاً لأهل
الموصل الذين اجتمعوا بتكريت على قائد يقال له : (الأنطاق) ويؤمِّر عليه

عبد الله بن المعتم، وأن يجعل ربعي بن الأفكل الغزي في مقدمته. كما عهد إليهم في كتابه إذا نصرُوا على تكريت أن يبعثوا ربعياً إلى الحصنين، وهي الموصل، فسار ربعي ومعه سرية إلى الحصنين بعد الانتصار في تكريت وأجاب أهلها إلى الصلح، وولي ربعي إمرة حرب الموصل.

● عامر بن عبد الله:

هو الذي يقال له: ابن عبد قيس، ويكنى أبا عمر، يقول فيه مالك بن دينار: بلغنا أن كعباً رأى عامراً فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا عامر، فقال: هذا راهب هذه الأمة. أدرك عامر الصدر الأول، وروى عن عمر رضي الله عنه لكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية.

قيل: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم عامر بن عبد الله.

إن كان ليصلي فيتمثل له إبليس في صورة الحية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه، فقليل له: ألا تنحي الحية عنك؟ فقال: إني لأستحيي من الله عز وجل أن أخاف سواه، فقليل له: إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع، وإن النار لتتقى بدون ما تصنع! فقال: والله لأجتهدن ثم والله لأجتهدن، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن دخلت النار فبعد جهدي.

لما احتضر بكى، فقليل له: أتجزع من الموت وتبكي؟! فقال: ما لي لا أبكي؟! ومن أحق بذلك مني؟! والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على دنياكم، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء.

كان يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبتها، وما رأيت مثل النار نام هاربها. وكان إذا رأى ذمياً يعتدي عليه، وثب إليه يخلصه من العدوان، ويقول: لا تُخَفِّرْ ذمّة محمد ﷺ وأنا حي.

وقد سأل عامر ربه عز وجل أن يهون عليه الطهور في الشتاء: فكان يؤتى بالماء وله بخار.

وقال: أربع آيات في كتاب الله تعالى إذا ذكرتهن لا أبالي على ما أصبحت أو أمسيت: ﴿ مَا يَفْتِخُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

ونختم بمسك سيرته كما جاء عن أبي عبدة العنبري قال : لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباض - وهو ما كان من الغنيمة قبل أن يقسم - أقبل رجل يُحَقُّ معه - الحَقُّ : الوعاء - فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال الذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ، فقالوا له : هل أخذت منه شيئاً؟ فقال : أما والله لو لا الله ما أتيتكم به . فعرفوا أن للرجل شأنًا فقالوا : مَنْ أنت؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرظوني ، ولكنني أحمدُ الله وأرضى بثوابه ، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس .

● أحمد بن أبي الحواري :

يكنى أحمد أبا الحسن ، واسم أبي الحواري ميمون .
سكن دمشق ، وكان له ابن يقال له : عبد الله من الزهاد ، وأخ يقال له : محمد يشبهه في الورع والزهد . وأبوه أبو الحواري من أهل الورع ، فبيتهم بيت الورع والزهد .

وكان الجُنيد يقول : أحمد ريحانة الشام . وحسبك بما قال الجنيد .
وذكر يحيى بن معين أحمد فقال : أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به .
كذلك محمود بن خالد قال فيه : ما أظن بقي على وجه الأرض مثله .
ومن أقواله : من أحبَّ أن يعرف بشيء من الخير ، أو يذكر به فقد أشرك في عبادته ، ومن عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه .

وقال : إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آية ، فيحار عقلي فيها ، فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن ، أما لو فهموا ما يتلون ، وعرفوا حقه ، وتلذذوا به ، واستحلوا المناجاة به ؛ لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا .

وقال العباس بن حمزة : قال أحمد : كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث وأبي معاوية ووكيع ونظرانهم . وتوفي سنة ثلاثين ومئتين .

● خالد بن زيد الكاتب:

أبو الهيثم، أصله من خراسان، شاعر مشهور، رقيق الشعر، كان من كتّاب الجيش.

ومن شعره:

والهوى أن تصلني وأصلي	عش فحبك سريعاً قاتلي
فيك والسقم بجسم ناحلي	طفر الشوق والقلب دنف
تركاني كالقضيبي الذابل	فهما من اكتئاب وضني
فبكائي لبكاء العاذل	وبكى العاذل من رحمته

توفي ببغداد سنة (٢٦٩هـ).

● ثابت البناني:

هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني، وبنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب.

ولد في خلافة معاوية، وحدث عن عبد الله بن عمر كما في مسلم، وغيره كما في البخاري والنسائي والترمذي.

كان من أئمة العلم والعمل، قال أنس بن مالك: إن للخير أهلاً وإن ثابتاً هذا من مفاتيح الخير.

وقال غالب القطان عن بكر المزني: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فليُنظر إلى ثابت البناني، ومن أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فليُنظر إلى قتادة.

وعن ابن أبي رزين: أن ثابتاً قال: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة.

عن حماد بن سلمة قال: كان ثابت يقول: اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري.

ويقال: إن هذه الدعوة استُجيبَت له، وإنه رُئي بعد موته يصلي في قبره.

وكان بكاءً حتى كاد البكاء يضرُّ بنظره، فقال جعفر بن سليمان: نهى الكحل ثابتاً عن البكاء خشية ذهاب عينه، فقال: فما خيراً إذا لم يبكي؟!

وقال حماد بن سلمة: قرأ ثابت وهو يصلي قوله تعالى: ﴿ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ . . . ﴾ [الكهف: ٢٧] فأخذ ينتحب وهو يرددها.

روى البخاري في تاريخه الأوسط: أن ثابتاً ومالك بن دينار ومحمد بن واسع ماتوا سنة (١٢٣هـ).

● علي بن بكار البصري الزاهد:

يكنى أبا الحسن، سكن المصيصة مرابطاً وكان فقيهاً.

قال موسى بن طريف: كانت الجارية تفرش لعلّي، فيلمسه بيده ويقول: والله إنك لطيب، والله إنك لبارد، لا علوتك الليلة، فكان يصلي الغداة بوضوء العتمة.

وسئل عن حبه للقاء حذيفة المرعشي - وكان من الصالحين - فكره ذلك وقال: أخاف أن أتصنّع له، فأتريّن لغير الله، فأسقط من عين الله عزّ وجلّ.

وقد استوصاه فيض بن إسحاق فقال: اتّق الله والزم بيتك وأمسك لسانك، واترك مخالطة الناس تنزل عليك الحكمة من فوقك.

وخرج علي وأبو إسحاق الفزاري يحتطبان، فأبطأ علي حتى قام أبو إسحاق يبحث عنه في الجبل، فرآه جالساً وفي حجره رأس سبع وهو نائم يذب عنه، فقال له أبو إسحاق: ما قعودك ههنا؟ فقال: لجأ إليّ فرحمته، فأنا أنتظره لينتبه فألحقك.

هذا وقد طعن فيما ذكر في بعض مغازيه، فخرجت أعاؤه على قربوس سرجه فردّها إلى بطنه بالعمامة وقاتل.

صحب علي إبراهيم بن أدهم وتوفي بالمُصيصة سنة (١٩٩هـ). انظر ترجمته في: (صفة الصفوة) و(سير أعلام النبلاء).



الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات .
- ٢ - فهرس الأحاديث الشريفة والآثار .
- ٣ - فهرس الشعر .
- ٤ - فهرس الموضوعات .
- ٥ - فهرس الأعلام المترجم لهم .

* * *

١ - فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة

- ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١) ٧٩
 - ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٢) ٩٠

البقرة

- ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (١) ٨٢
 - ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (٢) ٩٠
 - ﴿فَمَا رِيحَتْ يَحْذَرُهُمْ﴾ (٣) ٥٧١، ٣٣٦، ٩٤
 - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ﴾ (٤) ٦١
 - ﴿أَوْ كَصَيْرِ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (٥) ٧٢، ٦١
 - ﴿فَأَنزَلْنَا سُورَةَ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (٦) ٢٢٦، ٦٧
 - ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ (٧) ٦١
 - ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (٨) ١٠١
 - ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَعْوَاتٍ﴾ (٩) ٦٥
 - ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١٠) ٣٧٢، ٣٤١، ٢٥٣
 ٦٨١، ٦١٩، ٥١٤، ٥١٣
 - ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (١١) ٥٩٤، ٢٥٤
 - ﴿لَا عَلَّمَ لَنَا﴾ (١٢) ١٦١
 - ﴿قَالَ يَكَادُمُ أَنْ يَفْتَهُمُ بِأَسْمَاءِهِمْ﴾ (١٣) ٥٢٤، ٤٦٤، ٣٤١
 - ﴿اسْجُدُوا﴾ (١٤) ٦٩٩، ٥٩٤، ١٦١، ٦٧
 - ﴿اسْكُنْ﴾ (١٥) ٧٣٧، ٦٩٩، ٦٥
 - ﴿فَتَلَقَّى﴾ (١٦) ٧٠٠، ٦٩٩، ٥٠٤
 - ﴿أَقْبِلُوا مِنهَا﴾ (١٧) ٧٠١، ٩٠، ٦٧
 - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ (١٨) ٩٩
 - ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ (١٩) ٦٨

- ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ۖ ﴾ ٧٦
- ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ ۖ ﴾ ٢٠١
- ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ۖ ﴾ ٦٥
- ﴿ حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ۖ ﴾ ٨٣، ٧٠، ٦٨
- ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ ﴾ ٦٨
- ﴿ وَلَا تَحْمِلُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ۖ ﴾ ٣٩٣، ٧٣، ٦٥
- ﴿ أَتَسْبِيحُونَ الَّذِي هُوَ أَدْفُ ۖ ﴾ ٢٠١، ٧٧، ٧٢
- ﴿ وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيحِينَ ۖ ﴾ ٧٠
- ﴿ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ ۖ ﴾ ٧٩
- ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ ٨٦
- ﴿ أَنْتَنْ حِثَّ بِالْحَقِّ ۖ ﴾ ٧٧
- ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا ۖ ﴾ ٩٥
- ﴿ فَقُلْنَا أضرُّوهُ بِبَعْضِهَا ۖ ﴾ ٣٠٤، ٩٥
- ﴿ وَذِي الْقُرْنِ ۖ ﴾ ٦٨
- ﴿ فَلَيْمَ تَسْأَلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ۖ ﴾ ٩٥
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا مَاتُوا ۖ ﴾ ٥٩
- ﴿ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ ۖ ﴾ ٧٨
- ﴿ نَأْتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا ۖ ﴾ ٧٨
- ﴿ لَوْلَا يَكُفُّنَا اللَّهُ ۖ ﴾ ٧٨
- ﴿ بَعْدَ الَّذِي جَاءَ لَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۖ ﴾ ٧٠، ٦٥
- ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ ۖ ﴾ ٤٨٢
- ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ۖ ﴾ ١١٦، ٦٥
- ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ ﴾ ١٦٦
- ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ۖ ﴾ ١٦٦
- ﴿ وَمَا أَوْفَى النَّيِّتُونَ ۖ ﴾ ٦٨، ٦٥
- ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۖ ﴾ ١٣٨
- ﴿ يَلَاكُ أَمَةٌ مَدَّخَلَتْ ۖ ﴾ ٣٦٠
- ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۖ ﴾ ٧٠
- ﴿ فَذَرْنِي تَقَلَّبَ وَجْهَكَ ۖ ﴾ ٩٩، ٨٢

- ﴿قُولُوا حُبَّوْا مَعَكُمْ مَنْظَرًا﴾ ٦٨٣
- ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ٧٦٧ ، ٥٢٣ ، ٣٧٤
- ﴿وَلَتَبْلُؤَنَكُمْ﴾ ٣٨٢ ، ٢٩٤
- ﴿أُولَئِكَ أَتَابَا لَمْ يَصِفُوا﴾ ٦٥
- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ٦١
- ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ يَقْتِرَ اللَّهُ﴾ ٧٠
- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ ٢٠٢ ، ٦٣
- ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ ٧٨
- ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ ١٠٢
- ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ ٨١ ، ٦٨
- ﴿فَقِذْبَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ ٧٢
- ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ ٨٤
- ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ ٧٩
- ﴿فِي ظُلُلٍ﴾ ٨٢
- ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ ٩٨
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ ١٠٢
- ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ ٢٩٥
- ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾ ٩٤
- ﴿الَّذِي يَبْدُوهُ عُقْدَةُ الْبُكَاجِ﴾ ٦٠٣ ، ٤٩١ ، ٢٣٧ ، ٨٩
- ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ٧٩
- ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ٢٩٩ ، ٢٥٣
- ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ ٨٦
- ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَمِ وَيُعِيبُ﴾ ١٧٢
- ﴿مَرَّةً عَلَى قَتْلِهِ﴾ ٨٣ ، ٧٢
- ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ﴾ ٦٣
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ ٦١
- ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ مَافُوتٍ﴾ ٧٠ ، ٦١
- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ ٦١
- ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ﴾ ٦١

- ﴿مِنْ عِلِّيِّينَ مَا كُنْتُمْ...﴾ ١٢١ ٨٩
- ﴿لَا يَسْطِيعُونَ ضَرْأَافِ الْأَرْضِ...﴾ ١٢٢ ٦٢٢، ٥٣٣
- ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتْعَبُهُ...﴾ ١٢٣ ٦١، ٣٧
- ﴿وَإِنْ كَانَتْ دُورُ عُسْرٍ...﴾ ١٢٤ ٨٣
- ﴿وَأَذِّنْ لِلْآتِرَاتِ بَوَاءَ...﴾ ١٢٥ ٧٧، ٧٢
- ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾ ١٢٦ ٨٥

آل عمران

- ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ...﴾ ١٢٧ ٦٢٤، ٧٧
- ﴿بِيَدِكَ الْغَيْرُ...﴾ ١٢٨ ٧٨، ٧٧
- ﴿إِنِّي وَصَّيْتُ أَنْثَى...﴾ ١٢٩ ٢١٣
- ﴿فَتَقَبَّلَهَا...﴾ ١٣٠ ٢١٧، ٢١٤، ٢١٣
- ﴿دَعَا ذَكَرَ رَبَّهُ...﴾ ١٣١ ٢١٧
- ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكَ...﴾ ١٣٢ ٢١٥
- ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ...﴾ ١٣٣ ٤١٣، ٢١٣
- ﴿عَنْ أَنْصَارِ اللَّهِ...﴾ ١٣٤ ٢١٦
- ﴿مَأْمَنًا بِاللَّهِ...﴾ ١٣٥ ٢١٦
- ﴿وَمَكْرُوًا...﴾ ١٣٦ ٢١٦
- ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ...﴾ ١٣٧ ٧٠
- ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ...﴾ ١٣٨ ٨٧
- ﴿وَالْيَتِيمُونَ...﴾ ١٣٩ ٦٨، ٦٥
- ﴿كَانَ حِلًّا...﴾ ١٤٠ ٨٣
- ﴿مَنْ مَّامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا...﴾ ١٤١ ٦٨
- ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ...﴾ ١٤٢ ٧٠١، ٦١
- ﴿أَكْفَرْتُمْ...﴾ ١٤٣ ٦٠، ٥٩
- ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ...﴾ ١٤٤ ٧٩
- ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ...﴾ ١٤٥ ٦١
- ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطَمِينَ...﴾ ١٤٦ ٧٠، ٦٨
- ﴿وَسَارِعُوا...﴾ ١٤٧ ٧٥٧
- ﴿ذَكِّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا...﴾ ١٤٨ ٨٠

- ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ۖ ﴾ ٣٧
- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ ۖ ﴾ ١٠٠
- ﴿ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ ﴾ ٦٨
- ﴿ فَأَثْبِكُمْ عَلَيْكُمْ عَمَّا يُفْتَرُ ۖ ﴾ ٧٧، ٦٥
- ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۖ ﴾ ٨٩، ٧٤
- ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ ﴾ ٢٣٠
- ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۖ ﴾ ٥٢٢
- ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ۖ ﴾ ٩٤
- ﴿ أَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمُونَ ۖ ﴾ ٧٣١، ٥٧٣
- ﴿ يُطْلِعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ۖ ﴾ ٨٥
- ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاضُوا ۖ ﴾ ٢٧٤

النساء

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ۖ ﴾ ٦٥، ٥٩
- ﴿ ذَلِكَ أَذَقَهُمْ آيَاتِنَا ۖ ﴾ ٧٢
- ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ أَهْلِ الْبُيُوتِ ۖ ﴾ ٥١٦
- ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ ۖ ﴾ ٦١٨
- ﴿ وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۖ ﴾ ٧٨
- ﴿ فَحِشَّةٌ وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ ﴾ ٦٨
- ﴿ فَإِنْ أُلْعِنَتْكُمْ ۖ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ وَيَذِي الْقُرْبَىٰ ۖ ﴾ ٦٨
- ﴿ لَوْ تَسَوَّىٰ أَرْضُ الْوَادِي ۖ ﴾ ٧٧، ٧٣
- ﴿ فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ ۖ ﴾ ٥٣٦، ٩٤، ٩٠، ٧٧
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ۖ ﴾ ٧٤
- ﴿ وَإِنْ سَكَرْتُمْ لَكُمْ يُبَلِّغُنَّ ۖ ﴾ ٥٣٥
- ﴿ لَوْلَا أَخَّرْنَا ۖ ﴾ ٨٧
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ ٨٦
- ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضًا مَوْدِيعةً ۖ ﴾ ٨٢، ٧٣
- ﴿ أَنْ يَقُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ ﴾ ٨١
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ ۖ ﴾ ٨٦

- ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ...﴾ (١٦٦) ٦٣
- ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ...﴾ (١٦٧) ٤٧٨
- ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ...﴾ (١٦٨) ٧٠
- ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ...﴾ (١٦٩) ٩٩
- ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا...﴾ (١٧٠) ٦٦
- ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى...﴾ (١٧١) ٢٥٤
- ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ...﴾ (١٧٢) ٥٧٣
- ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ...﴾ (١٧٣) ٨٠

المائدة

- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ...﴾ (١) ٩٩
- ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ...﴾ (٢) ٧٠
- ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ...﴾ (٣) ٩٩
- ﴿لَنْ تَدْخُلُهَا...﴾ (٤) ٢٠١
- ﴿يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ...﴾ (٥) ٧٣
- ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ...﴾ (٦) ٨٢
- ﴿أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ...﴾ (٧) ٧٤
- ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ (٨) ٥٦٥، ٥٢٣، ٣٢٨، ٣١٤
- ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾ (٩) ٢٥٦، ٨٠
- ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ...﴾ (١٠) ٧٧
- ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الْرَّاسُخُونَ...﴾ (١١) ٨٧
- ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ...﴾ (١٢) ٧٣
- ﴿لِيَذُرَّ قِبَالَهُمْ أَسْرِيَهُ...﴾ (١٣) ٧٤
- ﴿أَوَلَوْ كَانَ مَا أَوْهَمُ لَا يَعْلَمُونَ...﴾ (١٤) ٦٥
- ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ...﴾ (١٥) ٨١
- ﴿ذَلِكَ أَتَى أَنْ يَأْتُوا...﴾ (١٦) ٧٢

الأنعام

- ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مَلَائِكَةً...﴾ (١) ٧٨
- ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَحِيرٌ...﴾ (٢) ٨٣٣، ٧٨
- ﴿لَا تُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾ (٣) ٢٢٦

- ﴿قَدْ لَزَّكَنْهُمْ فَنَزَّلْنَا...﴾ (١٧) ١٠١، ٩٠، ٨١
- ﴿لَوْ لَا نَزَّلْنَا...﴾ (١٨) ٨٧
- ﴿فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا...﴾ (١٩) ٨٧
- ﴿لَخَذَلْنَاهُمْ بَغْتَةً...﴾ (٢٠) ٧٤٢
- ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ...﴾ (٢١) ٦٩
- ﴿كَأَلَيْكَ اسْتَهْوَاهُ الشَّيْطَانِ...﴾ (٢٢) ٦١
- ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ...﴾ (٢٣) ٧٧
- ﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ، عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا...﴾ (٢٤) ٦٨
- ﴿فِيهِدْنَاهُمْ أَفْهَدًا...﴾ (٢٥) ١٦٥، ٩٠
- ﴿سَأَزِيلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ (٢٦) ٧٣
- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ (٢٧) ٧٠
- ﴿أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...﴾ (٢٨) ٧٠
- ﴿أَوِ الْخَوَاصِ أَوْ مَا تَخَلَطَ بِعَظِيمٍ...﴾ (٢٩) ٧٢
- ﴿نَحْنُ نَزَّلُكُمْ وَإِنَّا لَهُمْ...﴾ (٣٠) ٧١، ٦٦
- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا...﴾ (٣١) ٧٤٤

الأعراف

- ﴿وَبَنَادُمْ أَسْكَنْ...﴾ (١) ٦٥
- ﴿فَدَلَّاهُمَا...﴾ (٢) ٣٧٢
- ﴿رَبَّنَا عَلَّمْنَا نَافِسًا...﴾ (٣) ٦١٩، ٥٩٤
- ﴿بَيْنَ يَدَيْ آدَمَ...﴾ (٤) ٥٩
- ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ...﴾ (٥) ٦٧٢
- ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ...﴾ (٦) ٥٩
- ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا...﴾ (٧) ٦٣
- ﴿أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ نَفْسُهُمْ...﴾ (٨) ٩٩
- ﴿ادْخُلُوا فِي أَسْمِ...﴾ (٩) ٨٢
- ﴿مَدَدْنَا لَهَا...﴾ (١٠) ٨٦
- ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ...﴾ (١١) ١٠١
- ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ...﴾ (١٢) ١٠١
- ﴿أَوْ عَجِزْتَ أَنْ جَاءَ كُ...﴾ (١٣) ٨٠

- ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾ ١٦٩
- ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ...﴾ ٧٣
- ﴿أَنْتَ مَكِيدٌ حَاشِرٌ سَلِّ مِنْ رَبِّكَ...﴾ ١٠٠
- ﴿مَا مَسَّكُمْ بِهَا مِنْ آخِرٍ...﴾ ٧٧
- ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ...﴾ ٦٨
- ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ...﴾ ٧٧
- ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ...﴾ ٦٦
- ﴿يُرِيدُ أَنْ يَخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ...﴾ ٩٧، ٧٤، ٦٩
- ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ...﴾ ٦٦
- ﴿وَأَنَّا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ...﴾ ٦٩
- ﴿ثُمَّ لَأَصْلَحَنَّكُمْ...﴾ ٦٦
- ﴿فَانقَسَا...﴾ ٢٣١
- ﴿مَشْكُوفَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا...﴾ ٩٩، ٧٣
- ﴿وَإِذَا أَجْمَعْتَكُمْ...﴾ ٦٨
- ﴿أَتَخْلُقُنِي فِي قَوْمٍ...﴾ ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٠٠
- ﴿أَوْفَى...﴾ ٦٨٥، ٢٨٩
- ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ...﴾ ٣٩
- ﴿قَالَ أَيْنَ أُمُّ...﴾ ١٩٠، ٦٩، ٥٩
- ﴿إِنْ مِنْهُ إِلَّا فِتْنَتُكَ...﴾ ٨٢
- ﴿وَعَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ...﴾ ٦٥
- ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ...﴾ ٧٠، ٦٨
- ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ...﴾ ٨٣
- ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...﴾ ٥٩٨، ٥٣٧، ٥١٩، ٥١٨، ٢٦١، ٢٥٧
- ﴿فَتَلَّهُ كَمَلٍ الْكَلْبِ...﴾ ٢٠٤، ٦١
- ﴿لَأَسْتَكْفُرَنَّ مِنَ الْغَيْرِ...﴾ ٧٨
- ﴿وَجَعَلْ بَيْنَهَا زَوْجَهَا...﴾ ٦٥
- ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ...﴾ ٢٣٥
- ﴿لَوْلَا أَجَبَتْنَاهَا...﴾ ٨٧

الأنفال

- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ...﴾ ٨١
- ﴿إِنَّمَا الْمُنَافِقُونَ...﴾ ٦٣٢
- ﴿لِيَحِقَّ الْحَقُّ...﴾ ٧٧
- ﴿إِلَّا بُشْرَى...﴾ ٧٠، ٦٨
- ﴿سَأَلَنِي...﴾ ٢٣٠، ٨٦
- ﴿إِنْ تَسْتَفِيسُوا...﴾ ٢٣١
- ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَبْرًا...﴾ ٧٨
- ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ...﴾ ٥٧٩
- ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مَثَلًا...﴾ ١٠٢
- ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُصْمَهُ...﴾ ٥٢٧
- ﴿لَيَقْبِضَنَّ اللَّهُ أَشْرَارًا...﴾ ٧٤
- ﴿لَوْ لَا كُتِبَ مِنْ أَمْرِ...﴾ ٨٦

التوبة

- ﴿أَتَيْتُهُ مَائِمَةً...﴾ ٤٨١
- ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ...﴾ ٧٤
- ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ...﴾ ٦٦
- ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ...﴾ ٧٩
- ﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلْغَيْنَاهُ...﴾ ٧٩
- ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ...﴾ ٦٩
- ﴿ثَاقِبَ اثْنَيْنِ...﴾ ٦٦٠
- ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ...﴾ ٦٣
- ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا...﴾ ٨٢
- ﴿فَدَاخِلْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ...﴾ ٧٤
- ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسِلَ...﴾ ٩٥
- ﴿إِنْ شِئْتَ مِنْ طَائِفَتِهِ...﴾ ٩٥
- ﴿وَمَا تَقْصُرُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ...﴾ ٩٩، ٦٣

- ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا...﴾ ٤١٢
 - ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ...﴾ ٨١
 - ﴿لِتَعْمَلَهُمْ قُلْتَ...﴾ ٩٠
 - ﴿مَدَنَّا مَا اللَّهُ مِنْ أَحْبَارِكُمْ...﴾ ٩٩
 - ﴿خَلُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنِ...﴾ ٣١٤
 - ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ...﴾ ٨١
 - ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ...﴾ ٨١
 - ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا...﴾ ٥٨٤
 - ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَدُّ...﴾ ٥٨٣ ، ٧٧
 - ﴿إِلَّا عَنْ مَرَعْدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ...﴾ ١٠٠
 - ﴿وَعَلِ الْفُلُوكِ الْيَدِ الْخُلُوفُ...﴾ ٣٨٧
 - ﴿فَتَبْلُغُوا الْيَدِ الْيَدِ الْيَدِ...﴾ ٢٧٨
 - ﴿يُقْسَوْنَ فِي كُلِّ عَامٍ...﴾ ٨٢

يونس

- ﴿يُذِيقُ الْآثَمَ...﴾ ٧٤
 - ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ٨٦
 - ﴿يَهْدِيهِمْ رَحْمَتُ...﴾ ٣٢٨
 - ﴿وَأَنفَأَسَ الْإِنْسَانَ الْفَرُّ...﴾ ٨٦ ، ٧٥
 - ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ...﴾ ٨٦
 - ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ...﴾ ٨٨
 - ﴿حَتَّىٰ إِنَّا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ...﴾ ٦٠
 - ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ ٥٦١ ، ٢٦٥ ، ١٧١ ، ٦١
 - ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ بَارِئِ السَّلَامِ...﴾ ٧٠١
 - ﴿يُسَوِّرُ يَتْلُو...﴾ ٦٧
 - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ ٧٣
 - ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ...﴾ ٣٤٦
 - ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ...﴾ ١٠٠
 - ﴿وَتَذَكِّرِي بِفَائِتِ اللَّهِ...﴾ ١٠٠
 - ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً...﴾ ٨٢

- ﴿فَاتَّبَعْتُمُ زَعُونَ﴾ ﴿١﴾ ٦٦
- ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ ﴿٢﴾ ٥٩
- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً﴾ ﴿٣﴾ ٨٨

هود

- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿٤﴾ ٨٣٣، ٧٣
- ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ ﴿٥﴾ ٨٥
- ﴿وَلَيْنَ آدَمْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ﴿٦﴾ ٧٥
- ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ كِتَابٌ﴾ ﴿٧﴾ ٨٨
- ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ ﴿٨﴾ ٦٢
- ﴿وَلَا أَقُولُ لِي مَلَكٌ﴾ ﴿٩﴾ ٦٩
- ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ﴾ ﴿١٠﴾ ١٦٧
- ﴿وَلَا تُخْطِبُنِي﴾ ﴿١١﴾ ١٦٧
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ ﴿١٢﴾ ١٦٧، ٧٤
- ﴿وَمَنْ يَجْعَلِ يَهُودَ﴾ ﴿١٣﴾ ١٣٤، ٩٥، ٧٤
- ٥٧٣، ٤٠٧، ١٦٧
- ﴿وَنَسْنَأُ قَلْبِي﴾ ﴿١٤﴾ ٦٣٧، ١٦٨، ٧٤
- ﴿أَقْبِطْ﴾ ﴿١٥﴾ ٧٠١
- ﴿يَسَارِكِ الْهَٰمِنَا﴾ ﴿١٦﴾ ٨١
- ﴿وَلَا تَشْرُقْنَهُ﴾ ﴿١٧﴾ ٦٩
- ﴿الْأَبْدَا﴾ ﴿١٨﴾ ١٧٠
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ ﴿١٩﴾ ٨٥
- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ ﴿٢٠﴾ ١٨٠، ٦٩
- ﴿مُؤَلَّاهُ بَنَاتٍ﴾ ﴿٢١﴾ ١٨٠
- ﴿مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ ﴿٢٢﴾ ٧٧
- ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ ١٨٠
- ﴿فَأَنسِرْ﴾ ﴿٢٤﴾ ١٨١، ١٨٠
- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا﴾ ﴿٢٥﴾ ١٨١، ٦٦
- ﴿وَمَا مِنْ مِنَ الظَّالِمِينَ يَمِيعِدُ﴾ ﴿٢٦﴾ ١٨٣
- ﴿أَرْبَابَكُمْ يَخْتَارُ﴾ ﴿٢٧﴾ ١٩٢، ٧٨

- ﴿أَمْسَاؤُكَ تَأْمُرُكَ...﴾ (٨٧) ١٩٢، ٨١
- ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٩) ١٩٩
- ﴿وَإِنَّا لَنُرِيدُكَ مِنَّا ضَعِيفًا...﴾ (٩١) ١٩٢، ٨٢
- ﴿أَلَا بُدَا لِمَنِّينَ...﴾ (٩٥) ٣٣٤، ١٩٣
- ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٩٧) ١٠٣، ٧٤
- ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...﴾ (١٠٣) ٧٤١
- ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً...﴾ (١٠٣، ١٠٤) ٧٦٩
- ﴿مَثَلُوا كَانِ مِنَ الْفُرُونَ...﴾ (١٠٤) ٨٨

يوسف

- ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾ (١) ١٨٤، ٣٩
- ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ...﴾ (٩) ١٨٥
- ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ...﴾ (١٥) ١٨٤
- ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا...﴾ (١٥) ١٨٤
- ﴿تَنبِئْتُهُمْ...﴾ (١٥) ١٨٥، ١٨٤
- ﴿عِشَاءَ يَبْكُوتَ﴾ (١٦) ١٨٤
- ﴿يَدْمِرْ كَذِبٌ...﴾ (١٨) ١٨٤
- ﴿وَشَرَوْهُ بِشَعِيرٍ بَخْسٍ...﴾ (٢٥) ٣٤٧، ١٨٦
- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ...﴾ (٢٥) ٦٩
- ﴿وَعَلَّقَتِ الْآبَتُوبَ...﴾ (٢٧) ٤٢٥، ٩٥
- ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ...﴾ (٣٣) ٢٤٨، ١٨٤، ٨٦
- ٦٥٢، ٤٨٢، ٣٩٧
- ﴿وَأَسْبَقَ الْبَابَ...﴾ (٣٥) ٤٢٥، ١٨٥
- ﴿رَشِيدٌ شَاهِدٌ...﴾ (٣٦) ١٨٥
- ﴿تَرَاوَدُّ فَتْنَهَا...﴾ (٣٥) ٦٨٦، ٥١٣
- ﴿أَخْرِجْ عَيْنِي...﴾ (٣٦) ٦٤٩، ٥١٣
- ﴿فَأَسْتَعِمْ...﴾ (٣٦) ٧٠١، ٦٨٦، ٦٥٢، ١٨٥
- ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ...﴾ (٣٦) ١٧٥
- ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرِّعَّةِ بِكَارِهِينَ...﴾ (٣٦) ٨٦

- ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾... ﴿٥١﴾ ٤٢٥، ٩٧
- ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾... ﴿٥٢﴾ ٤٣٧، ٢٩٩، ٩٧، ٩٠
- ﴿وَمَا أَتْرَكُ فَيَسُوءُ﴾... ﴿٥٣﴾ ٧٠٥
- ﴿أَجْعَلَنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾... ﴿٥٤﴾ ٧٣
- ﴿مُنْعَ مِنَّا الْكِتْلُ﴾... ﴿٥٥﴾ ١٨٦
- ﴿جَمَدَ السَّنَابَةِ﴾... ﴿٥٦﴾ ١٨٦
- ﴿مَا كَانَ لِأَخِي أَخَاهُ﴾... ﴿٥٧﴾ ٢٠٢
- ﴿وَسُئِلَ الْقَرْيَةُ﴾... ﴿٥٨﴾ ٩٤، ٨٣
- ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾... ﴿٥٩﴾ ٧٥٧
- ﴿فَاللَّهُ تَفْتَرُؤُا﴾... ﴿٦٠﴾ ١٨٨
- ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثَقَ﴾... ﴿٦١﴾ ٦٩٦
- ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِن يُّوسُفَ﴾... ﴿٦٢﴾ ٨٩١، ٢٧٧، ١٨٦
- ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾... ﴿٦٣﴾ ٧٦٧، ٦٨٦، ٥٧٩، ١٨٧، ١٨٦
- ﴿لَا تُذَرِّبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾... ﴿٦٤﴾ ٦٨٦، ١٨٧
- ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾... ﴿٦٥﴾ ١٨٧
- ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُّوسُفَ﴾... ﴿٦٦﴾ ١٨٨، ١٨٧

الرعد

- ﴿ذَلِكَ لَا يَنْبَغُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾... ﴿١﴾ ٢٤٨، ٢٣٨
- ﴿وَقَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثَ﴾... ﴿٢﴾ ٥٧١
- ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾... ﴿٣﴾ ٩٠، ٨٨
- ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾... ﴿٤﴾ ٥٧٣، ٨٩
- ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾... ﴿٥﴾ ٢٤٩، ٢٤٨
- ﴿إِلَّا كَبِيرٌ كُتِبَ إِلَى الْمَاءِ﴾... ﴿٦﴾ ٧٧، ٧٣، ٦٢
- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾... ﴿٧﴾ ٥٠١، ٦٢
- ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾... ﴿٨﴾ ٧٢٧، ٣٥٢
- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾... ﴿٩﴾ ٦٢
- ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾... ﴿١٠﴾ ٦٥
- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... ﴿١١﴾ ١٠٢

إبراهيم

- ﴿إِنْ عَمِنُ إِلَّا بِشَرِّ مُنَافِكٍ﴾ (١١) ٥٣٧
 - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (١٨) ٧٠، ٦٢
 - ﴿كَيْفَ مَرِيبَ اللَّهِ مَثَلًا﴾ (١٩) ٦٢
 - ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ (٢١) ٦٢
 - ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ (٢٢) ٢٤٧
 - ﴿فَأَجْعَلِ أَعْيُدَهُ مِنَ النَّاسِ﴾ (٢٣) ١٦٥
 - ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ (٢٤) ١٠٠
 - ﴿رَبِّبَ لَكُمْ كَيْفَ مَكَانَ يَهُدَى﴾ (٢٥) ١٠٠
 - ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُومَةٌ﴾ (٢٦) ٤٣٦

الحجر

- ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (١) ١٠٢
 - ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ (١٣) ٦٦
 - ﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكُمْ﴾ (١٤) ٦٦
 - ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرْقَى السَّمْعَ﴾ (١٥) ٥٢٤
 - ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (١٦) ٣٤١
 - ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٢١) ٥٩
 - ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٥) ١٠٠، ٩٠
 - ﴿وَمَا هُمْ وَنَهَا يُمْسَخَرِينَ﴾ (٢٨) ٣٥٢
 - ﴿وَلَا يَلْفِيفُ مِنْكُمْ لَحْظٌ﴾ (٣٠) ٥٢٢
 - ﴿مَنْزِلَآءَ ضَيْفَى﴾ (٣٣) ٨٥
 - ﴿وَأَنظَرْنَا عَلَيْهِمْ حِمَارًا﴾ (٣٦) ٦٦
 - ﴿لَا تَعُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ (٣٨) ٤٨٥

النحل

- ﴿أَنَّا أَمَرْنَا اللَّهَ﴾ (١) ٩٥، ٧٤
 - ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ (٣) ٧٠١
 - ﴿أَلَمْ تَكُونُوا بِلِقَائِي﴾ (٧) ٦٧٦، ٢٥٧
 - ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ﴾ (١١) ٢٩١، ٧١

- ﴿وَالْقَنَ فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا﴾ ﴿١٥﴾ ٥٤٤
- ﴿قَالُوا اسْجُدْ أَوَّلَ لَيْلٍ﴾ ﴿١٦﴾ ٢٤٦
- ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُكَ﴾ ﴿١٧﴾ ٥٨٤
- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ﴿١٨﴾ ١٠٠
- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ ﴿١٩﴾ ٨٠٤
- ﴿كُلٌّ﴾ ﴿٢٠﴾ ٢١٥
- ﴿لَيْكُنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عَلِيمٍ عَيْنًا﴾ ﴿٢١﴾ ٦٩
- ﴿وَبَيِّنْتَ لِلَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ٦٩
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ ﴿٢٣﴾ ٦٢
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ ﴿٢٤﴾ ٦٢
- ﴿إِلَّا كَلَمَجَ الْيَصْرِ﴾ ﴿٢٥﴾ ٧٢
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ﴿٢٦﴾ ٢٤٧، ٣٧
- ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ ﴿٢٧﴾ ٧٠١
- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَقَتْ غَزَلُهَا﴾ ﴿٢٨﴾ ٢٧٩
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ٧٧
- ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ﴾ ﴿٣٠﴾ ٨٠٤
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ ﴿٣١﴾ ٨٣، ٦٢
- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ ﴿٣٢﴾ ١٠٠
- ﴿وَلَا تَعْبُدُوا﴾ ﴿٣٣﴾ ٥٩
- ﴿وَلَا تَلُفْ فِي صَبِيحٍ مُتَابِعٍ كُفْرًا﴾ ﴿٣٤﴾ ٦٩

الإسراء

- ﴿أَسْرَى﴾ ﴿١﴾ ٢٥٣
- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ ﴿٢﴾ ٧٥
- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ ﴿٣﴾ ٦٤
- ﴿حَتَّىٰ تَمْلُقَ﴾ ﴿٤﴾ ٧١، ٦٦
- ﴿فَاحْشَهِ وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿٥﴾ ٦٨
- ﴿وَرَبُّنَا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ﴿٦﴾ ٤٧٨
- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ ﴿٧﴾ ٧١

- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ...﴾ (١١) ٢٤٧
- ﴿حِجَابًا مَّتَّسُورًا﴾ (١٢) ٩٥
- ﴿وَلَنْ مِنْ قَرِيبٍ...﴾ (١٣) ٨٣
- ﴿وَأَسْتَفِيزُ مَنْ أَسْطَعَتْ...﴾ (١٤) ١٠٠
- ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى...﴾ (١٥) ٢٧٨
- ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَكَ...﴾ (١٦) ٧٣٣، ٨٦
- ﴿وَسَقَلُوا نَفْسَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ (١٧) ٨٠
- ﴿لَيْنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ...﴾ (١٨) ١٠٢
- ﴿أَوْ تَسُوِّطُ السَّمَاءَ...﴾ (١٩) ١٠٢
- ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى...﴾ (٢٠) ٩٠
- ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا...﴾ (٢١) ٧١
- ﴿يَتُوسَّيْ مَسْحُورًا﴾ (٢٢) ٩٥
- ﴿وَلَا يَجْمَعُ بِصَلَاتِكَ...﴾ (٢٣) ٨١

الكهف

- ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْبًا...﴾ (٢٤) ٩٤
- ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ هُدًى﴾ (٢٥) ٢٢١، ٩٠
- ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ...﴾ (٢٦) ٨٨
- ﴿بِالْوَصِيدِ...﴾ (٢٧) ٢٢١
- ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ...﴾ (٢٨) ٢٢١
- ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ...﴾ (٢٩) ٢٢٠
- ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ (٣٠) ٢٤٨
- ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ...﴾ (٣١) ٢٤٠، ٨٩
- ﴿وَلَكِنْ رُودَتْ...﴾ (٣٢) ٦٦
- ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ...﴾ (٣٣) ٨٣٦
- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ...﴾ (٣٤) ٨٨
- ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (٣٥) ٦٢
- ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ...﴾ (٣٦) ٥٢٤، ٣٤١
- ﴿فِي هَذِهِ الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ...﴾ (٣٧) ٧١

- ﴿٦٦﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهَا ٦٦
- ﴿٦٧﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَفْلَكُنَّهْم ٧٤١، ٧٣٠
- ﴿٦٨﴾ نَسِيًا حُوتَهُمَا ٩٥
- ﴿٦٩﴾ هَلْ أَتَيْتُكَ ٢٠١
- ﴿٧٠﴾ لَسَ ٢٠١
- ﴿٧١﴾ وَكَيْفَ نَصِيرُ ٢٠١، ١٧٢
- ﴿٧٢﴾ أَسْرَقْنَاهَا ٢٠٢
- ﴿٧٣﴾ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ ٩٤
- ﴿٧٤﴾ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ٦٩٥، ٤١٣، ٢٨٦، ٢٠١
- ﴿٧٥﴾ وَكَانَ وَرَاءَهُ مُلْكٌ ٤٠١
- ﴿٧٦﴾ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ٢٠٢
- ﴿٧٧﴾ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ٨٠
- ﴿٧٨﴾ فَأَنْتَعَسَبْنَا ١٧٦
- ﴿٧٩﴾ مُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ ٧٣
- ﴿٨٠﴾ فَأَعِيشُوا فِي قُورٍ ٦١٩
- ﴿٨١﴾ أَنْتُمْ خَوَّاءٌ ٦١٩، ٤٢٠
- ﴿٨٢﴾ فَمَا اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا ٦١٩، ١٧٦
- ﴿٨٣﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ٣١١

مريم

- ﴿١﴾ وَمَنْ الْعَظَمُ مِنِّي ٢١٨
- ﴿٢﴾ يَوْمَ وَلَدَ وَإِذْ يَمُوتُ ٢١٩
- ﴿٣﴾ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ٢١٤، ٨٠
- ﴿٤﴾ إِنِّي أَعُوذُ ٢١٤
- ﴿٥﴾ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ٢١٤
- ﴿٦﴾ أَنَّى ٢١٥
- ﴿٧﴾ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ ٢١٨
- ﴿٨﴾ يَلْبِثُنِي مِتَّ قَبْلَ هَذَا ٢١٥، ٢١٤
- ﴿٩﴾ أَلَا تَحْزَنِي ٢١٤
- ﴿١٠﴾ وَهَؤُلَاءِ ٢١٥، ١٩٥

- ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾ (١٧) ٢١٥
- ﴿يَأْخُذْتُمْ هُنُورًا﴾ (١٨) ٢١٥
- ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (١٩) ٢١٥، ٨٣
- ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ (٢٠) ٢١٥
- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي﴾ (٢١) ٢١٥
- ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رِجًّا﴾ (٢٢) ١٠٠
- ﴿كَانَ وَعْدُكُمْ مَأْنِيًّا﴾ (٢٣) ٩٥
- ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ (٢٤) ٧٥
- ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (٢٥) ٣٥١
- ﴿أَرَأَيْتُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٢٦) ٨٤
- ﴿كَلَّا سَتَكُنُّبُ مَا يَقُولُ﴾ (٢٧) ٨٤
- ﴿وَأَخَذُوا مِنْ ذُرِّيَةِ اللَّهِ﴾ (٢٨) ٨٤
- ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِعَادَتِهِمْ﴾ (٢٩) ٨٤
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ (٣٠) ١٠٠
- ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ (٣١) ٥٧٣
- ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٢) ٣٥١

طه

- ﴿إِنِّي مَأْسُورٌ﴾ (١) ٣٢٩
- ﴿ثَوْدَى﴾ (٢) ١٩٦
- ﴿سَعِيدٌ مَا سِيرَتُهَا الْأُولَى﴾ (٣) ٩٥
- ﴿أَنْ أَقْدِفَ بِهِ﴾ (٤) ١٩٤
- ﴿وَأَصْطَفَيْتُكَ﴾ (٥) ١٩٤
- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا﴾ (٦) ١٠٠
- ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٧) ٦٦
- ﴿فَمَنْ رَزَقْنَاهُ يَمْوَسَّى﴾ (٨) ٥٩
- ﴿ثُمَّ هَدَيْنَا﴾ (٩) ٩٠
- ﴿وَسَلَّكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ (١٠) ٦٦
- ﴿قَالَ بَلِ الْقُرْآنُ﴾ (١١) ٦٩
- ﴿وَلَا صَلَّيْنَاهُمْ﴾ (١٢) ٨٢، ٦٦

- ﴿فَأَنبِئَهُمْ فَزَعُونُ يَسْتَوِدُّوهُ...﴾ ٦٦
- ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ...﴾ ٦٧٥
- ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ...﴾ ١٠٠، ٦٩
- ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ...﴾ ٨٦
- ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ ٦٨٠
- ﴿فَقُلْنَا يَتَّخِذُمْ...﴾ ٦٨٠، ٥٩
- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا...﴾ ٥٠٣
- ﴿وَعَصَى...﴾ ٦٥٢، ٥٩٤
- ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ...﴾ ٦٧
- ﴿وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي...﴾ ٨٠
- ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ...﴾ ٨٨
- ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ رَسُولًا...﴾ ٨٨

الأنبياء

- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِّكْرِ...﴾ ٨٠
- ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ...﴾ ٨٠
- ﴿وَكَمْ قَصَصْنَا مِنْ قَبْلِهِ...﴾ ٧٤١
- ﴿لَا يَسْتَلُ...﴾ ٤٦٥، ٣٨٩، ٢٤٧
- ﴿أَهَذَا الَّذِي يَدَّكُرُ الْإِنسَانُ...﴾ ٨٠
- ﴿وَلَكِن مَّسَّتْهُمْ لَفْحَةٌ...﴾ ٥٧٣
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ...﴾ ١٧٢
- ﴿حَرِّقُوهُ...﴾ ٣٤٧
- ﴿كُونِي بَرًّا وَسَلَامًا...﴾ ٤٣٠، ١٧٢
- ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا...﴾ ٦٧
- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ...﴾ ٧٨
- ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ...﴾ ٨٩
- ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا...﴾ ١٠٠
- ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا...﴾ ٢١٨
- ﴿فَقَفَّضْنَا فِيهَا مَن رُّوحُنَا...﴾ ٨٠

- ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿١٧﴾ ٦٧
- ﴿ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَقُّ ﴾ ﴿١٨﴾ ٣٧٢ ، ٣٤٦ ، ٣٢٨ ، ١٩٤
- ﴿ هَذَا يَوْمُكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ ٣٧٧
- ﴿ أَتَى الْأَرْضَ بَรْثَهَا ﴾ ﴿٢٠﴾ ٧٣

الحج

- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ التَّوَلَّاءُ ﴾ ﴿٢١﴾ ٦٤
- ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ﴿٢٢﴾ ٦٩
- ﴿ ثَائِي عَظْفِهِ ﴾ ﴿٢٣﴾ ٣٠٩
- ﴿ وَالصَّيِّدِينَ وَالصَّنَائِي ﴾ ﴿٢٤﴾ ٧٠
- ﴿ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾ ﴿٢٥﴾ ٤١٥ ، ٦٩
- ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٢٦﴾ ١٦٦ ، ٦٥
- ﴿ وَأُذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ ﴿٢٧﴾ ٢٥٧
- ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ﴿٢٨﴾ ٦٢
- ﴿ لَكَرِهُنَّ حَيْثُ ﴾ ﴿٢٩﴾ ٧٨
- ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُوكَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ١٢٤
- ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ﴾ ﴿٣١﴾ ٨٦ ، ٨١
- ﴿ وَيَبْرِئُ الْمُعْطَلَةَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ٧٤١
- ﴿ وَأَتَى مَا كَدَّ عُنُوبُكَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ﴿٣٣﴾ ٦٩
- ﴿ ضَرْبَ مَثَلٍ ﴾ ﴿٣٤﴾ ٦٢
- ﴿ شَهِيدًا عَلَيْكَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ٨٢ ، ٧٠

المؤمنون

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ٩٤ ، ٧٥
- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَافِلَةً ﴾ ﴿٣٧﴾ ٩٤
- ﴿ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ ﴿٣٨﴾ ٩٤
- ﴿ أَنْ أَصْنَعَ ﴾ ﴿٣٩﴾ ١٦٧
- ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ ﴾ ﴿٤٠﴾ ٦٧
- ﴿ وَأَكْذَرْتُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ ٧٨
- ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ﴿٤٢﴾ ٧٨
- ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَفَفْنَا مَا بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿٤٣﴾ ١٠٣

- ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا﴾ ﴿٧١﴾ ٧١
- ﴿لَيْنِ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا﴾ ﴿٧٢﴾ ٢٤٧
- ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿٧٣﴾ ٥٦٢ ، ٥٣٠ ، ٥١٧ ، ٤٥٤ ، ٤١٥
- ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ ﴿٧٤﴾ ٤٥٤ ، ٤١٥ ، ٨٤
- ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ ﴿٧٥﴾ ٣٤٦
- ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ ٧٨
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ ﴿٧٧﴾ ٥٧٧

النور

- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ ﴿٧٨﴾ ٧٩
- ﴿طَلَبَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ ﴿٧٩﴾ ٨٨ ، ٧٨
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ ﴿٨٠﴾ ٨٦
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا﴾ ﴿٨١﴾ ٨٦
- ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ ذِيْقَهُمْ﴾ ﴿٨٢﴾ ٧٩
- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا﴾ ﴿٨٣﴾ ٥٤٣
- ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ ﴿٨٤﴾ ٧٨
- ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ ﴿٨٥﴾ ٤٦٣ ، ٦٢
- ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ﴾ ﴿٨٦﴾ ٢٧٢
- ﴿أَعْمَلَتْهُمْ كُرْئِيًّا بَقِيْعَةً﴾ ﴿٨٧﴾ ٦٢
- ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿٨٨﴾ ٧٦٠
- ﴿يَسْتَفْهِمُكُمْ﴾ ﴿٨٩﴾ ٨٦
- ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ ﴿٩٠﴾ ٨٢

الفرقان

- ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا الْمَائِدَةَ﴾ ﴿٩١﴾ ١٠٢ ، ٨٨
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ ﴿٩٢﴾ ٤٣٢ ، ١٠٢
- ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَائِدَةَ﴾ ﴿٩٣﴾ ٨٨
- ﴿وَكَاكَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ ﴿٩٤﴾ ٧٥
- ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ﴿٩٥﴾ ٨٨
- ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى الْقُرْآنِ﴾ ﴿٩٦﴾ ٨٣

- ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهِمَا﴾ ﴿١١﴾ ٨٦
- ﴿فَسَكَتَ بِهِ خَيْرًا﴾ ﴿١٢﴾ ٧٧
- ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ ﴿١٣﴾ ١٠٢
- ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ ﴿١٤﴾ ٨٦

الشعراء

- ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ ﴿١٥﴾ ٨٤
- ﴿بِخَيْرِهِ﴾ ﴿١٦﴾ ٦٩
- ﴿وَأَنفَثَ فِي الدَّبَابِ﴾ ﴿١٧﴾ ٦٦
- ﴿وَلِإِيَّكُمْ أَنَا لَئِيمَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿١٨﴾ ٦٩
- ﴿لَا ضَيْرٌ﴾ ﴿١٩﴾ ٤٣٢، ٣٨٢
- ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ٨٤
- ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ ﴿٢١﴾ ٩٤
- ﴿وَأَرْفَعْنَا سَمَّ الْآخَرِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ ٥٤٩
- ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ٧٠
- ﴿لَمَّا شَرِبُوا﴾ ﴿٢٤﴾ ١٧١
- ﴿وَلَا تَسْؤُهَا﴾ ﴿٢٥﴾ ١٧١
- ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْهَا﴾ ﴿٢٦﴾ ١٩٢
- ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ﴿٢٧﴾ ١٩٢
- ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ ﴿٢٨﴾ ٦٦
- ﴿الزَّمَرِ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ ﴿٢٩﴾ ٩٤

النمل

- ﴿وَأَنخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ ﴿٣٠﴾ ٦٧٥
- ﴿إِنَّ هَذَا لَمَرُّ الْفَضْلِ الْمُبِينِ﴾ ﴿٣١﴾ ٣٠
- ﴿لَا يَحِيطُ بِكُمْ﴾ ﴿٣٢﴾ ٢١٠
- ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ ﴿٣٣﴾ ٢١٠
- ﴿لَا تُعَذِّبُهُمْ﴾ ﴿٣٤﴾ ٢١٠
- ﴿أَعْطَتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾ ﴿٣٥﴾ ٢١٠
- ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ﴿٣٦﴾ ٨٢

- ﴿٢١١﴾ ﴿٢١١﴾ ٢١١
 - ﴿٢١٢﴾ ﴿٢١٢﴾ ٩٧
 - ﴿٢١٣﴾ ﴿٢١٣﴾ ٢١١
 - ﴿٢١٤﴾ ﴿٢١٤﴾ ٢١١
 - ﴿٢١٥﴾ ﴿٢١٥﴾ ٢١١
 - ﴿٢١٦﴾ ﴿٢١٦﴾ ٧٠
 - ﴿٢١٧﴾ ﴿٢١٧﴾ ٢١١
 - ﴿٢١٨﴾ ﴿٢١٨﴾ ٢١١
 - ﴿٢١٩﴾ ﴿٢١٩﴾ ٢١٢ ، ٢١١
 - ﴿٢٢٠﴾ ﴿٢٢٠﴾ ١٠٠
 - ﴿٢٢١﴾ ﴿٢٢١﴾ ٨٨
 - ﴿٢٢٢﴾ ﴿٢٢٢﴾ ٤٦٤
 - ﴿٢٢٣﴾ ﴿٢٢٣﴾ ٧١
 - ﴿٢٢٤﴾ ﴿٢٢٤﴾ ٦٩
 - ﴿٢٢٥﴾ ﴿٢٢٥﴾ ٨٥
 - ﴿٢٢٦﴾ ﴿٢٢٦﴾ ٦٧
 - ﴿٢٢٧﴾ ﴿٢٢٧﴾ ٤٧٧

القصص

- ﴿٢٢٨﴾ ﴿٢٢٨﴾ ١٩٥ ، ١
 - ﴿٢٢٩﴾ ﴿٢٢٩﴾ ٢٠٢ ، ١٩٤
 - ﴿٢٣٠﴾ ﴿٢٣٠﴾ ١٩٤ ، ٨٦
 - ﴿٢٣١﴾ ﴿٢٣١﴾ ١٩٤
 - ﴿٢٣٢﴾ ﴿٢٣٢﴾ ٣٤٨ ، ١٩٥ ، ٨٧
 - ﴿٢٣٣﴾ ﴿٢٣٣﴾ ١٩٥
 - ﴿٢٣٤﴾ ﴿٢٣٤﴾ ١٩٥
 - ﴿٢٣٥﴾ ﴿٢٣٥﴾ ١٩٥
 - ﴿٢٣٦﴾ ﴿٢٣٦﴾ ٦٩
 - ﴿٢٣٧﴾ ﴿٢٣٧﴾ ٥٧٨ ، ٢٠٢

- ﴿١٤﴾ رَجَاءَ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ٧١
- ﴿١٥﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ ١٩٥
- ﴿١٦﴾ وَلَمَّا وَرَدَ ١٩٥
- ﴿١٧﴾ إِنِّي لِمَا أُنزِلَتْ إِلَيَّ ٧٨
- ﴿١٨﴾ إِنَّكَ أَمْرٌ ١٩٥
- ﴿١٩﴾ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ٤٢٦
- ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا فَمِنَ مَوْسَى الْأَجَلَ ١٩٥
- ﴿٢١﴾ فَلَمَّا أَتَتْهَا ١٩٥
- ﴿٢٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ ٨٨، ٨٧
- ﴿٢٣﴾ لَوْلَا أَرْوَاهُ ٨٨
- ﴿٢٤﴾ إِنْ تَتَّبِعِ الْهَدَى ٩٠
- ﴿٢٥﴾ وَمَا أُرْسِيَتْ ٦٧
- ﴿٢٦﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ١٠٣
- ﴿٢٧﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ٩٨
- ﴿٢٨﴾ فَبَقِيَ ٢٠٥
- ﴿٢٩﴾ وَابْتِغِ ٢٠٥
- ﴿٣٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٢٠٥
- ﴿٣١﴾ وَيَقْدِرُ ٨٧، ٧٠
- ﴿٣٢﴾ يَلَاكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ ٨٠٦

العنكبوت

- ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ٥٥٧
- ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ٨٢
- ﴿٣﴾ وَوَضَعْنَا الْإِنسَانَ بِرَآءَتِهِ ٧٥
- ﴿٤﴾ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ ٨٢
- ﴿٥﴾ أَلَمْ يَسْعَ إِلَّا خَيْرَاتٍ عَامًّا ١٦٧
- ﴿٦﴾ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ٣٥٦
- ﴿٧﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ ٦٩
- ﴿٨﴾ وَلَقَدْ رَكَّنَا مِنهَا نُجُومًا ١٨٣، ٦٧
- ﴿٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ٧٤٢، ١٠٠

- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ...﴾ (١١) ٣٨٠ ، ٦٢
- ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ آيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ...﴾ (١٢) ٨٨
- ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا...﴾ (١٣) ٧١
- ﴿لَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى...﴾ (١٤) ٨٧
- ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ...﴾ (١٥) ٧٠
- ﴿وَلَيْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لَهِىَ الْحَيَوانُ...﴾ (١٦) ٥٥٦
- ﴿وَنِعَمَ اللَّهُ بِكُفْرُونٍ﴾ (١٧) ٤٨١ ، ٦٩

الروم

- ﴿فِي آدْنَى الْأَرْضِ...﴾ (٢) ٧٣
- ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾ (٣) ٦٢
- ﴿وَمَا أَتَيْتُمُ مِنْ رَبِّا لَيْزُوا...﴾ (٤) ٦٠
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾ (٥) ٥٩
- ﴿فَلَا تُفْسِدُوا بَنِيادَهُمْ...﴾ (٦) ٢٧٨

لقمان

- ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ...﴾ (١) ٧٠
- ﴿وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الْبَاطِلِ...﴾ (٢) ٧٠
- ﴿فَلَا تَقْرَءُكُمْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا...﴾ (٣) ٦٧٢

السجدة

- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى...﴾ (١) ٣٨٩
- ﴿نُنَجِّي جُثُوبَهُمْ...﴾ (٢) ٥١٤ ، ٤٩٠ ، ٤٦٢ ، ٢٧٢
- ٦٢٤ ، ٦٢٢ ، ٥٢٣
- ﴿فَلَا تَعْلَمُ...﴾ (٣) ٦٢٢
- ﴿مِنْ الْعَذَابِ الْآدْنَى...﴾ (٤) ٧٢
- ﴿فَرَأَوْا عَنْهَا...﴾ (٥) ٦٦

الأحزاب

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ...﴾ (١) ٩٤
- ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾ (٢) ٢٩٤

- ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ ﴾ ﴿ ٢١ ﴾ ١٠٠
- ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ۖ ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ ٦١٣ ، ٥٨٢
- ﴿ لَرَبِّنَا أَوْلَىٰ ۚ ﴾ ﴿ ٢٣ ﴾ ٧٨
- ﴿ وَأَوْفَىٰ بِوَعْدِهِمْ ۖ ﴾ ﴿ ٢٤ ﴾ ٧٤
- ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الْيَقِينُ ۖ ﴾ ﴿ ٢٥ ﴾ ٥٩
- ﴿ إِنْ تَدْرَأُونَ ۖ ﴾ ﴿ ٢٦ ﴾ ٦٦
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ ۖ ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ ٨١
- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ۖ ﴾ ﴿ ٢٨ ﴾ ٥١٣

سبا

- ﴿ إِنْ شَاءَ خَسِفَ بِهِمُ الْأَرْضُ ۖ ﴾ ﴿ ٢٩ ﴾ ١٠٢
- ﴿ أَوْي ۖ ﴾ ﴿ ٣٠ ﴾ ٦٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٠٧
- ﴿ وَقَدْ رَفِئَتِ السَّرَاقُ ۖ ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ ٧١٥ ، ٢٠٧
- ﴿ الْحَقُّ بِهِ شُرَكَاءُ ۖ ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ ٨٤
- ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ ۖ ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ ٨٧
- ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۖ ﴾ ﴿ ٣٤ ﴾ ٢٥٩
- ﴿ وَجِيلَ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ ٦٧١ ، ٥٧١

فاطر

- ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ ۖ ﴾ ﴿ ٣٦ ﴾ ٨٣٣
- ﴿ فِيهِ مَوَاحِرُ ۖ ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ ٧١
- ﴿ أَوْلَىٰ نَعْمَتِكُمْ ۖ ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾ ٣٣٤
- ﴿ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ۖ ﴾ ﴿ ٣٩ ﴾ ٨٩

يس

- ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ ﴾ ﴿ ٤٠ ﴾ ١٠٢
- ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ۖ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ ٨٣
- ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ ۖ ﴾ ﴿ ٤٢ ﴾ ٧١
- ﴿ بَلَّغْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۖ ﴾ ﴿ ٤٣ ﴾ ٣٦٠
- ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفِدًا ۖ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ ٩٧
- ﴿ أَلَمْ نَعْمِدْ إِلَيْكُمْ ۖ ﴾ ﴿ ٤٥ ﴾ ٧٣٠

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ ٤٨١

الصفات

﴿وَيُنذِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ ٢٥١

﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْنَا الْأَوَّلُونَ﴾ ٩٠

﴿وَقَفُّهُمْ﴾ ٥٨٤

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾ ١٠٣

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ ١٠١

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ ٨٧

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نَحْنُ﴾ ١٠١

﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ٧٠

﴿فَرَأَى عَلَيْهِمُ﴾ ١٧٢

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ ٦٧

﴿أَفَعَلِ مَا تُؤْمَرُ﴾ ١٧٤

﴿وَتِلْكَ لِلْجَبِينِ﴾ ١٧٥

﴿فَدَصَفَتْ الرُّؤْيَا﴾ ١٧٥

﴿وَقَدَرْتَهُ بِذَنْبِ عَظِيمٍ﴾ ١٧٥

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ ٤١٣

﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانُوا مِنَ الْمُنْكَرِينَ﴾ ٨٧

﴿أَلَيْسَ أَوْ يَزِيدُكَ﴾ ٧٢

﴿وَمَا يَمُنُّ إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ ٩٥

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ ١٠١

ص

﴿وَلَاتِ جَيْنَ مَنَامٍ﴾ ٥٧٣

﴿وَأَسِيرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ﴾ ١٠٣

﴿حَصَانٍ﴾ ٢٠٨

﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ ٢٠٨

﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ ٩٤ ، ٨٠ ، ٧٩

﴿فَعَرَّأَلَهُ الرِّيحَ﴾ ٤٣٦

- ﴿مَنْفَى...﴾ (١١) ١٩٠
- ﴿أَرْكَضَ بِرِيعِكَ...﴾ (١١) ٤٤٠، ٣٢٠، ٢٤٨، ١٩٠
- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ...﴾ (١٣) ٧٤٩
- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ ضَالًّا...﴾ (١١) ٧٤٩، ١٩١
- ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ...﴾ (١١) ٢٧٢
- ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي...﴾ (٧٥) ٢٥٠
- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾ (٧٦) ١٦٣
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي...﴾ (٧٨) ٧٤٤
- ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَ بَعْدَ جِينِهِ...﴾ (٨١) ٥٦٠

الزمر

- ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ...﴾ (١) ٧٣
- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا...﴾ (١١) ٦٢
- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ...﴾ (١٢) ٨٠٠
- ﴿يَتَوَقَّى...﴾ (١٥) ٦٢٢
- ﴿وَيَدَّاهِم مِّنَ اللَّهِ...﴾ (١٥) ٨١٠، ٣٨٨
- ﴿لَا تَقْنَطُوا...﴾ (١٦) ٢٤٧، ١٨٦
- ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ...﴾ (١٦) ٥٧٣، ٣١٠
- ﴿وَبَوْمَ الْيَقِينَةِ تَرَى الَّذِينَ...﴾ (١٦) ٩٩
- ﴿فَصَبِّحْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ...﴾ (١٧) ٦٧
- ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا...﴾ (١٧) ٣٦٥
- ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ...﴾ (١٧) ٣٥١

غافر / المؤمن

- ﴿أَمَّا أَتَيْنَ...﴾ (١) ١٠١
- ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ...﴾ (١) ٢٤٧
- ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ...﴾ (١) ٤٩٤
- ﴿وَمَا أَمْدِيدُكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ...﴾ (١) ١٠٣
- ﴿يَوْمَ النَّادِ...﴾ (١) ١٠١

- ﴿٣٧﴾ ٥٢٦
- ﴿فَسَدِّكُرُوتَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ ﴿١١﴾ ٧٢٩

فصلت

- ﴿فَنَنْصَنَّهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ ﴿١١﴾ ٦٤٤، ٦٥
- ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ ﴿١٥﴾ ١٦٩
- ﴿حَقٌّ إِذَا مَا جَاءَ وَمَا﴾ ﴿٢٦﴾ ٤١٤
- ﴿فَإِنْ يَصِيرُوا فَاَلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ ﴿٢١﴾ ١٠٣
- ﴿نَسْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُوتَ﴾ ﴿٥﴾ ٣٠٤، ١٠٠
- ﴿مَا نَشْتَرِيهِمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ ﴿١٨﴾ ٣٥٢
- ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَاخِيَةً﴾ ﴿٢٩﴾ ٤٩٠
- ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ أَيْتُهُ﴾ ﴿١١﴾ ٨٨
- ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ ﴿١١﴾ ٤١٢
- ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ ﴿٥٠﴾ ٦٦
- ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ ﴿١٢﴾ ٦٧

الشورى

- ﴿وَيَسْتَفِهُوتُ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿٥﴾ ٧٤٤، ٥١٢، ١٦٣
- ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾ ﴿٦﴾ ٤٢٢
- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ ﴿١١﴾ ٨٧
- ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ ﴿١١﴾ ٧٢
- ﴿مَا أَوْفَيْتُمْ﴾ ﴿٢٨﴾ ٦٧

الزخرف

- ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ﴾ ﴿٧﴾ ٦٦
- ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ ﴿١٥﴾ ٦٦
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ ﴿١١﴾ ٧٥
- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا﴾ ﴿١١﴾ ١٧٢
- ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْنَيْنِ﴾ ﴿١١﴾ ١٠٣، ٨٨، ٨٣
- ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ﴾ ﴿١١﴾ ٨٠

- ﴿الْبَيْتَ لِي مُلْكٌ وَصَرَّ...﴾ ٤٢٥، ٤٣٦
 - ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِمْ آسُورَةٌ...﴾ ٨٨
 - ﴿وَنَادُوا بِمُكَيْلِكَ لِیَفْضَحْ عَلَيْنَا...﴾ ٦٩٥
 - ﴿وَرُسُلَنَا لَهُمْ يَكْتُشِبُونَ...﴾ ٦٣

الدخان

- ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ...﴾ ١٠٣
 - ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ...﴾ ٦٨٩
 - ﴿أَهُمْ خَيْرٌ...﴾ ٧٩

الجاثية

- ﴿وَأَسْأَلُهُ اللَّهَ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾ ٥٩٠

الاحقاف

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ٦٤، ٦٧
 - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ ٣٢٩، ٧٥
 - ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطْرٌ رَّأَىٰ...﴾ ١٦٩
 - ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَتَاعُهُمْ...﴾ ١٦٩
 - ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا...﴾ ٨٨

محمد

- ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ...﴾ ٢٧٨، ٤٨١
 - ﴿مَثَلُ الْيَتِيمِ...﴾ ٦٣
 - ﴿نَظَرَ الْمَغِشِيِّ عَلَيْهِ...﴾ ٨٨، ٦٣
 - ﴿أَفَرَأَىٰ قُلُوبُ أَفْعَالُهَا...﴾ ٣٣٥
 - ﴿وَلَنَسْأَلَنَّكُمْ...﴾ ٣٤٧
 - ﴿فَاتِمَا يَسْأَلُ عَنْ نَفْسِهِ...﴾ ٨١

الفتح

- ﴿وَنُصْرَكَ اللَّهُ...﴾ ٢٣١
 - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا...﴾ ٦٠
 - ﴿وَنُصْرَدُّهُ...﴾ ٩٨

- ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٧
- ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ ٦٣

الحجرات

- ﴿وَكُذِّبَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ﴾ ٦٠
- ﴿قُلْ أَتَمْلِكُونَ اللَّهُ يَهْدِيكُمْ﴾ ٧٩

ق

- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ ٧٧
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ٧٥
- ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ٣٥٢

الذاريات

- ﴿يَوْمَ تَمُوتُ عَلَى النَّارِ يُنْفَخُونَ﴾ ٨٢
- ﴿فَتَوَلَّى وَرُكْبِهِ﴾ ٧٧
- ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ ٤٦٨

الطور

- ﴿أَنسَحَرْنَا هَذَا﴾ ٣٠
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ ١٠٣

النجم

- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ ٧٢
- ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ ٦٤
- ﴿وَلَا تَرْمِيهِمُ الدِّيَارُ﴾ ٤٨٢ ، ١٦٦

القمر

- ﴿أَفِي مَقْلُوبٍ مَّا نَسْتَبِيرُ﴾ ١٠١
- ﴿تَمْرُجُ النَّاسُ﴾ ١٧٠
- ﴿فَتَسْلُكُنَ﴾ ١٧١
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ ١٠٣
- ﴿فِي مَقْعَدِ صِنْدِي﴾ ٥٦٥

الرحمن

- ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ ١٠٢
- ﴿فَإِنِّي آتٍ بِالْبَيِّنَاتِ ۝﴾ ٩٥
- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِيانَ ۝﴾ ٣٤١
- ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا الذُّلُومُ وَالْمَرْجَاتُ ۝﴾ ٩٥
- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝﴾ ٧٣٠ ، ١٨٣
- ﴿وَرَسَّيْ رَسْمَهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ ٧٦٢

الواقعة

- ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثَاتٍ ۝﴾ ٨٤
- ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوْلَا شَكَرْتُمْ ۝﴾ ٨٨
- ﴿نَحْنُ جَمَعْنَاهَا تَذَكُّرًا ۝﴾ ٧٢٠
- ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُكُومَ ۝﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوْلَا إِن كُنْتُمْ ۝﴾ ٨٨
- ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ ۝﴾ ٨٠

الحديد

- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ۝﴾ ٢٤٥
- ﴿قَدْ أَرْجَعُوا رِجْلَهُمْ ۝﴾ ٩٩
- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا ۝﴾ ٧٨٦
- ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا ۝﴾ ٦٥
- ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ۝﴾ ٧٣

المجادلة

- ﴿قَبْلِ أَنْ يَبَاسَآ ۝﴾ ٣٥١
- ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ۝﴾ ٢٤٧
- ﴿لَوْلَا يَعِدُكُمُ اللَّهُ ۝﴾ ٨٩
- ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ ۝﴾ ٣٤١ ، ٢٧٣ ، ٢٢٠

الحشر

- ﴿لَا أَوَّلَ لِحْزِرٍ...﴾ ٨٦
- ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ...﴾ ٨٧
- ﴿وَيُؤْتُونَكَ...﴾ ٥٥٧
- ﴿وَلَنَنْظُرَنَّ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾ ٥١٨

الصف

- ﴿يَلْفِظُوا...﴾ ٦٦
- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُمُ الْهَدْيَ وَبِهِ لُتْقَى...﴾ ٢٥٠

الجمعة

- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا الثَّورَةَ...﴾ ٦٣
- ﴿فَانْصَبُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ ٨١ ، ٨٠
- ﴿انْقَضُوا إِلَيْهَا...﴾ ٩٥

المنافقون

- ﴿لَوْلَا الْخُرُوجُ...﴾ ٨٩

الطلاق

- ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ لَنَحْبِقَنَّ عَلَيْهِمْ...﴾ ٤٧٨
- ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا...﴾ ٨٣٣

التحريم

- ﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ٥٩
- ﴿تُورِثُهُمْ يُتَنَّىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ...﴾ ٢٥١
- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ٦٣
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ٦٣

الملك

- ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ...﴾ ٣٥١
- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ...﴾ ٦٩٩
- ﴿فَانْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا...﴾ ٤١٢ ، ١٦٤

القلم

- ﴿ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٌ لِّكَ يَمْجُرُونَ ﴾ ١٠٢
- ﴿ بِآيَاتِكُمُ الْفُتُونِ ﴾ ٨٢
- ﴿ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ ٨٩
- ﴿ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ ١٠١
- ﴿ لَوْلَا أَنْ تَنْذِرْهُمْ ﴾ ٨٧

الحاقة

- ﴿ كَانَهُمْ أَعْيَارٌ عُلِيَّ حَاوِيَةٍ ﴾ ١٧٠

المعارج

- ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَهُمْ لَهُ قَرِيبٌ ﴾ ٥١٧
- ﴿ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ ٨٤
- ﴿ إِنَّا نَظُنُّ ﴾ ٣٥١
- ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴾ ٥٤٩
- ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ ٧٨
- ﴿ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةٌ نَّعِيمٌ ﴾ ٨٤

نوح

- ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ ﴾ ١٠٠
- ﴿ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ ١٦٧
- ﴿ لَا تَنْذَرُ ﴾ ٢٢٦ ، ١٦٧
- ﴿ وَلَا تَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا ﴾ ٦٤

الجن

- ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ ٣٤٦ ، ٢٥١

المزمل

- ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴾ ٢٥١
- ﴿ قُرْ ﴾ ٢٥١
- ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا عَلَىٰكَ قَوْلًا فُصِيلاً ﴾ ٧١٠
- ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ ٦٣٨

المدثر

- ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْفُورُ ﴿١﴾ قُمْ أَيْدِرْ ﴿٢﴾﴾ ٢٥٣
- ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَرِيدَ ﴿٣﴾ كَلَّا ﴿٤﴾﴾ ٨٤
- ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٥﴾﴾ ٨٤
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٦﴾﴾ ٤١٤
- ﴿إِلَّا أَصْحَىٰ الْيَبِينِ ﴿٧﴾﴾ ٤١٤
- ﴿أَنْ يُؤْفَىٰ صُحُفًا مِّنْشَرَةً ﴿٨﴾ كَلَّا ﴿٩﴾﴾ ٨٤
- ﴿كَلَّا إِنَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾﴾ ٨٤ ، ٦٧

القيامة

- ﴿أَبْجَسُ الْإِنْسَنِ ﴿١﴾﴾ ٧٦
- ﴿إِنَّ الْقَمَرُ ﴿٢﴾ كَلَّا ﴿٣﴾﴾ ٨٤
- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا مِثْلَهُ ﴿٤﴾ كَلَّا ﴿٥﴾﴾ ٨٤
- ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقَرَابِىٔ ﴿٦﴾﴾ ٨٤

الإنسان

- ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ ﴿١﴾﴾ ٧٧
- ﴿وَيَطْمَعُونَ أَلطَّامَ ﴿٢﴾﴾ ٢٤٠
- ﴿إِنَّمَا نَطْلَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴿٣﴾﴾ ٢٤٠ ، ٨٦
- ﴿مُسْكِبِينَ فِيهَا ﴿٤﴾﴾ ٢٤٠
- ﴿فِضَّةً وَسَقَمَهُمْ وَرُثْمَ ﴿٥﴾﴾ ٦٠
- ﴿وَلَا تُلَاحِظْ مِنْهُمْ عَائِنَا ﴿٦﴾﴾ ٧٢

الغيا

- ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٢﴾﴾ ٨٥

النازعات

- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ﴿١﴾﴾ ٧٠

عبس

- ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١﴾﴾ ٨٥ ، ٦٧
- ﴿كَلَّا لَمَّا بَقِضَ مَا أَمَرُوا ﴿٢﴾﴾ ٨٥

- ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ٧٦

التكوير

- ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ﴾ ٧٠٦

الانفطار

- ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ﴾ ﴿﴾ ٣٧٢ ، ٧٦ ، ٥٩

- ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ٨٥

المطففين

- ﴿كَلَّا إِذَا كُتِبَ الْجُودُ﴾ ﴿﴾ ٨٥

- ﴿قَالَ اسْتَطِيرَ الظَّلْمُ﴾ ٨٤

- ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾ ﴿﴾ ٧٤٩ ، ٣٣٥ ، ٨٤

- ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ﴾ ﴿﴾ ٨٥

- ﴿كَلَّا إِذَا كُتِبَ الْأَبْرَارُ﴾ ﴿﴾ ٨٥

- ﴿هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارُ﴾ ﴿﴾ ٢٣١

الانشقاق

- ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ ﴿﴾ ٧٦

- ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ ﴿﴾ ٧٦٠

- ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ﴿﴾ ٨١

الطارق

- ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ﴿﴾ ٧٦

- ﴿مِنْ مَّا وَدَّعَى﴾ ﴿﴾ ٨٥

الغاشية

- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ٥١٨

الفجر

- ﴿فَإِذَا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ﴾ ﴿﴾ ٧٦

- ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ ﴿﴾ ٨٤

- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ...﴾ ٨٥
 - ﴿يَوْمَئِذٍ يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ...﴾ ٧٠

البلد

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ٧٦

الشمس

- ﴿قَدَمَدَم...﴾ ١٧١

الشرح

- ﴿الزَّفَرِج...﴾ ٢٢٤

التين

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ...﴾ ٧٦

العلق

- ﴿أَفْرَأ...﴾ ٢٥١
 - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ ٨٥ ، ٧٦
 - ﴿لَنْ لَزَبَنَّهُ...﴾ ٨٥
 - ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ...﴾ ٨٥

البيئة

- ﴿وَذَلِكَ دِينَ الْقَيْمَةِ﴾ ٧٩

الزلزلة

- ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ٧٦
 - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٣٥١

العاديات

- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ٧٦٠

التكاثر

- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٥
- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٥
- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ٨٥
- ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ٥١٨

العصر

- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ﴾ ٧٦

الهمزة

- ﴿أَنْ مَالَهُ أَخْلَدُوهُ﴾ ٨٤

الفيل

- ﴿كَعَصٍ مَأْكُولٍ﴾ ١٦٦

* * *

٢ - فهرس الأحاديث والآثار

نص الحديث	الصفحة
- آدم ومن دونه	٢٢٦
- آييت عن ربي	٢٤١ ، ٢٢٩
- أتدرون ما خرافة	٢١٨
- اتقوا دعوة المظلوم	٥٧١
- احتجموا	٨٣٢
- أحد جبل يحبنا ونحبه	٥١٠
- أدنيا مني أخا كما	٨٠٢
- إذا رأيتم أهل البلاء	٥١٢
- إذا أقيمت الصلاة	١٣٧
- إذا مات العبد الصالح	٦٨٩
- إذا مضى ثلث الليل	١٣٧
- أرسل ملك الموت	٥٠٩
- أسر إلى حذيفة	٦٥٦
- أسلم	٤٦٣
- أسلمتما	٧٩٣
- سلني أعطك	٨١٨
- ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة	٢٣٩
- أمتي أمتي	٢٥٤
- إن خير التابعين	٧٧٧
- إن كان ليوحى إلى رسول الله	٧١٠
- إن الله إذا أنعم	٨٢٩
- إن الله اصطفى كنانة	١١٩
- إن الله يحب العبد المؤمن	٣٩١
- إن الله يغضب لغضبك	٢٣٨
- إن في البدن ملكاً	٢٥٣

- إن من الناس مفاتيح لذكر الله ٦٧٥
- إن هذا بكى ٢٥٢
- أنا ابن الذبيحين ٢٤٨
- أنا أول الناس خروجاً ٢٥٤
- أنا جليس من ذكرني ٣٧٤ ، ٧٣٨
- أنا عند المنكسرة قلوبهم ٦٤٢
- أنا عنك راضي ٧٣٣
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى ٢٥٥
- إنك لتصل الرحم ٢٢٥
- إنما الأعمال بالنيات ٦٧٩
- إنما جاء ليسلم ٨٢٤
- إنما قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ٣٨٢
- إن النبي ﷺ سجد ١٣٧
- إنه قد عرض عليكم ٣٩٥
- إني أخاف الله ٤٩٩
- إني لأجد نفس الرحمن ٦٦٤
- إني لأعرف حجراً ٢٥٥ ، ٧١١
- أنين المذنبين أحب عندنا ٥٧٧
- أين كنتم ٥٢٣
- أثبت أحد ٢٥٢
- احفظ الله يحفظك ٢٧٣
- اسكن حراء ٥٠٩
- أسلب حلاوة مناجاتي ٥٥٧
- بدأ الإسلام غريباً ٤٣٥
- بعيني ما يتحمل المتحملون ٢٩٥
- بينما راع يرعى غنماً له ٢٥٢
- تجدني عند المنكسرة قلوبهم ٣١٤ = أنا عند المنكسرة ٦٤٢
- تحت شجرة طوبى ٧٣٩
- توسل آدم بالنبي ﷺ ٢٥٠

٥٠٩	- جاء ملك الموت إلى موسى يقبض
٤٦٣	- جز يا مؤمن
٧١١، ٢٥٥	- الحجر يسلم على الرسول ﷺ
٧٨٨	- حدثني بأرجى عمل
٤٣٠	- حسبي من سؤالي
٧٦٧	- حفت الجنة بالمكاره
٨٢٤	- حكيم أمي عويمر
٦٥٥	- خرجت من نكاح
١٤٥	- خلق الله تعالى التربة
٤٦٣	- دخل الرسول ﷺ إلى بيت يهودي
٢٤١	- ذكاة الجنين ذكاة أمه
٦٧٥، ٥٨٤، ١٩٠	- رب أشعث أغبر
١٩٨	- زملوهم بكلوهم
٢٥١، ٢٢٥	- زملوني
٤٤٩	- سبعة يظلمهم الله
٣٤٧	- سلمان منا آل البيت
١٩٩	- سلني ولو ملح عجيتك
٢٠٢	- صل من قطعك
٥١٥	- عجب ربنا من رجل
٥٤٤	- عزفت نفسي عن الدنيا
٢٤٦	- العلماء ورثة الأنبياء
٦٢٧	- عينان لا تمسهما النار
٢٣٨	- غضوا أبصاركم
٢٢٦	- فإذا نزل عيسى
١٣٨	- الفار من الطاعون
٢٤١، ٢٣٨	- فاطمة بضعة مني
٥٤٥، ٣٧٤	- فبي يسمع وبني يبصر
٢٥٣	- فتر الوحي عني فترة
٢٥٥	- فذاك أبي وأمي
٦٤٣	- فر من المجذوم

٤٣٠	- فزجني في النور
٦٣١	- فكان يخلو بغار حراء
١٣٧	- في كل صلاة يقرأ
٢٢٧	- قل يسمع
٤٦٤	- القلوب بين أصبعين
٧٧٤	- القلوب جنود
١٢	- قولوا مصاب
١٢٨	- كاد أمية أن يسلم
٤١٨	- كان ﷺ إذا أراد سفراً
٧١٠	- كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي
٣٦	- كان ﷺ يتخولنا
٧١٠	- كان ﷺ يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل
٢٩٥	- كذب من ادعى محبتي
٢٢٦	- كل عمل ليس عليه أمرنا
٦٢٢	- كل سكر حرام
٧١١	- كنت آخذه بزمَام
٢٢٥	- كوني برداً وسلاماً لعمار
٨١٤	- كيف تقضي
٥٧١	- لأنصرنك ولو بعد حين
٢٤٩	- لا أبالي
٤٣٢	- لا إسعاد ولا عقر
٥٠٩	- لا تخيروني على موسى
٣٨٢	- لا بد من الوفاء
١٣٧	- لا يجتمع حب هؤلاء
٤١٩	- لا يدخل الجنة قتات
٢٢٧	- لا نبي بعدي
٥١٤	- لخلوف فم الصائم
٢٥١	- لست بقارئ
٣٩١	- لكل عابد فترة

٧٨٤	- اللهم اجعل له آية
٧٨٤	- اللهم اهد دوساً
٨٠٢	- اللهم إني أمسيت راضياً عنه
٨٢٤	- اللهم ليس لهم
٢٢٨	- لو أن أحدهم نظر إلى قدميه
١٣٨	- لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء
٢٢٦	- لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي
٥٤٥	- لو كشف الغطاء
٧١٠، ٥٢٣، ١٦٢	- لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
٢٥٥	- ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
٤٣٦	- ما ترك عبد لله أمراً
٢٢٨	- ما ظنك باثنين الله ثالثهما
٧٤٤	- ما منكم من أحد ينجي عمله
٧	- ما من يوم إلا والذي بعده
١٣٩	- ما هذا
٧٤٤	- ما وسعني أرضي ولا سمائي
١٣٩	- مثل أمي مثل المطر
٧٩٢	- مثل لي جعفر
٤٣٦	- من ترك شيئاً لله
١٩١	- من اغتسل وحده
٦٧٥	- من الناس مفاتيح لذكر الله
٤٠٨	- من جاءني يمشي أتيتته هرولة
٨١٦	- من لهذه الفرقة
٧١٠	- نحن معاشر الأنبياء
٢٢٥	- نصرت بالرعب
٨٢٤	- نعم الفارس عويمر
٣٢٢	- نهى عن بيع المعجر
٤٧٦، ٢٤٩	- هؤلاء في الجنة ولا أبالي
٧٠١، ٥١٩، ٣٧٢	- هل من سائل

- هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ٢٣١
- هي أحب إلي منك ٢٣٩
- هي بضعة مني ٢٤١ = فاطمة بضعة مني ٢٣٨
- وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً ٥٢٣
- وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ٦٦٤
- وعلى رأس كل واعظ ٣٦
- وقوع الجراد من ذهب ١٩١
- ولدت من نكاح لا من سفاح ٤١ ، ٦٥٥ = خرجت من نكاح ٦٥٥
- وليكن لسانك رطباً ١٢
- وهل ترك لنا عقيل من متزل ٥٥٦
- يا أبا الدرداء إن لجسدك ٨٢٥
- يا أبا سفيان ٧٤٨
- يا أسماء ٧٩٢
- يا أعرابي أين تريد ٢٥١
- يا حنان يا منان ٦٩٦
- يا معاذ ٨١٥
- ينزل ربنا ٤٠٨
- يدخل الجنة بشفاعته ٧٣٣
- يشفع في مثل ربيعة ومضر ٧٣٣
- يكون في أمتي رجل ٨٠٠
- يهلك الدجال ٣٩١
- بهم لما يلقي ٢٥١
- ينهى عن الوصال ١٣٨
- يوحى الله تعالى إلى جبريل ٥٥٧



٣ - فهرس الشعر

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
	أ -		
- يأتي	نساء	-	٧١٧
- من رأى	البرحاء	-	٦٠٩
- حياتك	جزءا	-	٦٤٦
- لا تلحه	إغرائه	-	٦٢٣
- نبأ ألم	الأنباء	محمد بن عبد الملك	٧٧١
- عذل	سودائه	المتنبي	٦٣٥
- إذا ما جررت	ورائي	-	٥١٤
	ب -		
- ولي	أذهب	-	٦٧٦
- دع الهوى	أصعبه	-	٦٢٤
- كم كم ذا الهجر	إياب	-	٢٧٩
- بكى	تجرب	-	٥٧٢
- سير الليالي	تعب	-	٧٥٤
- فكان	تندب	-	٦٨٥
- رمت	جنوبها	-	٦٨٤
- ألا من	حلوب	-	٦٢٦
- لقد علم	خطيبها	-	٧٥٣
- واني	ديب	-	٦٣٢
- يا قلب	الذاهب	مهيار	٥٥٦
- ما لم يكن	ذنوب	-	٤٦٤
- الدهر	رطب	-	٤٩٣
- إذا خلوت	رقيب	أبو نواس	٧٧٥
- أمد	رقيبها	-	٦٣٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- وقلبك	ركبُ	-	٥٦٧
- أفلح	ركبوا	-	٦٦١
- ولي قوادم	زغبُ	-	٥٦٧
- فما كل	زينبُ	-	٥٨٤
- لاح	شوبُ	الخفاجي	٥١٥
- يا حبذا	شرايها	جعفر بن أبي طالب	٧٩٢
- إن في الأسر	صبُ	-	٣٨٤
- أذكر	صحابُ	الرضي	٧١٩
- إذا ذكر	طروبُ	-	٦٨٥
- والله	غالبُ	الحارثي	٢٨٥
- لا تغضبني	الغضبُ	-	٤٦٤
- أحسن	فأجيبُ	-	٦٠٩
- أطاعوا	فكذبوه	-	٧٤٦
- يكون	فيطيبُ	المتنبي	٤٨٥
- على بعدك	القربُ	-	٥٥٧
- خطروا	كتابُ	امرؤ القيس	٢٥٦
- أحن إلى	كثيبُ	-	٣٣٠
- رواعدني	كعبُ	عمر بن الخطاب	٣١٨
- إذا أنا	لهيبُ	-	٧٠٧
- أرضاه	محبوبُ	-	٤٣١
- أحب	نسيبُ	الرضي	٥٨٠
- تمر الصبا	هوبها	-	٦٣٨
- كلما زاد	يحبهُ	-	٣٢٦
- جل الزمان	ينهبُ	-	٧٤٥
- فبت	يقشبُ	النايعة	٢٨٥
- يا آدمي	يتجأبُ	-	٧٤٥
- لا يؤيسنك	ترتيا	ابن هند	٦٣٧
- بالله	الريا	-	٤٦٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- يا لنسيم	الصبا	مهيار	٧٢١
- يا من	طلبا	ابن الجوزي	٣٣٢
- ألا يا نسيم	طيا	-	٦٦٥
- دع	عجيا	امرؤ القيس	٢٥٧
- يغلبني	مغلوبا	-	٥١٣
- وكيف	هبا	المتنبي	٥٤٠
- مرى	الوصبا	-	٧٣١
- بالله عليك	الأحباب	-	٥٣٦
- واني	أحبابي	-	٣٩٢
- وكم دهي	بأنيا بها	ابن المعتز	٣٠٣
- وكم ناحلي	أطنا بها	صدر	٥٦٤ ، ٣٦٢
- أرى الدهر	بلباه	-	٥٥٣
- يدي	بالضرب	-	٥٣٥
- لئن قدمت	جانب	-	٧٥٧
- يا نسيم	الجواب	-	٣٥٣
- يا ويح نفسي	حسيبي	-	٣٠٢
- وكل ملحات	الخطب	قيس بن ذريح	٨٠٩
- كم للمنية	الخطوب	-	٧٥٨
- يا مقيمين	الركاب	-	٦٦٠
- يا صحابي	السرب	صدر	٣٩٤
- رأيت	سرى بي	-	٤١٠
- لو قرب	طلابه	صدر	٢٧٣
- يا من	عليك به	-	٢٠٨
- فإن نهاري	غياهب	المتنبي	٦٢٤
- أنت	القرب	-	٣٧٣
- عرجوا	قلبي	ابن الجوزي	٥٠٦
- سقياً	كأزماني بها	ابن الجوزي	٤٣٩
- تذلل الرجال	لأربابها	-	٣٥٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- فخذ	للذهاب	-	٥٢٦
- لله أمر	مطلوب	-	٧٤٣
- ولما تزيلنا	مغرب	-	٣٨٤
- لنا كل	النائب	الرضي	٦٩٦
- بالله	الهبوب	-	٦٢٨
- يا صبا	الهبوب	-	٦٩٦
- هل الطرف	وجيبه	-	٦٥٠
- إذا ما انجلي	يشبه	-	٣٩٠
	- ت -		
- أرى الدنيا	أرهمته	-	٥٧٠
- ألا ذكراني	بيت	-	٣٣٩
- لا تجزعن	تشمس	-	٦٧٥
- إنما الدنيا	ثبوت	-	٧٥٢
- لو شئت	سلامته	-	٤١٩
- قد كنت	ميتا	-	٨٠٨
- إذا نلت	شتا	-	٢٦٥
- إذا ما	انتبه	-	٣٧٧
- تراعي	ذاهبات	-	٧٣٠
- يا مدمن	اللذات	-	٣٣٨
- وكنا	زلت	كثير عزة	٥٩٩
- نهيم	غنت	-	٦٢٦
- تنبه	لشتات	-	٦٩٣
- الله	نيتي	-	١٠
- روعي	أقلعت	-	٦٢٧
- إن العهد	أنست	-	٢٨٠
- أستغفر الله	تأبث	-	٤٨٨
- ولي زفرات	تولت	-	٤٤١
- وعظمتك	سبت	أبو العتاهية	٣٥٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- يا أسير	فات	-	٥٨٣
- ما لنفس	فعلت	-	٦٨٧
- قرن	نبات	-	٧٥١
	- ث -		
- قوم إذا هجروا	بعثوا	-	٣٩٣
- مالك	ورائه	-	٥٦٦
- سابق	بلبات	-	٤٠٤
	- ج -		
- كدود	ناسجه	-	٤٠٦
- إن بيتاً	السرّج	الشبلي	٣٤٩
	- ح -		
- قطاة	الجنّاح	-	٦٧٣
- يا من	الشرّح	-	٣٧٥
- الغيم	الصبوح	-	٧٥٧
- يا قلب	القبّح	-	٥٦٣
- أحباي	مجروح	-	٧١٩
- يا من بصدود	نزحوا	-	٣٣٦
- وإذا تكامل	يجنّح	البحثري	٥١٨
- كأن القلب	يرأخ	قيس بن الملوّح	٢٨٥
- وكان	يعرّح	-	٥٤٤
- يا نسيم	البرحا	مهيار	٦٢٣
- بينا	رائحه	-	٥٠٧
- يا من بسهامه	فرحا	-	٣٢٠
- خلقت	فمحي	-	٦٦٦
- يا غادياً	القبائحا	-	٤٨٤
- يا ندامى	المرحاً	-	٧٠٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- أبصر	منسفا	-	٧٣١
- عندي	نرحا	الرضي	٥٦٠
- لم تبق	أشباح	-	٥٦٣
- علمتي	التقيح	-	٣٥٥
- أليلى	ذريح	-	٥٤٩
- من لي	الرايح	-	٥٠٤
- صبا	لمخ	-	٤٧٧
-د-			
- وعادلون	أجد	-	٣٨٣
- فقلت له	أريد	-	١٩٩
- قل	بد	-	٥٣٩
- هل الحب	برد	قيس بن ذريح	٦٣٢
- أين	بعد	-	٢٦٨
- مدام	تبيد	-	٢٤٥
- هل الدهر	تعود	-	٤٦
- أين الديار	ثمود	-	٧٦٠
- أيا عجباً	الجاحد	أبو العتاهية	٧٧٤
- حثوا	الحد	-	٦٧٠
- ولقد أجن	زرو	مهيأر	٦٦٢
- إذا جزت	سعد	البحثري	٣٨٤
- عودوا	شديد	-	٣٧٣
- مضى	شهيد	-	٦٨٢
- شم	صيد	-	٦٦٢
- هب	عائد	-	٤٧٨
- هذي	عهد	-	٢٨١
- اليوم	غد	-	٥٣٥
- نعم تحمل	قعود	-	٦٣٤
- يا نائم	العقود	-	٥٥٤

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٠٧	-	الكمذ	- الجسم
٥٦٢	-	المستعد	- استعدي
٢٧٧	-	معدود	- يا ابن آدم
٤١	-	موعد	- قل
٥١٠	-	نجد	- أقتل
٢٧٦	الرضي	نرد	- تفوز
٧٦٧	-	نريدها	- جتنا
٧٥٦	-	وارد	- يا مظهرين
٥٣٣	-	الولد	- أمس
٤٢٧	ورقة بن نوفل	الولد	- لا شيء
٤٥٠	الرضي	وفود	- تلقى
٥٣٣	-	وفود	- رأيت
٣٤٢	-	يتجدد	- ذهب الظلام
٦٦٣	القبرواني	يرده	- رقد
٣٠١	-	يريدها	- ألا أبلغ
٣٢٠	-	يزداد	- السقم
٧٣٥	-	يصد	- بينما المرء
٣٣١	-	يصعد	- أما تقومون
٣٩٨	صردر	يقاد	- مرض
٦٠٤	-	اعتدى	- يا صاح
٦١٢	مهيأ	أنجدا	- بالفور
٧٠٥	الأعشى	أنجدا	- بني
٦٨١	-	بردا	- تزود
٥٠٥	-	بعيدا	- أبالغور
٥١٣	مهيأ	تأودي	- أقسم
٦٠٢	مهيأ	ثمدا	- تظن
٥٢٨	-	خدا	- ولما تيقنا
٧١٢	-	خدا	- ليس

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- والله لو كانت	رغدا	مهيّار	٢٦٥
- إذا هب	رندا	مهيّار	٧٢٢
- سقوا	الرندا	-	٦٥٧
- شمس	زبرجدها	-	٢٥٠
- صحة	السهادا	-	٦١٤
- خبراني	عهدا	-	٦٥٢
- يا قلب	غدا	الرضي	٦٧٠
- وإني	مغدى	الرضي	٦١٧
- إن الشباب	مفسده	أبو العتاهية	٧٦٨
- لا عدا	نجداً	-	٢٩٤
- أنذرني	نهدا	مهيّار	٣٨٣
-	الوجدأ	-	٦٠٩
- أحبابنا	وليدا	-	٣٥٣
- وقفت	أحد	النابعة	٣٨٤
- رأيت	الأساود	-	٤٤٦
- أكلف القلب	أضداد	صدر	٥٨٥
- ومن لم بيت	الأكبأ	-	٦٠٠
- يا طرباً	باستبرادها	-	٦٨٤
- أحبك	بعدي	-	٥٠٩
- سمعت	بعيد	-	٤٤٠
- يا منية	بمنقاد	-	٤٣٢
- النجا	بوجد	صدر	٣٥٦
- قالت	تزد	-	٤٨٣
- شربت	تصريد	-	٧١٧
- إلى كم ذا	التمادي	المتنبي	٤١٠
- لها بوجهك	حاد	-	٦٤٩
- يا ساهياً	زاد	-	٥٣٠
- لبس	سواد	-	٤٧٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- سرور	شديد	-	٧٠٦
- وإذا كان	الصعادي	-	٦٨٠
- يا غادياً	عندي	-	٦٩٦
- يا دار	عندي	الرضي	٦٦٤
- ألا حبذا	العهد	قيس بن الملوح	٥١٩
- ولو أنهم	العهد	-	٣١١
- ليا لينا	عودي	-	١٩٦
- بانوا	الغادي	-	٦٥٨
- رويداً	الغادي	-	٣٢٩
- هل مدلج	الغادي	صردر	٣٤٢
- يا من	غدي	-	٣٧٠
- جزى الله	كالمراد	-	٥٥١
- رأيتك	اللحد	-	٥٣٠
- بلغ	مرادي	-	٣٥٣
- وفي وظر	الموارد	-	٧٥٧
- خذي	نجد	-	١٨٦
- ما أشوقني	نجد	-	٢٨٠
- وأنجدم	نجد	أبو تمام	٣٨٨
- رأى بارقاً	نجد	-	٥٤٠
- ولما غرد	الروادي	-	٦٣١
- وإنني لمجبوب	وجد	-	٤٧٧
- بين العقيق	ودي	-	٤٨٧
- أخفي	شاهد	-	٤١٩
	- ذ-		
- لا ذ بهم	ملاذ	-	٦٤٤
	- ر-		
- من السلوة	آثار	-	٦٧٦
- خذي	أستر	-	٦١١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- إيه	أسمار	صدر	٧١٢، ١٨٥
- جد في الجد	الامر	-	٢٧٩
- ردوا	اهجروا	-	٥٣٣
- حاشي	بواده	المتنبي	٦٣٣
- سلبت	تحضر	الحارثي	٥٥١
- والمرء	تقصير	-	٤٧٥
- هذي	خبر	-	٣٩٨
- أراك	ثغورها	-	٢٨٩
- فيا جبهم	الحشر	-	٦٣٥
- كأنك	الدهر	-	٣٥٤
- خليلي	دورها	توبة	٤٧٤
- إن جرى	الديار	البحثري	١٦١
- سل	الدير	الخفاجي	٧٠٤
- إذا وصلتكم	السهر	-	٣١٦
- تجاسرت	الصبر	-	٢٩٦
- أمرت	صبر	-	٧١٣
- لا ترقدن	العبر	-	٣١٧
- ساكن	فأذكره	-	٥١٤
- ليس	غرور	-	٥١٧
- ولما رأيت	فأسروا	-	٤٠٩
- فلزهم	الغرار	-	٢٣١
- مالي	الفرار	-	٣٥٧
- متى رفعت	قرار	مهيار	٣٨٢
- سلوا	القطر	-	٥٠٤
- بدوت	قفز	أبو فراس	٣٥٥
- زموا المطايا	مأسور	-	٢٨٣
- سيان	مصطبر	-	٦٣٦
- يا نازلين	مضمرة	-	٦٩١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- يا سائق	معقور	-	٦٨١
- منازل	منصور	-	٦٠٥
- يا حار	النار	-	١٩٦
- محت	نستعيرها	-	٦٢٥
- آه والشوق	أخرى	مهبّار	٤٤١
- يا محب	الأخطارا	-	٤٣٤
- ذكرها	براها	-	٢٥٨
- هون	بالسرى	-	٧٤٨
- أترى	ترى	-	٦٩٧
- ألا غنياني	ثراها	-	٦٤٠
- وقولوا	جواريا	الرضي	٥٩١
- فلما عاين	حارا	-	١٩٩
- وحدثك	الخبرا	-	٢٧٠
- ويعرف	ذعرا	-	٣٠٣
- الموت	ذكراه	-	٦٥٠
- أنت عين	ذكرا	-	٥٤٥
- أترى	السهر	الخفاجي	٦٠٠
- قد كان	شبرا	-	٣٢٥
- إذا المرء	عبرة	-	٣٦٨
- مكتب	عبرى	-	٦٣٧
- كفر حزناً	قفرا	-	٥٨٠
- يا مغرمأ	كارها	-	٣١٣
- ألا يا غافلاً	الكيرة	-	٧٢٦
- من لقلب	كرى	-	٥٣٣
- ألا من لقلب	مكره	ابن المعتز	٣٤٦
- لو عدلتن	نظرا	الخفاجي	٦٤٠
- صاحب الله	وعرا	مهبّار	٢٩٣
- يعزّ	يسيرا	-	٥٤١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- رقدت	آخر	خالد الكاتب	٦١٢
- سبجان	الإبرار	الخواص	٧٧٣
- الحب	أستاري	-	٦٤٥
- يا ليت شعري	افتقارك	-	٧٣٦
- ما دار	الأقدار	-	٤٨٠
- بحرمة	بالآخر	-	٥١٨
- تمد	بحاجر	مهيّار	٥٢٥
- والمرء	بالخطر	-	٤٦٢
- بدم المحب	بالسعر	-	٤١٥
- لا يغرنك	بعسره	-	٤٤٨
- أو ما رأيت	بالعمر	الرضي	١٧٨
- إن نشق	بالنظر	-	٢٠٠
- حلفت	بالنفر	-	٦٨٨
- ودياك	باليسار	-	٥٧٠
- أقول	حار	النايعة الديباني	٧٢٠
- إليك	حجر	الشيرازي	٢٦٣
- أيها	حضور	-	٥٠٧
- زفرها	الحناجر	مهيّار	٥٦٥
- وإذا جثتم	خطري	-	٦٨٦
- يا نفس	ذري	الرضي	٤٦١
- يا قلب	الساري	الرضي	٦٢١
- وكنا جميعاً	سرور	-	٣٨٨
- وما هي	شهر	-	٣٢٧
- وهم	الصبر	الرضي	٤١٧
- تمتع	عرار	الصمة القشيري	٣١١
- بكى	الغير	-	٥٧١
- حكم	قرار	-	٥٣٠
- سبيك	مسافر	-	٧٣٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- حداة -	المسير	-	٥٠٣
- لولا مدامع -	النار	-	٦٤٨
- تأوهت -	نضير	مهيار	٥٩٤
- لله در -	النفر	-	٢٥٩
- مما بيتنا -	الهجر	-	٥٣٧
- واويلاه -	الهجر	-	٦٦٣
- وكيف -	وافر	أبو فراس	٦٩٤
- لقد أخبرتك -	وقر	-	٧٣٧
- وداع -	يدري	-	١٨٦
- فإن حننت -	أخز	-	٦٧٢
- أترك -	بشر	-	٦٧٨
- يا نواسي -	تصبر	أبو نواس	٧٧٤
- الفور -	الخبر	-	٢٨٩
- أيها الناس -	خير	-	٥٣٤
- كم للمنايا -	الصدود	-	٥٦٧
- وأصبحت -	طائر	-	٦٥٣
- هن نجد -	الوطر	-	٥٥٦
- أرى الشهد -	يعتبر	-	٥٨٢
- ز -			
- كم غودرت -	العجوز	-	٧٨٦
- س -			
- اغتشم -	اختلاسُ	-	٦٦٦
- تبني -	تختلسُ	-	٦٧٧
- حلفت -	غموسُ	-	٥٤٤
- ركب -	أكوسا	الخفاجي	٦٢٧
- أوحشتني -	أنيس	-	٦١٦
- ولقد جعلتك -	جلوسي	-	٧٩٥

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٥١٦	-	حبس	- تجهر
٥٢٢	-	قاس	- وكم من عبرة
٦٢٦	-	كاسي	- يا ساقى
٥١٢	-	لنفسى	- يا منتهى
٦٣٤	الرضي	ملتبس	- خذي
٤١٥	ثعلب	نبراس	- والله يعلم
٥٩٧	-	نفسه	- ما ضر
٣٥٧	-	وسواسي	- والله ما طلعت
		-ش-	
٤٢٩	-	الرشا	- إلى سلطان
		-ض-	
٥٤٢	ابن الجوزي	الحرصُ	- عبرت
٣٠٦	-	ترضى	- من أجلك
٥٤٦	مهيّار	الغرضا	- أيها الرامي
٥٠٣	-	غضا	- عند
٤٣٢	-	فرضا	- إن كان
٤٣٩	-	القضا	- قد قلق
٤٧٠	-	القضا	- ليس
٢٩١	-	مضى	- إلى كم عتاب
٦٨٤	-	معرضا	- مرنح
٨٢٠	-	براضى	- لا تنكري
٥٠٣	-	الغمضى	- متى شق
		-ع-	
٣٣٠	-	أوقع	- دون المعالي
٤١٢	-	تجزع	- شجاك
٥٨٠	الرضي	ربوع	- وإنى لا غرى
٦٨٢	-	زرعوا	- غدا
		٨٩٦	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
أتبكي	طائع	قيس بن ذريح	٣١٠
- ومسندون	فأسرعوا	-	٧٥٥
- هل بعد	مرتجع	مهيبار	٥٤٠
- نهاري	المضاجع	-	٦٠٨
- وكيف	هجعوا	-	٤١٤
- أحست	يوضع	الرضي	٧١١
- من بعني	أربعا	مهيبار	٢٩٤
- إذا ما و انت	أسرعا	-	٦٨٤
-	تترفعا	-	٧٠٧
- قفا	تودعا	-	٤٥٢
- قد كنت	جزعا	-	٢٨١
- لا يغرنك	رقعه	-	٢١١
- اسمع	سماعا	-	٤٧٧
- ارخ لها	شعا	مهيبار	٤٩٤
- آه	صنعا	-	٧١٠
- رعى الله	فضيحا	-	٥١٤
- لا وحببك	مدفعا	-	٦٣٢
- إن هواك	مطيحا	-	٥٥٧
- تفرقنا	معا	-	٤٨١
- دعوها	النسوعا	مهيبار	٥٦٤
- كل سحاب	أدمعي	صردر	٦١٣
- يا نفس	لا تهجعي	-	٣٥١
- هل مجاب	جمع	مهيبار	٢٦٠
- رأيت	خذاع	-	٣٣٥
- يا عقيقي	دمعي	-	٦٢٠
- آفة	دوافع	-	٦٣٣
- عارضاي	سلح	الرضي	٢٩٣
- لا تبلني	ضلوعي	-	٣٧٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- كم بذكراك	الضلوع	-	٦٠٩
- أباسطه	الفرع	-	٦٦٤
- يا ليلتي	فارجمي	مهيّار	٦٠٤
- نشدتك	لعلع	مهيّار	٥٩٩
- كفى سائقاً	مدامع	-	٢٨٤
- أنجدت	معي	-	٧٥٣
- ومن عجب	معي	-	٦٢٩
- باحت	موضعي	-	٧٣١
- يا صاحبي	نرتعي	-	٦٩١
	- ف-		
- حملتم	أضعف	-	٣٣٠
- يا سائق	توقف	مهيّار	٢٨٤
- أشكو	تعجف	الرضي	٦٠٣
- إن القلوب	تعترف	أبو نواس	٧٧٤
- لست	تعطفوا	-	٣٨٧
- ذل	شرف	-	٦١٨
- ملكتم	منصرف	-	٦٥٤
- يا حادي	ننصرف	-	٥٩٤
- ولما وقفنا	توقفنا	-	٦١٢
- مت	خلفا	-	٥٩٠
- واهأ	شفا	-	٤٤٢
- قد كان لي	صفا	-	٢٨٦
- قضت	موقفها	-	٥٩٢
- شوقي	أخفي	-	٤٧٣
- تركت	أسفي	-	٦١٣
- قف	الألفة	-	٥٠٩
- فما يزال	أنف	-	٥٩٤
- ميزت	تفي	-	٢٧١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- سبحان	الموقف	أبو نواس	٧٧٣
- ومتى بلغت	المعروف	-	٥٧٢
- الناس	واف	-	٥٦٨
	- ق -		
- واستعذبوا	الآماق	-	٦١٩
- ومشتت	إخفاق	-	٣١٤
- ولم يبق	أشهُقُ	-	٦٥٣
- يا قومنا	انتقوا	-	٥٨٤
- بلغ سلامي	تائق	-	٥٦٠
- لا تحبس	درياق	-	٥٦٠
- يا طالب	طلاقها	-	٤٩٩
- ألا كل	عريق	أبو نواس	٧٧٤
- بقلبي	علق	-	٦٢٨
- لما أتوا	الفرق	-	٤٢٣
- المرء	يتسق	-	٣٩٥
- يا حادي	يراق	-	٥٣٧
- الوجد	ينطقه	-	٦٣٣
- احبس	آبقا	صردر	٥٨٥
- تغن	الأبرقا	مهيّار	٤٢٨
- ولي عبرات	تألقا	-	٥٩٥
- من أجل	ترقا	-	٢٧٥
- قف	تشوقا	-	٣٧٨
- ليكشفكم	رفقا	-	٤٧٣
- أيدري	شاقا	المتنبي	٣٤٨
- بقيت	شرقا	-	٦٣١
- إلى كم	طريقا	مهيّار	٣٠٠
- ضمنا	عشقا	-	٥٠٢
- لتحشرون	علقا	-	٤٣١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- قد سحب	فرقا	العباس بن الأحنف	٥٨٦
- عللونا	اللقا	-	٥٤١
- هذه دراهم	الآماق	الشبلي	٢٦٠
- سل	الأبرق	مهيار	٥١٩
- وتكاد	الأعناق	المتنبي	٦٦١
- بعينيك	بقي	المتنبي	٣٨٣
- وما تطابقت	الحدق	-	٥٤٥
- محلة	خرق	-	٣٥٠
- رأيت	راق	-	٢٩٨
- لما وردن	الرفاق	-	٧٣٩
- طرف	ساق	مهيار	٦٥٥
- فكل شيء	الساقى	-	١٩٨
- يا صاحبي	عشاقى	-	٥٨١
- عين	فراق	-	٦٢٨
- يا ساكن	الفراق	-	٣١
- أرقى	قلقى	-	٢٦٧
- ليت شعري	المضيق	-	٤٧٨
- رأى	الآماق	الرضي	٦٥٢
- ما على	أعنى	-	٧٢٩
- ما أجلب	فاشتاق	-	٣٢٨
- قد كنت	يطاق	-	٣٨٨
	-ك-		
- رحل الأحبة	ما تركوا	-	٧٣٤
- تفكر	المليك	أبو نواس	٧٧٦
- يا دار	أبلاكا	الرضي	٥٢٣
- يا قلب	الأشراكا	الرضي	٦٧٢ ، ٤٢٥
- إذا اشتبكت	تباكا	-	٦٠٧
- يا عاذل	حاشاكا	الرضي	٥٩٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- أروح	سواكا	المتنبي	٧٠٩
- فلو داواك	شفاكا	-	٣٢٠
- خف الله	فعالكا	-	٤٤٨
- بليت	كفاكا	أبو العتاهية	٤٦٦
- الماء	الباكي	الرضي	٥١٥
- قد لامني	السوافك	متمم بن نوبرة	٥٣٤
- أيا بانة الغور	سواك	مهيّار	٢٨٦
- يا ليت شعري	افتقارك	-	٧٣٦
- وهواك	ترك	-	٥٥٢
- كأنك	رحيلك	-	٧١٤
- أنت	لشتاتك	-	٣٨٠
- يا مالكا	ملك	أبو نواس	٧٧٥
- قل للمؤمل	نظرك	-	٦٦٧
	- ل -		
- ألا أيهذا	الأجل	-	٣٢٢
- لا مرية	الأجل	صرد	٣٤٤
- هبت	أذيال	الغزي	٤٧٤
- أظن	أهل	-	٤٣٥
- لك يا منازل	أواهل	المتنبي	٧٢١
- سهر العيون	باطل	-	٥٥٩
- ألا فتى	بداله	مهيّار	٦٣٣
- قد لج	البلبل	-	٧١٣
- أفي نجد	تقول	الخفاجي	٥١٠
- إذا المرء	جميل	السموّل	٣٠٥
- ضمنت	حاله	-	٤٤٠
- قفوا	حاله	-	٥١٨
- ودعوا	حلوا	ابن الجوزي	٦١١
- وجدت	الراحل	-	٥٨٨

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٤٦٥	-	رحلوا	- يا قلب
٥٢٨	-	الرحيل	- ولم أنس
٥٠٤	-	رسول	- قف
٣٧٢	-	رسول	- إذا لم يكن
٣١٥	-	سهل	- فلا تحسبوا
٣١٩	-	شاغل	- سألت
٣٤٧	المعري	الضال	- وأبغضت
٣٢٦	مهيبار	طلول	- ولما وقفنا
٥٥١	-	الظلال	- صافحوا
٧٠٨	-	عجل	- وما تلوم
٦٤٩	الرضي	عجول	- وإني
٧٣٥	-	عجول	- أليس
٣٤٢	-	عدل	- مالي شغل
١٨٥	-	عمل	- لم يبقَ
٤٢٣	-	غزل	- من أخطأته
١٩٠	الرضي	غولها	- محابعدكم
٦٩٥	المتنبي	فعال	- لا يدرك
٧٢٧	-	فعلوا	- قف بالمحصب
٤٣٢	-	القاتل	- من القتل
٤١٢	-	قاتله	- بكرت
٣٨٩	-	قتلوا	- أترى
٦٠٠	-	قلالها	- تفر
٥٤٨	أبو العتاهية	ما فعلوا	- سألت الدار
٥٧٤	-	مغتال	- أضحي
٣٢٤	-	نازل	- صحا
٧٢٢	المتنبي	نزول	- وما شرقي
٦٣٨	-	يطول	- أطلت
٦١٩	-	يقبل	- أيها العذال

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- أيها الملك	أحلى	ابن المعتز	٣٥٦
- قم	الأرجلا	مهيّار	٤٩٤
- فاستوف	أرحلها	-	٦٥٨
- ترجو	أعدله	-	٧٠١
- يا منزلاً	تبلى	-	٥٠٩
- نموت	تبلى	أبو نواس	٧٧٥
- نزلوا	جبالها	-	٤٨٦
- قم	جلا	مهيّار	٤٩٤
- ثورها	جلالها	الخفاجي	٦٥٨
- وأخرج	خاليا	-	٦٣١
- دعها	عقالها	علي بن أفلح	٥٥٩
- بدالها	كلالها	-	٦٣٩ ، ٥٨٧
- يقول	لسلاما	-	٤٤٧
- هذا ولهي	لها	-	٥٩٥
- أما اشتقت	مالا	-	٤١١
- عجبت	المحيلا	-	٣٧٩
- إن الليالي	آجال	-	٤٩٩
- تعلقت	الآمال	-	٦٦٠
- أجاب	الإبل	المتنبي	٤٧٣
- من أعلم	إبله	-	٢٥٩
- إنا لنفرح	الأجل	-	٨١٨
- وكيف	ارتحالي	-	٥٨٢
- عش	أصلي	خالد الكاتب	٨٣٥
- سر	إليه	ابن المعتز	٦٣٤
- كلما	أملّي	-	٧٤٣
-	أملّي	-	٤٠٣
- خل طرفي	أهل	-	٤٩٧
- يا لنفحات	بابل	-	٦٣٨

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٤٦٢	صردر	بالإبل	- من بطلع
٣٦١	-	بالرجال	- إذا لعب
٥٤٤	مهيّار	بالزلل	- عثرت
٧١٠	-	بسؤالي	- أسائل
١٦٢	المتنبي	بالعلل	- لعل عتبك
٤٧٢	-	بقليل	- إذا ما الخيام
٥٦٣	مهيّار	بلي	- زعمت
٣٢٨	-	الترحال	- أنفت
٦٦٣	-	تململ	- دع شأن
٥٥٥	المتنبي	الحابل	- فذي
٢٨٦	-	حبالي	- لأية علة
٦٠٠	مهيّار	الزائل	- ردوا
٥٢١	-	زوال	- وكل
٦٣٥	-	المسبل	- مهلاً
٧٢٦	-	شغلي	- وإذا اشتغل
٧٢٦	-	شغلي	- وشغلت
٣٧٤	الرضي	الشمال	- يرنحني
٤٦٩	-	شمالي	- سلام
٧٢٦	-	الشمل	- ما أسرع
٣٢٥	ابن الجوزي	عافل	- بي شغل
٦٠٥	مهيّار	عود إلي	- يا ليلتي
٣٢٩	الرضي	غافل	- أتذكراني
٣٠١	-	الفعال	- كذلك الفخر
٢٦٥	-	قبلي	- مالي شرقت
٧٣٢	-	قبلي	- خلني
٤٦٥	-	القاتل	- فإن الحسام
٣٧٨	-	قاتلي	- أمني
٣٤٢	-	القتل	- لا أقبل

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٧٠٣	-	المثال	- جواهر
٦٢٢	المتنبي	مثلي	- تقولين
٥١٥	-	محال	- سألت عيني
٣٥٧	-	المحال	- حياتي
٦٢٦	-	معول	- وإن شفائي
٩٣	امرؤ القيس	مقتل	- وما ذرفت
١٨٩	مهيار	متبل	- ما اختص
٢٠٧	-	النضال	- وإذا رامي
٤٣٩	-	وال	- أين أيامك
٤٧٤	-	الوصال	- لو رأيت
٥٩٩	-	الوصل	- بحرمة
٢٦٩	-	يطل	- نخطو
٧٥١	-	الرحيل	- أيها السكران
٥١٣	-	زحل	- وعزمة
٥٠٤	-	فاحتمل	- خل
٣١٥	مهيار	فعل	- إن كنت
٤١٣	-	قاتل	- هجرانك
٧٥٥	-	قبل	- كل حي
٤٦٤	-	المقبل	- بين الحطيم
٣١٧	-	المنازل	- من أعطى
		- م -	
٢٨٢	-	الأرحام	- وغطتنا
٣٦٢	الرضي	أقاموا	- تركوا
٥٦٩	-	أقاموا	- إذا لم يجد
٣١٦	-	أكتمه	- يا من أشكو
٦٥٦	-	ألموا	- الناسكون
٣٦٨	-	إليكمو	- كفى حزناً
٧٧٠	أبو تمام	البهائم	- ولوا
		٩٠٥	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- ولما خلى	تعنم	مهيّار	٥٢٨
- أما الرقوف	نفهم	-	٦٩٠
- هذا	حاشاكمو	-	٦٩٦
- إذا دنت	الخيام	-	٢٦٠
- هذه	الخيام	-	٦٢٠
- أيا منعماً	الدائم	-	٣١٦
- جرت	الرسم	مهيّار	٣٦٢
- نشدتك	الرسوم	-	١٨٧
- ودعت	السلام	-	٣١٦
- ليس عزماً	الظلام	المتنبي	٦١٩
- وجدي	عندكمو	-	٧١٣
- ما ناح	الغرام	-	٥٣٨
- يا حادي العيس	الغرام	-	٢٧٥
- لا توقدوا	غريم	-	٧٥٢
- أقل	الغنم	-	٦١٧
- لولا جنوني	قاموا	-	٣٠٦
- يطربني	القدم	مهيّار	٣٧٨
- ومن البلية	لا يفهم	المتنبي	٥٩٨
- إذا بدا	لذكرهمو	-	٥٩٣
- تملكوا	لهمو	-	٤٣٠
- وقف	متقدم	أبو الشيص	٨١٩، ٦٢٩
- أجارتنا	المتيم	مهيّار	٥٦١
- تحلى	المحرم	-	٤٣٥
- فحى	المخيم	-	١٤
- لم أدر	مزموم	-	٧٢٩
- يا نسيم	المستهام	-	٣٥٦
- فداو	مضرمه	-	٣٩٩
- إن ترحلت	مقيم	-	٤٧٣
- على قدر	المكارم	المتنبي	٤٤٦، ٣٦٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- سلوا	منام	-	٣٦٢
- عاود	منامه	-	٥٠٠
- كثير	فهمو	مهيار	٦٦٣
- يحاول	نائم	-	٧٠٧
- طال ليلي	ناموا	-	٥٠٦
- أما والله	ما ناموا	-	٢٢١
- آراؤهم	نجوم	ابن الرومي	٨٢١
- الشري	ندم	-	٣٩٦
- خليلي	نسيم	-	٣٤٨
- أيا جبلي	نسيمها	-	٤٢٠
- أثبتهم	هم همو	-	٦١٨
- يارب	همو	-	٥٤١
- واني لآني	براكم	-	٢٠٠
- كاد يمسه	يستلم	-	٢٦١
- ومن له	يكتم	-	٦٢٦
- هواك	يلتام	-	٤٣٧
- قلبي	ينام	-	٧٠٧
- نظرت	يهيم	-	٥٧٠
- عزيز	استسلما	-	٤١١
- وبجرعاء	السلاما	مهيار	٤٣١
- تعاظمني	أعظما	أبو نواس	٧٧٥
- يا نسيم	الأوما	-	٥٠١
- أيها الراحلون	تترامى	-	٤١٢
-	تسلما	-	٥٠٩
- ها إنها	التسليما	-	٥٦٥
- والحر	جسيما	الرضي	٦٩٠
- قل لمن	حاما	-	٣٨٥
- ظن	دما	مهيار	٢٠٧
- قولوا	دما	-	٣٨٧
	٩٠٧		

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- أين سكائك	شأما	مهيّار	٢٧٣
- ما آل	صارما	-	٦٧١
- الماء	الطما	ابن الجوزي	٥٩٥
- حبي	عظما	-	٥٠٢
- ما لبني	عمه	-	٦٥١
- من على	فداما	-	٣٥٩
- يا هريق	قياما	ابن الجوزي	٦١٤
- يا نفس	ما	ابن المعتز	٢٦٤
- أين كنت	مراغما	-	٧٢٨
- يا للرجال	مستسلما	-	٦٥٢
- قل	مسلمما	-	٧٢١
- طال	المناما	ابن الجوزي	٥٤٦
- تنام	نائما	-	٦٦٨
- تزودنا	الأباهم	الرضي	٧٠٦
- فياربح	احتكمي	مهيّار	٤٤٠
- يا لنفس	أحلام	أبو العتاهية	٦٧٢
- إذا الصبا	إضم	الغزي	٢٧٢
- إذا هزنا	الأراقم	مهيّار	٦٠٦، ٥١٥
- أبكي	زلي	أقدامي	٤٢٥
- ذم	الأقوام	-	٥٨٧
- ما زلت	بدم	المتنبي	٦٥٨
- يا مطولاً	بالمنام	-	٣٢١
- هب البعث	تضرم	-	٦٩٩
- ألا اسقني	تنعم	-	٥١٠
- إن المقادير	الحازم	-	٦٤٧
- فمنا	خزائم	-	٣٩٦
- إلى حنفي	دمي	الحجاج	٣٣٩
- احبسا	دمي	-	٥١٠

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٦٢٣	-	السقم	- وتمشت
٧٠٦	الرضي	السقم	- فليت
٦٩١	-	سلام	- سيم الصبا
٦٨١	-	سلامي	- ألا
٣٦٩	الرضي	سلم	- ما شاغفتني
٦٤٤	-	علمي	- سقمي
٤١٩	-	عظام	- يا حادي
٧٣٩	الغزي	فهم	- طول
٣٧٧	-	قائم	- وركب
٦٢٤	-	قدم	- لم يخل
٦٦٩	-	القدم	- والله
٤٨٤	المتنبي	كم	- إلى أي حين
٣٩٢	الرضي	اللمم	- وأمت
٦٦٥	-	بالمقادم	- وما بحث
٧٦١	-	المعامي	- يا عمادي
٥٠٠	-	مقام	- عبتم
٥٣٢	الرضي	المقام	- يا قلب
١٨٨	مهيّار	المتمم	- هل لكما
٧٢٣	ابن الجوزي	منصرم	- يا وبع
٢٨٨	-	إرم	- فيا آملاً
٢٦١	-	أنساكم	- فلا تحسبوا
٤٤٣	-	رعم	- أعد
٦٤١	-	زنام	- إن في نأي
٦٠٩	-	العزائم	- الدمع
٤٦١	-	فلم	- يا نفس
٧٦٢	-	مغناكم	- سروري
		- ن -	
٤٩٤	الرضي	إذعان	- كم اصطبار
		٩٠٩	

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٥٩٩	-	ألوان	- يتشاكى
٤٩١	-	البان	- لي بذات
٣٤٣	-	بانوا	- هاتيك
٥٦٩	الغزي	بانوا	- يا حبذا
٦٣٧	ابن الرومي	بانوا	- سائل
٥٣٨	ابن المعتز	ريان	- اسقني
٣٩٣	-	زمانه	- يا حبذا
٤٥٢	-	سكنوا	- جمعوا
٥٩٨	-	سنان	- عين العنية
٦٨٦	-	اللسان	- ويأبى
٢٢٤	الرضي	المغبون	- شرت
٢٦٠	-	ملآن	- وانزل
٥٣٧	-	بيران	- ردوا المطايا
٦٥٤	المتنبي	أحزانا	- قد علم
٥٢٣	-	أنا	- يا من سائل
٦٧٤	-	أنا	- اطلبوا
٢٧٤	-	البطينا	- البين
٧٦١	-	بنا	- الموت
٢٨٧	-	تفنى	- هل الدهر
٤٠٤	-	تكذبه	- لا تكذب
٦٨٠ ، ٣٩٧	صردر	تلينا	- ظللت
١٦١	الخفاجي	حسننا	- ما رحلت
٣٠٥	مهيار	الحنينا	- أمن حقوق
٥٧٩	-	الدمنا	- واحبس
٦٣٠	الرضي	الدمنا	- يا صاحبي
٢٧٢	-	رهينا	- بنفسي
٣٦١	-	شقيننا	- تثقينا
٥٨٠	-	شقيننا	- وصلوا

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٧٢	-	ضنا	- كم أحمل
٣٨٨	-	الظاعنينا	- تعالوا
٤٠٨	-	عتابنا	- أهل الغرام
٣٧٣	مهيّار	عنا	- سل بسلع
٥٩٩	-	عنا	- قم بنا
٥٩٠	-	غافلينا	- من قربنا
٣٣٤	-	غنى	- سقياً
٣٩٩	مهيّار	غنينا	- وأنت
٥٥٨	-	فتانا	- يا نفس
٦٣٥	-	فخنا	- وماذا
٣٧٨	-	القطينا	- خذني
٦٠٣	-	كانا	- حرام
٢٧٢	-	كتماننا	- قد كنت
٥٩٥	-	كتماننا	- ظن
٣٧٩	-	لبنى	- فلا ومن فطر
٣٧٩	-	لبنى	- أسميك
٨١٠	ليلي الأخيلية	المسلمينا	- قتل ابن عفان
٦٤٣	-	وسنا	- لا ذاق
٥٣٢	-	وهلانا	- وكم وقفت
٥٧٦	-	يذكرونا	- ليت شعري
٥٩٣	ابن الجوزي	يمينا	- إذا جزت
٧٤٤	-	الأحزان	- إن كنت
٥٩٩	-	الأشجان	- إنا ليجمعنا
٦٤٥	-	أطربني	- مضى
٧٤٧، ٥٣١	الرضي	أمانى	- لم يبق
١٩٨	الرضي	الأواني	- أوان
٥٢٠	الرضي	بالأمانى	- ما أقل
٦٨٣	-	بتيان	- ما كان

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- أينفك	بالموازين	-	٦٧٩
- سيقطع	البين	-	٥٧٨
- هو الحمى	تعاينه	ابن المعلم	٣٩٤
- ولقد تشكو	تفهمني	-	٤٠٢
- إن قلت	توانيني	-	٤٦٧
- فكم هذا	التواني	-	٢٩٢
- ثواني	ثواني	-	٥٨٣
- جنونك	جنون	-	٣٤٠
- قوض الموت	حدثان	-	٣٠٩
- ألم ترني	حدثانها	-	٧٧٠
- ناحت سحرأ	الحزن	-	٤٠٢
- أنظن	حزني	الخفاجي	٢٦٢
- قصوا	حزين	-	٦١٤
- فكانت	الزمان	-	٥١٨
- دعني	زمني	-	٣٧٦
- بلاني	شاني	السري الكندي	٦٣٩
- والذي	شجاني	-	٣٣٦
- يا بعيد	شجنه	العباس بن الأحنف	٢٦٧
- سلمت	شجن	-	٦١٢
- إن شفيعي	ظني	-	٢٠٩
- يا حادي	عني	-	٦٩٧
- أرضينا	غبين	-	٤٥٤
- إنني أرق	فأسعدني	أبو العتاهية	٣٠٨
- مكر الزمان	مظنون	-	٤٠٠
- ضنا	المعلن	مهيبار	٥٨٦
- دع ملامي	مني	مهيبار	٥٤٣
- أنا في	مني	-	٧٠٥
- سبجان من	مهيبن	أبو نواس	٧٧٤
- تعجب	هجرانها	مهيبار	٢٧١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
- إن كان	وسني	-	٦٥٧
- هيني	يفضحني	-	٦٠٨
- ومستخبر	يقين	جابر الجرمي	٦٠٨
- بح	تأمنها	-	٢٩٧
- اعف عني	الزمن	-	٢٨٥
- تشبهت	سكن	-	٥٨٧
- سلة الأحباب	فاستنن	-	٣٠١
	- ه -		
- رأى	تيها	ابن المعتز	٣٦٣
- يا كثير	لديه	-	٣٥
	- و -		
- يا من	أبوه	-	٣٣٩
- دعوه	دعوه	-	٥٩٥
- أطاعوه	فكذبوه	-	٧٤٦
- ما إن يطيب	لهو	-	٣٧٦
- لم أشكو	البلوى	-	٦٤٤
- يا ملولاً	التوى	-	٦٤٧
	- ي -		
- خليلي	بداليا	-	٣٤٨
- وقولوا	بجواريا	الرضي	٥٩١
- وقد يجمع الله	تلاقيا	-	٦٨٩
- ولو قيل	خباياها	-	٣٠١
- ألا راحم	لسانيا	-	٦٨١
- أعد	اللياليا	-	٣٤٨
- مفندي	المآقيا	الرضي	٦٩٧
- سل الأيام	ساكنيها	-	٥٧٥

٤ - فهرس الموضوعات

- الإهداء ٥
- مقدمة فضيلة الشيخ وهي سليمان غاوجي الألباني ٧
- مقدمة التحقيق ١٥
- قالوا في الإمام ابن الجوزي ١٦
- ترجمة ابن الجوزي رحمه الله ١٧
- أولاً: اسمه ونسبه وشهرته ١٧
- ثانياً: نشأته وسيرته التعليمية ١٨
- ثالثاً: أهم الصفات التي تميز بها ٢٠
- رابعاً: ابن الجوزي واعظاً ٢٢
- خامساً: شهادة العلماء لابن الجوزي ٣٠
- سادساً: مختارات من غرر ألفاظ ابن الجوزي ٣٢
- سابعاً: أشهر مؤلفات ابن الجوزي ٣٣
- ثامناً: وفاته ٣٥
- تعريف عام بكتاب المدهش ٣٦
- أولاً: موضوع الكتاب ٣٦
- ثانياً: توثيق نسبة الكتاب لابن الجوزي ٣٧
- ثالثاً: أشهر العلماء الذين نقلوا عن المدهش ٣٨
- رابعاً: عرض نماذج لبعض العبارات الرائعة في المدهش ٤٠
- السبب في إعادة طبع الكتاب ٤٣
- أولاً: منهج التحقيق والخطوات التي سلكناها لإخراج الكتاب ٤٤
- ثانياً: وصف المخطوطتين ٤٦
- نماذج من المخطوطتين ٤٩

كتاب المدهش الجزء الأول

- خطبة المؤلف ٥٥

الباب الأول

في علوم القرآن وبيان (٥٧-٩٠)

- فصل: في ذكر أقسام الخطاب في القرآن ٥٩
- فصل: في ذكر أمثال القرآن ٦١
- فصول: في عيون المتشابه ٦٥
- فصل: في الحروف المبدلات ٦٥
- فصل: في الحروف الزوائد والنواقص ٦٧
- فصل: في المقدم والمؤخر ٧٠
- أبواب متخبة من الوجوه والنظائر ٧٢
- باب (أو): يتضمن معاني (أو) في القرآن ٧٢
- باب (أدنى): يتضمن معاني (أدنى) في القرآن ٧٢
- باب (الإنزال): يتضمن معاني (الإنزال) في القرآن ٧٢
- باب (الأرض): يتضمن معاني (الأرض) في القرآن ٧٣
- باب (الأمر): يتضمن معاني (الأمر) في القرآن ٧٤
- باب (الإنسان): يتضمن معاني (الإنسان) في القرآن ٧٥
- باب (الباء): يتضمن معاني (الباء) في القرآن ٧٦
- باب (الحق): يتضمن معاني (الحق) في القرآن ٧٧
- باب (الخير): يتضمن معاني (الخير) في القرآن ٧٨
- باب (الدين): يتضمن معاني (الدين) في القرآن ٧٩
- باب (الذكر): يتضمن معاني (الذكر) في القرآن ٧٩
- باب (الروح): يتضمن معاني (الروح) في القرآن ٨٠

- باب (الصلاة) : يتضمن معاني (الصلاة) في القرآن ٨٠
- باب (عن) : يتضمن معاني (عن) في القرآن ٨١
- باب (الفتنة) : يتضمن معاني (الفتنة) في القرآن ٨١
- باب (في) : يتضمن معاني (في) في القرآن ٨٢
- باب (القربة) : يتضمن معاني (القربة) في القرآن ٨٣
- باب (كان) : يتضمن معاني (كان) في القرآن ٨٣
- باب (كلا) : يتضمن معاني (كلا) في القرآن ٨٤
- باب (اللام) : يتضمن معاني (اللام) في القرآن ٨٥
- باب (لولا) : يتضمن معاني (لولا) في القرآن ٨٦
- باب (من) : يتضمن معاني (من) في القرآن ٨٩
- باب (الواو) : يتضمن معاني (الواو) في القرآن ٨٩
- باب (الهدى) : يتضمن معاني (الهدى) في القرآن ٩٠

الباب الثاني

في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها (٩١ - ١١٦)

- فصل : في انقسام اللغة إلى قسمين واشتمال القرآن عليهما ٩٣
- فصل : ورود عبارتين متصلتين لجهتين مختلفتين ٩٧
- فصل : رجوع كل من المجتمعين إلى ما يليق به ٩٨
- فصل : مجيء البيان متصلاً بالمبين ومنفصلاً عنه ٩٩
- فصل : مجيء جواب الكلام مقارناً له أو بعيداً عنه ١٠٢
- فصل : تصرف العرب في اللفظ بالحركات، والإعجام، والقلب ١٠٤
- فصل : التصرف في إطلاق الأسماء ودقتها ١٠٦
- فصل : اختلاف الأسماء باختلاف أحوال المسمى ١٠٨
- فصل : اختلاف الأوصاف باختلاف الموصوف ١١٢
- فصل : اختلاف الأسماء مع اتفاق الأحوال ١١٣
- فصل : للعرب في ألفاظها عام وخاص ١١٤

● فصل : أسماء تطلق على مسمياتها بشروط ١١٥

الباب الثالث

في علوم الحديث (١١٧ - ١٤٢)

● فصل : في ذكر نبينا محمد ﷺ ١١٩

- ذكر نسبه ﷺ ١١٩

- ذكر أسمائه ﷺ ١١٩

- ذكر عمومته ﷺ ١٢٠

- ذكر عماته ﷺ ١٢٠

- ذكر أزواجه ﷺ ١٢٠

- ذكر أولاده ﷺ ١٢٠

- ذكر مواليه ﷺ ١٢٠

- ذكر مؤذنيه ﷺ ١٢١

- ذكر كتابه ﷺ ١٢١

- ذكر نقيب الأنصار رضي الله عنهم ١٢١

- تسمية من جمع القرآن حفظاً في عهد رسول الله ﷺ ١٢١

- تسمية من كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ ١٢١

- تسمية من تأخر موته من الصحابة رضي الله عنهم ١٢١

- تسمية فقهاء المدينة السبعة رضي الله عنهم ١٢٢

● منتخب من ذكر الأوائل ١٢٣

- فصل : أوليات في الجاهلية ١٢٣

- فصل : أوليات في الإسلام ١٢٤

- فصل : أوائل متفرقة ١٢٤

- فصل : أوائل متنوعة ١٢٥

- فصل : أوليات مستقبلية ١٢٥

● منتخب في ذكر المنسوين إلى غير آبائهم ١٢٦

- فصل : في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء ١٢٨
- فصل : التشابه في الخط والاختلاف في اللفظ ١٢٩
- فصل : أسماء أطلقت على الرجال والنساء معاً ١٣٠
- فصل : أسماء وقع فيها إشكال ١٣٢
- منتخب من الأسماء المفردة ١٣٣
- منتخب من مشتبه الأسماء ١٣٤
- فصل : من مشتبه النسبة ١٣٦
- بيان أحاديث أهمل فيها تبين الأسماء المشتبهة ١٣٧
- منتخب من المتفق والمفترق ١٤١

الباب الرابع

في ذكر عيون التاريخ (١٤٣-١٥٦)

- فصل : في أقاليم الأرض ١٤٥
- فصل : في الجبال ١٤٦
- فصل : معادن الأرض ١٤٦
- فصل : آدم ونوح عليهما السلام وأولادهما ١٤٦
- فصل : في تسمية الحوارين ١٤٧
- فصل : من ملوك فارس ١٤٧
- فصل : في عجائب الأقرباء نسباً وحالاً ١٤٧
- فصل : في الجدوب وعموم الموت ١٥٠
- فصل : في الزلازل والآيات ١٥٢

الباب الخامس

في ذكر المواعظ (١٥٧-٧٦٤)

القسم الأول: ذكر القصص

- الفصل الأول : في قصة آدم عليه السلام ١٦١

- الفصل الثاني : في بناء الكعبة ١٦٤
- الفصل الثالث : في قصة سيدنا نوح عليه السلام ١٦٧
- الفصل الرابع : في قصة عاد ١٦٩
- الفصل الخامس : في قصة ثمود ١٧١
- الفصل السادس : في قصة الخليل عليه السلام ١٧٢
- الفصل السابع : في قصة الذبيح عليه السلام ١٧٤
- الفصل الثامن : في قصة ذي القرنين ١٧٦
- الفصل التاسع : في قصة قوم لوط عليه السلام ١٨٠
- الفصل العاشر : في قصة يوسف عليه السلام ١٨٤
- الفصل الحادي عشر : في قصة أيوب عليه السلام ١٨٩
- الفصل الثاني عشر : في قصة شعيب عليه السلام ١٩٢
- الفصل الثالث عشر : في ذكر بداية موسى عليه السلام ١٩٤
- الفصل الرابع عشر : في تكليم الله عزَّ وجلَّ موسى عليه السلام ١٩٦
- الفصل الخامس عشر : في قصة الخضر عليه السلام ٢٠١
- الفصل السادس عشر : في قصة بلعام وموسى عليه السلام ٢٠٣
- الفصل السابع عشر : في قصة قارون ٢٠٥
- الفصل الثامن عشر : في قصة داود عليه السلام ٢٠٧
- الفصل التاسع عشر : في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ٢١٠
- الفصل العشرون : في مريم وعيسى عليهما السلام ٢١٣
- الفصل الحادي والعشرون : في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام ٢١٧
- الفصل الثاني والعشرون : في قصة أهل الكهف ٢٢٠
- الفصل الثالث والعشرون : في بداية أمر نبينا ﷺ ورضاعه ٢٢٣
- الفصل الرابع والعشرون : في قصة الغار والصديق رضي الله عنه ٢٢٨
- الفصل الخامس والعشرون : في قصة أهل بدر ٢٣٠
- الفصل السادس والعشرون : في تزويج علي بفاطمة رضي الله عنهما ٢٣٨

القسم الثاني: في المواعظ

● الفصل الأول: في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ نذكر فيه التوحيد ٢٤٥

- في التوحيد وانتفاء الشبهة

- إثبات الصفات دون تشبيه أو تعطيل

- من مظاهر عظمته وأدلة وحدانيته

- اصطفاء أنبيائه وإقصاء أعدائه

● الفصل الثاني: في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ ٢٥٠

- في فضل نبينا ﷺ وأن فضائل الأنبياء مجموعة فيه ﷺ

- تحنث النبي ﷺ في حراء ومجيء جبريل

- الإسراء والمعراج ومعجزات أخرى

- خصوصية بالمقام المحمود يوم القيامة

- صحابة النبي ﷺ صفوة الخلق بعد الرسل

- ميزات ثلة من صحابة النبي ﷺ

● الفصل الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ ٢٥٧

- تلبية النداء شوقاً لرؤية البيت العتيق

- من أحوال العارفين في المناسك

- ما تفيضه رؤية المشاهد والآثار على القلوب من أسرار

● الفصل الرابع: ٢٦٤

- الاعتبار بمن نازله الموت قبل التأهب وإعداد الزاد

- قصر اللبث في الدنيا داعية إلى الجد في الخير وترك العبث

- من بواعث الكسل غلبة الهوى وطول الأمل

- اجتماع المذنبين في نادي الندم والأنين

● الفصل الخامس: ٢٦٩

- التأمل فيما يفنى ويبقى يقي من اتباع الهوى

- قوة عزمك على الخير رجولة وفتورك عنه أنوثة

- محبة الدنيا محنة وبلية

- من جعل الآخرة نصب عينيه جدّ في طلبها
- الصبر على المجاهدة سبيل الحظوة عند الملك

● الفصل السادس : ٢٧٦

- العمر يسير والعقل يقصر عن التقصير
- التأمل في عجائب تدبّر الحيوان للعواقب
- العاقل مَنْ يدبر دينه كما يدبر دنياه
- استنشاق ريح الأسحار يفيق قلب المخمور من الإسكار

● الفصل السابع : ٢٨٢

- المتيقظ ينتفع بوعظ الأيام ويادر لتلافي الآثام
- الأسفار الستة التي يتقلب بها الإنسان
- صفات المتقين في طريقهم إلى مراتب اليقين

● الفصل الثامن : ٢٨٧

- غبن المغرور باللذات ، وحزن المسرور بالشهوات
- دنيّ الهمة يقنع بالحاضر الفاني ، ورفيع الهمة يطمح إلى الآجل الباقي
- دروس في تفاوت الهمم في عالم الحيوان
- معرفة حقيقة الدنيا تدعو للتعلق بالآخرة
- الهوى يعرقل عن سلوك سبيل الآخرة

● الفصل التاسع : ٢٩٢

- الاعتبار بالزمان حضنّ العارفين على إصلاح الشأن
- اتباع الهوى حصر في سجن الدنيا ، والتقوى انطلاقة في فضاء العزّ
- الحث على التخلص من المعوقات والقواطع
- التلطف في الموعظة بين التشويق والتخويف
- أحوال العارفين بين الخوف والرجاء

● الفصل العاشر : ٢٩٧

- الدنيا غرارة غدارة خداعة مكّارة
- إنما تعجب الدنيا من لا فهم له ، والعاقل يعرف حقيقتها

- الدنيا تتلف محبتها وأهل الغفلة فيها

- على قدر الاجتهاد تعلو الرتب

- إسلام الصحابي الجليل ذي البجادين وشوقه إلى النبي ﷺ

● الفصل الحادي عشر : ٣٠٢

- دعوة النفس إلى تحقيق التوبة وإصلاح العيوب

- انقياد النفس للحازم وإباؤها على المتردد

- أثر المواعظ في إحياء قلوب أماتها الذنوب

- إصلاح القلوب مقدّم على إصلاح الأبدان

- لا راحة للمحبّ إلا بقاء محبوبه

● الفصل الثاني عشر : ٣٠٨

- الاعتبار بسطوة الموت والتنبّه قبل الفوت

- ركوب سفينة النجاة في لجج الحياة

- التهيؤ لساعة ينادي فيها سعد فلان أو شقي فلان

- تمثّل جهنّم وأحوال الناس فيها

● الفصل الثالث عشر : ٣١٣

- معاول الساعات تهدم حائط الأجل

- تذكّر حلاوة العاقبة ينسي مرارة الصبر

- أثر الندم في قلع آثام الذنوب

● الفصل الرابع عشر : ٣١٧

- تمثّل هول عالم القبور يزهد في الدنيا الغرور

- كثرة الشواغل والطمع والغفلة مانعة من الفهم والاعتاظ

- طول الأمل عقدة في وجه متشار الجذ

● الفصل الخامس عشر : ٣٢٢

- مَنْ أيقن بالرحيل يادر الأيام وحاذر الآثام

- مَنْ وَلّى ظهره الدنيا، كشفت له الآخرة نقابها

- موانع الهوى تحجب وصول الموعظة إلى القلب

● الفصل السادس عشر : ٣٢٧

- مَنْ عَلِمَ مَا أَمَامَهُ تَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ وَأَصْلَحَ خِيَامَهُ
- عَزِيمَةُ الْإِنَابَةِ تَقْلَعُ قَوَاعِدَ الْهَوَى
- تَعَلَّقَتْ هِمَّةُ ابْنِ آدَمَ بِالْآخِرَةِ لَمَّا لَاحَ لَهُ جَمَالُهَا

● الفصل السابع عشر : ٣٣٢

- الدُّنْيَا دَارُ الْمُحَنِّ وَدَائِرَةُ الْفِتَنِ
- مَنْ عَلِمَ حَسْنَ الْمَأْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَبَ
- الْآخِرَةُ سَكَاتُهَا الْأَخْلَاقُ الْجَمِيلَةُ
- الذِّلُّ وَالْبُكَاءُ يُلَسِّمُ لَجَرَّاحَاتِ الذُّنُوبِ

● الفصل الثامن عشر : ٣٣٨

- مَنْ أَحَبَّ الْوَسَادَاتِ لَمْ يَلْحَقْ بِمَقَامِ السَّادَاتِ
- الْمُبَادَرَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَنَبْذُ التَّسْوِيفِ
- الْإِنْسَانُ مَخْتَارُ اللَّهِ فِي الْكُونِ
- نَزُولُ آدَمَ إِلَى دَارِ الْمَجَاهِدَةِ وَظُهُورُ ثَمَارِهَا

● الفصل التاسع عشر : ٣٤٤

- التَّأَهُبُ لِلرَّحِيلِ مِنْ دَارِ لَيْسَتْ بِمَنَاحٍ
- بِسَابِقَةِ الْقَدَرِ سَعِدَ أَقْوَامٌ وَشَقِيَ آخَرُونَ
- رَحْلَةُ سُلَيْمَانَ الْفَارِسِيِّ فِي طَلَبِ الْهَدَايَةِ

● الفصل العشرون : ٣٥٠

- يَرْجِعُ عَنِ الْمَيِّتِ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى مَعَهُ عَمَلُهُ
- نَفْخُ إِسْرَافِيلَ فِي الصُّوَرِ وَحُشْرِ الْخَلَائِقِ
- مِنْ عَجَائِبِ تَدْبِيرِ الْحَيَوَانِ لِلْعَوَاقِبِ
- بَعَثَ رَسَائِلَ الْأَحْزَانِ مَعَ رِيَّاحِ الْأَسْحَارِ

● الفصل الحادي والعشرون : ٣٥٤

- خَلَّ الْأَمَلُ الْكَذُوبَ فَرُبَّ شُرُوقٍ بِلا غُرُوبٍ
- الدُّنْيَا جَيْفَةٌ قَدْ فَاحَ رِيحُهَا لَا يَشْمُهُ مَزْكُومٌ

-بتفريغ القلب من الشواغل تُضْرَبُ سرادقات المحبوب
-المحبون بذكر الله ينطقون ، وبأمره يتحركون

● الفصل الثاني والعشرون: ٣٥٩

-التَّيَبَّاتُ تبقى واللذات تمرّ
-أخوك من عدلك وصدقك لا مَنْ عذرك وصدقك
-ظهور رياض الوصول يُهَوِّنُ قطع بادية الرياضة

● الفصل الثالث والعشرون: ٣٦٤

-لا يُدْرِكُ المفاخر مَنْ رضي بالصف الآخر
-شجرة المكاره تُثْمِرُ المكارم
-مَنْ امتطى راحلة الشوق لم يَشَقَّ عليه بُعْدُ السفر
-غليظ الطبع مَنْ لا يُحَرِّكُه تشويق ولا يُزْعِجُه تخويف

● الفصل الرابع والعشرون: ٣٧٠

-التوبة التوبة قبل وصول التوبة
-مَنْ ضاع قلبه طلبه في مجالس الذكر والفكر
-عناية الله بعبدته محيطة به قبل وجوده وبعده
-مَنْ أقبل على ربه رأى من إقباله عليه العجب

● الفصل الخامس والعشرون: ٣٧٦

-ضَمُّ العيب إلى الشيب مذموم
-حاكم العقل يُدِينُ ، وقاضي الهوى يعجور
-التنزه في أخبار المحبين تورث القلب محبة

● الفصل السادس والعشرون: ٣٨٠

-الدنيا أسحر من هاروت وماروت
-العمر أنفاس تطير ، والموت بقطعها بسيفه
-أمل لقاء الحبيب يُنسي مرارة الابتلاء
-اجتياز بعض الصحابة لمحنة الابتلاء

● الفصل السابع والعشرون : ٣٨٥

- لا يدفع الموت في انتفاضه مَشِيدُ الحصون
- لا يَفْرُقُ الهمة مثل غوغاء المني وضوضاء الشهوات
- نَفْسُ الأسف ينسف كُثبان الذنوب في بوادي القلوب
- خوف العارفين من سوابق الأقدار قَلْقَلْ قلوبهم

● الفصل الثامن والعشرون : ٣٩٠

- من تيقَّنَ طولَ الطريق تأهَّبَ لها بكثرة الزاد
- ضبط الجوارح سبيل لحفظ الدِّين
- طعم المناجاة في الشَّحَر تُنسي كلَّ لَذَّة
- مجالس الوعظ يأخذ منها كلُّ على قدر همَّته

● الفصل التاسع والعشرون : ٣٩٥

- من بواعث اليقظة التفكُّر في مصارع السابقين
- تلمُّح العواقب قبل الفعل أمان من الندم
- من زَمَّ جوارحه ولازم الباب ، فهو على رجاء الوصول
- المحبون يأنسون بمحبتهم ويهيمون بذكره

● الفصل الثلاثون : ٤٠٠

- مَنْ عَلِمَ أَنَّ الخصم مُعِدُّ والقَصَمُ مُجِدُّ ، يادر وجدَّ
- جلاء البصيرة من قذى الهوى يُجلي على البصر عرائس الهدى
- مظاهر عَظْمَةِ الله في مراحل خلق الإنسان

● الفصل الحادي والثلاثون : ٤٠٤

- حَظِي بالشر مَنْ جمع المال للغير ، وترك التزوُّد في سَيْرِه
- إيثار ما يَفْنَى على ما يبقى عِلَّةٌ قاتلة
- أمثلة لتوظيف طاقات الإنسان في الفاني المنقطع
- مَنْ تفكَّر في طريق الهوى يتيقن المعائر والصدمات

● الفصل الثاني والثلاثون : ٤١٠

- الحرص على الدنيا يورث صاحبه النَّصَب

- شرف الهمة ينأى بصاحبه عن الخسائس والأقذار
- صاحب الهوى يتبع المذهب الذي يوافق غرضه
- الشوق إلى الحبيب والندم على التقصير يقي من نار جهنم

● الفصل الثالث والثلاثون: ٤١٤

- مَنْ سَكَنَ اليَقِينَ قَلْبُهُ ، رَاقِبٌ بِالْأَنْفَاسِ رَبَّهُ
- مَنْ قَطَعَ طَعْمَهُ فِي الدُّنْيَا حَازَ عِزَّائِمَ الْأَوْلِيَاءِ
- أَحْكَمُ الْعَارِفُونَ الْعِلْمَ فَحَكَمَ عَلَيْهِمُ بِالْعَمَلِ

● الفصل الرابع والثلاثون: ٤٢١

- رَحِيلٌ مَنْ يَرْحَلُ عَنِ الدُّنْيَا نَذِيرٌ لِمَنْ بَقِيَ فِيهَا
- التَّقْصِيرُ فِي الْعَمْرِ الْقَصِيرِ نَدَامَةٌ وَسُوءٌ مَصِيرٌ
- الْإِصْغَاءُ إِلَى حَدِيثِ الْهَوَى يُوْرِثُ الصَّمَمَ إِلَى النَّصَائِحِ
- الْحِمِيَّةُ عَنِ الذَّنْبِ وَامْتِلَاكُ الْهَوَى سَبِيلُ الرِّفْعَةِ وَنِيلُ الْعَلَا

● الفصل الخامس والثلاثون: ٤٢٧

- الدُّنْيَا مَعْبَرٌ لِلْآخِرَةِ وَدَارُ ابْتِلَاءٍ
- تُنَالُ الْجَنَّةُ بِالزَّهْدِ وَتُدْفَعُ النَّارُ بِتَرْكِ الذَّنْبِ
- مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْبَلَاءَ مُرَادُ الْحَبِيبِ اسْتَحْلَاهُ

● الفصل السادس والثلاثون: ٤٣٤

- الدُّنْيَا لِمَنْ اغْتَرَبَ بِهَا خَادِعَةٌ ، وَلِمَنْ أَحْبَبَهَا قَاطِعَةٌ
- الْمَالُ بِيَدِ الْكِرَامِ عَابِرُ سَبِيلٍ
- مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا أَقْبَلَتْ إِلَيْهِ الْآخِرَةُ
- نِيلُ الشَّهَوَاتِ وَتَحْصِيلُ الْمَرَاتِبِ ضِدَانٌ لَا يَجْتَمِعَانِ

● الفصل السابع والثلاثون: ٤٣٨

- الْجِدُّ فِي طَرِيقِ السَّابِقِينَ سَبِيلٌ لِلْحَاقِّ بِهِمُ
- أَوْحَشَ الذَّلَّ مَا كَانَ بَعْدَ الْعَزِّ
- لِسَانُ الدَّمْعِ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانِ الشُّكْوَى

- أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي بل بنَفْس محتاج

● الفصل الثامن والثلاثون: ٤٤٣

- اعتبار المقيم بمن رحل
- من صدَّق الأمل كذَّبه ومن أطاع الهوى عذَّبه
- من مظاهر نعم الله وتدبيره في خلقه
- من الشقاء مقابلة النعمة بمخالفة المُنعم

● الفصل التاسع والثلاثون: ٤٤٨

- من أيقن بشدة الحساب حاسب نفسه على الذرة
- ما مضى من الدنيا حلم وما بقي فأمني
- الطريق إلى الله محفوفة بالمشاق ومبذولة فيها الأرواح

● الفصل الأربعون: ٤٥٢

- سحائب المنى تحجب شمس الاعتبار وتغفل عن سطوات الموت
- الشيب أذان والموت إقامة، والخاسر من ليس على طهارة
- سكران الهوى بعيد الإقامة
- ضم الندم على التفريط إلى العزيمة على الإنابة سعادة
- انتهى الجزء الأول

كتاب المدهش

الجزء الثاني

● الفصل الحادي والأربعون: ٤٦١

- من راضٍ مُهر نفسه هان عليه قيادها
- الأرواح في الأشباح كالأطياف في الأبراج
- نور النبوة عمَّ الآفاق فرآه السعداء وعمي عنه الأشقياء
- الخوف من السابقة لا تنحل عقده من قلوب العارفين

● الفصل الثاني والأربعون: ٤٦٦

- من انفكَّ من أسرِ هواه أدرك مُناه

- فُرُزُ المواعظ تستنهض أصحاب الهمم
- العاقل من رعى قلبه في مزارع التقوى وحماه من أدغال الغفلات
- سبق الاختيار يرفع من مهاوي الزلق إلى مراقبي النجاة

● الفصل الثالث والأربعون: ٤٧١

- الفضائح تحتاج إلى وثبة أسد
- من أوقد مصباح الفكر لاحت له أعلام الهداية
- نماذج من زهد الصالحين ويكاثهم
- تمكّن المحبة من القلوب تنأى بصاحبها عن نسيان المحبوب

● الفصل الرابع والأربعون: ٤٧٥

- شحم المني مُزال ولذات الدنيا منام وخيال
- مَنْ له من نفسه باعث لم يحتج من خارجه لباعث
- نماذج من خصائص بعض المخلوقات
- استنشاق ريح المواعظ يسقط جنين الإصرار
- الاعتدال في سياسة النفس بما لها وما عليها

● الفصل الخامس والأربعون: ٤٨٠

- الدنيا حَلَبَةٌ لجريان الأعمار
- الشهوات مبنوثة في طريق المتيقن ما يسلم منها إلا الأولياء
- التواني عن التوبة والخيبة رضيعا لَبَّان

● الفصل السادس والأربعون: ٤٨٤

- بثر الغفلة مُهلكة وبحار الجهل مُغرقة
- من ذبح حَنْجَرة الطمع بخنجر اليأس اعتق قلبه من أسر الرق
- طلوع شمس العزيمة في نهار اليقظة يبث عالم النشاط

● الفصل السابع والأربعون: ٤٨٨

- عرائس الموجودات ترفل في حلل رائعة الصنعة
- العارفون نزلوا من الدنيا منزلة الأضياف فأخذوا منها الزاد دون إسراف

● الفصل الثامن والأربعون: ٤٩٣

- ما تعطيه الدنيا مفرقاً تسترجعه جملة
- من وزن حلوى المشتى يمر العقاب بان له التفاوت
- انبعاث الجوارح في العمل دليل على قوة العلم بالأجر
- الفرح يبذل النفوس دليل على كمال المحبة

● الفصل التاسع والأربعون: ٤٩٩

- الاستعداد للآخرة قبل الندامة
- يشتد كرب المحب بمزاحمة رقباء المخالطة وبهبوب نسيم السحر يزول
- أرواح الأسحار أقوات الأرواح

● الفصل الخمسون: ٥٠٣

- تلمح سير السابقين يُقلق المنقطعين
- غسل جنابة الجنابة يؤهل لدخول الجنة
- من نصب الآخرة نُصِبَ عَيْنُهُ نصب بالطاعة

● الفصل الحادي والخمسون: ٥٠٧

- كم أباد الموت المُناصب أرباب المناصب
- سائق الحرص يضرب ظهر الحريص بعصا التحريض
- كره المحبون الموت لأنه يقطعهم عن عبادة محبوبهم

● الفصل الثاني والخمسون: ٥١٢

- العزلة حمية البدن والمناجاة قوت القلب
- تحقيق العبودية يرفع العبد فوق مراتب الملائكة
- لو عرف الإنسان قدر نفسه ما أهانها بالمعاصي
- أثر المحبة يظهر على جسد المحب

● الفصل الثالث والخمسون: ٥١٦

- العمل دائم الوجل من هجوم الأجل
- ما أشنع الخطايا في الصبا وهي في الشيب أقبح!
- من فتش أحمال الأعمال قبل الرحيل أمن الرد عند المقييل

- المعرفة غرس في القلب، والتذكار ماء

● الفصل الرابع والخمسون: ٥٢٠

- القائم على سوق الشهوات في سوق الشبهات خسرت تجارتها
- لا يغرّنك صفو العيش فالرسوب في أسفل الكأس
- خلّقت الداران للإنسان، فالدنيا للتزوّد والأخرى للتوطن
- محبة آدم للحبيب أصيلة، وتعبّد إبليس تكلف

● الفصل الخامس والخمسون: ٥٢٦

- من آمن بالسؤال يوم الحساب أعدّ له أحسن الجواب
- من الشطط والخسران إنفاق نعم المولى في العصيان
- بخار الأمانى يعقد بخار الكسل
- أحوال الصالحين عند الموت بين خائف ومشتاق

● الفصل السادس والخمسون: ٥٣٠

- مركب الحياة تجري في بحر البدن برخاء الأنفاس
- العقل يحثّ على التوبة، والهوى يمنع، والحرب بينهما سجال
- أحصر الصالحون في سبيل المحبة، فأقعدتهم عن كل مطلوب

● الفصل السابع والخمسون: ٥٣٤

- اليقظ من يبكي على نفسه قبل أن يُبكي عليه
- من علامة حياة القلب: الانكسار عند التوبيخ، والدمع عند العتاب
- متى صدقت توبة التائب بنى بيت التعبّد بصخور العزيمة
- التوبة الصادقة تقلع آثار الذنوب

● الفصل الثامن والخمسون: ٥٣٩

- وعظ الدنيا برحيلها أبلغ وعظ لمن كان له قلب
- ما أمرّ البعد بعد القرب! وما أشدّ الهجر بعد الوصل!
- المحبّ لا يبرح عن الباب ولو طُرِدَ، ولا يزول عن الجنب ولو أبعد

● الفصل التاسع والخمسون: ٥٤٣

- أكثر فساد القلب من تخليط العين
- إذا ختم سلطان المعرفة بقاع القلب بثّ جنده في بقاع البدن
- عند المحبين شغل عن الجنة فكيف يلتفتون إلى الدنيا
- ألسنة المحبين تضجّ من طول حبسهم في الدنيا عن الحبيب

● الفصل الستون: ٥٤٨

- التفكّر في الراحلين عن الدنيا ومنازلهم بعدها
- من رأى معاول النقص في أهل الدنيا ناح عليهم
- الأيام صحائف الأعمار، والسعيد من سجّل فيها أحسن الأعمال
- من دلائل المحبة نحول الجسم واصفرار اللون

● الفصل الحادي والستون: ٥٥٣

- الأيام واعظة بما تبنيه وتنقضه
- يوسف العقل ينظر في العاقبة، وزليخا الهوى تتلمّح العاجلة
- كل صاف من الدنيا مقرون بكدر
- لا يدرك علم الربانية إلا من رُبّي فيه
- لا بدّ في سلوك الطريق من مصابرة رفيق

● الفصل الثاني والستون: ٥٥٨

- العاقل من يستدرك صباية اليقظة
- لا بد لنجم الحياة من أقول، ولشمس الممات من طلوع
- العمر قصير، والناقد بصير
- إذا خلا الفكر باليقين ثارت عجاجة الدمع

● الفصل الثالث والستون: ٥٦٢

- الأكياس يعاتبون النفس على التفریط ويحاسبونها على التقصير
- العزلة تجمع الهمّ، والمخالطة نهاية لجمع القلب على الله
- بانقشاع غيم الغفلة عن العيون يلوح هلال الهدى

-المحبّون أنصُتوا رواحِل الأبدان حبّاً في تعجيل اللقاء
-من أراد اللحاق بالسادة خلى مخاللة الرسادة

● الفصل الرابع والستون: ٥٦٦

-من خطر ذكر الرحيل بباله ، قنع بالبُلغ في ترحاله
-يقدر على الحمية من تلمح العافية في العاقبة
-من أقفر قلبه من اليقظة فتحت نفسه باب الغفلة

● الفصل الخامس والستون: ٥٧٠

-إقبال الدنيا شغل ، وإدبارها قتل
-الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب
-أحسن شعائر الشرائع العدل

● الفصل السادس والستون: ٥٧٤

-طول الأمل ينسي ذكر الأجل
-الأمن في طريق مُخيف يدلُّ على عقل سخيف
-النبية من يخالط عالم المعنى ، ولا يقف مع الصور
-من صفت له الفكرة كان له في كل شيء عبرة

● الفصل السابع والستون: ٥٧٨

-الطريق الهادية واسعة الفجاج والدليل ظاهر
-من لم يصبر عن الهوى صَبْر يوسف حَزَن حُزَن يعقوب
-أنفاس المستغفرين نسائم السحر
-زكام الكسل والفتور يمنع استطابة رياح الأسحار

● الفصل الثامن والستون: ٥٨٢

-لا يعمي البصر ، ويُصِم السمع مثل الهوى
-شجرة الإخلاص أصلها ثابت ، وشجرة الرياء مجتثّة
-ريح المخلصين عطرية القبول ، وللمرائي سَمُوم الإبعاد
-قلب من ترائيه بيد من تعصيه

- أحوال الصالحين في الاحتراس من الرياء

● الفصل التاسع والستون : التفكير في عجائب خلق الله : ٥٨٨

- العاقل من يخلو بنفسه ويعاتبها ، ويأخذ على يدها ويحاسبها

- مَنْ تَأَمَّل حُسْنَ لُطْفِهِ لَخَلِيقَتِهِ حَيَّرَهُ الدَّهْشُ

- القلب جوهر في معدن البدن والكشف عنه بمعول المجاهدة

- المغبون من باع لحظة أنس بالله بعمر الدنيا

- أنفاس الأسف كافية في الشفاعة من الزلزل

● الفصل السبعون : ٥٩٢

- العجب ممن يشتري لذة ساعة بغم الأبد

- بضاعة المذنب دمه ، ورأس ماله حزنه

- أقرب الخطائين إلى العفو المعترف بالزلزل

- ليس للمحب دون لقاء محبوبه قرار

● الفصل الحادي والسبعون : ٥٩٧

- حبال الآمال مقطوعة ، وساحر الهوى نقات

- من عدى خلف موكب الهوى ما ربح إلا الغبار

- من لم يشاهد جمال يوسف لم يعلم ما الذي آلم قلب يعقوب

● الفصل الثاني والسبعون : ٦٠٢

- أدعية ومناجاة في طلب القرب ، والأمن من القطيعة

- العجب ممن عرفه ثم أحب غيره

- يرجى لمن استغاث بالواصلين اللحاق بهم

- ذكر الوصال في زمان الهجر تلف

● الفصل الثالث والسبعون : ٦٠٦

- الإخلاص مسك مصون في مسك القلب

- المرائي يحشو جراب العمل رملًا يُثقل ولا ينفع

- العبرة باستقامة الباطن وصلاح النية

- نماذج من حرص الصالحين على كتم الأعمال خشية الرياء

● الفصل الرابع والسبعون : ٦١١

- سار الصالحون على رواحل الصدق فوصلوا رياض الأنس

- حمائم الأرواح مسجونة في أقفاص الأشباح

- جلّيت أوصاف الحبيب في حلية الكمال، فقام العارفون على أقدام

الشوق يسبحون

- لما تمكّنت المعرفة من قلوب الصالحين أثرت شدة الخوف

- المحبّ إن تذكر الربع حنّ، وإن تفكّر في البعد أن

● الفصل الخامس والسبعون : ٦١٦

- الخلوة مَهْر بكرة الفكر وسلّم معراج الهمة

- قطع العلائق أصل الأصول لتحقيق الوصول

- لا يظهر في خلوة المتيقظ إلا الحق

- الإقرار بالإفلاس غنى، والاعتراف بالخطأ إصابة

- كفى بطول الرقدة في القبور رقاداً

● الفصل السادس والسبعون : ٦٢١

- المقصّر عن طلب الزاد كيف يدرك المعالي بغير اجتهاد؟

- لما صفت خلوات الدجى فاز الأحباب بالفوائد

- ثورت في الليل الحداة، وربطت أحمال الأعمال

- أحوال المحبتين في قيامهم الليل

● الفصل السابع والسبعون : ٦٢٥

- إذا هبّت رياح المواعظ أثارت من قلوب المتيقظين غيم الغم

- بكاء المحبين رغبة ورهبة

- البكاء لأجل الذنوب مقام المريد، وعلى المحبوب مقام العارف

- المحب مع بذله الروح لا يرى ما بذل ثمناً لما طلب

● الفصل الثامن والسبعون : ٦٣١

- المحب يهيم في كل واد، يصبح على القلق، ويمسي على الحرق
- مقاساة الخلق ظلمة، والحبيب يتجلى في خلوة
- المحبة نزالة، وقوتها المُهَج
- المحب إذا أقلقته الحب ضجّ، وإذا أرقه الشوق عَجّ
- أشد ما على المحب من مقاساة الحب سماع اللوم

● الفصل التاسع والسبعون : ٦٣٧

- سماع أخبار المتقين تحت على السير في سربهم
- قلب المحب تحت فحمة الليل جمرة، كلما هبّ النسيم التهبّت
- شيمة المحب لا تخفى، وصحائف الوجوه يقرؤها من لم يكتب

● الفصل الثمانون : ٦٤١

- من رأى قلبه مال إلى الهوى ذكره العقاب ليستقيم
- إن تأخرت الإجابة فابعث رائد الانكسار خلفها تنل
- مظاهر من لطف الله بضعفاء خلقه
- من تلاعبت خوادع الآمال ببضائع عمره صار مفلساً
- لما علم المحبون أن الصبر محبوب الحبيب شمروا لحمل البلاء

● الفصل الحادي والثمانون : ٦٤٦

- مَنْ أحرَمَ عن الحرام بنزع مخيط الهوى راعى القدر ضعف كسبه
- مراتب المصلين في معارج الصلاة
- في خلوات التلاوة تُزَفُّ أبكار المعاني
- مَنْ أَحَبَّ المَخْدُومَ حضر قلبه في الخدمة

● الفصل الثاني والثمانون : ٦٥١

- العجب ممن يرى فعل الموت بصحبه ثم ينسى قرب نحيبه
- سعد من تدبّر، وسلم من الأذى من تصبّر
- المحرمات حرم، ونظر المملوك إلى حرم المالك من أقبح الخيانة

- من سعى إلى جناب العزّ بأقدام المسكنة لم يعد بالخيبة
- صدور العلم من عامل به كالعربية ينطق بها البدوي

● الفصل الثالث والثمانون: ٦٥٦

- العارفون يخافون دخول الزيف في أعمالهم والمخلطون على بساط الأمن
- المحبون شغلهم حب مولا هم عن لذات الدنيا
- سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة
- الصالحون إذا ناموا توسدوا أذرع الهمّ، وإن قاموا فعلى أقدام القلق

● الفصل الرابع والثمانون: ٦٦٠

- مَنْ تذكّر ركوب الجنازة وطول المفازة أعدّ الراحلة والزاد
- إذا تلاحقت غروس المجاهدة تلاحقت ثمار المدائح
- أشراف الأوصاف أوصاف الأشراف، وسادات العادات عادات السادات
- المحبون مع الحق حاضرون، عن الخلق غائبون
- من يجوز بنادي المحبة يرى المحبين كالقراش تحت النيران

● الفصل الخامس والثمانون: ٦٦٦

- من لم يلتزم أسلوب المعاتبة ودستور المحاسبة باء بالخسارة
- بحر الوجود قد جمع الفنون، فالعلماء جواهره، والعباد عنبره
- لا تحتقرن يسير الطاعات، فالذود إلى الذود إبل

● الفصل السادس والثمانون: ٦٧١

- المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه
- من اغترّ بحبة الفخ نسي خنق الشرك
- لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل
- من صابر مشقة الطريق انتهى سفره إلى جنات عدن
- ثمن المعالي جد الطالب، والفتور داء مُزمن

● الفصل السابع والثمانون: ٦٧٧

- غفلة المؤمن عن المساءلة دون يقين بالنجاة غرور

- ما في المقابر من دفين إلا وهو متالم من (سوف)
- منام المنى أضغاث ، ورائد الآمال كذوب
- المجاهدة حرب لا يصلح لها إلا بطل
- لا تصح توبة من تاب بلسانه والإصرار ملء قلبه

● الفصل الثامن والثمانون : ٦٨٢

- أيام العافية غنيمة
- الخاسر من سجن عقله في مطمورة هواه
- خفيت العواقب على المتقين ففزعوا إلى القلق
- العارفون غائبون عند ذكر الدنيا ، حاضرون عند ذكر الآخرة
- العالم المحقق يعتصر من كروم المعارف أكرم المعاني
- من جلس في كسر الانكسار فتح له باب الوصول

● الفصل التاسع والثمانون : ٦٨٧

- آه من نفس تقبل على عدوها ، وتبادر إلى ما يؤذيها
- من بعث قلبه وراء كل هوى عسر عليه حضوره في الصلاة
- العبارات حظ النفوس ، والإشارات قوت القلوب

● الفصل التسعون : ٦٩٣

- لا يطعمن البطال في منازل الأبطال ، فلذة الراحة لا تنال بالراحة
- أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذب
- ليس الواعظ كالإبرة ، تكسو غيرها وهي عريانة

● الفصل الحادي والتسعون : ٦٩٨

- سلب الآباء ، وأخذ الأجداد ، يُنبّه على إعداد الزاد
- نزول آدم إلى ميدان التعبد ، صعود في ميدان المجاهدة
- كلام المُذَكِّرِينَ إذا سلم من بدعة كان قوتاً للنفس

● الفصل الثاني والتسعون : ٧٠٤

- أولى من بكى على أقاربه الأموات أن يبكي على نفسه

- من لاحت الغاية لعين شبيه صاح بخيل المبادرة
- سطرت قدرة الصانع في ألواح التكوين عجائب الصنعة
- مَنْ تلمَّح آثار الحبيب على وجوه الصالحين رأى سطور القبول بمداد الأنوار

● الفصل الثالث والتسعون : ٧٠٩

- النهار يزيد في كرب المحب ، والليل يشكفها في السحر
- شراب المناجاة يروي ظمأ العشاق
- كلما قوي حامل المحبة زيد في حملة
- تمكن الحب في قلوب المحبين أخرجهم إلى الوله

● الفصل الرابع والتسعون : ٧١٤

- باب البقاء في الدنيا قد شدّ
- مياه المعاني مخزونة في صدر العالم تروي الظامئين
- مَنْ خُلِقَ للعلم شفت جوهره من الصغر
- فواكه الألفاظ اللذيذة في مذاق الأفهام السليمة لا تُثَمَّن

● الفصل الخامس والتسعون : ٧١٨

- العجب من فطن غرّ به سراب يلمع
- الدنيا دار كدر بذلك جرى القدر
- العارفون علموا قرب الرحيل فهيرؤ وآلة السفر
- للمعاهد عهد كلما تذكره الصبّ صبّ الدموع

● الفصل السادس والتسعون : ٧٢٣

- من أراد استقامة نفسه سلمها إلى راض العلم
- من علم بعواقب الجنایات تاب منها وعافها قبل الممات
- إثثار ما يفتنى على ما يبقى من أشد المرض
- تخايل الصالحون لذة الصواب فسهلت عليهم مرارة الصبر

● الفصل السابع والتسعون : ٧٢٨

- مَنْ ركب الهوى هوى به ، ومن استعمل التقوى تقوى بها

- مَنْ حَانَطُ بَاطِنِهِ خَرَابٌ مَا نَفَعَهُ عِمَارَةُ ظَاهِرِهِ
- ثَقُفْ نَفْسَكَ بِالْآدَابِ قَبْلَ صَحْبَةِ الْمُلُوكِ

● الفصل الثامن والتسعون : ٧٣٤

- مَنْ عَرَفَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يُوْثِرْ هَوَاهُ
- مَا جَرَى عَلَى الْعَصَاةِ يَكْفِي عِظَةً
- مَنْ احْتَقَرَّ مَعْصِيَةً لَصَغَرَهَا فَرِيْمًا أَحْرَقَهُ شَرُّهَا
- وَخَلُّ الْمَخَالِطَةِ يُلْزِمُ الْمَهْذَبَ رَفْعَ أَذْيَالِ قَمِيصِ الدِّينِ
- مِنَ الْأَمْوَاتِ مَنْ تَحْيَا بِذِكْرِهِ النُّفُوسُ ، وَمِنَ الْأَحْيَاءِ مَنْ تَقْسُو بِرُؤْيَيْهِ الْقُلُوبُ
- تَحْتَ شَجَرَةِ طُوبَى مُسْتَرَا حِ الْعَابِدِينَ

● الفصل التاسع والتسعون : ٧٤٠

- مَنْ هَوَّنَ أَمْرَ الدُّنْيَا عَلَيْهِ هَانَتْ
- مَنْ دَامَ عَلَى سُلُوكِ الْجَادَةِ وَصَلَ وَإِنْ طَالَ الْمَسِيرُ
- النَّظَرُ فِي تَصَارِيفِ الْأَقْدَارِ أَفْلَقَ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ

● الفصل المئة : ٧٤٥

- الْعَجَبُ مِمَّنْ يَنْفَقَ الْعُمُرَ النَّفِيسَ فِي نِيلِ الْهَوَى الْخَسِيسِ
- الْمُسْتَيْقِظُ بَعْدَ فَوَاتِ الْوَقْتِ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ الْمَقْتِ
- لَوْلَا صَبْرُ الْمَضْمَرِ عَلَى قَلَّةِ الْعَلْفِ مَا قِيلَ : سَبَّاقُ
- مَنْ لَمْ تَبْكِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ لَمْ تَضْحَكِ الْآخِرَةُ إِلَيْهِ

● الفصل الأول بعد المئة : ٧٥٠

- الْمَوْتُ مُقَاتِلٌ يَقْصِدُ الْمُقَاتِلَ
- الدُّنْيَا غَدَارَةٌ وَبِرْدُ لَدَاتِهَا حَرَارَةٌ
- خُلُوةُ الْمُحِبِّينَ بِالْحَبِيبِ تَشْغَلُهُمْ عَنْ مَا يَطِيبُ

● الفصل الثاني بعد المئة : ٧٥٤

- أَرِيَابُ الْأَمَانِيِّ وَالْأَمَلِ أَخَذُوا بَيْنَ سَكْرِ الْهَوَى وَالثَّمَلِ
- مَنْ جَازَ عَلَى الْقُبُورِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ رَأَى مَا فَعَلَتْ بِكُلِّ وَجْهِ نَاضِرٍ
- مُتَادِي الْقُبُولِ عَلَى مَنَازِلِ الْوُصُولِ يَقُولُ : (سَارِعُوا)

● الفصل الثالث بعد المئة : ٧٥٨

- الأيام طرق العجذ، والساعات ركائب المجد

- مَنْ جاز قنطرة الهوى أبّ بتجارة لن تبور

- مَنْ كانت عزيمته شديدة البرودة لم توقده نارُ المواعظ

● ملحق التراجم (٨٣٦-٧٦٥)

● الفهارس العامة (٩٤٢-٨٣٧)

١- فهرس الآيات ٨٣٩

٢- فهرس الأحاديث الشريفة والآثار ٨٧٧

٣- فهرس الشعر ٨٨٣

٤- فهرس الموضوعات ٩١٥

٥- فهرس الأعلام المترجم لهم ٩٤٣



٥ - فهرس الأعلام المترجم لهم

- | | |
|----------------------------------|------------------------------------|
| ٧٩٤ - داود بن أبي هند | ٧٧٨ - إبراهيم بن أدهم |
| ٨٢٤ - أبو الدرداء | ٨٣١ - إبراهيم النخعي |
| ٧٩٤ - رابعة العدوية | ٨٣٤ .. - أحمد بن أبي الحواري |
| ٧٩٥ - رباح القيسي | ٧٧٩ - الأسود بن يزيد |
| ٧٨٢ - الربيع بين خثيم | ٧٧٦ - أسيد الضبي |
| ٨٢١ - ابن الرومي (الزاهد) | ٧٧٧ - أويس القرني |
| ٨٢١ - ابن الرومي (الشاعر) | ٧٨٧ - بشر الحافي |
| ٧٩٥ - زجلة العابدة | ٧٦٩ - أبو بكر بن عياش |
| ٧٨٢ - السبتى | ٧٦٩ - أبو بكر النهشلي |
| ٧٩٦ - سحبان وائل | ٧٨٨ - بلال بن رباح |
| ٧٩٦ - سري السقطي | ٧٧٠ - أبو تمام |
| ٧٩٧ - سعيد بن المسيب | ٨٣٥ - ثابت البناني |
| ٧٩٨ - سفيان الثوري | ٧٨٩ - جعفر الصادق |
| ٧٧١ - أبو سليمان الداراني | ٧٩٢ - جعفر الطيار |
| ٧٨٣ - الشبلي | ٧٧١ - أبو جندل |
| ٧٨٣ - الشريف الرضي | ٧٧٩ - الجنيد |
| ٨١٩ - أبو الشيص الخزاعي | ٧٩٢ - حبيب العجمي |
| ٧٩٩ - صردر | ٧٩٣ - حجاج بن فرافصة الباهلي |
| ٨٠٠ - صلة بن أشيم | ٨٣٠ ... - حسان بن أبي حسان |
| ٨٠١ - طاووس اليماني | ٧٨٠ - الحسن البصري |
| ٧٨٣ - الطفيل بن عمر الدوسي | ٧٨١ - الحكم الكوفي |
| ٧٨٦ - أبو الطيب المتنبى | ٨٣٥ - خالد بن زيد الكاتب |
| ٧٨٥ - العاصمي | ٧٩٣ - خبيب بن عدي |
| ٨٠٢ - عامر بن عبد الله | ٧٩٣ - خبيب بن يساف |
| | ٧٨٢ - الخفاجي |

- قيس بن ذريح ٨٠٩
 - كثير عزة ٨٠٩
 - كهمس بن الحسن التميمي ٨٠٩
 - ابن أبي ليلى ٧٧٨
 - ليلى الأخيلية ٨١٠
 - ماهان الحنفي ٨٢٧
 - معاذ بن جبل ٨١٤
 - محمد بن كعب القرظي . ٨٣٠
 - محمد بن المنكدر ٨١٠
 - محمد بن النضر ٨١١
 - محمد بن واسع ٨١١
 - ابن مرزوق ٧٧٩
 - مسروق بن الأجدع ... ٨١٢
 - مسلم بن يسار ٨٢٠
 - مصعب بن عمير ٨١٣
 - مطرف بن الشخير ٨١٣
 - ابن المعتز ٧٧٩
 - منصور بن المعتمر ٨١٥
 - مهيار الديلمي ٧٨٧
 - أبو نواس ٧٧٣
 - ذو النون المصري ٨٢٧
 - هشام بن حسان ٨١٥
 - وهب المزني ٨١٦
 - وهيب بن الورد ٨١٧
 - يحيى البكاء ٨١٧
 - يحيى بن معاذ ٨١٧
 - أبو يزيد البسطامي ٧٧٦
 - يزيد الرقاشي ٨١٧

- عامر بن عبد الله بن عبد قيس ٨٣٣
 - عامر بن قيس الأشعري .. ٨٢٠
 - عبد الله المزني ٨٠٢
 - العباس بن أحمد ٨٣٢
 - عبد الواحد بن زيد ٨٠٣
 - أبو عبيدة الخواص ٧٧٢
 - أبو العتاهية ٧٦٧
 - عتبة الغلام ٨٢٣
 - عطاء السليمي ٨٠٣
 - العلاء بن زياد ٨٢٩
 - أبو العلاء المعري ٧٦٨
 - علي بن بكار ٨٣٦
 - أبو علي الدقاق ٧٦٧
 - عمار بن ياسر ٨٠٣
 - أبو عمران الجوني ٧٧٣
 - عمران بن حصين ٨٢٨
 - عمر بن عبد العزيز ٨٠٤
 - عمير بن هانيء ٨٠٦
 - العوفي ٧٨٥
 - الغزي ٨٣٢
 - فتح بن شخرف ٨٠٧
 - فتح بن سعيد الموصلي . ٨٠٦
 - فتح بن محمد الموصلي ٨٠٧
 - أبو فراس الأسلمي ٨١٨
 - أبو فراس الحمداني ... ٨١٨
 - فرقد بن يعقوب السبخي ٨٠٨
 - الفضيل بن عياض ٧٨٦
 - أبو قلابة ٨٣٢